الموريسكيُّون الأندلسيُّون بين عامَيْ ١٥٥٦ – ١٦٠٩م

من خلال كتاب "ناصر الدِّين على القوم الكافرين" لِمُؤَلِفِهِ

أحمد بن قاسم الحجري (ت: بعد ١٦٤١م)

فاطمـة بنت ناصر بـن خلـف الحاتميـة

رسالة مقدَّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة

ماجستير الآداب في التاريخ

قســم التاريـــخ

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة السلطان قابوس

سلطنة عُمان

ديسمبر ٢٠٢٣م

(لجنة الرسالة)

اسم الطالبة: فاطمة بنت ناصر بن خلف الحاتمية   الرقم الجامعي: ١١٦٢٥٢

عنوان الرسالة: الموريسكيُّون الأندلسيُّون بين عامَيْ ١٥٥٦-١٦٠٩م من خلال كتاب "ناصر الدِّين على القوم الكافرين" لِمُؤَلِّفِهِ أحمد بن قاسم الحجري (ت: بعد ١٦٤١م)

لجنة الرسالة:

١. المشرف الرئيس: د. فاطمة بلهواري

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: التاريخ

الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية /جامعة السلطان قابوس

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٤م

٢- عضو لجنة الاشراف: أ.د محمد الطراونة

الدرجة العلمية: أستاذ دكتور

القسم: التاريخ

الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية /جامعة السلطان قابوس

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٤م

(لجنة مناقشة الرسالة)

١- رئيس اللجنة: د. خالد الشملي
الدرجة العلمية: أستاذ مساعد
القسم: الجغرافيا
الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية/ جامعة السلطان قابوس
التوقيع: .... التاريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٤م

٢- المشرف الرئيس: د. فاطمة بلهواري
الدرجة العلمية: أستاذ مساعد
القسم: التاريخ
الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية /جامعة السلطان قابوس
التوقيع: ....التاريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٤م

٣-العضو (ممثل رئيس القسم): د. بدر العلوي
الدرجة العلمية: أستاذ مساعد
القسم: التاريخ
الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية /جامعة السلطان قابوس
التوقيع: ....التاريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٤م

٣- الممتحن الخارجي: أ. د. يوسف بني ياسين
الدرجة العلمية: أستاذ دكتور
القسم: التاريخ
الكلية: الجامعة الأردنية/ الأردن
التوقيع: .... التاريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٤م

الإهداء

إلى قُدْوَتِي الأولى؛ المرأةِ المُكافِحَة الصَّبُورة

إلى عطاءِ الحُبِّ الذي لا يَنْضَبُ

إلى مَلَاكِي غالِيَتِي: أُمِّي

إلى سَنَدِي الأوَّل... وَالِدِي

إلى مَنْ كانَا لي سَنَدًا وظِلًّا وأَمَانًا ومَأْمَنًا

الدَّاعِمِينَ لِخُطْوَتِي الأُولَى في رِحْلَةِ هذا العَمَلِ: أبِي عبدِ العزيز وأُمِّهِ

إلى مَنْ كانُوا لي عَوْنًا ودَعْمًا وأَعْتَزُّ بِهِم: إِخْوَتِي الكِرَامِ

إلى الزَّهْرَاتِ الجَمِيلاتِ: أَخَوَاتِي وزَوْجَاتِ إِخْوتِي العَزِيزَاتِ

أُهْدِي دراستي المُتَوَاضِعَةَ هَذِهِ،

الباحثة

الشُّكْرُ والتَّقْدِيرُ

قال تعالى: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"

الحمدُ للهِ والشُّكْرُ له على نِعَمِهِ الجَزْلَى؛ الذي أَعَانَنَا على إنجاز هذا العمل، والصَّلاة والسلام على سيّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

وبعد حَمْدِ الله تعالى وشُكْرِهِ على إنهائِي للدراسة الحاليَّة؛ أتقدَّمُ بالشُّكْرِ الخالصِ والتَّقديرِ إلى المُشْرِفَيْنِ على الدراسة: المُشْرِفَة الأولى؛ الأم المعلمة الرائعة الدكتورة فاطمة بلهواري؛ لجهودِها القيمة في متابعة البحث واضفاء عليه بَصْمَتِها المُتَمَيّزَة، والمُشْرِفِ الثاني الأستاذ الدكتور الأب العزيز محمد الطراونة لِجُهْدِهِ المشكور منذ بداية الرحلة للعملِ المُنْجَز، ودَعْمِهِ العلمي الكبير؛ فَاللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا ولَهُمَا.

كما أتقدَّمُ بالشُّكْرِ والتَّقدير لرئيس القسم الدكتور علي الريامي؛ لِدَعْمِهِ المُستمِرّ لي واهتمامِهِ الدَّائِم في إتْمَامِ الدراسة على أكملِ وَجْهٍ. كما أَصِلُ بالشُّكْرِ والإجلالِ لأساتذتي في قسم التاريخ؛ نظيرَ كُلِّ نصيحةٍ وملحوظةٍ ودَعْمٍ أسهَمُوا في إثراءِ الدراسةِ وتطويرِها.

ومن واجبِ الاعتراف بالفضل أَنْ أُقَدِّمَ الامتنانَ والتَّقديرَ إلى مَنْ كُنَّ لي عَوْنًا وسَنَدًا: صديقتي وأختي الرائعة فاطمة البادية لِدَعْمِها المُسْتَمِرّ لي منذ البداية، والأُخْتَيْن العزيزتَيْن مريم البرطمانية وأحلام الحارثية، وزميلات الدراسة الرَّائِعَات في قسم التاريخ.

كما أُجْزِلُ الشُّكْرَ للقائمين بالعمل في قسم المراجع بالمكتبة الرئيسية؛ لتسهيل الوصول للمصادر والمراجع الخارجية، والشُّكْرُ موصولٌ للعاملين في مكتبة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،

الباحثة

المُلَخَّصُ باللُّغَة العربيَّة

الموريسكيُّون الأندلسيُّون بين عامَيْ ١٥٥٦–١٦٠٩م من خلال كتاب "ناصر الدِّين على القوم الكافرين" لِمُؤَلِّفِهِ أحمد بن قاسم الحجري (ت: بعد ١٦٤١م)

الباحثة: فاطمة بنت ناصر بن خلف الحاتمية

تهدُفُ الدراسة لتحليل قضية الموريسكيِّين من خلال كتاب" ناصر الدين على القوم الكافرين" لِمُؤَلِّفِهِ أحمد بن قاسم الحجري (ت: بعد ١٦٤١م)، من عام ١٥٥٦م؛ العام الذي حَدَّدَتْهُ الباحثةُ بدايةً لِتَوَلِّي فيليب الثاني الحكم(١٥٥٦–١٥٩٨م)، وبَدَأَ بإصدار قوانين مُجْحِفَة لِطَمْسِ الهُوِيَّة العربية والإسلامية للموريسكيِّين، إلى عام ١٦٠٩م الذي أُصْدِرَ فيه قرارُ الطَّرْدِ النهائي لموريسكيِّي الأندلس في عهد الملك فيليب الثالث(١٥٩٨–١٦٠٩م)، وتم تحليل أبعاد تلك القضية في هذا الكتاب.

وقدِ اتَّبَعَتِ الباحثةُ في الدراسة المنهجَ التاريخي القائم إلى الوصف والتحليل والاستقراء بغرضِ بناء السِّيَاق التاريخي للأحداث التي ارتبطت بالقضية الموريسكيَّة في هذا الكتاب. كما تم الاعتماد إلى المنهج المُقَارَن نظرًا لِمَا وَفَّرَتْهُ بعضُ المصادر الأولية من مُعطَيات تاريخية؛ منها العربية، والإسبانية المُترجَمة على حَدٍّ سواءٍ.

وتنقسم الدراسة إلى مُقَدِّمَة، وثلاثة فصول، وخاتمة: تناولَ الفصلُ الأول التعريف بأحمد بن قاسم الحجري وكتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ أَمَّا الفصل الثاني فنَاقَشَ أوضاع الموريسكيِّين في عهد المَلِكَيْنِ فيليب الثاني وفيليب الثالث (١٥٥٦–١٦٠٩م)، واستعرضَ الفصلُ الأخير الهجرةَ الموريسكيَّة بالتَّطَرُّق لهجراتِهِم نحو الدول الإسلامية؛ والأوروبية.

وقد توصَّلَتِ الدراسة إلى مجموعة من النتائج؛ أهمُّها: كشفتِ الرِّحلةُ عن المَضَامِين الرَّئيسة لتفاعُلات الفكرية والثقافية الدينية بين الموريسكيِّين والمسيحيِّين خلال القرن السابع عشر، ومعاناة الموريسكيِّين من أَزَمَة الهُوِيَّة المُزدَوَجَة في إسبانيا، وإِنَّ سياسةَ الدَّمْجِ القَسْري للموريسكيِّين هو استجابة غير فعَّالة ما تَرَتَّبَ عليها نتائج عكسية للمخاوف الأمنية؛ وهي الحقيقة التاريخية التي ترسَّخَت في الأزمنة المُعاصِرَة وظهور اليسار المُتَطَرِّف في الدُّوَل الأوروبيَّة المختلفة ومواقفِهِ العنصرية تِجَاهَ المسلمين بِعَدِّهِم آخَرِين مُختلِفِين ثقافيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا.

المُلَخَّص باللُّغَة الإنجليزيَّة

The Andalusian Moriscos between the years 1556-1609 AD as viewed in Ahmed bin Qasim al-Hajari 's book "Nasir al-Din Ala al-Qawm al-Kafirin" (d.: after 1641 AD)

The researcher: Fatima Nasser Khalaf Al Hatmi

This study aims to examine the issue of the Moriscos by analyzing the work of Ahmed ibn Qasim Al-Hajari "Nasir al-Din 'ala al-Qawm al-Kafirin" (d. after 1641 AD). The analysis focuses on the year 1556 AD, which is the year that the researcher identified as the beginning of Philip II's accession(1556-1598) to the throne, and his legislation of unjust laws to obliterate the Arabic and Islamic identity of Moriscos until the year 1609 AD in which the King Philip III(1598-1609) decided to expelled the Moriscos of Andalusia forever, The dimensions of this issue were analyzed in this book.

In this study, the researcher drew on the historical method based on description, analysis, and extrapolation for the purpose of establishing the historical context of the events that were associated with the Moriscos issue in this book. The comparative approach was also used due to the historical data provided by some primary sources, including translated Arabic and Spanish alike.

This study is divided into an introduction, three chapters, and a conclusion. The first chapter covered a description of Ahmed bin Qasim Al-Hajari and his book, "Nasser al-Din Ala al-Qawm al-Kafirin" The second chapter highlighted the conditions of the Moriscos during the reign of kings Philip II and Philip III (1556-1609 AD), and the last chapter discussed the Moriscos immigration by addressing their migrations towards the countries of the Islamic and European.

The study concludes with a number of findings but the most significant are as follows: The trip revealed the main contents of the intellectual, cultural, and religious interactions between the Moriscos and Christians during the seventeenth century, the Moriscos' suffer from a dual identity crisis in Spain, and that the policy of forced integration of the Moriscos is an ineffective and counterproductive response to security concerns. This is a historical fact that has taken root in contemporary times and the emergence of the extreme left party in various European countries and its racist attitudes towards Muslims as culturally, socially and religiously different.

قائمة المحتويات

قائمة المختصرات

ت	الاختصار	معناهُ
١	ت	تُوْفِّيَ
٢	د. ت	دُونَ تاريخ
٣	ج	الجزء
٤	ص	الصفحة
٥	ط	الطبعة
٦	هـ	الهجري
٧	م	الميلادي
٨	ع	العدد
٩	د.ن	دُونَ نَشْرٍ
١٠	مج	مُجَلَّد
١١	Vol	Volume
١٢	P	Page

المقدمة

فَتَحَ المسلمون الأندلس عام٩٢هـ/ ٧١١م، واستمرَّ وجودهم أكثر من ثمانية قرون، وانتهى حُكْمُهُم فيها مع آخِرِ ملوك بني الأحمر أبي عبد الله الصغير عام٩٨٧هـ/ ١٤٩٢م. استطاعتِ الحضارةُ الإسلامية على مدى هذه القرون أَنْ تَشْغَلَ حَيّزًا مُهِمًّا في تاريخ الإنسانية؛ لِغِنَاهَا وقدرتِها على الإبداع من خلال الإنجازات التي حَقَّقَتْها في مجالات المعرفة البشرية المختلفة.

سقطت غرناطة آخِر مَعَاقِل المسلمين في الأندلس على يَدَيِ المَلِكَيْن الكاثوليكيّين فرديناند الخامس وإيزابيلا–مَلِكَيْ قشتالة وأرغون–عبرَ اتفاقية عُرِفَتْ باتفاقيَّة تسليم غرناطة؛ التي عُقِدَتْ في ٢١ محرم سنة٩٨٧هـ/٢٥ نوفمبر عام ١٤٩١م، وبموجبها خَضَعَ المسلمون الموجودون في المَمْلَكَتَيْن لِحُكْمِهِمَا؛ كَفَلَتْ اتفاقية تسليم غرناطة للمسلمين من الشروط ما يُمَكِّنُهُم من التعايش بسلام مع النصارى الإسبان؛ فقد ضَمِنَتْ لهم سلامة أرواحهم ومُمتلكَاتهم والسماح لهم بممارسة شعائرهم وغيرها من الشروط التي تُؤَكِّدُ مستوى حِرْصِ المسلمين على تأمين أنفسهم؛ فلم يَغْفَلُوا مسألةً تَخُصُّ حقوقهم إلَّا أَكَّدُوا عليها، فضلًا عن ذلك فَإِنَّ المَلِكَيْنِ تَعَهَّدَا أَنَّ الاتفاقيَّةَ مُلْزِمَةٌ لهما ولخلفائهما من بعدِهما.

ومع إنَّ اتفاقية غرناطة كَفَلَتْ للمسلمين الحرية الدينية إلَّا أَنَّ الإسبان سُرعَان ما نَقَضَوا الاتفاقية وأَرْغَمُوا المسلمين على اعتناق النصرانية، وسُمُّوا بالموريسكيِّين أَيِ النَّصارَى الجُدُد؛ وهو الاسْمُ الشائع في الوثائق الإسبانية الخاصة في تلك الحِقْبَة الزمنية، ولم يَكْتَفِ الإسبانُ بفرضِ التَّنصير فحسبُ بل أَخَذُوا في ملاحقة المسلمين في عاداتهم وتقاليدهم، فكلُّ فعلٍ مُغَايِرٍ للمُعتقَدَات النَّصرانية؛ غَدَا جُرْمًا يُعَاقَبُ عليه الشخص بالقتل والنَّفْي ومصادرة المُمْتَلَكَات ودَفْع الغرامات. ومع هذا كُلِّهِ، كان المسلمون صابرين مُتَمَسِّكِين بدينهم في الصدور مُظْهِرِين تَنَصُّرَهُم في محاولة منهم لِلتَّعَايُش مع النصارى الإسبان في أرضهم التي سُلِبَتْ منهم، ولَمَّا تَبَيَّنَ لِلسُّلُطَات الإسبانية فَشَلَ سياسةِ الإدماج تلك ارتأت طَرْدَ المسلمين إلى خارج أراضيها عام١٦٠٩م واضعةً بذلك حَدًّا نهائيًّا للوجود الإسلامي في الأندلس.

تُعَدُّ قضيَّةُ طَرْدِ الموريسكيّين من أهمِّ القضايا التاريخية في القرنَيْن ١٦و١٧م، وهي من أهمِّ الأحداث التي حَفَلَتْ بالتَّبِعَات على الصُّعُدِ السياسية والاجتماعية، والاقتصادية كافَّةً.

سَعَتِ الدراسةُ إلى تَتَبُّعِ أوضاع الموريسكيِّين بين عامَيْ ١٥٥٦-١٦٠٩م من خلال مصدرٍ موريسكيٍّ مُتَمَثِّلٍ في كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" لأحمد بن قاسم الحجري "أفوقاي"؛ مع تسليط الضوء على القيمة الوثائقية للكتاب، والتَّعَرُّف إلى أوضاع الموريسكيِّين الدينية والاجتماعية في عهد المَلِكَيْن فيليب الثاني وفيليب الثالث، وظاهرة الهجرة الموريسكيَّة والظروف المحيطة بها، وأوضاع الموريسكيِّين المَطْرُودِين من إسبانيا في المجتمعات المتوسطية من خلال كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين".

أَوَّلًا: أهمية الدراسة

تَكْمُنُ أهمية الدراسة لكونِ صاحبِها موريسكيًّا وشاهدَ عيانٍ نَقَلَ صُوَرًا حَيَّةً عن الموريسكيِّين في إسبانيا بين عامَيْ ١٥٥٦-١٦٠٩م من خلالِ أبرزِ مصدرٍ موريسكيٍّ كُتِبَ باللغة العربية بعد طَرْدِ المسلمين من الأندلس، ويُعَدُّ الكتابُ مصدرًا أَوَّلِيًّا ووثيقةً تاريخيَّةً عن التاريخ الاجتماعي والثقافي للموريسكيِّين في إسبانيا في أواخر القرن السادس عشر للميلاد، وما يرتبط من مُعْطَيَات عن العلاقات الدولية لحوضِ البحر الأبيض المتوسط حتى القرن السابع عشر للميلاد.

لقد جاء اختيار الباحثة لموضوع الدراسة؛ نظرًا لأهمية الدراسات الموريسكولوجية في الوقت الحالي، تعُدّ القضية الموريسكيَّة من القضايا التاريخية التي لم يُغْلَقْ مِلَفُّها حتى الوقت الحاضر؛ فهي قضيَّةُ أُمَّةٍ سُلِبَتْ منها حقوقُها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية قَسْرًا تحت ما يُسَمَّى بحربِ الاسترداد؛ لذا سَعَتِ الدراسةُ لتسليطِ الضوء لأوضاع الموريسكيِّين من خلالِ أَنْدَرِ المصادر الموريسكيَّة التي كُتِبَتْ باللغة العربية بعد الطَّرْدِ النهائي عام١٦٠٩م، وتقديم قراءة تحليليَّة لأهمِّ المُعطَيات التاريخية الواردة في الكتاب.

ثانيًا: مشكلة الدراسة

إنَّ موضوعَ الموريسكيِّين الأندلسيِّين بين عامَيْ ١٥٥٦-١٦٠٩م في رحلة "ناصر الدين على القوم الكافرين" لِمُؤَلِّفِهِ الحجري (ت:١٦٤١م) يَطْرَحُ إشكالًا تاريخيًّا جديرًا بالبحث في أحوال المسلمين الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية؛ استنادًا إلى رحلة "ناصر الدين على القوم الكافرين" للحجري، فهي من الشَّواهد النادرة التي سَجَّلَتْ حياة الموريسكيِّين في تلك الحِقْبَة الزمنية؛

نظرًا لِشُحِّ المصادر العربية بشأن الأندلس بعد سقوط غرناطة، فَتُعَدُّ هذه الرِّحلةُ مصدرًا مُهِمًّا في رَسْمِ تاريخ المسلمين آنذاك.

في ضوءِ ذلك، يتمحور إشكالُ الدراسة حول مستوى إمكانِ المادة المتوفِّرة في رحلة "ناصر الدين على القوم الكافرين" للحجري في الكشف عن القيمة التوثيقية لهذا المصدر في التأريخ لقضايا الموريسكيّين التاريخية منذ عهد المَلِكَيْن فليب الثاني والثالث؛ وصولًا إلى قرار الطَّرْد النهائي من عام ١٦٠٩م إلى عام ١٦١٤م، وما تَرَتَّبَ عنه من تهجير وتشريد من إسبانيا نحو البلدان المتوسِّطية، ويُمْكِنُنا أَنْ نَصُوغَ هذا الطَّرْحَ في التَّساؤلات التَّالية:

١. ما دوافع تأليف الكتاب؟
٢. ما القيمة الوثائقية لهذا الكتاب؟
٣. ما هي أبرزُ القضايا التاريخية التي تَضَمَّنَها هذا الكتاب عن الموريسكيّين في عهد المَلِكَيْن فيليب الثاني وفيليب الثالث؟
٤. ما مصير الموريسكيّين المطرُودين من إسبانيا نحو المجتمعات المتوسِّطية من خلال هذا الكتاب؟

ثالثًا: أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيقِ أهدافٍ عِدَّةٍ؛ أبرزُها:

١. معرفة دوافع تأليف كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"، وأَثَرِهِ في توثيق أوضاع الموريسكيّين.
٢. التَّعَرُّف إلى القيمة الوثائقية لهذا الكتاب.
٣. الكشف عن أبرزِ القضايا التاريخية للموريسكيّين في عهد المَلِكَيْن فيليب الثاني والثالث من خلال هذا الكتاب.
٤. تَتَبُّع ظاهرة الموريسكيّين المُهَجَّرِين، وما آلَ إليه وضعُهم في المجتمعات المتوسِّطية.

رابعًا: حدود الدراسة

الحدود الموضوعية: أوضاع الموريسكيّين في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديَّيْن في كتاب" ناصر الدين على القوم الكافرين" لأحمد بن قاسم الحجري.

الحدود الزمانية: تُغَطِّي الدراسة الزَّمَنَ المُمْتَدَّ من عام ١٥٥٦م؛ الذي هو العام الذي تولَّى فيه الملك فيليب الثاني الحكمَ، وبَدَأَ بإصدار قوانين مُجْحِفَة لِطَمْسِ الهُوِيَّة العربية الإسلامية للموريسكيّين؛ إلى عام ١٦٠٩م الذي أَصْدَرَ فيه قرار الطَّرْدِ النهائي لموريسكيّي الأندلس في عهد الملك فيليب الثالث، وهي مرحلة زمنية كافية لدراسة القضية الموريسكيَّة في جوانبها المختلفة.

الحدود المكانية: تشملُ الدراسةُ حوضَ البحر الأبيض المتوسط؛ وهو المجال الذي تحرَّكت فيه وقائع الموريسكيّين إِبَّانَ القرنَيْن السادس عشر والسابع عشر الميلاديَّيْن.

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة اعتمدتِ الباحثةُ المنهجَ التاريخي القائم إلى الوصف والتحليل والاستقراء بغرضِ بناءِ السِّيَاق التاريخي للأحداث التي ارتبطت بالقضية الموريسكيَّة من خلال كتاب الحجري. كما تم الاعتماد إلى المنهج المُقَارَن نظرًا لِمَا وَفَّرَتْهُ بعضُ المصادر الأولية من معطيات تاريخية؛ منها العربية، والإسبانية المُترجَمَة على حَدٍّ سواءٍ. وتمَّتِ الاستعانة بتخريجات بعض الدراسات الحديثة العربية، والأجنبية؛ لأهميّتها لموضوع الدراسة.

كما اعتمدتِ الباحثة في هذه الدراسة على النسختين التونسية المُحققة عام٢٠١٩م، والنسخة المصرية المُحققة عام ٢٠١٥، والأخذِ بالنصوص الواردة في كلًا النسختين كما وُرد في الأصلِ وعدم تغيير أخطائها الإملائية واللغوية، وما وُجد بين المعقوفتين في تلك النصوص فهو من عمل الباحثة لتوضيح بعض المصطلحات غير المعروفة. كما قامت الباحثة برسمِ مجموعة من الخرائط الداعمة لتعقب تحركات صاحب الرحلة الحجري ضمن المجال المتوسطي خلال القرن السادس عشر، وأدرجت بعضًا من الرسومات البيانية والأشكال والجداول التوضيحية ضمن فصول الدراسة.

سادسًا: الدراسات السابقة

حَظِيَتِ القضيَّةُ الموريسكيَّةُ باهتمام العديد من الباحثين العرب، والأجانب، لاسِيَّمَا فيما يتعلق بقرار طَرْدِهِم من الأراضي الإسبانية عام ١٦٠٩م؛ فَعُقِدَتِ العديدُ من النَّدوات والمؤتمرات، ونُشِرَتِ الكثير من الدراسات بِلُغَاتٍ مختلفة شَمَلَتْ جوانب القضية الموريسكيَّة جميعها، وأوصت تلك المؤتمرات والدراسات بمواصلة الاهتمام في الكشف عن المزيد من الوثائق والمخطوطات المتعلقة بالقضية الموريسكيَّة؛ في إطارِ السَّعْيِ لدى السُّلُطات الإسبانية للإقرار بحقوق الموريسكيّين التاريخية، وتعويضهم ما سُلِبَ منهم من حَقٍّ في الأرض والأملاك، وتقديم اعتذار رسمي للعالَمَيْنِ العربي والإسلامي عن تلك الأرواح التي زُهِقَتْ ظُلْمًا على يَدِ السُّلُطات النصرانية الإسبانية. وقدِ اطَّلَعَتِ الباحثةُ على عددٍ من الدراسات السابقة ذات العلاقة المباشرةِ بالدراسة، ورتَّبَتْها ترتيبًا تنازُلِيًّا من الأحدثِ إلى الأقدمِ، وجاء من أهمّها:

١- دراسة حسام الدين شاشّية (٢٠١٥م) بعنوان: **السفارديم والمُورسكيُّون: رحلة التَّهجير والتَّوطين في بلاد المغرب (١٤٩٢-١٧٥٦):**

هذه الدراسةُ في الأصل أطروحة دكتوراه تتكوَّن من ثلاثة أبواب؛ يتطرَّقُ البابُ الأول إلى قراءة اسطوغرافيَّة ومنهجيَّة، وتناولَ البابُ الثاني تَعَدُّدَ روايات الطَّرْد، وناقشَ البابُ الثالث تَعَدُّدَ المسارات (بين عالَمَيْن)، وتَضَمَّنَ البابُ الرَّابِعُ تَعَدُّدَ روايات التَّوطين. تَكْمُنُ أهمية هذه الدراسة في كونِها الدراسة التاريخية المُقَارَنة الأولى من نوعِها عن السَّفارديم والموريسكيّين؛ فقدِ اعتمدتِ إلى المصادر الأصلية باللُّغَات العربية والإسبانية والعِبْرِيَّة ولُغَاتٍ أخرى، لِتُحِيطَ بواقعة الطَّرْد وتهجير المُنْتَمِين إلى الفِئَتَيْنِ الموريسكيَّة والسَّفارديميَّة من الأندلس. ومن أهمّ النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة: وجودُ تَمَاهٍ شديدٍ بين الرِّوايات المختلفة لِطَرْدِ الموريسكيّين والسَّفارديم، خاصَّةً فيما يتعلق بأسباب الطَّرْد، فيكادُ ينتهي الرُّوَاةُ جميعُهم من الأطرافِ جميعِها؛ إلى إخراج قرار الطَّرْد من حَيِّزِ القرار الإنساني إلى الإرادة الإلهية، بينما لَعِبَتِ العوامل الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية دورًا مُهِمًّا في اتخاذ قرار الطَّرْد. كما لَعِبَتْ أَزَمَةُ الهُوِيَّةِ دورًا مُهِمًّا في الإشكالات الرَّئيسة؛ المُتَمَثِّلَة في ديناميكية الطَّرْد، والتَّحويل الديني، وعملية التَّوطين، وتوصَّلتِ الدراسةُ إلى أَنَّ الاختلافَ الأساسَ المُفَسِّرَ لفشلِ عملية إدماج الأقلِّيَّتَيْن في المجتمع الإسباني ونجاحِهِ في المجتمعات المغاربية؛ مُرْتَبِطٌ بعاملَيْن جوهريَّيْن يتعلَّقان بالهُوِيَّة، والزَّمَن. استفادتِ الباحثةُ من هذه الدراسة من الأبواب: الأول

والثاني والثالث؛ التي خدمت قضايا تاريخيَّةً عِدَّةً تمَّت معالجتُها ضِمْنَ الفصل الثاني والثالث من الدراسة الحاليَّة.

2- Aammari, Lahoucine (2018)" **Discursive and Cultural Encounters in Ahmad bin Qasim Al-Hajaris Ambassadorial Travel Narrative, Kitab Nasir Adin ala alqawm al-kafirin**":

هذه الدراسة هي بحث منشور في مجلة أثينا لدراسات البحر الأبيض المتوسط، وتتكوَّن من مقدِّمة وثلاثة محاور وخاتمة؛ تناولَ المحورُ الأوَّلُ أحمدَ بن قاسم وأتباعَهُ المطرُودين، وتتطرَّقُ المحورُ الثاني الحديثَ عن لقاءات أحمد بن قاسم الخطابية والثقافية مع الآخَر، وناقشَ المحورُ الثَّالثُ قضيَّةَ الموريسكيِّين: درسًا من التاريخ. ومن أهمِّ النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة: إنَّ نصوصَ الجَدَلِ الديني التي تَضَمَّنَها كتابُ "ناصر الدين على القوم الكافرين" تُسَلِّطُ الضَّوءَ على أهمِّ مضامين المبعوث الفكري، والتفاعلات الثقافية واللَّاهوتية بين الموريسكيّين والمسيحيِّين في فرنسا وهولندا في بداية القرن السابع عشر، وإنَّ الكتاب تَضَمَّنَ العديدَ من الحُجَجِ والمجادلات الفكريَّة بِعَدِّها أدواتٍ فكريَّةً ومعرفيَّةً للتَّفاعُل مع الآخَر؛ محاولةً من الكاتِبِ لإحداثِ جدالٍ قائمٍ إلى التَّفَاهُمِ والمَوَدَّةِ بعيدًا عن الصِّرَاع والتَّعَصُّب الديني، واستفادتِ الباحثةُ من هذه الدراسة في الفصل الثاني من الدراسة الحاليَّة.

٣- دراسة عبد الجليلي التميمي (٢٠٠٠م) بعنوان: **دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي:**

تَتَضَمَّنُ هذه الدراسة مجموعةَ دراساتٍ؛ أهمُّها: السياسة العُثمانيَّة تِجَاهَ طَرْدِ الموريسكيّين الأندلسيّين ومرورهم بفرنسا والبندقية سنَتَيْ ١٦٠٩-١٦١٠م، ومناورات لِخُطَّة العصيان بالأندلس، سنة ١٥٨٢، ودورُ الجالية الموريسكيَّة بإستنبول في سياسة هولندا تِجَاهَ طَرْدِ الموريسكيِّين - الأندلسيّين سنة١٦١٠م، وهذه دراساتٌ ذات أهمية كبيرة؛ فهي تَتَضَمَّنُ العديدَ من الوثائق الفرنسية والإيطالية والهولندية، وهي عبارة عن مراسلات بين الدولة العُثمانية والسُّفَراء الأجانب من أجل احتواء الموريسكيّين المطرُودين من إسبانيا، وتسهيل سُبُلِ وصولهم وإقامتهم في أراضي الدولة العُثمانية. ومن أَهَمِّ النتائج التي توصَّلت إليها تلك الدراسات: إنَّ الدولة العُثمانية لَعِبَتْ دورًا كبيرًا في تسهيلِ نقلِ الموريسكيِّين من الدول الأوروبية واستقرارِهم في أراضيها، كما أوضحتِ الصُّعوباتِ والتَّحدِّياتِ التي تَعَرَّضَ لها الموريسكيُّون بعد عملية طَرْدِهِم من الأراضي الإسبانية، والظروف المحيطة بهجرتِهِم لِدُوَلِ الحوض البحر الأبيض المتوسط، وقدِ استفادتِ الباحثةُ في الفصل الثالث من الدراسة الحاليَّة؛ من

الوثائق الفرنسية والإيطالية والهولندية المُترجَمة التي تضمَّنَتها هذه الدراسات، وهي وثائقٌ في غاية الأهمية؛ تم العثور عليها في أرشيف كُلٍّ من فرنسا وإيطاليا، وهولندا.

سابعًا: مصادر الدراسة

تطلَّبَت دراسةُ موضوع الدراسة الاستعانةَ بمجموعة من المصادر كان لها الدَّوْرُ في مرافقة البحث عبرَ فصولِهِ، فكانتِ الباحثةُ مُستشهِدَةً حِينًا ومُقَارِنَةً أحايينَ أخرى، وقد قامت بتصنيفِ هذه المصادر من الأقدمِ للأحدثِ:

١. كتاب مارمول كربخال (ت:١٦٠٠م) **(وقائع ثورة الموريسكيّين):** تناولَ الكتابُ ثورةَ المسلمين في إسبانيا بين عامَيْ (١٥٦٨-١٥٧٠م)؛ احتجاجًا على نقضِ شروط معاهدة تسليم غرناطة عام١٤٩٢م، وعَرَضَ الكتابُ أوضاعَ الموريسكيّين المُنَصَّرِين، وتَضَمَّنَ وثائقَ ومراسلات مُهِمَّة عِدَّةً؛ تمَّتِ الاستفادةُ منها في الفصل الثاني تحديدًا لأهميتها لموضوع الدراسة الحالية.
٢. كتاب إبراهيم بن أحمد بن غانم الرياش (ت: ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) **(العِزُّ والرِّفعةُ والمنافعُ للمجاهدين في سبيل الله بالمَدَافِع):** يُعَدُّ هذا الكتابُ من أهمِّ المصادر التي كَتَبَها الموريسكيُّون بعد صدور قرار الطَّرْد، وعَايَشَ صاحبُهُ الظُّروفَ نفسَها التي عَاشَها الحجريُّ في إسبانيا؛ ما دَفَعَ بالأخير للهجرة إلى تونس في عصر الدَّاي عثمان، وتَضَمَّنَ كتابُهُ معلوماتٍ تاريخيَّةً مُهِمَّةً عن تطوُّر علمِ الأسلحة، والآلات الحربية، والتَّنَافُس العسكري في حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن السابع عشر للميلاد. وقد تمَّتِ الاستفادةُ من هذا الكتاب في إثراء مباحث الفصل الثالث بشأن صِرَاع القوى الدولية خلال هذه المرحلة التاريخية.
٣. كتاب خينيس بيريث دي إيتا (ت: ١٦١٩م)، **(الحربُ ضِدَّ الموريسكيّين: الجزءِ الثاني من الحربِ الأهليَّة في غرناطة):** عَرَضَ هذا الكتابُ الأحداثَ نفسَها التي ذُكِرَتْ في كتاب مارمول "وقائع ثورة الموريسكيّين"؛ فتناولَ أحداثَ ثورة البشرات عام ١٥٦٨م، وحركة الاتصالات بين الموريسكيّين في البشرات والعُثمانيّين وحاكم إيالة الجزائر. وقدِ وَظَّفَتِ الباحثةُ هذا الكتابَ في تناوُلِ وجهةِ نظرِ الكتابة الإسبانية بشأن هذه الثورة ضِمْنَ الفصل الثاني من الدراسة الحالية.

٤. أحمد بن محمد المقري (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، **(نَفْحُ الطِّيب من غُصْنِ الأندلس الرَّطيب وذِكْر وزيرِها لسان الدين بن الخطيب)**: يُعَدُّ هذا الكتابُ من أهمِّ الموسوعات التاريخية؛ ذَكَرَ فيه صاحبُهُ أهمَّ الأحداث المُصَاحِبَة لسقوط غرناطة، والثَّورات المتلاحقة؛ وُصُولًا لقرار الطَّرْد النهائي عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م وخروج الموريسكيِّين إلى المغرب، وكذلك جِهَادِهم البحري ضِدَّ الإسبان. استفادتِ الدراسةُ الحاليَّة من هذا الكتاب في الفصلَيْن الثاني والثالث؛ لأنَّ صاحبَهُ عَاصَرَ أحداثًا مُهِمَّةً عن الموريسكيِّين، وقد دَوَّنَهَا في زمنٍ عَزَّتْ فيه الكتابات العربية عن تاريخ الأندلس خلال هذه المرحلة التاريخية.

ثامنًا: تقسيمات الدراسة

بهدفِ معالجة موضوع الدراسة تم تقسيمُهُ إلى: مقدِّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة بها جُلُّ النتائج، وذُيِّلَتِ الدراسة بملاحقَ وقائمةٍ للمصادر والمراجع. وقد تناولت الباحثةُ في المقدِّمة أهمِّيَّةِ الدراسة، وإشكالاتها، وأهدافها، ومنهجيَّتها، وتقسيماتها. في حين تناولت في التمهيد ماهيَّةَ المسألة الموريسكيَّة؟ وما ارتبطَ بها من قضايا مفاهيميَّة وأخرى تاريخية. بينما تناولَ الفصلُ الأول التَّعريفَ بأحمدَ بن قاسم الحجري وكتابِهِ "ناصِر الدين على القوم الكافرين"، وتَضَمَّنَ بَحْثَيْن؛ تَطَرَّقَ المبحثُ الأول لشخصيَّة الحجري ومُؤَلَّفَاتِهِ، وهجرتِهِ لبلاد المغرب وعلاقتِهِ بالدولة السَّعْدِيَّة، أَمَّا المبحثُ الثاني فتناولَ كتابَ "ناصِر الدين على القوم الكافرين" من وُجُوهِ التَّعريف به، وبمنهجِهِ، وخَطِّ سَيْرِ رحلة الحجري.

وناقشَ الفصلُ الثاني أوضاع الموريسكيِّين في عهدِ المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن فيليب الثاني وفيليب الثالث (١٥٥٦–١٦٠٩م) من خلال مبحثَيْن؛ المبحث الأول: أوضاع الموريسكيِّين في عهد الملك فيليب الثاني (١٥٥٦–١٥٩٨م)، واندلاع ثورة البشرات؛ وصولًا لِحَظْرِ هجرة الموريسكيِّين خارج إسبانيا عام ١٥٨٦م، أَمَّا المبحثُ الثاني فتناولَ أوضاعَ الموريسكيِّين في عهد الملك فيليب الثالث (١٥٩٨–١٦٠٩م) وإصدار قرار الطَّرْد النهائي عام ١٦٠٩م، وعوامل الطَّرْد والإجراءات النهائية له.

واستعرضَ الفصلُ الثالث الهجرةَ الموريسكيَّة من خلال كتاب "ناصِر الدين على القوم الكافرين"؛ فتناولَ المبحثُ الأول هجرتَهُم لدول الإسلامية؛ التي أهمُّها: بلاد المغرب، وبلاد المشرق والأناضول، أَمَّا المبحثُ الثاني فتناولَ هجرتَهُم إلى الدول الأوروبية؛ كفرنسا، وهولندا، وإيطاليا، ثم بعد ذلك جاءت الخاتمة التي أوضحت فيها الباحثةُ أهمَّ ما توصَّلت إليه الدراسة من نتائج.

التمهيد

ما هي المسألة الموريسكية؟

تُعَدُّ مملكة غرناطة (Grenade)[١] آخر مَعْقِل إسلامي قام في الأندلس، فسقوطُها يُمَثِّلُ انهيارًا للحكم الإسلامي والعربي في شِبْهِ الجزيرة الإيبيرية، الذي دام نحو ثمانية قرون، فنتيجةً لاستمرار الصراعات الأهلية والتنافس على سُدَّة الحكم في عهد بني الأحمر ضَعُفَت قوة غرناطة؛ ما جَعَلَها هدفًا يَسْهُلُ القضاء عليه من قِبَلِ الممالك الإسبانية المتربِّصة، فبعد وفاة السُّلطان سعد ابن اسماعيل النصري[٢]؛ تولَّى بعدَهُ الحكم ابناهُ أبو الحسن علي بن سعد[٣] وأبو عبدالله محمد ابن

---

[١]**غرناطة (Grenade):** معنى غرناطة رُمَّانة بلسان عجم الأندلس، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، ذات الأسوار الشامخة والمباني الرفيعة، يَحُدُّها من الجنوب نهر شنيل، ويخترق فَرْعَهُ نهرُ حدره أو الدارو (Eidarro) من الوسط، بينها والبيرة أربعة فراسخ، وبينها وقرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخًا؛ للمزيد انظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، ٧مج، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م، مج٤، ص١٩٥، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحموي، معجم البلدان)؛ ابن الخطيب، أبوعبدالله محمد بن عبدالله السلماني (ت:٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٨م، ص١٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: ابن الخطيب، اللمحة البدرية)؛ **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١١٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: ابن الخطيب، معيار الاختيار)؛ المقري، أحمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذِكْر وزيرِها لسان الدين بن الخطيب**، ٨مج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، مج٤، ص١٩٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: المقري، نفح الطيب).

[٢]**سعد بن إسماعيل (٨٥٨-٨٦٨هـ/ ١٤٥٤-١٤٦٤م):** كان ذُو شخصية عقلانية؛ عَمِلَ على توطيد الأمن وتحصين قواعد البلاد، وخاضَ حروبًا عِدَّةً مع مملكة قشتالة، وكَثُرَتِ الاضطرابات في عهدِهِ؛ فَعَمِدَ على التخلُّص من بني سراج، فَقَتَلَ بعض قادتهم، ثم ثاروُا عليه مرة أخرى عندما اتصلوا بابنه أبي الحسن علي؛ فثارَ على والده وخَلَعَهُ وسَجَنَهُ، وقد تُوفِّيَ السُّلطان سعد في سجنِهِ عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م؛ للمزيد انظر: فرحات، يوسف شكري، **غرناطة في ظل بني الأحمر**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ص٤٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: فرحات، غرناطة).

[٣]**أبو الحسن علي (٨٦٨-٨٨٧هـ/ ١٤٦٤-١٤٨٢م):** هو أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل النصري، ويُعْرَفُ باسم مولاي حسن. تولَّى الحكم في وقت كانت تعاني فيه البلاد من الفتن والاضطرابات، وكان ذَا شخصية حازمة وشجاعة، فقد عَمِلَ في بداية عهد إلى تحصين البلاد وتنظيم الدولة وتقوية الجيش فازدهرت مملكة الأحمر في عهده، وتزوَّج من عائشة الحرة وأَنْجَبَ منها ولدين؛ هُمَا أبو عبد الله، وأبو الحجاج يوسف، ثم تزوَّجَ من ثريا الرومية فَكَثُرَتِ الأطماع على الحكم والدسائس في نهاية عهدِهِ، وتنازلَ عن الحكم لأخيه أبي عبد الله الزَّغل، ثم انتقل إلى المنكب وتُوفِّيَ عام٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م؛ للمزيد انظر: مجهول (عاش خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس

سعد[١] الملقَّب بالزَّغْل[٢]، ونتيجةً لاستمرار الصِرَاع بينهما انقسمت الدولة النَّصرية إلى قسمين: قسمٌ يحكمُهُ أبو الحسن الذي مركزُهُ مدينة غرناطة، والقسم الآخَرُ يحكمُهُ أبو عبدالله الزَّغل الذي مركزُهُ مدينة مالقة (Malaga)[٣]، وازداد الوضع سُوءًا مع تَنَامِي الخلاف بين أبي عبد الله الصغير[٤] بن علي بن سعد؛ وعَمِّه الزَّغل[٥]، وفي الوقت نفسه كانت قوة النصارى في تَنَامٍ كبيرٍ؛

عشر الميلادي)، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني النصر**، ضبط وتعليق: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ٢٠٠٢م، ص٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: مجهول، نبذة العصر)؛ فرحات، غرناطة، ص ٤٧–٥١.

[١]**أبو عبد الله الزَّغل (٨٩٠–٨٩٢هـ/ ١٤٨٥–١٤٨٧م)**: كثُرَتْ في عهدِهِ الفِتَن الداخلية، وثارَ أهل البيازين؛ فأطلق فرديناند ملك قشتالة سراح أبي عبدالله حتى يحتدم الصراع على العرش ضِدَّ عَمِّهِ الزَّغل؛ فاندلعت حرب أهلية عام ١٤٨٦م إلى عام ١٤٨٧م، وانتهى بانتصار أبو عبد الله الصغير؛ فانتقل عَمُّهُ إلى وادي آش، وانقسمت المملكة من جديد إلى شطرين؛ للمزيد انظر: فرحات، غرناطة، ص٥١.

[٢]**الزَّغل (El Zagal)**: الشخص الشجاع والباسل، والمغوار؛ انظر: كربخال، مارمول (ت:١٦٠٠م)، **وقائع ثورة الموريسكيّين**، ترجمة: وسام محمد جزر، ٢ج، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م، ج١، ص٨٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: كربخال، وقائع ثورة الموريسكيّين)؛ عنان، محمد عبد الله، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المُتنَصِّرين**، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٩٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: عنان، نهاية الأندلس).

[٣]**مالقة (Malaga)**: مدينة بالأندلس على شاطئ البحر؛ من المدن الآهلة بالسكان، وامتازت بزراعة فاكهة التين، ولها خمسة أبواب. تميَّزت مبانيها بالفخامة، وكَثُرتْ فيها الحمامات الحسنة والأسواق الجامعة؛ للمزيد انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت:١٤٩٥م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ص: ٥١٧–٥١٨؛ الجازي، محمد عبد الهادي غزة؛ محمود صالح عطية؛ حسين رجا، "الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش في إسبانيا ١٤٩٢–١٦١٤م"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المركز القومي للبحوث، غزة، مج٤، ع٣، ٢٠٢٠م، ص٩٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الجازي، الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش).

[٤]**أبو عبدالله بن الأحمر (٨٩٢–٨٩٧هـ/ ١٤٨٧–١٤٩١م)**: هو محمد بن علي بن سعد بن يوسف بن محمد الغني بالله، وهو الابن الأكبر لأبي الحسن علي وعائشة الحرة؛ أعلنَ نفسه حاكمًا على غرناطة عام١٤٨٢م مكان أبيه، وفي عام ١٤٨٣م وَقَعَ في الأسر، وتم إطلاق سراحه في العام نفسه بعد عقد معاهدة بينه والمَلِكَيْن الكاثوليكيّين فرديناند وإيزابيلا الأولى. خاضَ صراعًا مع عمِّهِ عبد الله الزَّغل حتى تمكَّنَ من السيطرة على الحكم، واستمرَّ حكمُهُ حتى سَلَّمَ مفاتيح الحمراء وغرناطة بأكملها إلى الإسبان عام١٤٩٢م. هاجر إلى فاس بعد سقوط غرناطة وتُوفِّيَ فيها عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م؛ للمزيد انظر: المقري، نفح الطيب، مج٦، ص٢٨٣؛ مجهول، نبذة العصر، ص٢٧؛ فرحات، غرناطة، ص ص: ٥١–٥٥.

[٥]المقري، نفح الطيب، مج٦، ص ص: ٢٦٧–٢٧٩.

فلقدِ اتَّحَدَت مَمْلَكَتَا قشتالة (Castil)[1] وآرغون (Argon)[2] بعد زِوَاج الأمير فرديناند (Ferdinand)[3] الآرغوني من إيزابيلا (Isabella)[4] القشتالية عام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، وكان كُلٌّ من هذَيْن المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن لديه الرغبة العارمة في السيطرة على ما تبقَّى من أملاك المسلمين في شِبْهِ الجزيرة الإيبيرية؛ بلِ القضاء نهائيًّا على الوجود الإسلامي خاصَّةً غرناطة آخِر

---

(1) **قشتالة (Castil):** منطقة إسبانية تاريخية؛ تقع وسط إسبانيا، ونشأت في القرن التاسع؛ عاصمتها برغس، ثم انضمَّت لمملكة ليون ١٢٣٠م، واتَّحدَت مع مملكة آرغون بعد زواج وَلِيَّة العهد إيزابيلا بفرديناند الثاني الآرغوني؛ للمزيد انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٣٥٢؛ الخوند، مسعود، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ٢٠ج، دار رُوَّاد النهضة، لبنان، ٢٠٠٥م، ج١، ص٣١٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية).

(2) **آرغون (Argon):** منطقة في شمال شرقي إسبانيا عاصمتُها سرقسطة. بقيت مملكة مستقلة حتى عام ١٤٦٩م حين تزوَّجَ مَلِكُها فرديناند بإيزابيلا وريثة عرش قشتالة فاتَّحدت المملكتان ونشأت دولة إسبانيا؛ للمزيد انظر: الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، ص٢٩٥.

(3) **فرديناند (Ferdinand):** وُلِدَ في أرغون عام١٤٥٢م؛ والدُهُ الملك خوان الأول ملك نبرة، وعُرِفَ فيما بعد بالملك خوان الثاني ملك أرغون، ووالدتُهُ خوانا أنريكث ابنة أمير بحر قشتالة ضون فدريكو، وقد حَكَمَ فرديناند أرغون من عام ١٤٧٩م إلى ١٥١٦م، وصقلية من ١٤٦٨م إلى ١٥١٦م، وكان مَلِكًا لنابولي من عام ١٥٠٤م إلى ١٥١٦م، ومَلِكًا لقشتالة من عام ١٤٧٤م إلى عام ١٥٠٤م، وتزوَّجَ من إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة عام ١٤٦٩م، وقاد الحرب ضِدَّ مُسْلِمِي مملكة غرناطة؛ حتى تسليمها عام١٤٩٢م. حَكَمَ فرديناند بِاسْمِ ابنتِهِ ضونيا خوانا التي ورثتِ الحكم عن والدتها إيزابيلا بعد وفاتها عام ١٥٠٦م؛ تُوفِّيَ فرديناند عام١٥١٦م، وتَرَكَ شؤون قشتالة للأب خمنيس دي سيسنيرون، وشؤون مملكة أرغون للأسقف طركونه؛ للمزيد انظر:

Andres Bernaldez: Memorias del Reinado de los Reyes Catolicos. Publicado por la Real Academia de la Historia, pp: 16-24.

نقلًا عن: حتاملة، محمد عبده، **التَّنصير القَسْرِي لِمُسْلِمِي الأندلس في عهد المَلِكَيْن الكاثوليكيّين (١٤٧٤-١٥١٦م)**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، ١٩٨٠م، ص١٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: حتاملة، التنصير القسري).

(4) **إيزابيلا (Isabella):** وُلِدَتْ في مدريغال عام١٤٥١م؛ والدُها الملك خوان الثاني، مَلِك قشتالة، وأمُّها إيزابيلا البرتغالية؛ تزوَّجت من فرديناند عام ١٤٦٩م في بلد الوليد (Valladolid)، وعُرِفَا بأميرَيْ قشتالة؛ حتى تُوفِّيَ أخُوها انريكي الرابع عام ١٤٧٤م، فصارَا يُعرَفَان مُنذئِذ بِمَلِكَيْ قشتالة وأرغون حتى تُوفِّيت عام ١٥٠٦م؛ للمزيد انظر:

Manuel de Gongora y Martinez: Lecciones de Historia Universal, p: 233-234; Luis Suarez Fernadez: Historia de Espana, pp: 681-682.

نقلًا عن: حتاملة، التنصير القسري لِمُسْلِمِي الأندلس، ص١٦.

مَعْقِل للمسلمين في الأندلس تحت تسمية حرب الاسترداد الإسبانية (La Reconquista)[1] التي ابتدأَها من قبلهما الملوك الإسبان في شِبْهِ الجزيرة الإيبيرية [٢].

بعد سيطرة الإسبان على المناطق المحيطة بغرناطة؛ بَدَأَ حصار المدينة في ١٢ جُمَادَى الآخر ٨٩٦هـ/ ٢٣ أبريل ١٤٩١م، واستمرَّ الحصار لمدة سبعة أشهر[٣]؛ فلقد عَسْكَرَ جيش المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن على ضفاف نهر شنيل (Xenil)[٤]، وبَدَأَ الجيش بإتلاف المحاصيل الزراعية وتدمير القرى والقلاع والحصون المجاورة للمدينة، وبَنَى المَلِكَان مدينة عسكرية سُمِّيَتْ شنتفي

---

[1] **حرب الاسترداد الإسبانية (La Reconquista)**: هي تسميةٌ أطلقَها المُؤرِّخُون الإسبان في وصفِهم للمدة الوطنية والقومية التي دافعَ فيها الإسبان عن أراضيهم ضِدَّ الوجود الإسلامي في شِبْهِ الجزيرة الإيبيرية؛ للمزيد انظر: الحسيني، قاسم عبد سعدون، حركة الاسترداد الإسبانية الريكونيكيستا (La Reconquista): قراءة في المصطلح والمضمون، **دورية كان التاريخية**، ع٤٧، ٢٠٢٠م، ص٧٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحسيني، حركة الاسترداد الإسبانية).

[٢] طه، عبد الواحد ذنون، **حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٤م، ص ص: ٨-٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: طه، حركة المقاومة العربية).

[3] Fariborz, Janice, **The Role and Causes of Political Instability in the Fall of Muslim Granada 1461-1492**, Master of Arts, Western Michigan University, Kalamazoo, Michigan, 1968.p45.

[٤] **شنيل (Xenil)**: يُسَمَّى أيضًا بالاسبانية Genil، ويُسَمَّى عند الأندلسيِّين بنهر سنجيل مُشْتَقًّا من اسْمِهِ اللاتيني (Singilis)؛ للمزيد انظر: عنان، محمد عبدالله، نهاية الأندلس، ص٢٣.

أو سنتفى (Santa fe)[1] لتكون نقطةَ انطلاق للجيوش المسيحية باتِّجَاهِ غرناطة[2]؛ مع ذلك صَمَدَ أهلُ غرناطة مدة من الزمن، وقدِ استبسَلُوا في الدفاع عن المدينة ضِدَّ الجيش المسيحي؛ إلَّا أَنَّ حلول فصل الشتاء، وانقطاع الطُّرقات، ونقص المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار أَضْعَفَت قدرة المدينة على الصمود لمدة طويلة[3]، ونتيجةً لِتَفَاقُم الأوضاع السيئة التقَى وفدٌ من أهل غرناطة بالسُّلطان أبي عبد الله الصغير للنَّظر في أمرِ المدينة، وبعد استشارتِهِ لأعيان غرناطة؛ تم الاتفاق على مفاوضة المَلكَيْن الكاثوليكيَّيْن لتسليم المدينة[4]، ووقع الاختيار للقيام بتلك المَهَمَّة على القائد

---

[1]**سنتفى (Santafe):** التي تعني: الإيمان المقدس؛ مدينة بَنَاهَا ملك قشتالة فرناند الخامس والملكة إيزابيلا بشارعين متقاطعين على شكل صليب، وقد قَسَّمَا المدينة إلى أربعة أحياء في وسطها ميدان فسيح لاجتماع الجيش، وقدِ ارتبط بناء مدينة شنتفي بحصار غرناطة الذي انتهى بسقوطها؛ للمزيد انظر: حتاملة، محمد عبده، **الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس (حرب متواصلة على الإسلام)**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، ٢٠٠١م، ص٥٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: حتاملة، الاعتداءات الإفرنجية)؛ حتاملة، محمد عبده، **مِحْنَة مُسْلِمِي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، ١٩٧٧م، ص ص: ٤٩-٥٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: حتاملة، مِحْنَة مُسْلِمِي الأندلس)؛

Cheikha Djamaa, La chute de Granade atravers la poesie andalouse, in: Abdeljelili Temimi, Le ve centenaire de las chute de Granada 1492-1992, p123.

نقلًا عن: عناد، وجدان فريق، "معاهدة تسليم غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م: دراسة تاريخية"، **مجلة دراسات تاريخية**، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، البصرة، ع ٢٥، ٢٠١٨م، ص٥٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: عناد، معاهدة تسليم غرناطة).

[2]مجهول، نبذة العصر، ص٣٧.

[3]Shafea, rawya abd elhamed, **Attempts to preserve the Andalusian Islamic identity following the fall of Granada mousse ib al-ghssan and mohammed bin ummayya, Journal of architecture,** arts and humanities, Arab association for Islamic civilization and art, Volume5, Issue23, Cairo, 2020, P771.

[4]كربخال، وقائع ثورة الموريسكيّين، ج١، ص ص: ١١٧-١١٩.

أبي القاسم بن عبد الملك المليح[1]، والوزير يوسف بن كماشة الحضرمي[2] أمَّا من الجانب القشتالي فلقدِ اختارَ الملك فرناند لِلتَّفاوض أمينَهُ فرناند دي ثافرا(Catib Fernando de Zafra)[3] وقائدَهُ جونزالفو دي كردبا (Gonzalo de Cordova) [4]، وكان ذلك في ذِي الحجة ٨٩٦هـ/ أكتوبر

---

[1] **أبو القاسم بن عبد الملك المليح:** شَغَلَ مَنْصِبَ قائد حامية الدفاع لمدينة غرناطة، ومَنْصِبَ الوزير في عهد الملك أبي عبد الله الصغير، وفي أكتوبر عام١٤٩١م تم ترشيحُهُ من ضِمْنِ الوفد الذي أرسلَه عبد الله الصغير لمفاوضة ملك قشتالة لتسليم غرناطة، وقدِ اضطَّلع هذا القائد بالمفاوضة في سائر الاتفاقيات اللاحقة التي عُقِدَت بين أبي عبد الله، ومَلِكَي قشتالة، ويَرِدُ ذِكْرُ اسْمُهُ في الوثائق القشتالية مُحَرَّفًا أبو القاسم عبد المليح أو أبو القاسم المليح (Bulcacia Bulcasem el Muleh)؛ للمزيد انظر: عنان، نهاية الأندلس، ص ص: ٢٤١ –٢٤٤.

[2] **يوسف بن كماشة الحضرمي:** وزير أبو عبد الله محمد ومن خَاصَّتِهِ، وكان من أنصار سياسة التسليم؛ فقد قام بتقديم مفاتيح الحمراءِ إلى الملك فردناند الذي سَلَّمَها بدورِهِ إلى قائدِهِ لوي ت دي منوسا الذي عَيَّنَهُ حاكمًا عسكريًّا في غرناطة، وقد تَنَصَّرَ ابن كماشة، وانتظمَ في سِلْكِ الرهبان وباع أملاكَهُ قبل مغادرته غرناطة؛ طويل، أسماء، سناء نسيبي؛ للمزيد انظر: **نظام الوزارة في مملكة غرناطة في عصر بني نصر (٦٣٥–٨٩٧هـ/ ١٢٣٨–١٤٩٢م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشهيد حمه لحضر، الجزائر، ٢٠٢٠م، ص٥١، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: نظام الوزارة في مملكة غرناطة)؛

Menendez y Pelayo (Marcelino) Historia de Espana, Selecc-ionada en La obra del Maestro, por Jorge, Vigon, p143; Condes; Arabs in spain, pp: 395-396.

نقلًا عن: حتاملة، مِحْنَة مُسْلِمِي الأندلس، ص٥٥.

[3] **فرناند دي ثافرا (Catib Fernando de Zafar) (١٤٦٠–١٥٠٧م):** هو أمين سِرّ الملك فرديناند؛ تم اختيارُهُ لمفاوضة وفد الملك أبي عبد الله الصغير لتسليم غرناطة عام ١٤٩١م، وكان له دور كبير في صياغة وثيقة تسليم غرناطة؛ للمزيد انظر: عنان، نهاية الأندلس، ص٢٤٤؛ كنده، خوسيه أنطونيو، تاريخ حكم العرب في إسبانيا، ترجمة: لارا نيكولا فاليه، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، ٢٠١٣م، ص٤٠٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: كنده، تاريخ حكم العرب)؛

Zurita, Jeronimo (1589-1645): Hisoria del Roy Don Fernando el Catoli-co, 2Volsm de las Empresas, y Ligas de Italia, P209.

نقلًا عن: القبج، عامر أحمد، "السياسة الصليبية البابوية –الإسبانية تِجَاهَ الأندلس بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣–١٤٩٢م/ ٨٥٧–٨٩٧هـ"، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، مج٣٠، ع١، ٢٠١٦م، ص٣٦٣.

[4] **جونزالفو دي كردبا (Gonzalo de Cordova):** هو القائد العسكري للملك فرديناند، وكان خبيرًا بالشؤون الإسلامية؛ عارفًا باللغة العربية، وكان ضمن الفريق المفاوض في معاهدة تسليم غرناطة؛ للمزيد انظر:

Laa Capltulacionea Para la Enterega de Oranada (Oranada1910), pp: 200-217.

نقلًا عن: عنان، نهاية الأندلس، ص٢٤٤؛ كنده، تاريخ حكم العرب، ص٤٠٤.

١٤٩١م، وكانتِ المفاوضات تجري بِسِرِّيَّة شديدة؛ أحيانًا في غرناطة، وأحيانًا أخرى في قرية جرليانه (Churriana de la Vega)[١] القريبة من جنوب شرق مدينة سنتفى[٢].

بعد مفاوضاتٍ عِدَّةٍ استمرَّت لأسابيع؛ استطاع المَلِكَانِ الكاثوليكِيَّان فرناند وإيزابيلا فَرْضَ معاهدة لتسليم غرناطة[٣] يوم الأحد [٤] بتاريخ ٢١ محرم ٨٩٧هـ/ ٢٥ نوفمبر ١٤٩١م [٥]، وتَعَهَّدَ المَلِكَان الكاثوليكيَّان بالنيابة عن ابْنِهِمَا خوان (Juan) وعن خلفائِهما جميعًا أَنْ يَقْبَلَ العرب والمسلمين بصدرٍ رَحْبٍ ويتَّخِذَاهُم أَتْبَاعًا لهم كغيرهم من الأَتْبَاع، وأَنْ يُولِيَاهُمُ الحمايةَ الملكية في الأماكن جميعها التي يشملُها الاتفاق، وأَنْ يُعَامِلَاهُم بالتكريم والاحترام. وقد ضَمِنَت لهم بموجب ذلك الاتفاق المحافظة على ديانتهم وأملاكهم وحرية التجارة، كما ضَمِنَت أيضًا شعراءَهم وعاداتِهم[٦]، وتضمَّنتِ المعاهدة ٤٧ شرطًا، وتُشير المصادر العربية إلى أَنَّ المعاهدة تضمَّنت ٦٧ شرطًا، بينما تشير المصادر القشتالية (الإسبانية) إلى أَنَّ المعاهدة تضمَّنت ٥٦ شرطًا، وقد تناولت هذه الاتفاقية كيفية تسليم مدينة غرناطة للقشتاليّين، وحقوق الطرفين وواجباتهما بما يُوحِي أَنَّها اتفاقية متكافئة، ثم عُقِدَت معاهدة سِرِّيَّة أخرى في اليومِ نفسِهِ[٧]؛ التي تُعَدُّ ملحقًا للمعاهدة السابقة، وتضمَّنت ١٦ شرطًا خاصًّا بالحقوق وامتيازات للملك أبي عبد الله الصغير وعائلتِهِ وحاشيتِهِ[٨]. ولم تكن معاهدة التسليم إِلَّا خديعة للغرناطيّين؛ فبالنَّظر في بُنُود المعاهدة بِشِقَّيْها العَلَنِي والسِّرِي

---

[١]**جرليانة (Churriana de la Vega)**: تقع جنوب شرقي مدينة سنتفي، واليوم تُعْرَفُ باسم قرية (Churiaoa) إحدى ضواحي غرناطة؛ للمزيد انظر: عنان، نهاية الأندلس، ص٢٤٤.

[٢]المقري، نفح الطيب، ج٦، ص ٢٧٩؛ عناد، معاهدة تسليم غرناطة، ص ص: ٥٣-٥٤.

[٣]انظر الملحق رقم (٢): معاهدة تسليم غرناطة المعقودة بين أبي عبد الله الصغير والمَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن؛ ضِمْنَ فرديناند وضونيا إيزابيلا بتاريخ ٢١، محرم سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٤٩١م، ص ص: ١٩٤-٢٠٥.

[٤]بشيه، عبد الستار العريفي سالم، "نَصٌّ زَجَلِيٌّ لِشَاهِد عيان على سقوط مملكة غرناطة"، **مجلة دراسات أندلسية**، جمعة شيحة، ع٤٩، ٢٠١٣م، ص٣٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: بشيه، نَصٌّ زَجَلِيٌّ).

[5]Perez-fernandez, Tamara, The fall of Granada in halls and holinsheds chronocles: genesis, propaganda, and reception, p136.

[٦]لي، هنري تشارلس، **العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، ترجمة: حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٤١، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: لي، العرب والمسلمون).

[٧]انظر الملحق رقم (٣): المعاهدة السِّرِّيَّة لتسليم غرناطة المعقودة بين أبي عبد الله الصغير، والمَلِكَيْنِ الكاثوليكيَّيْنِ؛ ضون فرديناند وضونيا إيزابيلا، ص ص: ٢٠٦-٢١٣.

[٨]الجازي، الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش، ص ص: ٩٧-٩٨.

نظرةً سريعةً نَجِدُ أنَّها متكافئة، ولكنَّ المُتَمَعِّنَ الفاحصَ الذي يقرأ ما بين السطور، ويربط بين تلك البنود والظروف التي كانت على الأرض؛ يكتشف مدى الإجحاف الذي لَحِقَ بِمُسْلِمِي الأندلس، فقد حَقَّقَ القشتاليُّون من خلال هذه المعاهدة أمنياتِهم جميعها خاصَّةً بالسيطرة على الأرض التي كانت تحت حكم المسلمين، في حين لم يحصل مُسْلِمُو الأندلس إلَّا على حزمة من الوعود التي سرعان ما نَكَثَها القشتاليُّون، وتَحَلَّلُوا من الالتزام بأيٍّ منها[١]، فمع صبيحة يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول ٨٩٧هـ/ ٢ يناير ١٤٩٢م خرج أبو عبد الله الصغير من غرناطة متوجِّهًا إلى بلاد المغرب فاستقرَّ في مدينة فاس حتى وفاتِهِ عام ٩٤٠هـ/ ١٥٥٣م[٢]، وبدخول المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن غرناطة انتهى الوجود السياسي والعسكري الإسلامي في الأندلس؛ فقد شَهِدَ عام ١٤٩٢م تحوُّلًا كبيرًا في التاريخ الاسلامي لخطورة الأحداث التي جَرَت فيها، منها مأساة المسلمين الذين بَقَوْا في الأندلس تحت الحكم الكاثوليكي الذين عاشُوا أبشعَ مأساة إنسانية في تاريخ البشرية.

ومع إنَّ معاهدة التسليم معاهدة دَوْلِيَّة نالت موافقة البابا في روما الذي يُمَثِّلُ أعلى سُلْطَة دينية، كما إنَّ المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن تَعَهَّدَا بالالتزام والحفاظ على الشروط المُبرَمَة في المعاهدة؛ إلَّا أَنَّ التَّعصُّب والكراهية للعرب والمسلمين جَعَلَتهُمَا يَتَّبِعَان سياسة القمع والاضطهاد مع مُسْلِمِي غرناطة وإجبارهم على التَّنصُّر. ومن مظاهر تلك السياسة تسميةُ الأندلسيّين بالموريسكيّين؛ وهو مصطلح يحمل معنى الاحتقار والنظرة العنصرية والتَّعصُّب الديني والقومي ضِدَّ مُسْلِمِي الأندلس. فالأندلسيُّون الذين عاشوا في غرناطة بعد انتهاء الحكم الإسلامي أُطْلِقَ عليهم تِسمياتٌ عِدَّةٌ؛ منها: مورو (moro) التي تعني المُحارِب أو الغريب عن المجموعة (moros futues de) أو (terra de moros) وتعني العرب المغاربة أو الأفارقة (moro)، والمُهَجَّرين (hagarans)، والمُحَمَّدِيّين (muhammadans)، والسراسينو (sarraceno) المُحَرَّفَة عن الصَّحراوي المقصود بها عرب الصحراء (sahara). كما أُطْلِقَ عليهم اسْمُ المُدَجَّنِين (Mudejares) [٣]؛ وهي التَّسمية التي

---

[١]حتاملة، الاعتداءات الإفرنجية، ص٢٥.

[٢]المقري، نفح الطيب، ج٦، ص ص: ٢٨١–٢٨٤؛ مجهول، نبذة العصر، ص ص: ٤٢–٤٣؛ العارضي، وجدان فريق عناد، "البُعد التاريخي لمصطلح الموريسكيّين"، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة البصرة، البصرة، ٢٠٢١م، ص٢٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: العارضي، البُعد التاريخي لمصطلح الموريسكيّين)؛ The hole and causes of . Fariborz political, P47,

[٣]**المُدَجَّنُون (Mudejares)**: تُطلَقُ على العرب والمسلمين الذين بَقُوْا في إسبانيا تحت الحكم المسيحي ولم ينزَحُوا عن البلد عندما استولى عليه الإسبان، ويقابلها عند الإسبان كلمة (Modejares) أو (Mudejares) ، والكلمة

ظهرت في القرن٧هـ/١٣م، عندما قَرَّرَ عدد كبير من الأندلسيّين البقاء في المُدُن التي أصبحت تحت حكم الإسبان.

إِلَّا أَنَّ الاسْمَ الأكثر شهرةً هو الموريسكيُّون (moriscos) [١]؛ التي تعني النَّصارى الجُدُد أو النصارى الصغار، الذي اسْتُعْمِلَ بشكل رسمي في المراسيم المَلَكِيَّة التي صَدَرَت في القرن السادس عشر. كما أُطْلِقَ عليهم المسلمين الصغار (Los Moriscos)؛ وهي تصغير لكلمة (Mors) التي تعني المسلم، فكلمة (Morisco) تعني المسلم الصغير أو الذَّليل [٢].

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أَنَّ إطلاق هذه التَّسمية على مُسْلِمِي الأندلس لغرض سياسي؛ هو التَّمييز بين الأندلسيّين قبل وبعد سقوط غرناطة من أجلِ سَلْبِ حقوقهم السياسية والاجتماعية والدينية جميعها. كما إِنَّ الغرض من استخدام هذه التَّسمية هو إخضاع المسلمين تحت سُلْطَة محاكم التفتيش وَوَطْئَتِها. أمَّا الأندلسيُّون الذين هاجرُوا أو ظَلُّوا في الأندلس؛ لم يستعملوا تسميةَ الموريسكيّين بل كانوا يستخدمون مصطلح أندلس من دُونِ ياء النَّسَب، أو أهل الأندلس، أو غرناطيّين، أو أهل غرناطة، وهذه التَّسميات عُثِرَ عليها فيما بعد في الوثائق العربية والألخميادية (Aljamiado)[٣]، فلقد أشار أحمد بن قاسم الحجري في كتابِهِ "ناصر الدين" بمصطلح أهل الأندلس في مواضِعَ عِدَّةٍ؛ منها: "**واتَّفَقَ لكثيرٍ من المسلمين الأندلس أَنْ نَهَبَهُم في البحر**

مُشتقَّة من الفعل تأخَّرَ؛ فالمتأخِّرون هُمُ الذين تخلَّفُوا ولم يلحَقُوا بإخوانهم النازحين، وكانوا يؤلِّفون جزءًا كبيرًا من السكان، وعادوا على البلاد بعد بقائهم فيها بأكبر المنافع بفضل اجتهادهم وحِذْقِهم لكثير من الصناعات والحِرَف، وكان الإسبان يستعينون بهم في العلوم التطبيقية كالهندسة وأعمال التحصين؛ للمزيد انظر: وات، مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)**، ترجمة: محمد رضا المصري، ط٢، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٦٠ ، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية)؛ لي، العرب والمسلمون في الأندلس، ص ص: ٣٩-٤٠.

[١]الحجي، عبد الرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م**، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٨١م، ص٥٦٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحجي، التاريخ الأندلسي).

[٢]جمال الدين، عبد الله محمد، **المسلمون المُنَصَّرُون أو الموريسكيُّون الأندلسيُّون: صفة مُهْمَلة من تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٩٩١م، ص٤٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: جمال الدين، المسلمون المُنَصَّرُون).

[٣]**الألخميادية (Aljamiado)**: هو عبارة عن كتابة اللغة القشتالية المُحَرَّفَة بحروف عربية مُشكلة. وكان العرب المُتنصِّرُون يضطرون إلى كتابة كتبهم الدينية بهذه اللغة بعد أَنْ مُنِعَت عنهم بلغتهم العربية؛ للمزيد انظر: عنان، نهاية الأندلس، ص٦٧.

النَّصارى..."[١]، ويقول عن نفسِهِ: "**أعلم أيُّها السيد إنَّنِي أندلسيٌّ من الحجر الأحمر**". كما ذَكَرَ محمد بن عبد الرفيع الأندلسي (ت: ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م)[٢] بعد هجرتِهِ إلى تونس مصطلح "الأندلس" إشارةً إلى المسلمين الذين هاجرُوا إلى أفريقيا: "**قد كَثُرَ الإنكار علينا، مَعْشَرَ أشراف الأندلس؛ من كثيرٍ من إخواننا في الله بهذه الديار الإفريقية**"، وذَكَرَ إبراهيم بن أحمد بن غانم بن زكريا الرياش (ت: ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)[٣] في كتابِهِ "العِزُّ والمنافعُ للمجاهدين في سبيل الله بالمَدَافِعِ" بأنَّهُ أندلسي، وإنَّ بني جَلْدَتِهِ هُمُ الأندلس: "**وكنتُ أجالسهم وأحفظُ ما يتَّفِقُون عليه وأشتغل بيديَّ في المدافع وجميعهم لا يظنُّون أنَّنِي أندلسي**"، "**وجئتُ إلى تونُس حَرَسَها الله فوجدتُ فيها كثيرًا من الأصحاب والأحباب والأندلس**"[٤].

اتَّبَعَتِ السُّلُطات الإسبانية سياسةَ التطهير الديني والعِرْقِي ضِدَّ الموريسكيّين؛ ففي البداية اتَّبَعَتِ المَلِكَة إيزابيلا المتعصِّبة مجموعة من الخطوات من أجل تنفيذ سياستها المتعصِّبة لتنصير

---

[١] الحجري، أحمد بن قاسم (ت بعد: ١٦٤١م)، **ناصر الدين على القوم الكافرين وهو السيف الأشهر على كل مَنْ كَفَر**، تحقيق: شورد فان كوننكزفيلا وآخرون، ترجمة: جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٩م، ص٦٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)).

[٢] **محمد بن عبد الرفيع (ت:١٠٥٢/ ١٦٤٢م)**: محمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الحسيني الجعفري الأندلسي المرسي الأشعري المالكي، عالِم بالأنساب؛ سَكَنَ تُونُسَ وصَنَّفَ بها كتابَهُ "الأنوار النبوية في آباء خير البرية"؛ انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام** "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمُستعربين والمُستشرقين"، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٧، ص٢٣٦ (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الزركلي، الأعلام)، ج٦، ص٢٠٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الزركلي، الأعلام).

[٣] **إبراهيم بن أحمد بن غانم الرياش:** هو إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريا؛ إسباني غرناطي، وكُنْيَتُهُ الرياش أو ريباس (Rivas)؛ وهو أحد الموريسكيّين الغرناطيّين الذين طُرِدُوا من بلدهم نولش أحد ضواحي غرناطة عام١٥٧٠م، ثم أقام في إشبيلية، وتَوَلَّعَ بعلم البحار حتى أنَّه سافرَ على مَتْنِ السفن التي كانت تذهب إلى بلاد الهند، وعندما طُرِدَ عام١٦٠٩م هاجرَ إلى تونُس؛ فاستقبلَهُ الداي عثمان بكل حفاوة، ثم أُسنِدَتْ إليه قيادة قلعة حلق الوادي (La Goleta)، ومن المُرجَّح أنَّه استعان بكتب المدفعية التي تركَها الجنود الإسبان في مدينة تونُس بعد إقامتهم بها لتأليف كتابِهِ؛ بهدف تعليم جنود المدفعية الذين كانوا هناك، وقد كَتَبَهُ باللغة الإسبانية؛ لأنَّها كانت اللغة المتداولة بين أولئك الجنود، وتُوفِّيَ عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م؛ للمزيد انظر: الزركلي، الأعلام، ج١، ص٣٠.

[٤] الرياش، إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي (ت: ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، **العِزُّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمَدَافِع**، تحقيق: إحسان الهندي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٣م، ص٢٦١، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الرياش، العِزُّ والرفعة والمنافع)؛ عزوز، فريدة، الموريسكيُّون أو الأندلسيُّون المُتأخِّرُون: التاريخ واللغة والمصطلحات، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والسياحة والآثار، بغداد، مج٤٩، ع٣، ٢٠٢٢م، ص١٨٣.

المسلمين قَسْرًا؛ فقدِ اعتمدت على مجموعة من الأحبار والرُّهبان، ومَنَحَتْهُم مناصبَ في البلاط المَلَكِي؛ فكان أخطرُهُم الأبَ خمنيس أو خيمينث (Ximenez)[١] مطران طليطلة (Toledo)[٢] ، كما تم توزيع مساحات شاسعة من الأراضي على النُّبَلاء الإسبان؛ فأصبح مالِكُوها المسلمون أتباعًا للنُّبَلاء هؤلاء، وفي عام ١٤٩٨م أُجْرِيَت عملية عَزْلِ العناصر الإسلامية عن المجتمع الإسباني، وَوُضِعُوا في أماكن مُعَيَّنَة؛ لِتَسْهُلَ السيطرة عليهم والقضاء عليهم في حالة اندلاع ثورة، فكانت لهذه السياسة التَّعسُّفِيَّة التي رافقَها إحراقُ خمنيس الكتبَ العربية، وفي الوقت نفسه عُيِّنَ الأبُ خمنيس رئيسًا لديوان مَجْمَع قُضَاة الإيمان الكاثوليكي (محاكم التفتيش)[٣]؛ التي تأسَّست في إسبانيا منذ

---

[١]**خيمينث (Ximenes de Cinseros)**: هو الراهب فرنسيسكو خيمنث دي سيسنروس؛ وُلِدَ عام١٤٣٦م في مدينة توري لا غونا، انصرفَ مدة من حياته في دراسة اللغات الشرقية لاسِيَّما اللغة العربية، وفي عام ١٤٩٢ عُهِدَ إليه تنظيم الرهبة والكهنوت، وعُيِّنَ على رأس السُّلطة الكنسية بطليطلة عام ١٤٩٥م، وفي عام١٤٩٩م عَيَّنَهُ البابا مسؤولًا عن جميع الرهبان في قشتالة، كان خيمينث من أشَدِّ المتعصِّبين ضِدَّ المسلمين والعرب، تم تعيينُهُ رئيسًا لمحاكم التفتيش عام (١٥٠٦-١٥١٦م)؛ كان في مقدمةِ مهامِّهِ إكمال عملية تنصير المسلمين قسرًا، وعُرِفَ بشدَّته وتعصُّبه للمذهب الكاثوليكي، وتُوفِّيَ عام ١٥١٧م؛ للمزيد انظر: لي، العرب والمسلمون في الأندلس، ص ص: ٤٥-٤٦؛ إي براتشينا، دون باسكوال بورونات، **الموريسكيُّون الإسبان ووقائع طردهم**، ترجمة: كنزة الغالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م، ص١١٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: إي براتشينا، الموريسكيُّون الإسبان)؛

Encyclopedia Britannica, p1085; William Hiproscott, History of the Reign of Ferdinand and Isabella the catholic, Abridged and Edited by C. Harvey Gavdiner, p242.

نقلًا عن: العبيدي، هند عبد الحق، صُوَر من الحياة الاجتماعية للموريسكيِّين بعد تسليم غرناطة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)، ضِمْنَ كتاب "دراسات أندلسية بأقلام عراقية الحياة الاجتماعية" –القسم الأول، دار الوثائق والكتب العراقية، بغداد، ٢٠٢١م، ص١٤٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: دراسات أندلسية بأقلام عراقية).

[٢]**طليطلة (Toledo)**: مدينة في أواسط إسبانيا، فَتَحَها طارق بن زياد سنة ٧١٤م. استردَّها ألفونس ملك قشتالة ١٠٨٥م. وهي مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتَّصِل عملُها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة، وكانت قاعدة ملوك القرطبيين؛ للمزيد انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٣٩-٤٠؛ الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، ص٣٠٦.

[٣]**محاكم التفتيش (Inquisicion)**: اصطلاح مُشْتَق من كلمة لاتينية هي (Inquirere) التي تعني: يبحث؛ يتقصَّى؛ يفتش. ظهرت في القرن الثالث عشر للميلاد من أجل حماية الكنيسة الكاثوليكية من الديانات الأخرى، وتولَّى هذه المؤسسة الآباءُ الدومينيكان التي امتدَّت في نواحٍ كثيرة في أوروبا، وأُقِيمَت للمرة الأولى في إسبانيا على يَدِ سان دومينغو دي غوثمان، وأُنْشِئَت للمرة الأولى في مدينة أرغون، وامتدَّت للمناطق الإسبانية الأخرى. أقام المَلِكَان الكاثوليكيَّان محاكم التفتيش ثانية عام١٤٨٠م في إشبيلية، وفي عام عام١٤٨٢م أُقِيمَتْ في مملكتَيْ قشتالة وأرغون؛ شَكَّلَها المَلِكَان الكاثوليكيان فرديناند الخامس وزوجته إيزابيلا الأولى لمحاكمة أهالي الأندلس بعد أَنْ فَرَضُوا عليهم التَّنَصُّر، وقد نَكَّلَتْ هذه المحاكم بالمسلمين، وقامت بتعذيبهم حتَّى الموت؛ للمزيد انظر:

القرن الثالث عشر للميلاد. ولقد أقام المَلِكَان الكاثوليكيَّان محاكم التفتيش أوَّلًا في إشبيلية عام ١٤٨٠م، وفي المُدُن الأندلسيَّة جميعها التي سيطَرُوا عليها[١]، ونتيجةً لهذه السياسات التَّعسُّفِيَّة اندلعت ثوارتٌ عِدَّةٌ منها انتفاضة البيازين (Albaycin)[٢] عام ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م، وثورة البشرات (Alpujarras)[٣] عام٩٠٧هـ/ ١٥٠١م[٤]؛ فَلَجَأَتِ السُّلُطات الإسبانية إلى أسلوب القوة والمطاردة والعُنْف، وتولَّى هذه المَهَمَّة ديوانُ التحقيق المقدس (محاكم التفتيش)، ونتيجةً لذلك تَنَصَّرَ الكثير من المسلمين ظاهريًّا تحت ضغط تلك السياسات، وعندما فشلت سياسة التطهير، واستحالة الإبادة الجماعية؛ قرَّرَتِ السُّلُطات الإسبانية طَرْدَ المسلمين من أراضيها، وهكذا مَرَّ الموريسكيُّون بثلاث مراحل بعد سقوط غرناطة؛ هي: مرحلة المَلِكَيْن الكاثوليكيِّين فرناند وإيزابيلا؛ التي تميَّزت بمقاومة الأندلسيِّين وفَرْض التعميد الإجباري وفيها بدأت مرحلة الإسلام السِّرِّي، ومرحلة شارل الخامس

Orti y Lara (Juan Manuel): La Lnquisicion ؛ Thomas Walsh (William): Personajes de la inquisicion. Traduccion espanola–por Isabel Ambia.

نقلًا عن: حتاملة، التَّنصير القسري، ص٦٦؛ عبيد، إسحق، **محاكم التفتيش: نشأتُها ونشاطُها**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٣٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: عبيد، محاكم التفتيش)؛ المضواحي، محمد يحيى، **الأندلسيُّون عَقِبَ سقوط غرناطة**، كتوبيا للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٧م، ص١١٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: (المضواحي، الأندلسيُّون عَقِبَ سقوط غرناطة).

[١] السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩٩م، ص ص: ٣٠٥-٣٠٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: السامرائي، تاريخ العرب).

[٢] **البيازين (Albaicin)**: رَبْضٌ مُتَّسِعٌ إلى شمال غرناطة يبلغ نحو رُبع المدينة، وكان يُقِيمُ به مُعَلِّمُو البزاةِ الصيدَ؛ للمزيد انظر: بول، ستانلي لين، **قصة العرب في إسبانيا**، ترجمة: علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣م، ص١٤٥، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: بول، قصة العرب).

[٣] **البشرات (Alpujarras)**: منطقة جبلية في جنوب إسبانيا وجنوب غرناطة وإلى الجنوب من سلسلة جبال سيرانيفادا وموازية لها، وكانت هذه المنطقة مَسْرَحًا لثورة عربية مسلمة ظلَّت تَثُورُ مرة بعد أخرى مدة ٧٠ سنة من ١٥٠٠-١٥٧٠م؛ للمزيد انظر: لي، العرب والمسلمون في الأندلس، ص٤٢.

[٤] حتاملة، الاعتداءات الإفرنجية، ص٢٩.

(Charles v)[1] وفيليب الثاني (Felipe II)[2]؛ التي تميَّزت بمحاولةِ دَمْجِ الموريسكيِّين في المجتمع الإسباني، وفيها بدأت مرحلة الجهاد البحري ضِدَّ الإسبان، ومرحلة فيليب الثالث(Felipe III [3]، وفي هذه المرحلة قرَّرتِ السُّلُطات الإسبانية طَرْدَ المسلمين من الأندلس عندما فشلت سياسةُ دَمْجِ المسلمين بالمجتمع الإسباني[4].

---

[1] **شارل الخامس Charles v (١٥١٧-١٥٥٦م)**: وَلِدَ عام ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م؛ والِدُهُ هو فيليب الجميل حاكم الأراضي المنخفضة ووريث عرش الهابسبرج في النمسا، ووالدتُهُ هي خوانا (Juna) وريثة عرش قشتالة، وبعد وفاة والدِهِ وجنون أُمِّهِ حكم جَدِّهِ فردناند نيابةً عنه قشتالة وذلك لِصِغَرِ سِنِّ شارل، وقبلَ وفاة جَدِّهِ فرناند وَضَعَ الكردينال خيمينس وَصِيًّا على عرش قشتالة؛ تولَّى حكم قشتالة فعلًا عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م، واستمرَّ حتى عام٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، وفي عهدِهِ توحَّدت مملكتَا أرغون وقشتالة بشكل رسمي وعُرِفَت بِاسْمِ إسبانيا، وتميَّزَ عهْدُهُ بكثرة الحروب الخارجية التي خاضتها إسبانيا مع كُلٍّ من إيطاليا وفرنسا، ثم تنازلَ عن الحكم لابْنِهِ فيليب الثاني عام ١٥٥٦م. تُوفِّيَ شارل عام٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م، ودُفِنَ في الإسكوريال؛ للمزيد انظر: المضواحي، الأندلسيُّون عَقِبَ سقوط غرناطة، ص١٢٧-١٣٢؛ العبيدي، صُوَرٌ من الحياة الاجتماعية للموريسكيِّين؛ ضِمْنَ كتاب "دراسات أندلسية بأقلام عراقية" -القسم الأول، ص١٥٣.

[2] **فيليب الثاني Felipe II (١٥٥٦-١٥٩٨م)**: وُلِدَ عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م؛ تربَّى على يَدِ والدتِهِ إيزابيل البرتغالية، ونساء القصر والقساوسة، فَنَشَأَ نشأةً دينية كاثوليكية، وتزوَّجَ الملك فيليب أربعَ مرات، وأنجبَ سبعة أبناء منهم وَلِيُّ العهد فيليب الثالث؛ الذي اعتلى العرش بعد تنازُل والدِهِ الملك شارل عن الحكم عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، وفي عهدِهِ نُقِلَتِ العاصمة من طليطلة إلى مدريد عام (٩٦٦٧هـ/ ١٥٦٠م)، وقد شَيَّدَ مكتبة الأسكوريال بين عامَيْ (١٥٦٣-١٥٨٤م)، وامتدَّ حُكْمُهُ خارج الأراضي الإسبانية ليشملَ البرتغال والأراضي المنخفضة وإمارة برجنديا الحرة، وفي عهدِهِ أصدرَ العديد من المراسيم المُجْحِفَة ضِدَّ المسلمين ما أدَّى إلى اندلاع ثوراتٍ عِدَّةٍ؛ أبرزُها البشرات التي استمرَّت من عام (٩٧٥هـ-٩٧٨هـ/ ١٥٦٨-١٥٧١م)، وبعد الثورة أصدرَ قرارَ التهجير القسري لِمُسْلِمِي غرناطة، فبلغت محاكم التفتيش في عهدِهِ ذروتَها. تُوفِّيَ فيليب الثاني عام (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م)؛ للمزيد انظر: المضواحي، الأندلسيُّون عَقِبَ سقوط غرناطة، ص ص: ١٤٧-١٧٥؛ William H. Prescottm, History of the Reign of Philip the Second, George Routledge and Sons, London, 2010, p35.؛ العبيدي، صُوَرٌ من الحياة الاجتماعية للموريسكيِّين؛ ضِمْنَ كتاب "دراسات أندلسية بأقلام عراقية"، ص١٥٦.

[3] **فيليب الثالث Felipe III (١٥٩٨-١٦٢١م)**: وُلِدَ في مدريد عام ١٥٧٨م، وهو ابن فيليب الثاني من زِواجِهِ الأخير، واتَّصَفَ بالعزلة وعُمْق معتقداته الدينية، وكَرَّسَ حياتَهُ لخدمة مصالح الكنيسة. حَكَمَ إسبانيا وصقلية ونابلي والبرتغال، وصقلية، وصَدَرَ في عهدِهِ قرارُ الطَّرد النهائي لِمُسْلِمِي الأندلس عام ١٦٠٩م، وشَهِدَت إسبانيا في عهدِهِ تدهُورًا كبيرًا في مجال الصناعة والتجارة، وشَكَّلَ عهدُهُ بدايةً للانحلال الحضاري والاقتصادي في إسبانيا، وتُوفِّيَ عام ١٦٢١م؛ للمزيد انظر: لانجر، وليم، **موسوعة تاريخ العالم**، ٨ج، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٤، ص١٠٤٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: لانجر، موسوعة تاريخ العالم)؛ العبيدي، صُوَرٌ من الحياة الاجتماعية للموريسكيِّين؛ ضِمْنَ كتاب "دراسات أندلسية بأقلام عراقية"، ص١٦٠.

[4] الجازي، الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش، ص ص: ١٠٠-١٠١.

مع صُدُور قرار الطَّرْدِ النهائي عام ١٦٠٩م إلَّا أنَّ الآلاف من الموريسكيِّين لم يهاجُروا؛ وذلك راجع لاستحالة اجتثاثهم كونُهُم مُسلِمين من الأندلس، ومُنِعَ مغادرة الآلاف من أطفال الموريسكيّين قَصْدَ إذابتهم في المجتمع الإسباني الكاثوليكي، بالإضافة إلى عدمِ قدرتهم على دفعِ تكاليف إبحارهم وخوفهم من الوقوع في أَيْدِي القراصنة الأوربيِّين، ونتيجةً لذلك بَقِيَ الإسلام في غرناطة حتى المنتصف القرن الثامن عشر؛ فقد أشارتِ الوثائق الإسبانية الخاصة بمحاكم ودواوين التفتيش أَنَّ عددًا كبيرًا من الإسبان يُمَارِسُون شعائرهم الدينية الإسلامية سِرًّا في عام ١٧٢٧م في مدينة غرناطة. ولقد طالت عملية التَّهجير والطَرْد والنَّفْي الجماعي في المدة بين سقوط غرناطة حتى عهد فيليب الثالث أكثر من ثلاثة الآلاف موريسكي [١]، فتوجَّهُوا إلى مناطق متعددة إلى المغرب الأقصى، لاسِيَّمَا إلى سَلَا والرباط وكذلك إلى فاس وتَطوان، وإلى الجزائر ووهران وتلمسان، وإلى تونُس، ومَارَسَ الموريسكيُّون المُهَجَّرِين عمليات الغزو والقرصنة ضِدَّ السفن الإسبانية؛ بينما تم تطويع البعض الآخر في جيش الدولة السعدية في مراكش، كما ضَمَّتْ صفوفُهم أيضًا علماءَ وحِرْفِيِّين نَقَلُوا إلى أماكن استقرارهم الجديدة المَوْرُوثَ الثقافي والفكري، والفني؛ الذي تميَّزت به الحضارة الأندلسية[٢].

حَظِيَتِ المسألة الموريسكية باهتمام العديد من المُؤَرِّخين والباحثين من الشرق والغرب؛ ففي المدة الأخيرة زاد اهتمام الجامعات ومراكز البحوث الدولية بنشر البحوث التي وَظَّفَتْ مصادر أرشيفية جديدة ومخطوطات الخميادية، منها ما كُتِبَ باللغة العربية، واللغة الإسبانية، واللغة الفرنسية، وعلى صعيد البلاد العربية والإسلامية فقد أَنْشَأَتْ مراكزَ بحثية خاصة تُعْنَى بالدراسات الموريسكية؛ منها مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات بزغوان، فقد أسهمَ المركز في دعمِ العديد من الباحثين في إعدادِ ونَشْرِ البحوث الموريسكية؛ ما أسهمَ في تقدُّم وتطوُّر علمِ "الموريسكولوجي" (Moriscologie) على الأَصْعُد العربية والإسلاميَّة والدوليَّة، في

---

[١]أولاد سيدي الشيخ، عبد الرحمن، "الموريسكيُّون ونكبة سقوط الأندلس"، **مجلة الباحث**، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج٩، ع١٧، ٢٠١٧م، ص١٥٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: أولاد سيدي الشيخ، الموريسكيُّون ونكبة سقوط الأندلس).

[٢]الزبيدي، إياد كاظم هادي جلو، "التحديات التي واجهتِ المسلمين في الأندلس: الموريسكيُّون أنموذجًا"، **مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية**، جامعة الكوفة، الكوفة، مج٩، ع٢٦، ٢٠١٦م، ص٢٢٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الزبيدي، التحديات التي واجهتِ المسلمين).

حين قامتِ العشرات من المراكز الغربية والأمريكية بالاهتمام بدراسة التاريخ الموريسكي؛ فقد نُشِرَتِ المئات من الدراسات والكتب والرسائل الجامعية كُتِبَت باللُّغَات: الإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية.

ولقد تضافرت جهود الباحثين والمُؤَرِّخين المُهْتَمِّين بالدراسات الموريسكية الأندلسية لتأطير كتابة التاريخ الموريسكي؛ فتزايدت أعداد المُختصِّين في علمِ الموريسكولوجي، وأخذت مجالات الاهتمام بالعلم تتفرَّع وتتعمَّق لتشملَ القضايا كُلَّها التي تَمُتُّ بِصِلَةٍ بالمسألة الموريسكية [1].

يقول المُؤَرِّخُ التونسي عبد الجليل التميمي، من أبرز المُشتَغِلين بالتاريخ الأندلسي، لاسِيَّما الحِقْبَة الموريسكية منه مُختصِرًا المأساة: "**ما حَلَّ بالموريسكيّين الأندلسيّين بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م يُعَدُّ أشنعَ مأساة إنسانية وأفظعَها عَرَفَها التاريخُ البشري على الإطلاق**"؛ ذلك بأنَّها كانت إبادة حضارية منهجية مُمتدَّة لأكثر من قرن، بكل طرائق القهر والترهيب والتَّنكيل التي قادتها شراكةُ الحكومات الملكية المتتالية مع دواوين أو محاكم التفتيش المقدسة، ففي عام١٩٩٢م اعتذرت إسبانيا رسميًّا لليهود السفارديم بعد مرور خمسة قرون كاملة على طَرْدِهم من الأندلس؛ في خطاب ألقاهُ المَلِكُ خوان كارلوس في أكبر معابد اليهود في العاصمة مدريد وهو يرتدي الكِبَة، قلنسوتهم المُمَيَّزة، وبعدها مباشرةً صَادَقَ البرلمان الإسباني على تعديل القانون المدني بما يسمح لأحفاد هؤلاء اليهود المطرودين قَسْرًا بالحصول على الجنسية الإسبانية. كما تَبِعَتْ حكومة البرتغال إسبانيا في الخطوة نفسها بعد ثلاث سنوات. وبقدر ما كانت هذه الخطوة شجاعة على دربِ الاعتراف بالجريمة التاريخية، وتماديًا في الكراهية التاريخية للمسلمين. هذا التاريخ الذي ستبقى ذاكرتُهُ موسومة أَبَدَ الدهر بما اقترفتْهُ أيدي التَّطرُّف الكاثوليكي من جرائم يَنْدَى لها جبين الإنسانية [2].

ومع ذلك الجحود كُلِّه تشير المُؤشِّرات كُلُّها إلى أَنَّ موريسكيِّي الأندلس–خاصَّةً في إسبانيا وتونُس والمغرب – يَشهَدُون اليوم صحوةً سيكون لها ما بعدها، لا تاريخًا ولا علمًا ولا أدبًا فَحَسْبُ؛ إنَّما على الأرض كذلك من خلال تأسيس جمعيات ومنظَّمات مدنية للدفاع عن حقوق الموريسكيّين،

---

[1] التميمي، عبد الجليل، **تطبيق الموريسكيّين الأندلسيّين للشعائر الإسلامية (١٤٩٢–١٦٠٩م)**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩١م، ص ص: ٦–٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: التميمي، تطبيق الموريسكيّين الأندلسيّين للشعائر الدينية).

[2] التميمي، عبد الجليل، **دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ٢٠٠م، ص ص: ٥–٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي).

وكذلك من الباحثين الموريسكيّين في المغرب والجزائر وتونس خاصَّةً؛ الذين بفضلهم تم تنظيم أوَّل مؤتمر للموريسكيّين في التاريخ، بمدينة شفشاون المغربية عام ٢٠٠٢م، الظاهرة الأولى في التاريخ الحديث لإحياء الذكرى المئوية الرابعة لِطَرْدِ الموريسكيّين من بلدهم (١٦٠٩-٢٠٠٩م) في تونُس[١].

إنَّ استمرارية اهتمام الباحثين بدراسة التاريخ الموريسكي يدلُّ على ديمومة واستمرارية المسألة الموريسكية إلى اليوم؛ فَتُعَدُّ من أهمِّ القضايا التاريخية التي لم يُغْلَق مِلَفُّ قضيتها إلى هذه اللحظة، فهي قضية أُمَّة سُلِبَتْ منها حقوقها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية قَسْرًا تحت ما يُسَمَّى بحرب الاسترداد، وهذا المصطلح التاريخي المُغَالَط الذي اتَّبَعَهُ ملوك الإسبان لفرضِ حقوقهم التاريخية المزعومة على حساب الاضطهاد والتنكيل بالحقوق التاريخية لِمُسْلِمِي الأندلس.

---

[١]عبيدا، سعيد، محنة الموريسكيّين.. ألم التاريخ وأمل المستقبل، **مجلة التفاهم**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، ع٦٢، ٢٠١٨م، ص ص: ٣٧٢-٣٧٣.

الفصل الأول

أحمد من قاسم الحجري وكتابُهُ "ناصر الدين على القوم الكافرين"

المبحث الأول: شخصية أحمد بن قاسم الحجري

أَوَّلًا: مولدُهُ ونَسَبُهُ.

ثانيًا: نشأتُهُ.

ثالثًا: مؤلَّفاتُهُ وأعمالُهُ.

رابعًا: هجرتُهُ إلى المغرب وعلاقته بالدولة السَّعْدِيَّة.

المبحث الثاني: كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"

أَوَّلًا: التعريف به.

ثانيًا: منهجُهُ.

ثالثًا: دوافع تأليفِهِ.

رابعًا: أهمِّيَّتُهُ.

خامسًا: تحقيقات الكتاب.

سادسًا: خَطُّ سَيْرِ رحلتِهِ.

سابعًا: صورة الأنا والآخر في رحلة ناصر الدين.

المبحث الأول: شخصية أحمد بن قاسم الحَجَري

أَوَّلًا: مولدُهُ ونسبُهُ:

هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم بن الشيخ الحَجَري الأندلسي؛ وُلِدَ عام ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م[١] في قرية الحَجَر الأحمر أو أحجر (Ugijar)[٢] التي يَعتقِدُ بعضُهم أنَّها مُحَرَّفَة عن قرية الحجر قرية من قرى غرناطة[٣]، التي يُنْسَبُ إليها "بالحَجَري"، بينما يُرَجِّحُ آخَرُونَ كمرسيدس غارتيا أرينال أنَّهُ ينحدِرُ من قرية أورناتشوس (Hornachos)[٤]، في حين

---

[١]من مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٤.

[٢]**قرية الحجر الأحمر**: هي منطقة في إكسترامادورا (Extramadura) المُسَمَّاة أرض بروس (أرض الطِّين، التي ماهَاهَا بأحجار الحجريّ الحمراء)، وهي جهة تشمل في الواقع قرية هرناشوس (Hornachos)، ويذكر إسماعيل العثماني أنَّ الحجر الأحمر هي ترجمة لكلمة تييرا دي باروس، وقد عُرِفَت هذه القرية الصغيرة بتربتها الطينية الحمراء، التي كان يستعملها السكان في الحِرَف الخزفية؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١١؛ مقدمة محقق كتاب الحجري، أحمد بن قاسم الحجري (ت: بعد١٦٤١م)، **ناصر الدين على القوم الكافرين وهو السيف الأشهر على كل مَنْ كَفَرَ**، تحقيق: حسام الدين شاشيّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥م، ص١٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)).

[٣]دوبالي، خديجة، حركة الجدل الديني في إسبانيا الكاثوليكية خلال القرنين ١٦و١٧، مجلة العِبَر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة تيارت، الجزائر، مج٤، ع٢، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١م، ص٥٢٥ (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: دوبالي، حركة الجدل الديني في إسبانيا).

Abdel-Rahman, Laila Hashem, "**Early Modern Travel Books (1500-1700) A Pragmaphilological Approach**", **Bulletin of the Faculty of Arts**, University of Cairo, Cairo, Vol. (45), No. (2) October 2017. p47.

[٤]**قرية أورناتشوس (Hornachos):** هي بلدية تابعة لإقليم إكسترامادورا (Extramadura) في إقليم (Badajoz) الواقع غرب إسبانيا. وَصَفَها النبيل الألماني إريش لاسوطة دي سطبلوفو في يومياته على النَّحْوِ التَّالي: "سِرْنَا يوم ٦ يونيو إلى هرناشوس، وهي بلدة جميلة ورائعة؛ تقع على بعض الجبال، ويتكلم فيها لغة المسلمين"، طُرِدَ منها المسلمون سنة ١٦١٤م ولَجَؤُوا إلى قصبة الوداية بالرباط فهناك يعيشون إلى يومنا هذا. وقد عُرِفُوا بالتزامهم بالدين الإسلامي مع تنصيرهم من طَرَفِ السُّلُطات المسيحية الإسبانية في القرن السادس عشر؛ للمزيد انظر:

Jques.Fernandez Nieva, "El enfrentamiento entre moriscos y cristianos viejos. El caso de Hornachos en Extremadura. Nuevos datos", in: Les Morisques et leur temps, pp: 271-295.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين(النسخة التونسية)، الهامش رقم(٢)، ص١٥؛ رزُّوق، محمد، "إسبانيا بعيون الشهاب الحجري"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك**، جامعة الحسن الثاني المحمدية، الدار البيضاء، ٢٠١١م،

يرى إسماعيل العثماني أنَّهُ يَنحدِرُ من تيرادي باروس (Tierra de Barros) التابعة لمقاطعة أكستريما دورا غير البعيدة عن أورناتشوس[1]، كما إنَّ إ.بويانو غيرَّة أَثْبَتَت في أطروحتها للماجستير غير المنشورة (٢٠٠٨م) أنَّ الحجري كان بالفعل هرناشيًّا بناءً على وثائق الربائد[2]. يُلَقِّبُهُ المغاربة بالشِّهَاب، والإسبان بديغيو بيخيرانو (Diego Bejerano)[3]، وهذا الاسْمُ الموريسكي الذي عُرِفَ به في إسبانيا، وعُرِفَ هذا الاسْمُ للمرة الأولى في ترجمتِهِ لِرقِّ برج تربيانة عام ١٥٩٨م، التي وقَّعها بِخَطِّ يَدِهِ بِاسْمِ دييغو بخرانو، كما وَقَّعَ في رسالة وَجَّهَهَا أثناء وجودِهِ في باريس إلى الموريسكيِّين في القسطنطينية (Constantinople)[4] عام ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م، وقد وَقَّعَهَا بهذا الاسْمِ أحمد بن قاسم بيخيرانو الأندلسي (Ahmed Ben Qasim

---

ص١١٢ (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: رزُّوق، إسبانيا بعيون الشهاب الحجري)؛ بنيتز، **مايتي، أورناتشوس والرباط يتذكَّرُون طَرْدَ الموريسكيِّين**، ٨ نوفمبر ٢٠٠٨، جريدة إيكسترامادورا، **http://www.elperiodicoextremadura.com**، تعريب المقال: أبو تاشفين، هشام بن محمد المغربي، تاريخ الاسترجاع: ١٤ فبراير ٢٠٢٣م.

[1] نقلًا عن: السفياني، هدى بنت جبير، "أحمد بن قاسم الحجري [ت: بعد ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م]، ورحلتُهُ مصدرًا للأوضاع العلمية للموريسكيِّين"، **حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق**، جامعة الأزهر، غزة، مج٤٠، ع٢، ٢٠٢٠م، ص٦١٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: السفياني، أحمد بن قاسم الحجري).

[2] I.Boyano Guerra, Diego Vexarano, **Traductor del Pergamino de la Torre Turpiana**; idm, "AL-Hayari y su traduccion del pergamino de la Torre Turpiana", in: M. Barrios Aguilera and M. Garcia-Arenal (eds.), La Historia inventada? Los Libros plumbeos y el Legado sacromontano, pp. 137-157.

نقلًا عن: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١١.

[3] Gilbert, Claire, **The Politics of Language in the Western Mediterranean c.1492-c.1669: Multilingual Institutions and the Status of Arabic in Early Modern Spain**, Doctor of Philosophy in History (PhD)thesis, University California, Los Angeles, 2014p267.

[4] **القسطنطينية (Constantinople)**: مدينة كبيرة بالغة التحصين؛ تقع على مضيق البسفور، وتَشْغَلُ جانبًا من شِبْهِ جزيرة في بحر مرمرة، وهي واحدة من أشهر الموانئ التجارية في العالم، وقد تَغَيَّرَ اسْمُ المدينة إلى إسطنبول بعد الفتح العثماني على يَدِ السُّلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م؛ للمزيد انظر: العفيفي، عبد الحكيم، **موسوعة ألف مدينة إسلامية**، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠م، ص٤٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: العفيفي، موسوعة ألف مدينة).

(Bejarano Andaluz[١])، ولعلَّ هذا اللَّقَبَ هو نسبة لقرية بيخار[٢]؛ لكنَّ من المُرَجَّحِ أَنَّ اسْمَ بخرانو هو اسْمٌ مُوَثَّقٌ كذلك عند أندلسيِّي هرناشوس، فقد كانتِ العائلات التي تنتمي إلى هذه القرية تحملُ اسْمَ بخرانو[٣]، كما عُرِفَ بِلَقَبِ "أفوقاي"[٤]، وأفوقاي هو تحريف أعجمي لأبي القاسم؛ لأنَّ الأندلسيِّين يُكَنُّونَ اسْمُهُ بأبي القاسم، وهو اسْمٌ لأسرة أندلسية ما زالت بقاياها موجودة بتطوان يُعْرَفُ أبناؤُها بأولاد الفُقَاي، وقد أَخَذَ الاسْمُ صيغةً بربريَّةً فَقِيلَ فيه أُفُقاي وأفوقاي، بينما أشار بعضُهم إلى أَنَّ كلمة أفوقاي هي تحريف لكلمة أبوكادو (Abocado)، التي تعني باللغة الإسبانية المحامي؛ وذلك يعود إلى مَهَمَّتِهِ في الدفاع عن الموريسكيِّين المَنْهُوبِين من قِبَلِ ربابنة السفن الفرنسية[٥]، كما أَنَّهُ لم يَستعمِلْ نَسَبَهُ "الأندلسيَّ" إِلَّا بعد أَنْ هاجرَ من إسبانيا إلى المغرب؛ فَنَجِدُ أَنَّ هذا النَّسَبَ ذُكِرَ تقريبًا في المصادر كُلِّها التي جاءت بعد عام١٦٠٠م[٦].

---

[1]B. Vincent, Minorias y marginados en la Espana del siglo XVI, pp: 31-45.

نقلًا عن: مقدمة محقق الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٤.

[٢]**قرية بيخار:** تُوجَدُ بين الجزيرة الخضراء وقادس، وهي مرتفعة جدًّا حتى يُقَالَ أَنَّ الإنسان بها يرى أَظْهُرَ الطيور وليس بُطُونَها، وتُسَمَّى بيغار دي لا فرونطيرا (Bejar de la Frontera) أيْ بيخار الحدود، ورُبَّمَا كانت تَفصِلُ بين حكم النصارى والمسلمين؛ للمزيد انظر: قشتيلو، محمد، **حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورُهم خارجها**، مطابع الشويخ، تطوان، ٢٠٠١م. ص٣٥، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير).

[3]Fernandez Nieva, "El enfrentamiento", p279.

نقلًا عن: مقدمة محقق الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٥.

[4]EL-sayed, Laila Hashem Abdel-Rahman, **Discourses on Emotions: Communities, Styles, and Selves in Early Modern Mediterranean Travel Books Three Case Studies.** Doctor of Philosophy (PhD)thesis, University of Kent, Freie Universitat Berlin, 2016. P95.

[٥]الخطيب، رشا، **أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي "أفوقاي"**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨م، ص ص: ١٤-١٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الخطيب، أحمد بن قاسم الحجري).

[٦]من مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٥.

ثانيًا: نشأتُهُ

نَشَأَ الحجري في عصر شَهِدَتْ أحداثُهُ أَوْجَ المِحنَة الموريسكية، هو الرُّبع الأخير من القرن ١٠هـ/ ١٦م؛ التي توالت فيه مجموعة من القوانين القَسْرِيَّة التي أُصْدِرَتْ في حَقِّ مُسْلِمِي الأندلس وانْتُهِكَت حقوقهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية؛ ما أدَّى إلى اندلاع ثورة البشرات ما بين عامَيْ ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م إلى عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م، فَنَتَجَ عنها تهجير المسلمين وتشتيتهم من قُرَى غرناطة إلى خارجها ومصادرة ممتلكاتهم العقارية، ومُنِعُوا من الاقتراب من المناطق البحرية أو الهجرة خارج البلد بِنِيَّةِ تنصيرِهِم وتحويلِهِم لِمُوَاطِنِين إسبانٍ مُخلِصِين. كما ضَيَّقَتِ السُّلُطات الإسبانية الخناق على المسلمين فَنَكَّلَتْ بهم لأتفهِ الأسباب؛ في ظِلِّ هذه الظروف نَشَأَ وترعرعَ الحجري، الذي أصبح بدورِهِ آخِرَ بقايا المسلمين في الأندلس الذي حافظَ على لُغَتِهِ العربية وَكَتَبَ بها مِحْنَتَهُم. نَشَأَ الحجري في ظِلِّ هذه الظروف نصرانيًّا في الظاهر مُسْلِمًا في السِّرِّ، كما كان يفعل أكثر الأندلسيِّين؛ فقد ذَكَرَ مشاركتَهُ في القداس وفي ممارسة الغفران[1].

وإِذْ كان الحجري هرناشيًّا، فقد نَشَأَ متكلِّمًا بالعربية؛ فقد ذَكَرَ للقِسِّيس الأعظم عندما سأَلَهُ عن معرفتِهِ لِلُّغَة العربية: "**اِعْلَمْ أيُّها السَّيِّدُ إِنَّنِي أندلسيٌّ من الحجر الأحمر وكلامُنَا فيه فهو بالعربية**"، وقرية هرناشوس كما ذكرْنَا مُسَبَّقًا هي من القرى التابعة لقرية الحجر الأحمر، وكان الأندلسيُّون يَلْجَؤُون إلى هرناشوس؛ نظرًا لموقعِها الجغرافي المُتَمَيِّز في الجبال، فقد حافظَ سُكَّانُها على اللغة العربية حتى القرن السادس عشر الميلادي، وكانت اللغة العربية يُتَحَدَّثُ بها هناك؛ الأمرُ الذي جَعَلَ السُّلُطات الإسبانية في مدريد[2] تُلْفِتُ انتباهَها إلى أبناء القرية، وذَكَرَ بيدرو البلنسي في رسالتِهِ عن الموريسكيِّين: "**وكذلك إذن، فإنَّ الأندلسيِّين بمولدهم وطريقة عيشهم كأنُّهم حُمُرُ الوحش البَرِّيُّون. وكُلُّ الأقوام التي تُوْلَدُ وتعيش في الجبال؛ تنشأ وتتقوَّى أكثر، وهؤلاء يعتادون الذهاب إلى الجبال لِيَتَقَوَّوْا فيها. وإذا لم يكن ذلك لأجل التَّمَرُّد؛ كان على الأقل**

---

[1] من مقدمة الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ١٤-١٧.

[2] **مدريد:** مدينة إسبانية تقع في مقاطعة قشتالة (Castilla)؛ استعادَها الملك ألفونسو السادس من العرب، وفي عام ١٥٦١م اتَّخَذَها فيليب الثاني عاصمة لمملكة إسبانيا؛ للمزيد انظر: الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، ص٣١٢.

هروبًا من العقاب على الجرائم، فيُرَجِّبُ بعضُهم ببعض، ويَختَبِؤُون في الجبال، مثلَما نَرَاهُ يَحدُثُ هنا قريبًا من هرناشوس"[١].

وتَعَلَّمَ الحجريُّ اللُّغَةَ العربية، ومبادئ الدين الإسلامي على يَدِ والدِهِ سِرًّا، ثم تَعَلَّمَ اللغة العربية بعد ذلك على يَدِ ابْنِ عَمِّ والدِهِ، كما انْكَبَّ على كُتُب العقائد اليهودية والنصرانية واطَّلَعَ على دقائقها[٢].

كما تَعَلَّمَ الحجري اللغة الإسبانية خلال سنواتِهِ الأولى نتيجةً لقرارات السُّلُطات الإسبانية بتعليم أطفال الموريسكيّين لِلُّغَةِ؛ إلَّا أنَّهُ زادَ من تَعَلُّمِها حتى يُتْقِنَها ويتمكَّنَ من الأخذ والعطاء مع الإسبان، وحتى يتمكَّنَ من الهروب بسهولةٍ بين النصارى أَتْقَنَ اللغة الإسبانية؛ حتى لا يَشُكُّوا في أصلِهِ الأندلسي، فقد كانوا يمنعون الأندلسيّين من الهروب إلى بلاد المسلمين[٣]، كما تَعَلَّمَ اللغة البرتغالية كذلك من دُونِ أَنْ يُشِيرَ إلى مكان تَعَلُّمِهِ لهذه اللغة، ثم تَعَلَّمَ القليل من الفرنسية، وبعد أَنْ قَضَى طفولَتَهُ في قرية الحجر الأحمر اتَّجَهَ إلى غرناطة عام١٠٠٤هـ/ ١٥٨٨م، وكان يَبلُغُ من العُمُرِ تِسْعَ عشرة سنة[٤].

إنَّ الأخبار التي ذَكَرَتْ عن حياة أحمد بن قاسم الحجري حتى عامِهِ الثلاثين في إسبانيا قليلة؛ فقد تَنَقَّلَ الحجري وعاش في بلدانٍ عِدَّةٍ، منها: الهرناشوس، وإشبيلية (Sevilla) [٥] التي

---

[1] J. Fernandez Nieva, "El enfrentamiento entre moriscos y cristianos viejos. El caso de Hornachos en Extremadura. Nuevos datos", in: Les Morisques et leur temps, pp.271-295.

نقلًا عن: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٥.

[٢] هلايلي، الحنفي، الموريسكيُّون الأندلسيُّون في إسبانيا من خلال رحلتَي الشهاب الحجري والوزير الغساني، **مجلة الحوار المتوسطي**، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، ع٩ و١٠، ٢٠١٥م، ص٢٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: هلايلي، الموريسكيُّون الأندلسيُّون).

[٣] الرياش، العز والرفعة والمنافع، ص٢٦١.

[٤] مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٢٣.

[٥] **إشبيلية (Sevilla):** مدينة في الأندلس بينها وقرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون؛ فَتَحَها المسلمون عام ٧١٢م، وهي كبيرة عامرة، لها أسوار حصينة وسوق مزدهرة، عامرة بالحمَّامات والديار الحَسَنَة، وكانت مركزًا تجاريًّا مزدهرًا، وسيطرَ عليها فرديناند عام ١٢٤٨م؛ للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص: ٥٨-٥٩؛ الخوند، الموسوعة الجغرافية والتاريخية، ج١، ص٢٩٦.

أشار فيها إلى أشخاص عديدين عَرَفَهُم في هذه المدينة منهم ردريغو ثمورانو [١]؛ فقد قَرَأَ الحجري عن النصرانية من كُتُب ثمورانو. كما قَرَأَ كُتُبًا في تاريخ الكنيسة، والجغرافيا، والفلك، ومَكَثَ مُدَّةً من الزمن في مدريد[٢] عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م عندما كان والِدُهُ يعيش هناك[٣]؛ إذْ أشارَ إلى مُكُوثِهِ في هذه المدينة في بعض رسائلِهِ، بالإضافة أنَّه قَضَى وقتًا في غرناطة قبل أَنْ يُغَادِرَ إسبانية سِرًّا عام١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م[٤]، وفيها التقى بالشيخ الفقيه الأكحيل الأندلسي[٥] "شيخ الترجمة بالإجازة"، ونظرًا لمعرفتِهِ باللغة العربية اختارَهُ القِسِّيس الأعظم[٦] ضِمْنَ الفريق الذي تَرْجَمَ الكُتُبَ الرصاصية عام١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م، ومُنِحَ بعد ذلك إذْنًا بالترجمة من العربية إلى العجمية

---

[١] **ردريغو ثمورانو:** موظف رسمي ورئيس ربابنة الملك الإسباني المكلَّف بإعداد الرحلات على الطُّرُق البحرية؛ انظر: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١٧.

[3] Nutting, Elizabeth Woodhead, **Morisco Survival, Conversion, and Migration in the Early Modern Mediterranean 1492-1659**, Doctor of Philosophy, The University of Texas at Austin, Austin, 2014, p196.

[4] Nutting, Morisco Survival, Conversion, and Migration, p187.

[٥] **الأكحيل الأندلسي:** هو ألونسو دي كاستيو (Alonso de Castillo)؛ من بين أشهر الشخصيات الموريسكية في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، وهو من عائلة غرناطية أُجْبِرَت على اعتناق المسيحية سنة١٥٠٠م؛ دَرَسَ الطِّبَّ في جامعة غرناطة، واشتغل طبيبًا ومُترجِمًا لصالح السُّلُطات المحلية، خاصَّةً رئيس أساقفة غرناطة؛ الذي كَلَّفَهُ بترجمة الكتب الرصاصية، كذلك جَعَلَهُ الملك فيليب الثاني مُترجِمَهُ الرسمي؛ خاصَّةً فيما يتعلق بمراسلاتِهِ مع أحمد المنصور الذهبي، كما كَلَّفَ بفهرسة المخطوطات العربية بالأسكوريال. تُوفِّيَ تقريبًا في حدود سنة ١٦٠٧؛ للمزيد انظر:

Cabanelas Rodriguez (Dario), "El morisco granadino Alonso del Castillo, interprete de Felipe II", pp: 19-42.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، الهامش رقم (١)، ص٥٢.

[٦] **القسيس الأعظم:** هو بدرو دي كاسترو (Pedro de Castro)؛ رئيس أساقفة غرناطة الذي تولَّى هذه المَهَمَّة من سنة ١٥٨٩م إلى سنة١٦١٠م، ولَعِبَ دورًا مُهِمًّا في ترجمة النصوص الرصاصية التي عُثِرَ عليها في غرناطة سنة ١٥٨٨م؛ للمزيد انظر:

Barrios Aguilera (Manuel), "Pedro de Castro y los plomos del Sacromonte: invencion y paradoja. Una aproximacion critica", en Mercedes Garcia-Arenal, Manuel Barrios Aguilera(eds), Los plomos del Sacromonte: Invencion Tesoro, pp:17-50.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصري)، الهامش رقم (١)، ص٤٨.

والعكس[١]، ومع الامتيازات التي حصلَ عليها الحجري إِلَّا أنَّهُ اختارَ الهربَ إلى بلاد المسلمين فِرَارًا بِدِينِهِ، فهربَ بعدَها من غرناطة إلى إشبيلية عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م، ثم إلى مرسى سنتا ماريا (Santa Maria)[٢]، ومنها إلى بلاد المغرب[٣].

لم تُشِرِ المصادرُ إلى المهنة التي مارسَها أحمد بن قاسم الحجري قبل هجرتِهِ من إسبانيا؛ باستثناء ما ذَكَرَهُ بنفسِهِ عن عملِهِ في المشاركة في ترجمة الكتب الرصاصية، وبعد وصولِهِ إلى بلاد المغرب عَمِلَ مُترجِمًا في الدولة السعدية[٤] منذ عهدِ السُّلطان أحمد المنصور[٥] (١٥٧٨-

---

[١]من مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٨.

[٢]**مرسى شنتمرية (سانتا ماريا) Santa Maria:** مدينة في الأندلس من مُدُن اكشونبة، وهي أَتْقَنُ الحصون بنبلونة، مَبْنِيَّة على نهر أرغون على مسافة ثلاثة أميال منه، وهي مدينة متوسطة المساحة بها مسجد جامع، ومراكب واردة وصادرة، وهي كثيرة الأعناب والتِين، ويُطلَق عليها بالإسبانية (Santa Maria de Algarve)، وتُسَمَّى اليوم "فارو" وهي ميناء جنوبي البرتغال في مقاطعة الغرب (Algarve)؛ للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٧.

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٨٣؛ دي إيبالثا، ميكيل، **الموريسكيُّون في إسبانيا وفي المنفى**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٩٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا).

[٤]**الأسرة السعدية:** أسرة شريفة يرجع نسبُها إلى محمد ذِي النفس الزكية؛ هاجرَ أسلافُها إلى المغرب الأقصى في القرن السابع للهجرة واستقرُّوا بدرعة من إقليم السوس، وفي عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م، وطالبَ أهلُ السوس محمَّدَ القائم بأمر الله أنْ يتولَّى قيادتهم للجهاد ضِدَّ البرتغاليِّين، ومنها بدأت الأسرة السعدية في الحكم واستطاعوا تحرير آسفي وأزمور وأصيلا والقصر الصعير، وقَضَوْا على حكم الوطاسيِّين، وفي عهدهم كانت معركة وادي الملوك التي هُزِمَ إِثْرَها إمبراطور البرتغال، وأبرزُ حكام هذه الدولة أحمد المنصور الذهبي الذي وصلت في عهدِهِ إلى أَوْجِ عظمتِها؛ للمزيد انظر: مجهول (١٠-١١هـ/ ١٦-١٧م)، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ١٩٩٤م، ص ص: ١٣-١٤، ص ص: ٥٨-٦٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: مجهول، تاريخ الدولة السعدية)؛ المضواحي، الأندلسيُّون عَقِبَ سقوط غرناطة، ص٨٢.

[٥]**أحمد المنصور:** أحمد بن محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله عبدالله آل زيدان السعدي؛ وُلِدَ في فاس عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٩م، وهو رابع سلاطين الدولة السعدية في المغرب الأقصى، وتولَّى الحكم بعد وفاة أخيه عبد الملك في معركة وادي المخازن عام ١٥٧٨م، وكان إداريًّا وحازمًا وداهيةً في الملك، ولُقِّبَ بالذهبي لأنَّهُ استولى على السودان الغربي وجَلَبَ منها الذهب، وهو أَوَّلُ مَنْ أحدثَ مَعَاصِرَ السُّكَّر في المغرب، وله مُؤَلَّفَاتٌ عِدَّةٌ منها شعراء آل البيت وكُتَّاب السياسة وديوان شعرِهِ. تُوفِّيَ في المدينة البيضاء ودُفِنَ في مراكش عام ١٠١١هـ/ ١٦٠٣م؛ للمزيد انظر: مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص ص: ٦٣-٦٨؛ الناصري، أبو العباس المغربي (ت: ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ٩ج، تحقيق: جعفر الناصري؛ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ج٥، ص٨٩؛ الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص٢٣٦ (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الزركلي، الأعلام).

١٦٠٣م) حتى عهد مولاي زيدان [١] (١٦٠٣–١٦٢٧م)، ثم عهد ابْنَيْهِ عبد الملك [٢] والوليد[٣][٤] من عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م حتى عام ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م، وخلال هذه المدة تَوَلّى السفارةَ المغربية إلى فرنسا كما زارَ بلدانًا عِدَّةً منها هولندا [٥]. وكان المُستعرِبُ الهولندي توماس إربينيوس (Thomas Erpenius)[٦] عندما وَصَفَ أحمدَ الحَجَرِيَّ بالتاجر لم يكن يَقْصِدْ هنا

---

[١]**مولاي زيدان:** أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور بن محمد السعدي؛ تولّى حكم المغرب بعد وفاة أبيه، وبُويِعَ له في فاس عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، وثارَ عليه أخوَاهُ محمد والمأمون، واستطاع قَمْعَهُمَا، وكان عالِمًا فقيهًا عارفًا بالأدب، وصَنَّفَ كتابًا في تفسير القرآن، وتُوفِّيَ عام ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م؛ للمزيد انظر: مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص ص: ٨٣–٩٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٦، ص ص: ٣–٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٦٢.

[٢]**عبد الملك بن زيدان:** عبد الملك بن زيدان بن أحمد المنصور، أبو مروان السعدي؛ من ملوك دولة الأشراف السَّعديِّين بمراكش، وبُويِعَ عام ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م، وتُوفِّيَ عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م؛ للمزيد انظر: مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص٩٥؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٥٩؛ المنوني، محمد، "ظاهرة تعريبيَّة في المغرب أيام السَّعديِّين"، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، مج١١–١٢، ١٩٦٤م، ص٧٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: المنوني، ظاهرة تعريبية).

[٣]**الوليد بن زيدان:** بُويِعَ عام ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م، وتُوفِّيَ سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م؛ انظر: مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص٩٥؛ المنوني، ظاهرة تعريبية، ص٧٢.

[٤]ساعف، عبد الله؛ عبد الرحمن عدناوي، تقديم كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين أو مختصر رحلة شهاب إلى لقاء الأحباب للفقيهِ أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي أفوقاي، تحقيق: محمد رزُّوق، **مجلة أبحاث**، جامعة سرت، ليبيا، ع٢٧، ١٩٩١م، ص١٠٥، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: ساعف، تقديم لكتاب ناصر الدين على القوم الكافرين).

[٥]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٨٩، ص١٦٣.

[٦]**توماس إربينيوس Thomas Erpenius (١٥٨٤–١٦٢٤م):** هو مُستشرِق هولندي؛ اسْمُهُ بالهولندي (Van Erpe)، وَوُلِدَ في جوركم (Gorkum) بهولندا سنة ١٥٨٤م، ودَرَسَ في ليدن علم اللاهوت، وأخذ يتنقَّلُ في بلدانٍ عِدَّةٍ لأجل تعلُّم اللغة العربية حتى أتقنَها وأصبح من كبار المستشرقين، وله مُؤلَّفاتٌ عِدَّةٌ كَتَبَها باللغة العربية؛ منها: كتاب الأمثال، والنحو العربي في خمسة أبواب، وسورة يوسف وتَهَجّي العرب، وقد تُوفِّيَ عام ١٦٢٤م؛ للمزيد انظر: بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص ص:١٦–١٨ (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: المنوني، موسوعة المستشرقين)؛

Conidi Emanuela, **Arabic Types in Europe and the Middle East, 1514-1924: Challenges in the Adaptation of the Arabic Script from Written to Printed Form**, Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy, Department of Typography & Graphic Communication, University of Reading, London, 2018, PP:425-427.

أَنَّهُ كان تاجرًا حَقًّا؛ لكنْ بالأحرى أَنَّهُ مَيْسَمٌ اجتماعي، ولم يكن هذا الرجل نبيلًا ولا جنديًّا ولا رجلَ دين[١].

ذَكَرَ الحجري في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين" القليل من المعلومات المتعلقة بأسرتِهِ؛ فقد ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَلَّمَ اللغة العربية على يَدِ والدَيْه وهو صغير، كما تَعَلَّمَ القراءة والكتابة وهو في سِنِّ العاشرة على يَدِ ابْنِ عَمِّ والدِهِ سِرًّا، وله أخت ذَكَرَها في كتابِهِ هذا في أَحَدِ المواقف التي قَصَّها أثناء تَعَلُّمِهِ لِلُّغَة العربية، وذَكَرَ والدَيْه في دعاء في ديباجة كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" وفي خاتمتِهِ؛ كانت تلك هي الإشارات القليلة التي تَحَدَّثَ بها عن عائلتِهِ من دُونِ أَنْ يُشِيرَ إلى اسْمَيْ والدتِهِ وأُختِهِ[٢].

بعد وصولِهِ إلى بلاد المغرب بمدة تَزَوَّجَ الحجري من ابنة البرطال الغرناطي (El Partal) [٣]؛ أَحَدِ قادة ثورة البشرات وكان عُمْرُهُ نحو الثلاثين عامًا، وله منها ولدان وبنتان[٤]، ويُعْرَفُ أَحَدُ أبنائِهِ بِاسْمِ محمد خوجة؛ لأَنَّهُ هو ناسِخ الترجمة العربية التي أنجزَها أحمد بن قاسم الحجري لكتاب "العِزّ والمنافع"[٥]، أَمَّا أبناؤُهُ الآخرون فلم يَرِدْ ذِكْرُ أسمائِهم.

---

[1] I. Casaubon, Casauboni Epistolae, Th.Jansonius(ed); Wiegers, A Learned Muslim Acquaintance, p45; A.Hamilton, "Isaac Casaubon the Arabist: Video Longum Esse Iter, "in: Journal of the Warburg and Courtauld Institutes, pp143-168, pp145(note8) and p. 165.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٣٢.

[٢] المصدر نفسه، ص١٩٤.

[٣] **البرطال الغرناطي (El Partal):** هو البرطال دي نريلة؛ أندلسي من المحاربين، وأشهر قادة ثورة البشرات، ويقول عنه مارمول بأَنَّهُ كان محسوبًا من قِبَلِ محاكم التفتيش قبل الثورة؛ التي حَكَمَت عليه بعدم الخروج من مدينة غرناطة، لكنَّه طَلَبَ إذنًا للذهاب للبشرات، والتحق بالثوار، ويبدو أَنَّهُ إِثْرَ فَشَلِ الثورة خرج بعائلتِهِ إلى المغرب؛ للمزيد انظر: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٣٠؛ السيفاني، أحمد بن قاسم الحجري، ص٦١٦؛ أورتيث، أنطونيو دومينغيث، وبيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيّين: حياة ومأساة أقلية**، ترجمة: محمد بنياية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٣م، ص٣٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: أورتيث، تاريخ الموريسكيّين).

[٤] من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٥٥، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[٥] الرياش، إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي (ت: ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، **العِزُّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالآت الحروب والمَدَافِع**، نَسَخَهُ وتَرْجَمَهُ: أحمد بن قاسم الحجري، ١٦ ذِي القعدة ١٠٥٠هـ، المكتبة الوطنية، رقم المخطوط ١٥١١، الجزائر، ٢٠٠١م، ص١٢٦.

استقرَّ الحَجَرِيُّ في أواخر أيَّامِهِ في تونُس [(١)]، ومن المُرَجَّحِ أنَّهُ استقرَّ في مدينة تستور (Testur) أو تستر [(٢)] فهناك يَسْكُنُ ابْنُهُ محمد خوجة وزوجتُهُ، وتُعَدُّ هذه المدينة من أهمِّ المُدُن التي بناها الموريسكيُّون في تونُس [(٣)]، ثم انقطعت أخبارُهُ بعد إتمامِهِ النسخة التونُسية لمخطوط "ناصر الدين على القوم الكافرين" عام١٠٥١هـ/ ١٦٤١م [(٤)]، ومن المُرَجَّحِ أنَّهُ تُوفِّيَ بعد هذا العام.

ثالثًا: مُؤلَّفَاتُهُ وأعمالُهُ

أَلَّفَ الحَجَرِيُّ كُتُبًا عِدَّةً؛ بعضُها مفقودٌ إلى اليوم، والآخَرُ حَفِظَتْهُ لنا الأيام، كما قام بأعمالٍ عِدَّةٍ أخرى غير التأليف؛ منها أعمال للترجمة، سواءً أكانت ترجمة لرسائل دبلوماسية؛ بحكم طبيعة عملِهِ مُترجِمًا في بلاط الدولة السعدية، أم ترجمتَهُ لبعض الكتب في المجال العلمي؛ كالطِّبِّ، والفلك، والجغرافيا، ومن جملة أعمالِهِ أيضًا الرسائل الشخصية التي أرسلَها إلى المُستعرِبين الهولنديّين، أو تلك الرسائل التي أرسلَها إلى الموريسكيّين في القسطنطينية، وتم ترتيب أعماله وفق النوع: الكتب، ثم الرسائل، فالتَّرجمات؛ على النَّحْوِ التَّالي:

١- الكتب:

أ- كتاب "رحلة شهاب إلى لقاء الأحباب":

هذا الكتاب هو النسخة الأولية لرحلة الحجري، التي اختصرَها في كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"، وهذه النسخة مفقودة حتى اليوم، ولكن ذَكَرَ الحَجَرِيُّ بعض الملحوظات في مُختصَر الرحلة "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ قدَّمت لنا ما كانت تتضمَّنُه النسخة

[(١)] **تونُس:** مدينة إفريقية؛ قاعدة البلاد الإفريقية وحضرة السَّلاطين، ومهاجر أهل الأقطار من الأندلس والمغرب وغيرها، بينها والقيروان مسيرة ثلاثة أيام، وبينها والبحر نحو أربعة أميال، وبين تونس وقرطاجنة نحو عشرة أميال، ولها سُورٌ يدور عليها، وبها مَبَانٍ عجيبة وبساتين للكروم؛ للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص١٤٣.

[(٢)] **مدينة تستر (Testur):** مدينة تونُسية تقع على نهر أو وادي ماجردا، وتَبْعُدُ نحو ٦٠ كيلومترًا إلى الشرق من تونُس، وهذه القرية كانت واحدة من المستوطنات التي سَكَنَها المهاجرون الأندلسيُّون الذين جاؤوا إلى تونُس نحو سنة١٦١٠م؛ انظر: M.de Eplaza et R. Petit, Recueuil detudes, passim

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٩٩.

[(٣)] من مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين (النسخة المصرية)، ص٢١.

[(٤)] الخطيب، أحمد بن قاسم الحجري، ص ص: ١٦-١٩.

الأولى من الكتاب من معلومات قيِّمَة لم يَرِدْ ذِكْرُ الكثير منها في كتابِهِ المُختَصر، وتتضمَّنُ فصولُ الكتاب التَّالي:

- ذِكْرُ بلاد الأندلس من وُجوهِ جغرافيَّتها، وموقعها وطُولها وعَرْضها؛ يقول الحجري: "**وذكرتُ فيها أوَّلًا بلاد الأندلس في أيِّ موضع هي من معمور الدنيا والأقطار المجاورة إليها، والعرض والطول في صَقْعِها وعرض وارتفاع القطب الشمالي عليها، ودرج طولها من الدين الذي هو ابتداؤُهُ من الجزر الخالدات المُسَمَّاة الآن بقنارية....**".
- ذِكْرُ الأجناس القديمة من سُكَّانِ شِبْهِ الجزيرةِ الإيبيرية قبل دخول المسلمين إليها، وسنة فَتْحِها؛ فيقول: "**.... ثم ذكرتُ مَنْ سَكَنَها من الأجناس القديمة قبل دخول المسلمين إليها، وفي أيِّ سنة كان افتتاحها، وما اتُّفِقَ في أَخْذِها...**".
- ذِكْرُ الصراع الدائر بين المسلمين والمسيحيّين؛ يقول: "**.... ثم ذكرتُ بعض الملوك الصالحين المجاهدين**".
- خَصَّصَ فصلًا من الكتاب ذَكَرَ فيه رسائل لسان الخطيب[1]، وأشار الدكتور محمد رزُّوق لماذا اختار الحجري تخصيصَ فصلًا كاملًا لابن الخطيب؛ فقد قال: "**ونعتقد أَنَّ الشهاب الحجري بتخصيص هذا الفصل لابن الخطيب يَرُومُ على القول بأنَّه سبق لعلماء الأندلس أَنْ حَذَّرُوا من مَغَبَّة التطاحن بين الأمراء، ومن التَّحالُف مع المسيحيّين ضِدَّ المسلمين وأنَّه كما سقطت الأندلس، سوف تسقط باقي أقطار العالم الإسلامي إذا لم يَنْتَبِهِ المسلمون إلى الأخطار المُحَدَقة بهم، أَيْ أَنَّ مصلحتَهم اَنْ تكون هناك خلافة إسلامية قوية تحمي ديار الإسلام، ويسترجع المسلمون خلالها الثقة بأنفسهم، وهو بالطبع يَرْمِزُ من خلال ذلك إلى الأتراك العثمانيّين؛ الذين يُكِيلُ المدح دائمًا إليهم**".
- ذِكْر تاريخ الأندلس في ظِلِّ حُكْمِ المسلمين؛ فيقول: "**.... ثم ذكرتُ الزمن الذي كانت بأيدي المسلمين إلى أنِ احتوتِ النَّصارى على جميعها....**".

---

[1] **ابن الخطيب(٧١٣-٧٧٦هـ/١٣١٣-١٣٧٤م):** هو لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني نسبة إلى سلمان، وتعود جذور هذه القبيلة لليمن، هاجرت أسرته للأندلس، ثم استقرت في قرطبة ثم طليطلة، يعد من أشهر المؤرخَين لعصر ملوك بني الأحمر، ومن أشهر مؤلفاته؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، الحلل المرقوقة في اللمع المنظومة، للمزيد انظر: ص ص: ابن الخطيب، هو لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله السلماني(ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق ودراسة: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ١١-١٤.

- ذِكْرُ أوضاع الموريسكيّين في إسبانيا في ظِلّ حُكْمِ النصارى، وما يُعَانِيهِ هؤلاء مع السُّلُطات عندما فَرَضَت عليهم الديانة المسيحية. ويَصِفُ ذلك **"ثم ذكرتُ كيف كان حالُ المسلمين بين النَّصارى بعد أَنْ أدخلوهم جميعًا -كُرْهًا منهم-في دينهم، وكانوا يعبدون دِينَيْنِ: دين النَّصارى جَهْرًا، ودين المسلمين في خفاء من الناس، وإذا ظَهَرَ على أحدٍ شيءٌ من عَمَلِ المسلمين يحكمون فيهم الكفَّارُ الحكمَ القوي: يُحرِقُون بعضهم كما شاهدتُ حالَهم أكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها...."**[1].
- ذِكْرُ ما جَرَى له في مدينة غرناطة مع القِسّيس الكبير في قراءة الكتب الرصاصية، **"وأيضًا ذكرتُ ما اتَّفَقَ لي بمدينة غرناطة مع القِسّيس الكبير في قراءة الرِّقِّ المكتوب بالعربية والأعجمية فيما ذَكَرَ يوحنا الذي كَتَبَ رُبْعَ الإنجيل"**.
- ذِكْرُ حادثة هروبِهِ من إسبانيا إلى بلاد المسلمين؛ يقول في ذلك: **"وما اتَّفَقَ لنا في الخروج من بين النَّصارى وكيف لَطَفَ الله بنا وفَكَّنَا منهم سالمين بفضلِهِ"**.
- ذِكْرُ الأسباب التي دَفَعَتِ الملك فيليب الثالث لِطَرْدِ المسلمين من الأندلس؛ يقول: **"وذَكَرْنَا أيضًا الأسباب التي قال سُلطان النَّصارى أنَّها حَمَلَتْهُ على اخراج المسلمين من بلادِهِ"**.
- ذِكْرُ رحلاتِهِ إلى بلاد المشرق وأوروبا وما جَرَى له فيها من مناظرات مع اليهود والنصارى؛ يكتبُ: **"ما رأيتُ في أسفاري ورحلتي المشرقية والمغربية والجوفية... وما وَقَعَ لي من الكلام والمناظرات مع النَّصارى"**[2].

ب- كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ الذي هو السيف الأشهَر على كُلِّ مَنْ كَفَرَ:

هو مُختَصَر لرحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، وهي الرحلة التي أَلَّفَها الحجري بناءً على طلب الشيخ علي الأجهوري[3] (ت:١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م) شيخ المالكية في مصر بعد أَنْ قَصَّ عليه من أخبار رحلاتِهِ في أوروبا ومجادلاتِهِ مع النصارى واليهود ورَدِّهِ عليهم ودَحْضِ افتراءاتهم، فَكَتَبَ الحجري كتابَ "رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب" ثم اختصرَها بناءً على طلب الشيخ

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٦١؛ رزوق، إسبانيا بعيون شهاب الحجري، ص٧٢-٧٤.

[2] المصدر نفسه، ص ص: ٦١-٦٢.

[3] **علي الأجهوري:** علي بن محمد بن عبد الرحمن أبو الإرشاد، نور الدين؛ فقيهٌ مالكيٌّ، ومولدُهُ ووفاتُهُ بمصر، ومن أهمِّ مُؤلَّفاته: "شرح الدُّرَر السَّنِيَّة في نَظْمِ السيرة النبوية"، و"النور الوهَّاج في الكلام على الإسراء والمعراج"؛ للمزيد انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ص: ١٣-١٤.

نفسه، وسُمِّيَ مُختَصَرُ الرحلة "ناصر الدين على القوم الكافرين"، وقد قَرَأَهُ على الشيخ الأجهوري بمصر عام١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م؛ عندما استقرَّ في تونُس زادَ عليه بعضَ الإضافات والمسائل نظرًا لِتَوَفُّر مصادر جديدة بالعربية والإسبانية[١]. وهذا المُؤَلَّفُ هو موضوع الدراسة الحاليَّة، وسَيُفَصَّلُ له في الفصول لاحقًا.

ت- الرسائل الشخصية لأحمد بن قاسم الحجري:

أ- رسالة الحجري إلى أربينوس [٢]، وهي جوابٌ عن رسالة الأخير التي أرسلَها من باريس عام١٠٢٠هـ/ ١٦١١م إلى أحمد بن قاسم الحجري؛ التي كُتِبَتْ بِلُغَةٍ مُتَّسِقَةٍ مع وجود بعض الأخطاء الإملائية واللغوية فيها، تبدأ بمقدِّمة مَسْجُوعَة يجعلها تقتفِي أَثَرَ النثر المَشرِقِي والخُطَب الدينية.

ب- رسالة الحجري من باريس إلى الموريسكيّين بالقسطنطينية التي كُتِبَتْ في ١ ربيع الأول ١٠٢١هـ/ ٢ ماي ١٦١٢م [٣]؛ التي تُعَدُّ من أهمِّ الوثائق الموريسكية وأَنْدَرِها، وتُوجَدُ في أَحَدِ المجلَّدات بجامعة بولونيا [٤]، وقد تَضَمَّنَ المخطوطُ أربعةَ أعمال هي:

- العمل الأول: من الورقة ١ إلى الورقة ١١٥؛ وهو عمل لمحمد الروبيو (Mehmed Rubio) [٥] بعنوان "أخبار وبيان السلالة الشهيرة الشريفة".

- العمل الثاني: من الورقة ١١٦ إلى ١٥١؛ عَمَلٌ لأحمدَ بن قاسم الحجري، وهي ترجمة للإسبانية لكتاب "معجزات الرسول صلَّى الله عليه وسَلَّم" للقاضي اليحصبي.

- العمل الثالث: من الورقة ١٥٢ إلى ١٦٧؛ تمتدُّ رسالةُ الحجري من الورقة ١٥٢ إلى الورقة ١٦٢، أَمَّا من الورقة ١٦٣ إلى الورقة ١٦٧، وهي عبارة عن تَتِمَّة للأحداث التي

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٢٠٦.

[٢]انظر الملحق رقم (٤) رسالة الحجري إلى أربينوس عام١٠٢٠هـ/ ١٦١١م، ص ص: ٢١٤-٢١٥.

[٣]انظر الملحق رقم (٥) نَصُّ رسالة الحجري إلى الموريسكيّين في القسطنطينية، ص ص: ٢١٦-٢٢٧.

[4]Biblioteca de la Universita di Bologna, Ms.565.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٥١.

[٥]**محمد الروبيو (Mehmed Rubio)**: يُلَقَّبُ بالأشقر؛ ذُو أصلٍ أرغوني من فيلافاييش (Billafeliche)، بعد الطَّرْد استقرَّ في تونُس، وكان من أثرياء الموريسكيّين؛ فقد تَكَفَّلَ بترجمةِ ونَسْخِ العديد من الكتب من العربية إلى الإسبانية؛ للمزيد انظر: شاشيّة، حسام الدين، **السفارديم والموركسيُّون: رحلة التهجير والتوطين في بلاد المغرب (١٤٩٢-١٧٥٦م) "الروايات والمسارات"**، ٢ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥م، ج١، ص٢١٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: شاشيّة، السفارديم والموركسيُّون).

تَلَتْ وصولَ الرسالة والرَّدّ الذي تَلَقَّاهُ الحجري، كما ذَكَرَ حفلَ زِواج الملك لويس الثالث عشر بأنا دي أستورياس، ونُبوءة استعادة المسلمين للأندلس، والورقة الأخيرة تَحَدَّثَ فيها عن حياتِهِ في غرناطة.

- العمل الرابع: من الورقة ١٦٨ إلى الورقة ٢٠٠، ترجمةً لخطبة دينية مجهولة الكاتب؛ التي كان يملكُها محمد الربيو بالعربية وطَلَبَ من الحجري أَنْ يُترجمَها إلى اللغة الإسبانية.

وتُعَدُّ هذه الرسالةُ نسخةً من الرسالة الأصلية، التي حَمَلَها معه محمد بن عبد الرفيع إلى تونُس؛ فقد طَلَبَ محمد الروبيو نسخةً من الرسالة الأصلية [١].

ت- رسالة الحجري عندما كان في مدينة أمستردام (Amsterdam) [٢] إلى إربينوس عام١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م [٣] أثناء سفارتِهِ عن السُّلطان المغربي إلى فرنسا وعودتِهِ إلى بلادِهِ عن طريق هولندا، وتَتَّسِمُ هذه الرسالة بالضَّعف والرَّكاكة في الإملاء والهجاء والبناء اللغوي لِلنَّصِ مع الاقتراب من العامية أحيانًا؛ فأسلوبُ الحجري في الرسالة يختلف عن الأسلوب المَشرِقي المُثْقَل بالصَّنعة.

ث- رسالتان مُوَجَّهَتَان إلى المُستشرِق الهولندي ياكوباس خوليوس (Jucolus Golus) [٤] يعود تاريخهما إلى عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م، أَيْ بعد أكثر من عشر سنوات على رسالتَيْه السَّابقتَيْن لإربينوس، وتميَّزت لُغَةُ هاتَيْن الرسالتَيْن بِلُغَةٍ فُضْلَى من الرسالتَيْن السابقتَيْن؛ ورُبَّمَا يعود ذلك إلى طول مدة إقامتِهِ في بلاد المسلمين وممارسة اللغة العربية بشكل أفضل. كما امتازت بجمالِ الخَطِّ وحُسْنِ التنسيق وأناقةِ الكتابة؛ تُؤَرِّخُ

---

[١] الملحق رقم (١)، ص ص: ١٥١-١٥٢، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[٢] **أمستردام (Amsterdam):** عاصمة هولندا السياسية؛ التي تعني سد على أمستر، الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٢٠، ص٢٤٤.

[٣] انظر الملحق رقم (٦): رسالة الحجري الثانية إلى توماس أربينوس بتاريخ ١٦/ ١/ ١٦١٣م، ص ص: ٢٢٨-٢٢٩.

[٤] **ياكوب خوليوس Jucolus Golus (١٥٩٦-١٦٦٧م):** مُستشرق هولندي؛ تلميذٌ للمُستشرِق الهولندي أربينيوس، ودَرَسَ في جامعة ليدن علومًا عِدَّةً؛ منها: اللاهوت، والفلسفة، والطب والرياضيات، والدراسات العربية، وفي عام ١٦٢٤م عُيِّنَ أستاذًا لِلُّغَة العربية في جامعة ليدن بعد وفاة أستاذِهِ أربينيوس، إلى جانب تَوَلِّيهِ كرسي اللغة العربية أُضِيفَ إليه كرسيُّ الرياضيات وظَلَّ مُحتفِظًا بِكِلَا الكرسيَّيْن حتى وفاتِهِ عام ١٦٦٧م، ومن أهمِّ مُؤلَّفاته: "المعجم العربي اللاتيني"؛ للمزيد انظر: بدوي، موسوعة المُستشرقين، ص ص: ٢٠٤-٢٠٥.

الرسالة الأولى في ٢ فبراير ١٦٢٤م[١]، وهي مُرسَلَة من مدينة مراكش إلى مدينة آسفي؛ فقد كان ياكوباس موجودًا، مُرْفَقَة لترجمة الحجري "الكتاب المستعيني" من اللغة العربية إلى الإسبانية، ونسخة من كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي، أمَّا الرسالة الثانية فَتُؤَرَّخُ في ٢٩ فبراير ١٦٢٤م[٢]، وفيها يَرُدُّ الحجري على الرسالة التي بَعَثَها له ياكوب خوليوس؛ التي أخبرَهُ فيها أَنَّ "الكتاب المستعيني" قد وَصَلَهُ، وأعجبتْهُ الترجمة، في حين إِنَّ كتابَ "مروج الذهب ومعادن الجوهر" قد نُهِبَ في الطريق[٣].

٢- التَّرجمات:

أ- ترجمة كتاب "العِزُّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمَدَافِع" وكتابة خاتمتِهِ:

مُؤَلِّفُ هذا الكتاب هو إبراهيم بن أحمد بن غانم الرياش؛ بحَّارٌ موريسكيٌّ استقرَّ بتونُس بعد خروجِهِ من الأندلس، وكان له اطِّلَاع واهتمام بِفَنِّ المدفعية، التقى به الحجري واطَّلَعَ على كتابِهِ بالأعجمية وقام بترجمتِهِ إلى العربية بمساعدة المُؤَلِّف، ولَقَّبَ الحجريُّ نفسَهُ على صفحة العنوان بِلَقَبِ "تُرْجُمَان سلاطين مراكش"، والكتاب يقع في خمسين بابًا في وَصْفِ البارود والآلات الحربية القاذفة، وتركيب المدافع وأنواعها وَوَصْفِ أدواتها، وطرائق تعميرها، والرَّمْي، وغيرها[٤].

وتُوْجَدُ نُسَخٌ من ترجمة الكتاب في الجزائر بالمكتبة الوطنية برقم١٥١١[٥]، وفي المغرب وتونُس في دار الكتب التونسية (مكتبة العطَّارين)، ونسختان في دار الكتب المصرية بالقاهرة إحداها برقم ٩٧، والأخرى برقم ٨٦[٦]، وتُوجَدُ نُسَخٌ في النِّمْسَا وإيرلندة، وفي المغرب تُوجَدُ ثلاثُ

---

[١]انظر الملحق رقم (٧) رسالة الحجري إلى ياكوب خوليوس الأولى عام ٢ فبراير ١٦٢٤م، ص ص: ٢٣٠-٢٣١.

[٢]انظر الملحق رقم (٨): رسالة الحجري إلى ياكوب خوليوس الثانية عام فبراير ١٦٢٤م، ص ص: ٢٣٢-٢٣٣.

[٣]الملحق رقم (٢)، ص ص: ١٧١-١٧٢، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[٤]الرياش، العِزُّ والرفعة والمنافع، ص ص: ٥١-٥٩.

[٥]بوعصب، امبارك، علمُ الأسلحة خلال العصر السعدي من خلال مخطوط "العِزّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمَدَافِع"، **مجلة قضايا تاريخية**، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، الجزائر، ع٣، ٢٠١٦م، ص٥١.

[٦]عنان، محمد عبد الله، "من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي"، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، ع١٦، ١٩٧١م، ص١٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: عنان، من تراث الأدب الأندلسي).

نُسَخٍ: الأولى في الخِزانة العامة بالرباط رقم ٨٧ د؛ وهي أحسنُ النُّسَخِ وأَصَحُّها وأَكْمَلُها، مكتوبةٌ في١١٧ ورقة بِخَطٍّ أندلسي جميل واضح مُلَوَّن مُصَحَّح، ومُزَيَّنَة بصورة مُتْقَنَة للمدافع وكيفية تحريكها، والقتال بها، ومُذَيَّلَة بخاتمة من وَضْعِ المُعَرِّبِ أحمد أفوقاي تَحَدَّثَ فيها باختصار عن حياتِهِ بالأندلس والمغرب ورحلتِهِ إلى الشرق ووصولِهِ إلى تونُس في طريق رجوعِهِ إلى المغرب[١]، والثانية في الخِزَانة نفسها تحمل رقم ١٣٤٢د وهي ناقصة من آخرها، أَمَّا النسخة الثالثة فهي محفوظة بالمكتبة الحسنية الملكية بالرباط تحمل رقم ٢٦٤٦، وتحمل صفحة العنوان من نسخة الرباط التَّالي على التوالي: "**هذا الكتاب "العِزّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمَدَافع" تأليف الرئيس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي كَتَبَهُ بالأعجمية وتَرْجَمَهُ له بالعربية تُرْجُمان سلاطين مراكش أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه بن الشيخ الحجري الاندلسي**"[٢].

كَتَبَ أحمد بن قاسم الحجري خاتمة هذا الكتاب باللغة العربية بعد أَنْ أَتَمَّ ترجمتَهُ من اللغة الإسبانية، وتُعَدُّ خاتمةُ الكتاب مُهِمَّةً في الإشارة لسيرة المُترجِم أحمد بن قاسم الحجري. كما تضمَّنتِ الخاتمةُ الإنجازات العمرانية والسياسية لسلاطين بلاد المغرب وتونُس. انتهى من ترجمة هذا الكتاب يوم السبت١٠ربيع الثاني عام ١٠٤٨هـ/ ٢١ أغسطس ١٦٣٨م [٣].

أ- رجمة قرار طَرْد الموريسكيّين:

هي ترجمة للبراءة–أَيِ الرسالة–التي أرسلَها مَلِكُ إسبانيا فيليب الثالث عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م إلى سُلطان المغرب مولاي زيدان، وكَتَبَ الحجري نَصَّ الرسالة المُترجَمة باللغة العربية في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين"، وهذه الترجمة أُنْجِزَتْ عام ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م؛

---

[١]عبد الوهاب، ابن منصور، "أحمد بن قاسم الحجري آخِر موريسكي يُؤَلِّفُ بالعربية ويُدافِع جَهْرَةً عن الإسلام"، **المجلة الأكاديمية**، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ع١٢، ١٩٩٥م، ص٣٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: عبد الوهاب، أحمد بن قاسم الحجري آخِر موريسكي يُؤَلِّفُ بالعربية).

[٢]عنان، من تراث الأدب الأندلسي، ص١٥.

[٣]السعيدي، أحمد، **رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين وتحقيقها: نقد واستدراك من نسخة مُكتَشَفة حديثًا، مجلة معهد المخطوطات العربية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونُس، مج٨٥، ج١، ٢٠١٤م، ص١٨١، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: السعيدي، رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين)؛ عبد الوهاب، أحمد بن قاسم الحجري آخِر موريسكي يُؤَلِّفُ بالعربية، ص٣٣.

وهي تاريخ النسخة المعروفة من مخطوط "ناصر الدين على القوم الكافرين" بنسخة تونُس[١]، وسَيُشَارُ إليها لاحقًا في الفصل الثالث بالتفصيل.

ب-ترجمة للرسالة الزكوطية المُسَمَّاة باللاتينية (Almanach Perptum)[٢] في التنجيم والفلك للإسرائيلي إبراهيم السلمنكي[٣]:

قام الحجري بترجمة مُؤَلَّف في علمِ التعديل؛ هو رسالة زيج زكوط، وتُوجَدُ نسختان من المخطوط في الخِزانة الحسنية بالرباط تحت الرقم [٤]١٤٣٣، وأخرى تحت رقم ٨١٨٤[٥]؛ فيها: إنَّ زكزط أو أزكوط كما يُلَقِّبُهُ البعضُ؛ هو إسرائيلي يُسَمَّى إبراهيم، ويَنتَسِبُ إلى مدينة أندلسية هي مدينة سلمنكة (Salamanca)[٦]) (شلمنقة) في الأندلس[٧]، عاشَ في القرن التاسع الهجري زيج رسالتِهِ عام٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م، أمَّا الزيج فهو الجداول المُذَيَّلَة بها الرسالة؛ الموضوعة لتعديل الكواكب، وقد بلغ عددُها ٢٤٨جدولًا مُوَزَّعَةً على ٢٤٨ صفحة؛ فينقسم كُلُّ جدول طولًا وعَرْضًا إلى مربَّعات يُرسَمُ بداخلها الأعداد المَعْنِيَّة بالأمر، ووظيفة هذه الجداول أَنْ يُستخرَجَ بواسطتِها الحركات الطولية والعرضية للكواكب المرصودة حتى يُعْرَفَ موضع الكوكب المرصود في دائرة فلك البروج لأيِّ وقتِ فرض، كما يُعرَفُ منها زمن حصول الكسوف للشمس، والخسوف القمر [٨].

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٧٣، ص٢٠٩.

[٢]الحجري، المصدر نفسه، ص٤٢.

[٣]**الإسرائيلي إبراهيم السلمنكي:** أبراهام زاكوتو أو أبراهام زاكت؛ عالِم رياضيات وفَلَك ومُؤَرِّخ يهودي إسباني، وقد وُلِدَ في قرية سلمنكة في إسبانيا عام١٤٥٠م، وكان حاخامًا وأستاذًا للفلك في جامعة سلمنكة؛ عَقِبَ طَرْدِ اليهود من إسبانيا. لَجَأَ إبراهيم إلى البرتغال وعُيِّنَ مُؤَرِّخًا وفَلَكِيًّا مَلَكِيًّا للملك جواو الثاني، واستمرَّ في مَنْصِبِهِ في عهد مانويل الأول. واضطرَّ عام ١٤٩٧م إلى مغادرة البرتغال، واستقرَّ في الإمبراطورية العثمانية، وتُوفِّيَ نحوَ ١٥١٠م؛ للمزيد انظر: دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص١٩٦؛ ar.wikipedia.org/wiki/ أبراهام_زاكوتو، تاريخ الاسترجاع: ٣٠ أبريل ٢٠٢٣م.

(٤)ساعف، تقديم لكتاب ناصر الدين على القوم الكافرين، ص١٠٥.

[٥]عبد الوهاب، أحمد بن قاسم الحجري آخر موريسكي يُؤَلِّفُ بالعربية، ص٣٤.

[٦]**سلمنكة (Salamanca)** : مدينة في غرب إسبانيا؛ فَتَحَها موسى بن نُصَيْر عام٧١٢هـ، واستردَّها الإسبان عام ١٠٥٥هـ؛ انظر: الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، ص٣٠٥.

[٧]الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٩٨.

[٨]المنوني، ظاهرة تعريبية، ص٣٤٩.

أمَّا رسالة الزيج فهي مدخل إرشادي يوضِّح خطة العمل في الجداول، وهي التي قام الحجري بترجمتِها إلى العربية بأمرٍ من السُّلطان زيدان السعدي بمراكش ومساعدة راهب من الأسرى [١]، وفي آخِرها وَرَدَ اسْمُ المترجم "أحمد بن قاسم بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجر (تصحيف الحجري) الأندلسي، وكُتِبَتْ هذه الرسالة باللغة اللاتينية، ثم تُرجِمَت إلى اللغة الإسبانية؛ التي هي اللغة التي قام الحجري بالترجمة منها إلى العربية، وتشتمل الترجمة على ٢٤ بابًا [٢].

ج- بالإضافة إلى تلك المُؤَلَّفات؛ عَمِلَ الحجري أيضًا على ترجمة كتاب من العربية إلى العجمية لفقيهٍ أندلسيٍّ بِسَلا موضوعُهُ الرَّدُّ على اليهود، ووَضَعَ الحجري كُتُبًا دينيَّةً باللغة الإسبانية للثَّرِيِّ الموريسكي محمد روبيو من بيافيليتشي، وتَرْجَمَ نصوصًا دينية عن غزوات النبي والصحابة، خاصَّةً عن أركان الإسلام وأداء الصلاة وكتابات تدحَضُ العقيدة المسيحية؛ فقد كَتَبَها الحجري من أجل الموريسكيّين في تونُس الذين لم يكونوا يعرفون اللغة العربية، وذلك من أجل تعليمهم وتثقيفهم في أمور الدين[٣]، كما قام بترجمة كتاب في الطِّبِّ اسْمُهُ "الكتاب المستعيني"؛ وهذا الكتاب موجود إلى اليوم في مكتبة جامعة لايدن وعليه ملحوظات وتصحيحات كَتَبَها الحجري بِخَطِّ يَدِهِ باللُّغَتَيْن الإسبانية والعربية[٤]. كما يُوجَدُ في المكتبة الوطنية الفرنسية مخطوط باللغة العربية[٥]؛ قام الحجري بِنَسْخِهِ إلى إتيان هوبرت (Etienne Hubert)[٦]، وفيه تعليق عن اللغة

---

[١]عبد الوهاب، أحمد بن قاسم الحجري آخر موريسكي يُؤَلِّف بالعربية، ص٣٣.

[٢]المنوني، ظاهرة تعريبية، ص ص: ٣٤٩-٣٥٠.

[٣]دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص١٩٥

[٤] لمزيد من التفاصيل بشأن هذه النسخة بجامعة ليدن؛ انظر:

Witkam (Jan Just), "The Leiden manuscript of Kitab al-Musta,ini, in Charles Burnett (ed), Ibn Baklarish book of simples. Medical remedies between three faiths in twelfth-century Spain, London, The Arcadian Library, 2008, pp.75-94.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص٢٣.

[٥]موقع المكتبة الوطنية الفرنسية:

https://web.archive.org/web/20180919195002/https://gallica.bnf.fr/.

[٦]**إيتيان هوبرت (Etienne Hubert):** طبيب ومستشرق ودبلوماسي فرنسي؛ وُلِدَ في أورليون سنة ١٥٦٨م، وقد دَرَسَ الطِّبَّ، وأرسلَهُ الملك هنري الرابع في مَهَمَّة سنة ١٥٩٨م طبيبًا للسُّلطان أحمد المنصور الذهبي في مراكش لمدة سنة واحدة، واستثمرها لتعلُّم اللغة العربية واقتناء الكتب العربية. استمرَّ في مهنتِهِ طبيبًا عند عودتِهِ إلى باريس؛

العربية المُتحدَّثة في عصر المسيح، بالإضافة إلى قصيدة للحجري بالإسبانية؛ يُعَبِّرُ فيها شوقِهِ عن أحبابِهِ لاسِيَّما زوجته التي يَصِفُها بالحمامة البيضاء[1]، وذَكَرَ الحجري أنَّهُ قام بترجمة كتاب للسُّلطان مولاي زيدان اسْمُهُ "بدران لعظم" لمُؤَلِّفِهِ القبطان؛ فقام الحجرِي بترجمتِهِ من اللغة الفرنسية إلى العربية، وكان من أهمِّ الكتب التي تناولت جغرافية فرنسا؛ فقد ذَكَرَ فيه طول البلد وعَرْضها، وأهمَّ الأنهار ومنبَعَها والمُدُنَ، والأَبْحُرَ والجُزُر[2]. وهنا نتساءَلُ: كيف يمكن للحجري أَنْ يقوم بالترجمة من اللغة الفرنسية ومعرفتُهُ باللغة لا تُؤَهِّلُهُ للقيام بالترجمة؛ فهلِ استعانَ بوسيط ليساعدَهُ على الترجمة كما فَعَلَ في بعض ترجماتِهِ السابقة!

كما تَرْجَمَ للسُّلطان مولاي زيدان رسالة باللاتينية تتكلَّم عن الكرةِ الأرضية والفلكية، وعلم الفلك والنجوم والبروج، وكلِّ مدينة معروفة في الدنيا والأقطار والبلدان والأقاليم، والأَبْحُر والأنهار، واستعان الحجري في ترجمتِها براهبٍ كان أسيرًا في مراكش [3]. وقد أَلَّفَ الحجري وتَرْجَمَ كُتُبًا عِدَّةً في الفنون المختلفة ضاعَ الكثير منها وبعضُها سُرِقَ منه وهو على قيد الحياة؛ فقد أشار في كتابِهِ "ناصر الدين" إلى كُتُبٍ في التوحيد سُرِقَتْ منه بمراكش، ثم أشار إلى الكتب التي كُتِبَتْ بِيَدِهِ أيضًا وضاعت مع الحِمْلِ الذي سُرِقَ منه وهو في طريقه إلى الحج [4].

فأصبح سنة ١٦٠٠م الطبيب الخاص للملك، واخْتِيرَ أستاذًا بين سنة ١٦٠٠م وسنة ١٦١٣م في كلية دي فرانس؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، هامش رقم (٢)، ص٩٦؛ الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، هامش رقم (٢)، ص٨٤.

[1] من مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص ص: ٢٣-٢٤.

[2] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٢٨.

[3] المصدر نفسه، ص١٩٧.

[4] عبد الوهاب، أحمد بن قاسم الحجري آخِر موريسكي يُؤَلِّفُ بالعربية، ص٢٧.

رابعًا: هجرتُهُ إلى المغرب وعلاقته بالدولة السَّعْدِيَّة:

عانَى الموريسكيُّون بعد سقوط غرناطة نتيجةً للقرارات الملكية التَّعسُّفِيَّة التي ضَيَّقَتْ عليهم الخناق في شُؤونِ حيواتهم كافَّةً؛ فقد نَشَأَ الحجري في ظِلِّ تلك الأوضاع، فَقَرَّرَ الهجرة إلى بلاد المغرب مع منزلتِهِ عند الإسبان؛ إذْ كان يملكُ إذنًا خاصًّا بالترجمة عن العربية التي كانت ممنوعة على المسلمين بعد سقوط غرناطة، ومع ذلك قَرَّرَ الرحيل إلى بلاد المسلمين.

هَرَبَ الحجري إلى بلاد المغرب عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م قبل الطَّرْد النهائي لموريسكيِّي الأندلس عام١٦٠٩م، وعند وصوله إلى بلاد المغرب استقرَّ في مدينة مراكش (Marrakesh)[١]؛ فقد عَمِلَ مُترجِمًا وكاتِبًا في بلاط سلاطين الدولة السعدية منذ عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م حتى عام ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م[٢]، وأثناء مدة عملِهِ في بلاط الدولة السعدية تَوَلَّى سفارة لمدة سنتين عن سُلطان المغرب إلى فرنسا بصفتِهِ مُترجِمًا وأندلسيًّا؛ لِيَفْصِلَ في قضية الموريسكيِّين المنهوبين من قِبَل السفن الفرنسية أثناء هجرتهم إلى بلاد المغرب [٣]. وسَيُشَارُ لاحقًا في الفصل الثالث إلى طبيعة العلاقة بين الدولة السعدية والموريسكيِّين المهاجرين إليها؛ الذين منهم الحجري.

---

[١] **مراكش (Marrakesh):** مدينة مغربية؛ كانت عاصمة المغرب الأقصى، وتقع إلى الشمال من جبال أطلس الكبرى، وقد بُنِيَت في عهد المرابطين في القرن الخامس الهجري لتكون عاصمة للمغرب، وتقع المدينة في وسط الصحراء والسهول الخضراء، ويتألَّف سكانها من عناصر مختلفة عِدَّةٍ من عرب وبَرْبَر وأندلسيِّين ما ساعد المدينة في التقدم والإزهار؛ للمزيد انظر: العفيفي، عبد الحكيم، **موسوعة ألف مدينة إسلامية**، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠م، ص ص٤٥١-٤٥٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: العفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية).

[٢] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٥٩، ص٩٠.

[٣] الخطيب، أحمد بن قاسم الحجري، ص ص: ١٦-١٨؛ Abdel-Rahman, "Early Modern Travel Books (1500-1700) , P51.

المبحث الثاني: كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين":

أَوَّلًا: التعريف به

الكتابُ مُختَصَرٌ لرحلة من نوع الرحلات السفارية أو الدبلوماسية؛ قام بها أحمد بن قاسم سفارةً عن السُلطان المغربي مولاي زيدان إلى فرنسا، وكان الهدف منها هو استرجاع حقوق الأندلسيّين المنهوبين على يَدِ البحارة الفرنسيين في طُرُق هجرتِهِم من إسبانيا إلى بلاد المغرب، وتدخل الرحلة ضِمْنَ السيرة الذاتية؛ لأنَّ المُؤلّف والراوي والرَّحَّالة شخص واحد، سَجَّلَ فيها حوادث كثيرة جَرَت له في حياتِهِ قبل خروجِهِ من الأندلس وهروبِهِ إلى المغرب، ثم سفارتِهِ إلى فرنسا، وزيارتِهِ هولندا، ثم رجوعِهِ إلى بلاد المغرب ورحلتِهِ إلى الحج، ثم مرورِهِ بمصر، وتنتهي رحلتُهُ في تونُس[1]، ولكونِ الحجري موسوعيًّا عالِمًا، ومُحَاوِرًا دينيًّا؛ أَثَّرَ ذلك في أسلوبِهِ في كتابة الرحلة، ما جَعَلَها لا تَمِيلُ كثيرًا إلى الطَّابَع الرسمي في الرحلات السفارية؛ فالرحلةُ جَمَعَت بين الرحلات السفارية والسيرة الذاتية في نتاجٍ أدبيٍّ واحدٍ، كما إنَّ "رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين" لم تتم كتابتُها بناءً على أوامر سُلطانية من قِبَل السُلطان مولاي زيدان؛ إنَّمَا بطلب شخصي من الشيخ عبد الرحمن الأجهوري الذي طلب من الحجري تدوين مناظراته الدينية مع النصارى واليهود، ما جَعَلَ أغلب نصوص الرحلة ذات طابَع ديني وشخصي أكثر من كونها ذات طابَع رسمي[2].

اكْتُشْفَتْ نسخة كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" للمرة الأولى عام ١٩٦٤م في دار الكتب المصرية على يَدِ الباحثة كليليا سرنيلي سركوا [3](C.Sarnelli Cercua)، ثم عَمِلَت على نَشْرِ مقالاتٍ عِدَّةٍ عُرِفَتْ من خلالها بالمخطوط، وتَرجمَت أجزاءً منه إلى اللغة الإيطالية. ثم ترجمت الرحلة إلى الإنجليزية، وصَدَرَت عام ١٩٩٧م وقام بتحقيقِهِ قاسم السامرائي وفان كوننسفيلد وخيرارد فيخرس[4]، ويوضّحُ الجدول أدناه مقارنةً بين النُّسختَيْن التونُسية والمصرية لكتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين":

---

[1] السفياني، أحمد بن قاسم الحجري، ص٦٢٦.

[2] مسعود، أيوب، **تداخُل الأجناس في أدبِ الرحلة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٢٠م، ص٢٧٣؛ ص٢٨١.

[3] EL-sayed, **Discourses on Emotions: Communities, Styles, and Selves**, P95.

[4] السعيدي، رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين وتحقيقاتها، ص١٨٥.

وَجْهُ المقارنة	النسخة المصرية	النسخة التونُسية
تاريخ الكتابة	عام ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م	عام ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م
مكان الكتابة	مصر	تونُس
اسم النَّاسخ	شيخ الأزهر حسن محمد عطار؛ نَقَلَها مباشرة عن النسخة التي كَتَبَها الحجري للشيخ الأجهوري.	أحمد خوجة ابن الفقيه أحمد ابن قاسم الحجري
مكان حفظِ المخطوط	مكتبة جامع الأزهر الشريف بالقاهرة	دار الكتب بالقاهرة
رقم المخطوط في المكتبات	رقم ٣٠٧٠١٤	رقم ١٦٣٤ت
أبواب الكتاب	مقدِّمة وثلاثة عشر بابًا؛ مع وجود نقص في الفقرة الأخيرة من الباب السادس، والأبواب السابع، والثامن والتاسع بأكملِهَا، وأوراق من الباب العاشر.	مقدِّمة وثلاثة عشر بابًا؛ بالإضافة لملحق عَنْوَنَهُ المُؤلِّف "مواهب الثواب"

[١]

وهناك في باريس قطعة من مُختَصَر الرحلة تُوْجَدُ في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٧٠٢٤، وهذه النسخة خالية من اسْمِ الناسخ وتاريخ النَّسخ ومكانِهِ؛ غير أَنَّ هناك إشارة وردت في الصفحة ٥٩ عند الحديث عن العالِم المصري الشيخ علي الأجهوري، ما يَدُلُّ على أَنَّها كُتِبَتْ بعد وفاة العالِم المصري المذكور ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م أَيْ بعد نُسخَة القاهرة؛ وتتكون هذه النسخة من ٧٣ صفحة كُتِبَت بعد سنة ١٦٥٥م، وتَضُمُّ الأبواب من العاشر إلى الثالث عشر[٢].

---

[١]الجدول من عمل الباحثة يوضح الفرق بين النسختين التونسية والمصرية المعتمدتين في الدراسة.

[٢]طعام، شامخة، **التَّخيُّل التاريخي في الرواية المغاربية (الجزائر؛ المغرب؛ تونُس)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٣م، ص١٠١، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: طعام، التَّخيُّل التاريخي في الرواية المغاربية).

ثانيًا: مَنْهَجُهُ

قَسَّمَ الحجري كتابَهُ "ناصر الدين على القوم الكافرين" إلى مقدِّمة وثلاثة عشر بابًا مختلفة من وَجْهَي الطُّول والموضوعات، وخَتَمَهُ بِمُلْحَقٍ عَنْوَنَهُ بـ "مواهب الثواب"، واتَّبَعَ الحجري في تقسيمِهِ لفصول الكتاب مسارًا كرونولوجيًّا؛ يبدأُ بِهُرُوبِهِ من مدينة غرناطة إلى مراكش ورحلتِهِ السفارية إلى فرنسا فهولندا، ثم العودة إلى مراكش، فالخروجِ نحو سَلَا وركوب البحر بِنِيَّة الحج، ثم المرورِ في طريق العودة بمصر ثم الانتهاء بالاستقرار في تونُس.

والكتاب كُتِبَ بِلُغَةٍ عربيَّةٍ اتَّسَمَتْ بغياب القيود البلاغية التي تُوصَفُ بها كتابات تلك المرحلة؛ بسبب انقطاع التأثير الثقافي المشرقي على الواقع الثقافي الموريسكي، ما جَعَلَ أسلوبَهُ مُفَارِقًا للأسلوب المشرقي المُتَمَيِّز بالسَّجع والفنون البديعية والبلاغية، بالإضافة إلى أنَّ لُغَةَ الكتاب واضحة وسَلِسَة إلَّا أنَّها لا تَخْلُو من العديد من الكلمات والمفاهيم غير العربية، والأخطاء اللغوية والألفاظ العامِّيَّة؛ وذلك يعود إلى نشأة الكاتب في بيئة مسيحية إسبانية ما أَثَّرَ في لُغَتِهِ وكتاباتِهِ، وهو المعروف في المُؤَلَّفات الموريسكية إبَّانَ تلك الحِقْبَة، ومع غَلَبَة موضوع الجَدَل الديني على الكتاب؛ إلَّا أنَّهُ ضَمَّ العديد من المعلومات والإشارات المتعلقة بعمليَّةِ طَرْدِ الموريسكيِّين وأحوالهم خلال القرنَيْنِ السادس عشر والسابع عشر، وقَسَّمَ الكاتبُ الكتابَ في ثلاثة عشر بابًا على النَّحْوِ التَّالي:

أ- الباب الأول: في ذِكْرِ ما وَقَعَ لي بمدينة غرناطة مع القِسِّيس الكبير في شَأْنِ الرَّقِّ الذي وُجِدَ في الصومعة القديمة.

ب-الباب الثاني: في قدومنا إلى بلاد المسلمين، وما اتَّفَقَ لنا عند خروجنا من بين النصارى سالمين.

ت-الباب الثالث: في بلوغنا إلى مدينة مراكش، وما كان السَّبَبُ إلى أَنْ مَشِيتُ إلى بلاد الفرنج بعد أَنْ جلستُ ببلاد المسلمين اثْنَتَيْ عشرةَ سنةً.

ث-الباب الرابع: في ركوبنا البحر المحيط وبلوغنا إلى فرنجة إلى مدينة مرس البركة؛ وتُسَمَّى عندهم بهبرذغرسي.

ج- الباب الخامس: في قدومنا إلى مدينة بريش، وما اتَّفَقَ لنا مع بعض النصارى من المناظرات.

ح- الباب السادس: في قدومنا بِكُتُبِ السُّلطان إلى قاضي الأندلس وقاضي القضاة بمدينة برضيوش.

خ- الباب السابع: في رجوعنا إلى بريش وما اتَّفَقَ لنا من المناظرات مع علماء النصارى في شأن الدين.

د- الباب الثامن: في قدومنا إلى ألونة وما اتَّفَقَ لنا فيها.

ذ- الباب التاسع: في قدومنا إلى مدينة برضيوش وما وَقَعَ لنا فيها من المناظرات مع النصارى القِسِّيسين والرُّهبان والقُضَاة.

ر- الباب العاشر: في مناظرات اليهود بفرنجة وفلنضس.

ز- الباب الحادي عشر: في ذِكْرِ قدومنا إلى فلنضس وما اَتّفقَ لَنَا فِيهَا.

س- الباب الثاني عشر: فيما اتَّفَقَ لنا في مصر مع راهِب عالِم كان بالغًا في فنون العلم من علومهم.

ش- الباب الثالث عشر: في ذِكْرِ ما أَنْعَمَ الله تعالى به عليَّ من فضلِهِ في بلاد الأندلس وغيرها من البلاد[١].

ثالثًا: دوافع تأليفِه

ذَكَرَ الحجريُّ في مقدِّمة رحلتِهِ عن الدوافع التي دفعتْهُ لتأليف الرحلة، فبعد رجوعه من الحج ومروره بمصر عام١٠٤٧هـ/١٦٣٧م؛ التقى بالشيخ الأجهوري-الفقيه المالكي بمصر-الذي طلب منه أَنْ يضعَ كتابًا يَصِفُ فيه مناظراتِهِ مع اليهود والنصارى[٢]، وقد فَرَغَ منه في ٢١ ربيع الآخِر عام ١٠٧٤هـ/١٦٣٧م[٣]؛ يقول الحجري: "**وطلب مني غير واحد من علماء المسلمين أَنْ أعمل تأليفًا بذلك، ولم يتَّفِق العمل، إلى ان أمرني شيخُنا وبركتُنا بمصر المحروسة بالله، وهو العلامة الشهير عِلْمُهُ وثناؤه في الأقطار والبلدان: الشيخ علي بن محمد المَدْعُو زيد ابن العلامة الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي**"، **وافق الحجري على طلب الشيخ الأجهوري، حيث كتب الرحلة بعنوان "رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب"**[٤]؛ إِلَّا أَنَّ بعد ذلك طَلَبَ منه الأجهوري نسخة مختصرة

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ٦٣-٦٤.

[2] EL-sayed, **Discourses on Emotions: Communities, Styles, and Selves,** p103.

[٣]السعيدي، رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين، ص١٨٠.

[٤]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ٦٠-٦١.

من الكتاب يذكرُ مناظراتِهِ الدينية فيها، فَكَتَبَ الحجري النسخة المختصرة وعَنونَها بـ"ناصر الدين على القوم الكافرين"، وتتضمَّنُ هذه النسخة ثلاثةَ عَشَرَ بابًا[١].

كما إنَّ دوافع تأليف الكتاب لا تقتصِرُ على طَلَبِ الشيخ الأجهوري فقط؛ بل هناك أسباب شخصية أخرى دفعتِ الحجريَّ لتأليف الكتاب، منها:

١- تَضَمَّنَ الكتابُ عددًا كبيرًا من نصوص الجَدَل الديني؛ ما يجعلُ الكتابَ يندرجُ ضِمْنَ المُؤلَّفات الكلامية الغرضُ منها دَحْضُ العقائد النصرانية في خطاب مُوَجَّه للمسلمين بصفة عامة لتثبيتهم على عقيدتهم الإسلامية وعدم اتِّبَاع دين النصارى؛ لكون الحجري عَايَشَ واقعَ ارتداد الكثير من الموريسكيّين وخروجهم من دار الإسلام إلى العالم المسيحيّين.

٢- رغبة الحجري في إثبات صحة إسلامِهِ وإسلام الجماعة الموريسكية؛ الذي بَقِيَ إلى حدود النصف الأول من القرن السابع عشر مشكوكًا فيه؛ وذلك بعد هجرة الموريسكيّين إلى بلاد المغرب، وأصبح النَّاسُ ينظرون إليهم على أنَّهُم شَبِيهُون بالنصارى؛ لأنَّ لُغَتَهُم كانت مزيجًا من العربية والإسبانية، وكانوا يرتدون هِنْدَامًا يُشْبِهُ هِنْدَامَ النصارى، وكذلك من بشأن عاداتهم كاختلاط الرجال بالنساء أثناء الحفلات مثالًا؛ فقد ذَكَرَ الحجري: "**من نِعَمِ الله عليَّ أَنْ جَعَلَنِي مُسْلِمًا في بلاد الكفار منذ أعرف نفسي ببركة الوالدين**"[٢]، ففي خطابٍ يُوَجِّهُه الحجري إلى المجتمع المحلي؛ يقول: "**إنَّ إسلامنا نحن الموريسكيّين لا يَقِلُّ عن إسلامكم**"؛ الأمرُ الذي يعكِسُ وضعَ الجالية الموريسكية في تلك المرحلة التاريخية، التي حاولت أَنْ تَجِدَ لنفسِها مكانة في المجتمع المحلّي، سواءٌ على الصعيد السياسي، أم الاقتصادي، أم الاجتماعي[٣].

٣- لرحلة الحجري أهدافٌ ثقافيَّةٌ أيضًا؛ تمثَّلت في تحصين وتقوية الشخصية الثقافية الإسلامية، فنظرًا لتكوينِ الحجري ومعرفتِهِ بالديانات الأخرى حاولَ الانتصار للمسلمين والإسلام مُنْطَلِقًا من معاناتِهِ كَوْنُهُ موريسكيًّا مَطْرُودًا وجريحًا[٤]؛ لذا نُلاحِظُ أَنَّ رحلتَهُ تضمَّنت مشاعر الحزن والحسرة نظرًا لكون الموريسكيّين قد تعرَّضُوا لِأَشَدِّ صُنُوفِ العذاب

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ٦٠-٦٤.

[٢]المصدر نفسه، ص٥٩.

[٣]شاشيّة، حسام الدين، "الجدل الديني من خلال كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"، **مجلة مؤمنون بلا حدود**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، ٢٠١٥م، ص ص: ٢٢-٢٥(شاشيّة، الجدل الديني).

[٤]هلايلي، الموريسكيُون الأندلسيُون، ص٢٢.

على يَدِ محاكم التفتيش والسُّلُطات الإسبانية والرغبة في التَّصدِّي للطَّرف الآخَر والنِّضَال من أجل الإسلام، فصاغ الحجري أسلوبَ رحلتِهِ على شكل خطاب مُوَجَّه للمسلمين الموريسكيّين بشكل خاص وللعالم الإسلامي بشكل عام؛ يدعوهم فيه إلى التَّمَسُّك بالدين الإسلامي والمحافظة على اللغة العربية من أجل مواجهة العالم المسيحي.

٤- عندما كَتَبَ أحمد الحجري كتابَهُ أرادَهُ أَنْ يكون مجادلة للنصرانية والنصارى ودفاعًا عن الإسلام والمسلمين، وجهادًا بالقلم والكلام في سبيل الدفاع عن الإسلامِ ونُصْرَتِهِ؛ فقد ذَكَرَ الحجري في تذييل كتاب العِزّ والرفعة: "... **وقد قال لي قاضي الإسلام بمراكش العلامة الخير عيسى بن عبدالرحمن السكتي إنَّ الجهاد يكون بمحاربة الكفار وبالرَّدِّ عليهم فيما يقولون من الكذب في ديننا ودينهم، وفرحتُ بذلك إذْ جاهدْنَا معهم**"[(١)]، غير أَنَّ ذلك لم يَمْنَعْهُ من أَنْ يجعل الكتابَ شهادةً حيَّةً على عصرِهِ؛ فهو يُلْقِي فيه أضواءً جديدة على بعض ما عَرَفَ غربُ البحر الأبيض المتوسط من أحداث خلال القرن السابع عشر[(٢)].

رابعًا: أهمِّيَّتُهُ

يُعَدُّ كتابُ "ناصر الدين على القوم الكافرين" مصدرًا لِشَاهِد عيان فريد، وسِجلًّا لذاكرة شخصية موريسكية، وهو مصدرٌ أَوَّلِيٌّ للتاريخ الاجتماعي والثقافي لِمُسْلِمِي إسبانيا أواخر القرن السادس عشر وأوضاعهم في إسبانيا والشمال الإفريقي. كما يُقَدِّمُ الكتابُ معطياتٍ متعلقة بحركة الاتصالات بين العالم الإسلامي خاصَّةً الشمال الإفريقي؛ وأوروبا الغربية خلال القرن السابع عشر من الميلاد، ويُزَوِّدُنا هذا الكتاب بتفصيل كبير عن آراء عالِمٍ مُسلِمٍ في مجتمعات أوروبية متعددة- إسبانية، وفرنسا، وهولندا- تلك الآراء التي عكست لنا العادات الاجتماعية لتلك المجتمعات، وأفكارها وشعائرها الدينية؛ من خلال الاتصال المباشر بشخصيَّاتٍ بارزةٍ عِدَّةٍ من تلك المجتمعات الأوروبية[(٣)]. كما تضمَّنتِ الرحلةُ معطياتٍ نفيسةً حضارية ودينية وتاريخية وثقافية واجتماعية، فضلًا عن أهميتها في باب المناظرات الدينية وعلم الأديان المُقارَن، كما تُعَدُّ رحلةُ الحجري نَصًّا غَمِيسًا يُؤَرِّخُ مُتقلَّبات الموريسكيّين بعد سقوط الأندلس، ورُدُود أفعالهم تِجَاهَ ذلك، وليس الحجريُّ

[(١)]الرياش، العِزُّ والرفعة والمنافع، ص٢٦٢.

[(٢)]طعام، التَّخيُّل التاريخي في الرواية المغاربية، ص ص: ١٣٩-١٤٠.

[(٣)]من مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٣.

وغيرُهُ من مُثَقَّفِيهِم سوى الناطقين بآلام أجيال طُرِدَتْ من أرضها وأُخْرِجَتْ قَسْرًا مُجَرّدَةً من أُصُولِها وتربيتها التي نشأت فيها [١].

كما يُعَدُّ هذا الكتابُ مصدرًا تاريخيًّا أندلسيًّا كُتِبَ بعد صدور قرار النَّفي على الأندلسيّين، وهو من أهمِ الكتب التي أرَّخت لأوضاع الموريسكيّين وحياتهم في شِبْهِ الجزيرة الإيبيرية قبل الطَّرْدِ وبعدَهُ [٢]، وهو تُحْفَةٌ نادرة وحُجَّةٌ دامغة على تفوُّق الثقافة الموريسكية ولسان العربية عندَهم، كما يُعَدُّ أهمَّ كتاب قَرَأَ الآخَرَ الغربيَّ وكَشَفَ عن أخطائِهِ وانتهاكِهِ لِحُرُمَاتِ العربيّ من لُغَةٍ ودِينٍ وهُوِيَّةٍ. وعن أهمية هذا الكتاب ذَكَرَ الشاعر نوري الجراح [٣] في حديثٍ لإذاعة هولندا العالمي: "**أهمية هذا الكتاب أنَّهُ يُسَجِّلُ أقدمَ وصفٍ لمدينة لاهاي (Lahaye)** [٤] **كُتِبَ باللغة العربية. وقد طُرِدَ من بلادِهِ من الأندلس وهو يسعى إلى العودة إلى الأندلس وتحريرها، وقد زارَ المغرب وتونس والقاهرة بعد طردِهِ مع الموريسكيّين الذين تم تنصيرهم بالقوة، وقد طَلَبَ دَعْمًا من أحد علماء القاهرة لمناصرتِهِ في العودة إلى بلادِهِ لكنَّه عاد خاسرًا؛ فعاد إلى تونُس، ثم عاد إلى المغرب، وطلب من السُّلطان زيدان دَعْمًا لإعادة الأندلسيّين إلى بلادهم، كما أنشغل بمحاورة الفرنسيّين والهولنديّين من أجل عرضِ قضيَّتِهِ وعلى هامش رحلتِهِ أَجْرَى مناظرات عديدة، فحينَها يحصل الصِّراع بين الثقافات على المصير، آنذاك تنهض المناظرات، وهو خاضَ مناظرات مع أَتْبَاع الديانات الأخرى**"[٥].

تُعَدُّ رحلةُ الحجري من أهمِ الرحلات التي سَجَّلَتِ التواصل والتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب في مطلع القرن ١١هـ/ ١٧م؛ وهو القرن الذي أُطْلِقَ عليه بالعصر الذهبي للدراسات العربية في أوروبا، وتُعَدُّ كذلك من الرحلات السفارية أو الدبلوماسية سَعَى فيها الحجري إلى تسجيل

---

[١] السعيدي، رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين، ص١٨٢.

[٢] حجي، محمد، **جولات تاريخية**، ٣ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٢١.

[٣] **نوري الجراح:** شاعر من سوريا مُقِيم في بريطانيا وهو من مواليد دمشق 1956 م؛ للمزيد انظر: نوري الجراح، https://ar.wikipedia.org/wiki/، تاريخ الاسترجاع: ١٣ يوليو ٢٠٢٣م.

[٤] **لاهاي (La Haye):** تقع جنوب غرب الساحل الهولندي، على بعد خمسة كيلومترات عن الساحل بحر الشمال، وتمتَّعتِ المدينة بكثرة الحدائق والشوارع الهادئة والأبنية القديمة والبيوت الفخمة، وأصبحت مَقَرًّا للحاكم منذ عام ١٢٥٠م، وعندما حصلت هولندا على استقلالها في القرن السادس عشر للميلاد تحوَّلت مَقَرًّا للبرلمان الذي حَكَمَ المقاطعات كلَّها التي اتَّحدت في الجمهورية الهولندية الجديدة؛ للمزيد انظر: الموسوعة العربية العالمية، مج٢١، ص ص: ٥٢-٥٣.

[٥] طعام، التَّخيُّل التاريخي في الرواية المغاربية، ص١٠٣.

ملحوظاتِهِ الثقافية ومجادلاتِهِ الدينية التي جَرَتْ له أثناء رحلتِهِ. وهي تُشِيرُ كذلك إلى الدور الثقافي الذي قام به هذا السفير الرَّحَّالة في الحياة العلمية والثقافية في أوروبا في القرن١١هـ/ ١٧م؛ لذلك فإنَّ الرحلة تضمَّنت أهدافًا ثقافيَّةً تمثَّلَتْ في تحصين وتقوية الشخصية الثقافية الإسلامية، كما إنَّها كشفت أُنموذَجًا موريسكيًّا على مستوًى علميٍّ ثقافيٍّ عالٍ، وطبيعة حياتهم في ظِلِّ هذه الظروف التي مَرُّوا بها، وتكشف مستوى الانعكاس الدَّوْلِي لِقَضِيَّتِهِم، والمحاولات التي بَذَلُوها فرارًا بِدِينِهِم أو العودة إلى ديارهم، كما تضمَّنتِ الرِّحلةُ مواقفَ العلماء المسلمين، والدول الإسلامية؛ كالدولة العثمانية، والدولة السعدية، والدولة الأوربية كفرنسا وهولندا؛ من القضية الموريسكية التي عُدَّتْ من أهمِّ القضايا الدولية آنذاك[١]. وهذه الرحلة هي موضوع الدراسة التي سَيُشَارُ إلى العديد من تفاصيلها في ثنايا فصولها.

كما تعود أهمية الكتاب إلى تَضَمُّنِهِ وَصْفًا جغرافيًّا وعمرانيًّا لِمُدُنٍ عِدَّةٍ قام الحجري بزيارتها سواءً أكانت في أوروبا أم في العالم الإسلامي، كما ذَكَرَ الحجري أنهارًا عِدَّةً ووصفًا جغرافِيًّا بناءً على كُتُب المصادر التي قَرَأَهَا.

كما ظهرتِ اهتماماتُ الحجري بترجمة كُتُبِ الجغرافيا للسُّلطان المغربي مولاي زيدان، واطِّلاعِهِ على الفَنِّ الجديد الآخذ في الاتِّسَاع آنذاك الذي هو رسم الخرائط "المَبَّات" (Mapa)، وعليها تصوير المُدُن والأماكن؛ قال الحجري: **"وفي المَبَّات التي تُصَوِّرُ النَّصارى؛ والكُوَر الأرضية فيها: كُلُّ مدينة مُصَوَّرة ومكتوب اسْمُها بطولها وعرضها؛ وكذلك الويدان (الوديان) والأبحر كما تقدَّم"**[٢]، ومن أهمِّ المعالم الجغرافية والعمرانية التي ذَكَرَها في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين":

١- المدن الإسلامية: وَصَفَ الحجري في رحلتِهِ ثلاثَ مُدُنٍ إسلامية؛ هي:

أ- مدينة البريجة[٣]: وَصَفَ الحجري مدينة البريجة التي كانت تُسَمَّى حينَها "مازكان"، وكانت تحت النفوذ البرتغالي حينَما وَصَلَها الحجري عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م، وتُسَمَّى

---

[١]السفياني، أحمد بن قاسم الحجري، ص٦٢٦.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٥١.

[٣]**مدينة البريجة**: اسْمُ البريجة كان يُطلَق على الثغر الذي أنشأَهُ البرتغاليون في سنة ١٥٠٦م على شاطئ المغرب الغربي في مقربة من غربي أزمور؛ وهو الذي عُرِفَ فيما بعد بِاسْمِ مازجان (Mazagan)، وقد كان يومئذ في يَدِ البرتغاليّين الذي أنشؤُوا له أسوارًا كثيفةً من الحجر، ويُطلَقُ عليه اليوم اسْمَ "الجديدة"؛ وهو يُعَدُّ ثَغْرَ مدينة مراكش وولاية دكالة، ويَبْعُدُ عن شمالي مراكش نحو مئة وخمسين كيلومترًا؛ للمزيد انظر: كربخال، مارمول (ت:١٦٠٠م)، **إفريقيا**،٣ج، ترجمة: محمد حجي، وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٨٤م ، جج٢، ص٨٥؛

حاليًّا "الجديدة"، وقد وَصَفَ فيها الحجري سُورَها المنيع الذي بناهُ البرتغاليُّون أثناء سيطرتهم على المدينة، وَوَصَفَ الناصري في كتابِهِ "الاستقصا" السُّورَ؛ فقد أشار إلى أَنَّ البرتغاليّين شَرَعُوا في بنائِهِ بعد الانتهاء من بناء الحصن، فَبَنُوا حول الحصن سُورَيْنِ سِعَتُهُمَا خمسون شِبرًا، وارتفاعهما سِتُّون شِبرًا من الداخل، ومن الخارج نحو سبعين شِبْرًا، بالإضافة إلى خندقٍ يحيط بالسُّور مملوءٍ بالمياه[1]؛ ذَكَرَ الحجري: "**وتَعَجَّبَ من المنعِ الذي في بُنيان سُورِها؛ هو أساسُهُ على حَجَر صَلْد وسَعَتُهُ ثلاثة عشر ذرعًا ولا يبالي بِكُور المدافع من اتقانِهِ وغلطه**"، "**وتلك البريجة في رُكْنٍ من الأرض؛ والبحر داير بها من الجانبين... من الجانب الآخر البساتين مع البريجة**"[2].

ب- آزمور: تقع في القرب من البريجة التي هي المدينة التي هَرَبَ إليها الحجري أثناء فرارِهِ من البريجة؛ يقول: "**هي للمسلمين على ثلاثة فراسخ من البريجة**"[3].

ت-مراكش: دارُ سُلطان الدولة السعدية آنذاك، رَحَلَ إليها الحجري ومَكَثَ فيها؛ فقد عَمِلَ مُترجِمًا في بلاط الدولة السعدية منذ عهد أحمد المنصور، وَوَصَفَ الحجري المدينة من وُجُوهِ الطول والعرض وثمارها: "**هي مدينة كبيرة وفواكهها كثيرة وعِنَبُها ليس في الدنيا مثلُهُ، عَرْضُها إحدى وثلاثون درجة ونصف وطُولُها تِسْعُ دراج؛ لأنَّها قريبة من الجُزُر الخالدات المُسَمَّات الآن بقنارية ومنها ابتدأ الطول**"[4].

٢- المُدُن الأوروبية:

أ- باريس: زارَ الحجري مدينة باريس عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م أثناء قيامِهِ بِمَهَمَّتِهِ السفارية، وَوَصَفَ مبانيَ المدينة المرتفعة التي هي السِّمَةُ التي تميَّزت بها المباني الأوروبية في القرن السادس عشر، وكانت المدينةُ مركزًا للأسرةِ الحاكمة آنذاك "**هي دار سلطنة الفرنج وبينها وبين مدينة روان نحو ثلاثة أيام؛ وطولها خمسة آلاف وخمسمائة خطوة؛ وعرضها**

عنان، محمد عبدالله، قصة كاتب موركسي، **مجلة العربي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع١٣١، ١٩٦٩م، ص٥٤.

[1] الناصري، الاستقصا، ج٤، ص١٣٨.

[2] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٨٣.

[3] المصدر نفسه، ص٨٤.

[4] المصدر نفسه، ص٨٩.

أربعة آلاف وخمسمائة خطوة؛ وبيوتها عالية أكثرها من أربع طبقات وأكثر وأقل، وكلها عامرة بالناس؛ وديار الأكابر مبنية بالحجر إلَّا أنَّهُ بطول الزمن يسود لون الحجر"[١].

ب- برضيوش "بوردو": تَوَجَّهَ الحجري إلى مدينة بوردو بعد زيارته لباريس، وتقع المدينة على ضفاف نهر جارون، وكانت المدينةُ مركزًا للمثقَّفين والكُتَّاب والقُضَاة "**أعظم مُدُن فرنجه، على حاشية نهرٍ عظيم، وفيها ثمانون قاضيًا ومائتان وكيلًا، والمُفتُون والكُتَّاب، بلا حساب، وفيها ديوان يَحْكُمُ على كثيرٍ من البلدان"**[٢].

ت- مدينة طولز "تولوز": "**وهي من المُدُنِ بفرنجة على شاطئ النهر العظيم الذي يَمُرُّ منها إلى برضيوش[بوردو]، وبين المدينَتَيْن نحو الثلاثة أيام"**[٣].

ث-أمستردام: من المُدُن التي زارَها الحجري في هولندا بعد انتهاء زيارته من فرنسا؛ وَصَفَ فيها الحجري المباني الكبيرة المُشَيَّدة والطُّرُقَ المرصوفة، والموانئ وكثرة السفن فيها: "**رأيتُ العجبَ في حُسْنِ بُنيانها ونقائها وكثرة مخلوقاتها؛ كاد أم تكون في العمارةِ مثل مدينة بريش بفرنجة، ولم تكن في الدنيا مدينة بكثرةِ السفن مثلها. قِيلَ: إنَّ في جميع سفنها صغارًا وكبارًا؛ ستة آلاف سفينة. وأمَّا الديار: كل واحدة مرسومة ومُزَوَّقَة من أعلاها على أسفلها بالألوان العجيبة؛ ولن تُشْبِهَ واحدة أخرى في صُنعِ رقمها؛ والازقة كلها بالأحجار المُثَبَّتَة"**[٤].

ج- لاهاي: ومن المُدُنِ التي ذَكَرَها الحجري في كتابِهِ وزارَها في هولندا مدينة لاهاي، وَوَصَفَ فيها المناخ وموقعها من حيث الخطوط الجغرافية: "**فعَرْضُها اثنان وخمسون درجة وذلك في الإقليم السادس من الدنيا. وأصابنا الحالُ ونحن فيها في أطول أيام العام عند حلول الشمس بالسَّرطان، وليس طلوع الشمس وغروبها كهذه البلاد..... فاليوم هنالك من أوَّلِ الفجر من نحو تسعة عشرةِ ساعة بتقريب؛ ولا ظلمة في اليل إلَّا قليلة؛ وغروب الشمس منحريف، وتبقى الحُمْرَةُ في السماء إلى قريب من نصف اليل؛ ثم بعد ذلك بساعة ونصف بتقريب نُصَلِّي الصبح"**[٥].

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٩٥.

[٢]المصدر نفسه، ص١٢٧.

[٣]المصدر نفسه، ص١٣٤.

[٤]المصدر نفسه، ص١٦٣.

[٥]المصدر نفسه، ص ص: ١٧١-١٧٢.

٣- الأنهار:

أ- نهر النيل: "**يخرج من جبل القمر، ومَوْضِعُهُ ثمان عشرة درجة من خَطِّ الاستواء إلى جهة الجنوب ببلاد السودان**"[١].

ب- نهر الفرات: "**إبتداؤُهُ بقرب بلاد الجرجان ثم يجتمع مع وادِ الدجلة الذي يجوز على بغداد**"[٢].

ذَكَرَ الحجري أَنَّ القدماء قَسَّمُوا العالم إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول: أوروبا "الربع الجوفي" الذي يمتدُّ من البحر الأسود إلى بلاد الأندلس، ومن أشهر بلدانِهِ القسطنطينية، وذَكَرَ الحجري سُلطانَ الأمانية ورُبَّمَا يُقْصَدُ بها بلاد بلغاريا؛ لأنَّهُ ذَكَرَ بعد ذلك الصقالبة "**وظَهَرَ لي أنَّهم الصقالبة المذكورون في التواريخ بالعربية**"[٣]، ومن المعروف أَنَّ الصقالبة استقرُّوا أيضًا في بلغاريا المجاورة للدولة العثمانية، وبلاد مشقوبية الجوفية [٤]، وبلاد روما بإيطاليا، فرنسا "بلاد الفرنج"، هولندا "فلنضس"، إنجلترا "بلاد الإنجليز"، إسبانيا" بلاد الأندلس".
- القسم الثاني: بلاد إفريقيا "الربع الإفريقي" أو" بلاد المغرب"؛ يَمْتَدُّ من قناة السويس ومصر، الإسكندرية، طرابلس، تونس، الجزائر، تلمسان، فاس، مراكش، السودان، بلاد الحبشة.
- القسم الثالث: "الربع المغربي" آسيا "أشيه"؛ تَضُمُّ بلاد الشام، ومكة والمدينة والحجاز، واليمن، وبلاد الترك، بغداد، بلاد هرمز "هرموس"، سُلطان حضرموت، سلطنة قشن، وسلطنة ضفر، بلاد الإمام نعمان، بلاد الهند، وخرسان، بلاد فارس، بلاد ما وراء النهر، سمرقند، بخارى "بخارة"، وأسبك، وبلاد التتر "الططر"[٥].
- القسم الرابع: جُزُر الهنود المشرقية؛ التي تَضُمُّ في الوقت الحالي كُلًّا من الهند، بورما، لاوس، تايلاند، كمبوديا، فيتنام، جُزُر الفلبين، والجُزُر التي حول أرخبيل الملايو، وذَكَرَ الحجري أَنَّ المسلمين يَجلِبُون من هذه الجُزُر القرفة، والقرنفل، والجوز، والبهارات "الأباريز"، كما ذَكَرَ أَنَّها كانت تَدِينُ بالدين الإسلامي ويحكمُها سُلطانٌ مُسلِمٌ: "**وفي كل جزيرة سُلطان**

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١٢٨.

[٢]المصدر نفسه، ص١٣٤

[٣]المصدر نفسه، ص١٤٩.

[٤]**مشقوبية:** رُبَّمَا يَقصِدُ الحجري مسقوبيه، وهو يريد الموسقوف أو الروس؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، هامش رقم (١١)، ص١٦٧.

[٥]المصدر نفسه، ص١٥١.

مُسلِم، وفي بعض الجُزُر سُلطانَان"[١]، كما ذَكَرَ الحجري أنَّهُ قَرأَ عن هذه الجُزُر من كُتُبِ النصارى لاسِيَّما كتاب لنصراني من البرتغال هو بدر طشاير [٢].

خامسًا: تحقيقات الكتاب

أ- كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ مُختَصَرُ رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، لأحمد بن قاسم الحجري الأندلسي (أفوقاي)؛ تحقيق: محمد رزُّوق، منشورات كلية الآداب بالدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، وهي المرة الأولى التي يَعرِفُ فيها المخطوطُ طريقَهُ إلى المطبعة، وقد يَسَّرَ النَّصُّ المُحَقَّقُ أمام الباحثين نَشْرَ البحوث والدراسات سواءً أكانت عن هذه الشخصية أم بدراسة تاريخ الموريسكيِّين، واعتمد في هذه النسخة المُحَقَّقة على المخطوطة التونُسية، ص١٦٧.

ب-كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"، أحمد بن قاسم الحجري (ت: بعد ١٦٤٠م)؛ تحقيق وتقديم وترجمة: شرد فان كوننكزفلد؛ قاسم السامرائي؛ خيرارد فيخرز ؛ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٢٩٩، صَدَرَت هذه النسخة المُحَقَّقَةُ باللُّغَتَيْنِ العربية والإنجليزية في إسبانيا بعناية بعض أساتذة الدراسات الإسلامية والعربية في هولندا؛ مع مقدِّمة نقدية في سيرة المُؤلِّف ونَصِّ الكتاب، واعتمد الباحثون في هذه النسخة المُحَقَّقة على المخطوطة التونُسية.

ج- "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ تأليف: شهاب الدين أحمد بن قاسم الحجري المُتَوَفَّى بعد سنة ١٠٤٨هـ، وَضَعَ حواشِيهِ: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م، ص١٦٨، اعتمدت هذه النسخة على المخطوطة التونُسية للرحلة.

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١٥٢.

[٢] **بدر طشاير**: هو بيدرو تيخيريا؛ رحَّالة برتغالي من أصل يهودي، تُوفِّيَ في انتفيرب بعد عام١٦١٠م؛ للمزيد انظر:

Relaciones del origen descendencia y succession de los Reyes de Persia, y de Harmuz, y de un viaje hecho por el mismo autor dende la india Oriental hasta Italia por tierra, Antwerp 1610,

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١٥٢.

د- رحلة أفوقاي الأندلسي (مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب)١٦١١-١٦١٣م، أحمد بن قاسم الحجري "أفوقاي"؛ حَقَّقَها وقَدَّمَ لها: محمد رزُّوق، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ١٨٨ص، الطبعة الثانية من إصدار عام ١٩٨٧م [١].

هـ-تحقيق: حسام الدين شاشيه عام ٢٠١٥م، اعتمد في نسخة التحقيق على مخطوطة مكتبة الأزهر التي هي النسخة الأولى للكتاب، وتَضُمُّ هذه نسخة فروقات عن النُّسَخ السابقة، وقدم المحقق دراسة في سيرة المُؤلِّف وفي وَصْفِ النسخة ومنهج التحقيق، وحازت هذه النسخة المُحَقَّقَة على جائزة ابن بطوطة لتحقيق المخطوطات ٢٠١٤-٢٠١٥م [٢]، وهذه النسخة المصرية المُعتمَدة في الدراسة الحاليَّة.

و- كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين وهو السيف الأشهر على كل مَنْ كَفَرَ"، تصنيف أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، تحقيق وتقديم: شورد فان كوننكزفيلا؛ قاسم السامرائي؛ وخيرارد فيخرز؛ الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٩م، ص٢٤٣، وهذه النسخة الثانية من إصدار عام ١٩٩٧م، وهذه النسخة التونُسية المُعتمَدة في الدراسة الحاليَّة.

سادسًا: خَطُّ سَيْرِ رحلتِهِ

أ- إسبانيا-المغرب: غرناطة-إشبيلية-شنت مريا-البريجة-أزمور-مراكش.

هاجرَ الحجري من إسبانيا إلى بلاد المغرب عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م؛ فقدِ انطلقت رحلتُهُ من إشبيلية ليتجنَّبَ الأوامر التي كانت تَصْدُرُ في حَقِّ الموريسكيِّين بعدم الهجرة، ثم سافر عبرَ مرسى شنتمرية (سانتا ماريا) Santa Maria على مَتْنِ سفينة مُحَمَّلَة بالقمح مُتَّجِهَة إلى ميناء مدينة البريجية[٣]؛ وهي مُستعمَرة برتغالية كانت تُسَمَّى أيضًا (مازكان)، وَمَكَثَ مدة ينتظر فرصة الهروب إلى أنْ تَسَنَّى له ذلك؛ فَتَوَجَّهَ إلى داخل المغرب الأقصى،

---

[١] السعيدي، رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين، ص ص: ١٨٥-١٨٦.

[٢] السفياني، أحمد بن قاسم الحجري، ص ص: ٦٢٧-٦٢٨.

[٣] **البريجة**: مدينة مغربية تقع بين آزمور وتيط؛ سَيطرَ عليها البرتغاليون عام ٩٠٧هـ، وتُسَمَّى حاليًّا الجديدة؛ انظر: الناصري، الاستقصا، ج٤، ص١١٠؛ ص١٣٦؛ Nutting, Morisco Survival: Gender Conversion, and Migration, p199.

ودخل مدينة آزمور (Azemmour)[١]، وقد رَوَى الحجري وصولَهُ إلى مدينة آزمور والمعاملة الحسنة التي تلقَّاها من أهلها بعد معرفتِهِم بإسلامِهِ؛ فقد رَوَى الحجري ذلك قائلًا: "**عندما وَصَلْنَا إلى بوكالة في سوق قريب من أزمور جاء المسلمون يسألون خادم قائد المدينة والذي كان يرافقني هل أنا مُسْلِم؟ فأجابهم نعم، رغم هَيْأَتِي الإسبانية. فأحاطوا بي وأخذوا يُلِحُّون عليَّ بِأَنْ أنطق بالشهادتين وفي النهاية فعلت، فقالوا: والله إنَّهُ يَنطِقُها بطلاقة أحسنَ مِنَّا. ثم أَتَوْا بالتَّمر وبعض المنتوجات التي تُبَاعُ في السوق مع بعض النقود الفضية. فقلتُ لهم: أنا لا أحتاج من هذا شيئًا. ولَمَّا استقبلَنِي قائد أزمور سألني عن رأيي في استقبال المغاربة لي فأجبتُهُ: أَحْمَدُ اللهَ أَنَّنِي لم أَجِدْ عَدُوًّا بين هؤلاء الناس. ففي بلاد النَّصارى لا نَجِدُ في الأسواق إِلَّا الأعداء، ولا نَجْرُؤُ على القيام بشعائرنا أو نبوح بعقيدتنا، بينما المسلمون هنا هُمُ الذين دفعوني للقيام بها، ولَمَّا سَمِعُوني فَرِحُوا بذلك**"[٢]، بعدها رافق الحجري قائد أزمور محمد بن إبراهيم السفياني[٣] الذي كتب له السُّلطان أحمد المنصور الحضور لعيد الأضحى؛ فقد كان السُّلطان يُعسكِرُ بالقرب من مدينة أزمور ويتابع استعراضًا عسكريًّا للجيش، وَصَلَ أفوقاي برفقة قائد أزمور إلى محلَّة سُلطان المغرب في سنة يُؤرِّخها الحجري أنَّها سنةُ وباءٍ، وقد كان هذا الوباءُ عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م، وبعد مدة وجيزة اسْتُقْبِلَ الحجري من طَرَفِ السُّلطان الذي أَثْنَى عليه لمعرفتِهِ التامة لِلُّغَة العربية لِيُعَيِّنَهُ بعد ذلك تُرجُمَانًا بالبلاط الملكي[٤]؛ استوطنَ بعدَها الحجري في مدينة مراكش وتزوَّجَ من ابنة البرطال؛ رئيس الطائفة الأندلسية هناك، وأنجبَ منها ولدَيْن وبنتَيْن، وامتدَّت إقامتُهُ بمراكش من أواخر عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م حتى عام ١٠٤٦هـ/

---

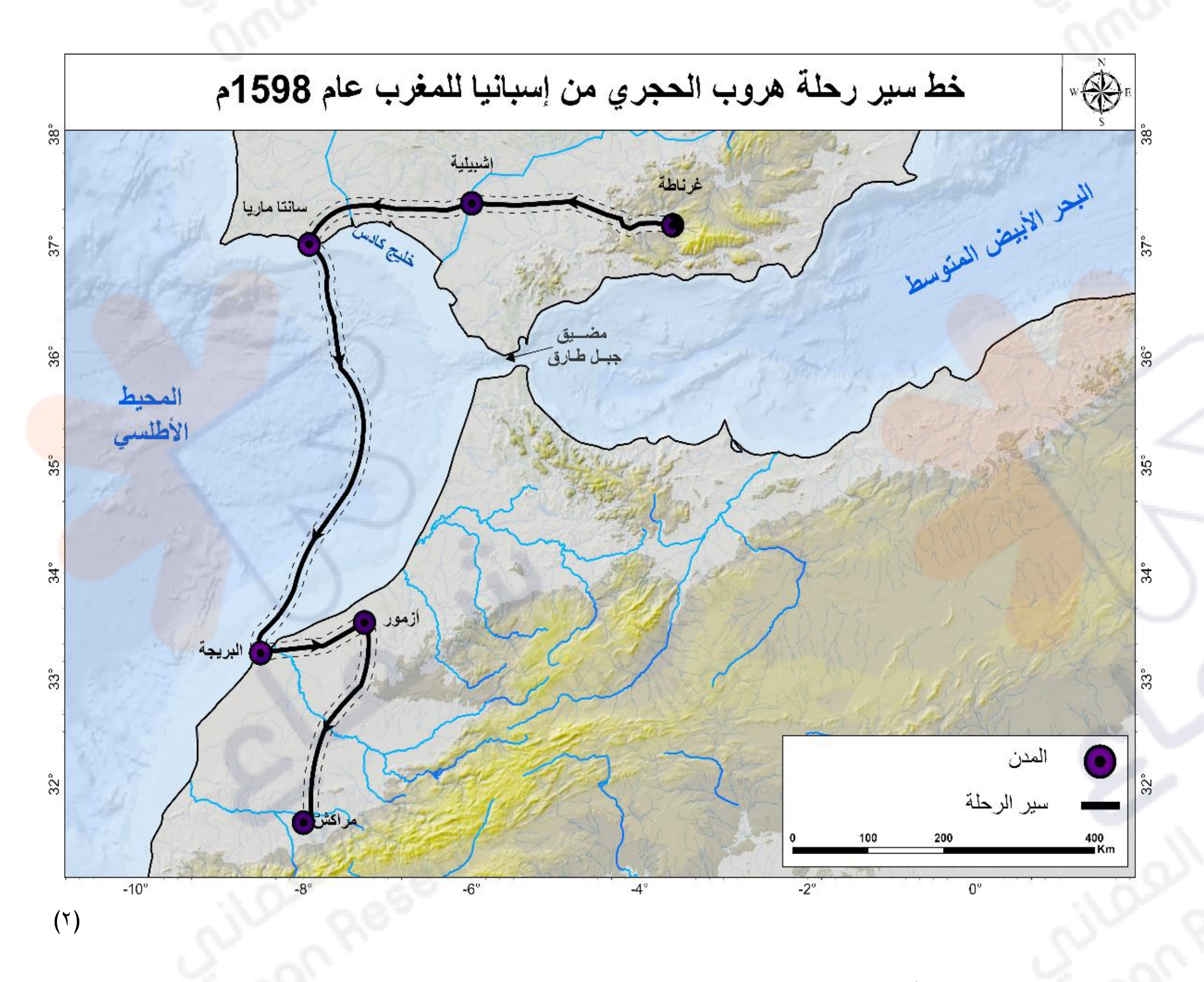
[١]**مدينة آزمور (Azemmour):** مدينة مغربية تقع جنوب شرق الدار البيضاء عند مَصَبِّ نهر موربيا، وميناء معروف مُطِلٌّ على المحيط الأطلسي، وشَهِدَتْ خلال العصور الإسلامي ازدهارًا كبيرًا؛ للمزيد انظر: العفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص ص: ٤٤-٤٥، محمد، موقف الدولة العثمانية، ص١٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٨٨.

[٣]**محمد بن إبراهيم السفياني:** هو ابن القائد المشهور والوزير إبراهيم السفياني، وزير السُّلطان أحمد المنصور، عمل واليًا على مدينة آزمور في عهد السُّلطان أحمد المنصور الذهبي؛ انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، هامش رقم (٥)، ص٨٨.

[٤]قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير، ص ص: ٣٥-٣٦.

١٦٣٦م، وخلال هذه المدة عَمِلَ تُرجُمَانًا لدى السُّلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي، وكان كاتبُهُ باللسان الأعجمي الإسباني، ثم قام بالترجمة لولدَيْه عبد الملك ثم أخيه الوليد بن زيدان(١).



(٢)

ب-المغرب-أوربا: مراكش-آسفي-هبرذاغرسي (مرسي البركة) لوهافر (Lo Hover)، روان، باريس، بوردو، باريس، سان جوي دلوث، شانديشي (Saint-Denis)، ألونة، بوردو، تولوز، بوردو، باريس، روان، لوهافر:

قام الحجري بسفارة إلى فرنسا عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م؛ كُلِّفَ بها من قِبَل مولاي زيدان من أجل النظر في قضية الموريسكيّين المَنْهُوبِين من قِبَل ربابنة السفن الفرنسية؛ فقد وقعت لهم سرقة بأربعة مراكب فرنسية نَقَلَتْهُم من إسبانيا، فَزَوَّدَهُ السُّلطان برسالتَيْن؛ رسالة

(١)الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٩٠؛ السفياني، أحمد بن قاسم الحجري، ص٦١٧.
(٢)الخريطة من عمل الباحثة توضح خط سير رحلة هروب الحجري من إسبانيا للمغرب عام١٥٩٨م.

إلى رئيس الجالية الأندلسية أو قاضي الأندلسيِّين[١]، ورسالة أخرى إلى رئيس القضاة بمدينة بوردو الفرنسية، فانطلقت رحلةُ الحجري من مراكش ثم رَكِبَ على مَتْنِ سفينة انطلقت من ميناء مدينة أسفي[٢] مُتَّجِهَةً إلى ميناء مدينة لوهافر الفرنسية، ومنها تَوَجَّهَ الحجري إلى باريس، وبعد ذلك تَجَوَّلَ في مناطقَ عِدَّةٍ في فرنسا؛ منها: لوهافر (Lo Hover)[٣]، وروان (Rouen)[٤] ، وألونة (Olonne)[٥]، وبوردو (Bordeaux)[٦]، وسان جوي دلوث (Saint-Jean-de Luz)[٧]، وتولوز (Toulouse)[٨]؛ ليعودَ بعدَها إلى مدينة باريس في ١٣ مايو عام ١٦١٢م، فقد وافقَ ذلك اليومُ المولدَ النبوي الشريف[٩]، وبعد قضاءِ مَهَمَّتِهِ

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٩٥.

[٢]**مدينة آسفي:** مدينة مغربية مُطِلَّة على المحيط الأطلسي، وهي مَرْفَأٌ مُهِمٌّ لتصدير الأسمال والفوسفات؛ انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٥٧؛ محمد، موقف الدولة العثمانية، ص١٢٢.

[٣]**الوهافر (Lo Hover):** مدينة فرنسية تقع في شمالي فرنسا عند مَصَبٍّ نهر السِّين أُسِّسَت عام ١٥١٧م؛ للمزيد انظر: مجموعة مُؤَلِّفين، الموسوعة العربية العالمية، ٣٠مج، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، الرياض، مج٢١، ص١٦٣(سَيُشَارُ إليه لاحقًا: مجموعة باحثين، الموسوعة العربية العالمية).

[٤]**روان (Rouen):** مدينة فرنسية تقع على نهر السِّين؛ كانت تُسَمَّى "روتوماغوس" في العهد الروماني، واشْتُهِرَت بصناعة الشراشف والتجارة؛ للمزيد انظر: الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١٣، ص٤١٠.

[٥]**ألونة (Olonne):** مدينة فرنسية تقع غرب فرنسا على المحيط الأطلسي بين لاروشيل وسان نازير؛ للمزيد انظر:

Les Sables-d'Olonne ،https://en.wikipedia.org/wiki/Les_Sables-d%27Olonne ، تاريخ الاسترجاع: ٢٢/١٠/٢٠٢٣م.

[٦]**بوردو (Bordeaux):** تقع في جنوب غربي فرنسا على ضفاف نهر جارون، ولها ميناء على النهر نفسه يربطُها بخليج بسكاي، ومن أهمِ معالِمها جامعة بوردو التي أُسِّسَت عام ١٤٤١م؛ للمزيد انظر: مجموعة باحثين، الموسوعة العربية العالمية، مج٥، ص٢٤٦.

[٧]**سان جوي دلوث (Saint-Jean-de-Luz):** مدينة فرنسية؛ تقع في إقليم البرانيس الأطلسية في منطقة نوفال-آكيتن (Nouvelle-Aquitaine) ، وتم ذكرُها مَرَّاتٍ عِدَّةً في الوثائق الرسمية الإسبانية والموريسكية مركزًا لتجمُّع مُهِمٍّ للمُهَجَّرين؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، هامش رقم (١)، ص ٩١؛ https://ar.wikipedia.org/، تاريخ الاسترجاع: ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٣م.

[٨]**تولوز (Toulouse):** مدينة فرنسية تقع على نهر جارونيه؛ تتميَّز بوجود عدد من المباني التي تعود إلى العصور الوسطى ذات الطراز المعماري الرومانيسكي والطراز المعماري القوطي، وقد أُنْشِئَتْ فيها جامعة تولوز عام ١٢٢٩م، وتُعَدُّ المدينةُ مركزًا ثقافيًّا وفنِّيًّا للدول الأوربية؛ للمزيد انظر: مجموعة باحثين، الموسوعة العربية العالمية، مج٧، ص ص: ٣٢٧-٣٢٨.

[٩]قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير، ص ٣٧.

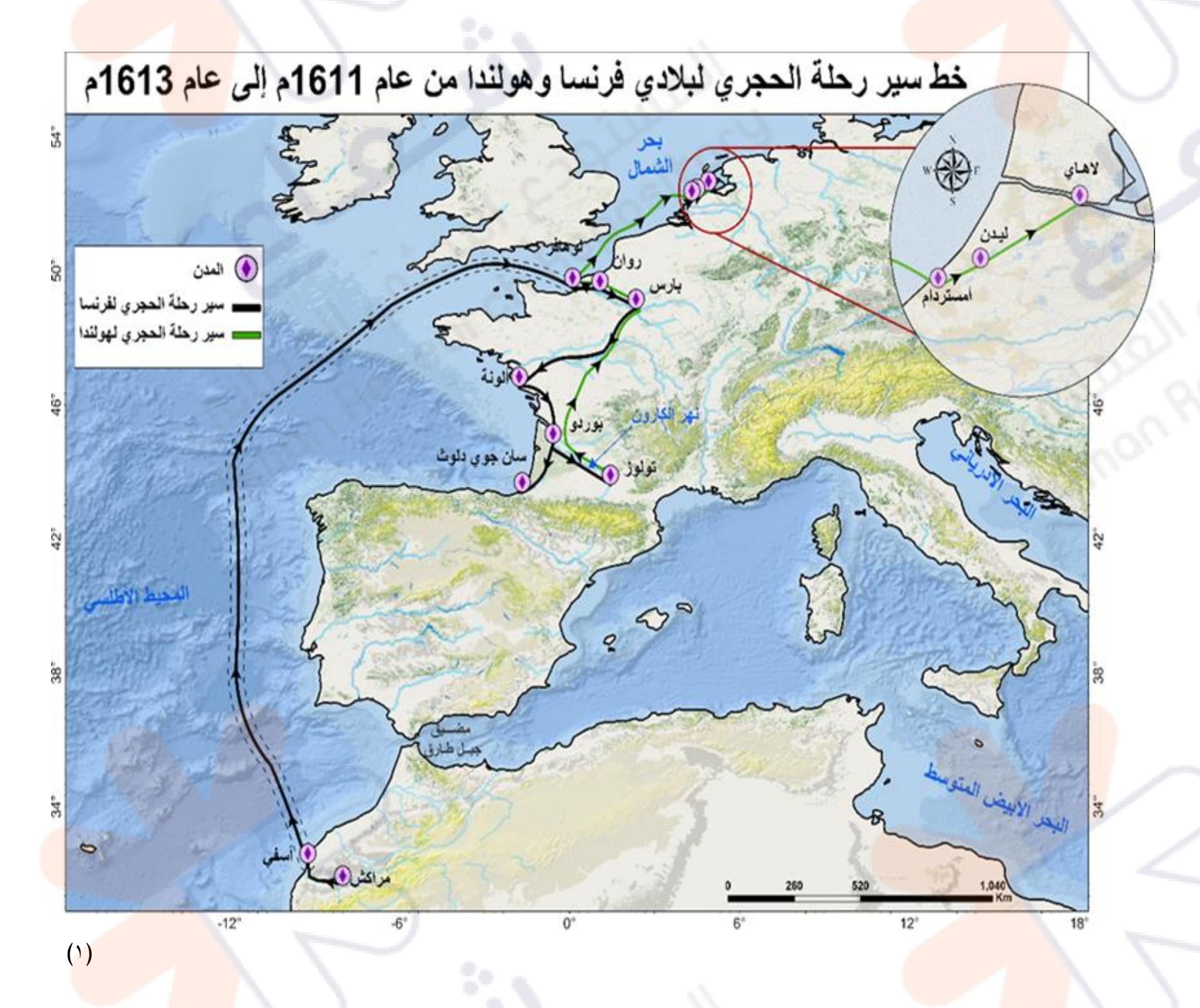
في فرنسا أَبْحَرَ إلى هولندا ودخلَ أمستردام (Amsterdam)، وليدن (Leiden)[1]، ثم تَوَجَّهَ إلى لاهاي، واتَّصَلَ بأميرها موريس دي ناسو (Maurice de Nassau)[2]؛ فطلبَ منه هذا الأمير أَنْ يُفَصِّلَ له الكلام على طَرْدِ الإسبان للمسلمين من الأندلس، فأجابَهُ لطلبِهِ، وفي كُلٍّ من فرنسا وهولندا جَرَتْ له مناظرات دينية عِدَّةٌ مع القساوسة والرُّهبان، وأحبار اليهود، وكان الحجري يَرُدُّ في مناظراتِهِ باستخدام العديد من الحُجَج الدامغة من كُتُبِهُمُ السماوية؛ التوراة والإنجيل، وقد دَرَسَ ترجمتَيْهِما في أوروبا لهذه الغاية، واستعملها في مناظراتِهِ، وانتهت هذه السفارة عام ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م[3].

---

[1]**ليدن (Leiden)**: تقع على بُعد ٣٥ كم جنوب غربي أمستردام بهولندا على نهر الراين، وقد أَنْشَأَ وليم أوف أورانج الجامعة الهولندية الأولى في لايدن عام ١٥٧٥م؛ للمزيد انظر: مجموعة باحثين، الموسوعة العربية العالمية، مج٢١، ص٦٠.

[2]**موريس دي ناسو (Maurice de Nassau)**: أمير هولندا؛ وُلِدَ في ١٤ نوفمبر ١٥٦٧م، وتولَّى الحكم بعد اغتيال والدِهِ عام ١٥٨٤م، وقد سارَ على نَهْجِ والدِهِ في محاربته للإسبان بالتحالف مع فرنسا وإنجلترا؛ فتمكَّنَ من الانتصار في العديد من المعارك وانتزاع عدد من المدن الهولندية المُهِمَّة، وتُوفِّيَ في ٢٣ أبريل ١٦٢٥؛ للمزيد انظر: شاشيّة، السفارديم والموركسيُّون، ص٢٣٢.

[3]رزُّوق، محمد، **الأندلسيُّون وهجراتُهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧**، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ص٢٦٩؛ **52** Abdel-Rahman, "Early Modern Travel Books (1500-1700 , p52.



(١)

ج- المغرب-الحجاز: مراكش، سَلَا، مكة، المدينة ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م.

عاد الحجري من رحلتِهِ إلى أوروبا وتَوَجَّهَ إلى المغرب، وكانت لديه اتصالات ببعض علمائها؛ فقد اتَّصَلَ بالفقيه أحمد المصيوب أو المعيوب الفاسي[٢] في مدينة مراكش وأخذ منه علمَ النجوم، كما ذَكَرَ عن مجالستِهِ لقاضي الجماعة في المدينة نفسها عيسى بن عبد الرحمن السكتي[٣] "السكتاني"[٤]، وفي عام ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م وكان عُمُرُهُ ٦٥ سنة، قَرَّرَ

---

[١]الخريطة من عمل الباحثة توضح خط سير الرحلة السفارية للحجري لبلادي فرنسا وهولندا عام ١٦١١م و١٦١٣م.

[٢]**أحمد المصيوب الفاسي (ت: ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م):** ابن معيوب، أحمد بن قاسم بن معيوب، أبو العباس الأندلسي؛ من علماء الحساب والهيئة، من أهل مراكش، وأصلُهُ من الأندلس، وكان بالغًا في علمِ التنجيم والخَاطِّ الرملي وعلم الجدول العددي والحرفي، وله كتاب في علم النجوم "السَّيَّارة في تقويم السَّيَّارة"، وتُوفِّيَ عام ١٦١٣م؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين، هامش رقم (٦)، ص١٦٠؛ الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٩٨.

[٣]**عيسى بن عبد الرحمن السكتاني (ت: ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م):** عيسى بن عبد الرحمن، أبو مهدي الرجراجي السكتاني؛ مُفتِي مراكش وقاضيها وعالِمها في عصره، ومولدُهُ ووفاتُهُ فيها، وقد تولَّى قضاء بتامسنا ثم قضاء تارودنت، فقضاء مراكش، ومن أهمِّ مُؤلَّفاته: "حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي"؛ للمزيد انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص١٠٤.

[٤]المنوني، ظاهرة تعريبية، ص٣٣٨.

الحجري التَّوَجُّهَ إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج؛ فقدِ انطلقت رحلتُهُ من مدينة مراكش إلى قصبة[١] سَلَا[٢]، ومن هناك رَكِبَ البحرَ واتَّجَهَ إلى تونُس التي اتَّخَذَها موطِنًا جديدًا لإقامتِهِ قبل ذهابِهِ إلى الحج؛ وكان ذلك في عام ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م، وعند وصوله إلى بلاد الحجاز تَوَجَّهَ إلى مكة المكرمة، ومنها إلى المدينة المنورة، ومن المدينة عاد واتَّجَهَ إلى مصر[٣].

د- مصر-تونس: المدينة، مكة، القاهرة، تونس ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م:

لمَّا وَصَلَ الحجري إلى مصر عام ١٦٣٧م[٤]؛ اتَّصَلَ بالشيخ علي بن محمد ابن عبد الرحمن الأجهوري الذي طلبَ منه وَضْعَ كتاب عن مناظراتِهِ مع النصارى واليهود، وقدِ انتهى الحجري من تأليفِهِ للكتاب بمصر يوم الجمعة ٢١ ربيع الآخِر عام ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م[٥]، كما أنَّهُ اشتغلَ أمينًا بدكان محمد بن أبي العاص الأندلسي[٦] هناك، ولَقِيَ الحجري فيما يبدو خلال مرورِهِ بمصر أثناء طريقه للحج أو بعد الرجوع منه عام ١٠٤٠هـ/

---

[١]**القصبة**: تُحاكِي القلعةَ وملحقاتها نسبيًّا مع الاختلاف في عدد الأسوار والمنافذ الداخلية والخارجية، وفي العادة تُبْنَى فوق أعلى رَبْوَة تُشرِف على المدينة، وتُستعمَلُ للسيطرة عليها والدفاع عنها كما تُستعمَل مَقَرًّا للحكم، الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١٩، ص١٨٨؛ للمزيد انظر: المضواحي، الأندلسيُّون عَقِبَ سقوط غرناطة، ص٧٤.

[٢]**قصبة سَلا**: اسْمُها بالأعجمي شلة؛ مدينة مغربية عريقة على شاطئ البحر وميناءٌ مُهِمٌّ، مُطِلَّة على المحيط الأطلسي، وتَضُمُّ أسواقًا وبضائع مختلفة، وتَقصِدها مراكب أهل إشبيلية وسائر المُدُن الساحلية من الأندلس، وتَضُمُّ سَلا أيضًا مدينةَ رباط الفتح، وهي مدينة الرباط الحاليَّة؛ للمزيد انظر: الحميري. الروض المعطار، ص٣١٩؛ الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج ١٩، ص١٨٣؛ مجهول (٦هـ/ ١٢م)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر العربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص١٤٠.

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ٢٠٦-٢٠٧.

[4]Nutting, Morisco Survival: Gender, Conversion, and Migration, p204.

[٥]المنوني، ظاهرة تعريبية، ص٣٣٩.

[٦]**محمد بن أبي العاص الأندلسي**: تُرْجُمَان موريسكي حفيد الجبيس وهُمَا من الأندلسيّين الضالعين في تأويل الرَّقِّ والكتب الرصاصية، وقد مارسَ إلى جانب جَدِّهِ الترجمة للنَّصارى، وفي عام ١٦١١م عندما كان الحجري في باريس رَاسَلَ محمَّدًا وهو في إسطنبول في ذلك الوقت، ثم لَقِيَهُ بعدئذ مرة أخرى في القاهرة فقدِ امتلكَ متجرًا عمل فيه الحجري؛ للمزيد انظر: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٢٤.

١٦٣١م[١] مُؤَرّخ الأندلس شهاب الدين المقري (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)[٢]؛ وهو يُشِيرُ إليه وإلى كتابِهِ "نَفْح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" في كتاب "العِزّ والمنافع" في تلك الفقرة : "**وقد صَحَّ من كُتُب التواريخ التي جَمَعَها العلّامة الشيخ أحمد المُقْرِي في كتابِهِ بمصر، في الكتاب الجامع للتواريخ على بلاد الأندلس، أعادَها الله إلى الإسلام**"[٣].

ومن مصر ارتحلَ الحجري إلى تونُس عام١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م، التي صارت موطنَهُ الجديد؛ فقد عَمِلَ مُترجِمًا لِبَنِي جلدتِهِ من الموريسكيّين، فكانت له صِلَةٌ بأميرها العثماني الداي أبو المحاسن مراد (١٦٣٨-١٦٤٠م) [٤]، وقد أثار إعجابَهُ بالداي؛ فتحدَّثَ عن سيرتِهِ ومنشآتِهِ الدفاعية، والتقى كذلك بالموريسكي محمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الحسني؛ وهو فقيهٌ أندلسي أُجْبِرَ على مغادرة الأندلس عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م واستقرَّ بتونُس مع عائلتِهِ؛ وهو صاحب كتاب "الأنوار النبوية في آباء خير البَرِيَّة"[٥].

كما تَعَرَّفَ هناك على أَحَدِ مُسْلِمِي إسبانيا هو الريس إبراهيم بن أحمد بن غانم ابن محمد بن زكريا الأندلسي (١١هـ/ ١٧م) الشهير بالرباش من قرية نولش إحدى قرى غرناطة، ثم انتقل منها إلى جهة قرب مدينة غرناطة، وهناك نَشَأَ وأقامَ إلى أَنْ أَجْلَى عنها إلى إشبيلية، وعندما تم طَرْدُ الموريسكيّين من إسبانيا هاجرَ منها إلى تونُس التي وَصَلَها آخِرَ أيام الداي عثمان[٦]، ويُقَالُ أَنَّ اسْمَهُ مُحَرَّفٌ عن الإسبانية (Barbas) أَيِ اللِّحْيَة، أو

---

[١]الهلالي، الموريسكيُّون الأندلسيُّون، ص٢٠.

[٢]**شهاب الدين المقري:** أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقري التلمساني؛ وُلِدَ ونَشَأَ في تلمسان بالمغرب، وانتقل إلى فاس؛ فكان خطيبَها والقاضيَ فيها، ومنها تَوَجَّهَ إلى القاهرة، وتنقَّلَ في الديار المصرية والشامية والحجازية، وله مُؤلَّفات عِدَّةٌ؛ منها: "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، و "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض". تُوفِّيَ في مصر ودُفِنَ في مقبرة المُجَاوِرين عام ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م؛ للمزيد انظر: الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٣٧م.

[٣]عنان، من تراث الأدب الأندلسي، ص١٣.

[٤]**الداي أبو المحاسن مراد:** حَكَمَ تونُسَ من عام ١٦٣٨ إلى عام ١٦٤٠م، وتعود أصولُهُ إلى مدينة جنوة الإيطالية، وكان قائدًا عسكريًّا فَذًّا؛ حَقَّقَ الكثير من الانتصارات العسكرية ضِدَّ السفن المسيحية فَغَنَمَ منها الآلاف من المراكب والأسرى؛ للمزيد انظر: الشريف، تاريخ تونُس، ص٧٢.

[٥]التميمي، عبد الجليل، **تراجيديا طَرْد الموريسكيّين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية والإسلامية منها،** مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ٢٠١١م، ص٩٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: التميمي، تراجيديا طَرْد الموريسكيّين).

[٦]المنوني، ظاهرة تعريبية، ص٣٤٠.

(Arribas) أَي العُلُوّ، وكِلْتَا الرِّوايتَيْن مصدرُهُمَا إسباني، وقد قام هذا الموريسكي بتأليف كتاب عن الجهاد بالمدافع فَتَرَجَمَهُ الحجري من الإسبانية إلى العربية[١]، وهو كتاب فريد من نوعِهِ انتشر وصار يُعمَلُ به في المدفعية الإسلامية، وبفضلِهِ تَمكَّنَ التُّونُسيُّون من إتقان استعمال المدافع والبارود في فُوَّهَات النار الأخرى[٢]، وكذلك انتشر بالمغرب في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد قام الرباش بتأليف هذا الكتاب بعد انتهاءِ عملِهِ كونُهُ بحرِيًّا حربِيًّا؛ فقد عَمِلَ سابقًا مع الإسبان وأبحرَ إلى مناطقَ عِدَّةٍ منها أمريكا وشواطئ البحر الأبيض المتوسط، ثم بعد ذلك قَضَى مدة سبع سنوات في سجون الإسبان بعد أَنْ أُسِرَ حين كان مركبُهُ مُبْحِرًا في اتِّجَاهِ مالقة، وقام الحجري بترجمة مذكِّرات الرباش إلى العربية، وأضاف إليها مقدّمة تتناول ترجمة القبطان الموريسكي بتونُس، وزَوَّدَها الحجري بخاتمة احتوت على ترجمة له، وانتهى الحجري من ترجمة هذا الكتاب في١٠ ربيع الآخِر عام ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م[٣]، ثم قضى بعد ذلك الحجري بَقِيَّةَ حياتِهِ في تونُس؛ فقدِ انتهى من تحرير النسخة الأخيرة من مخطوطتِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين" بتاريخ ٢٠ رجب ١٠٥١هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٦٤١م، وهي النسخة التي كُتِبَتْ بواسطة الناسخ محمد خوجة الذي

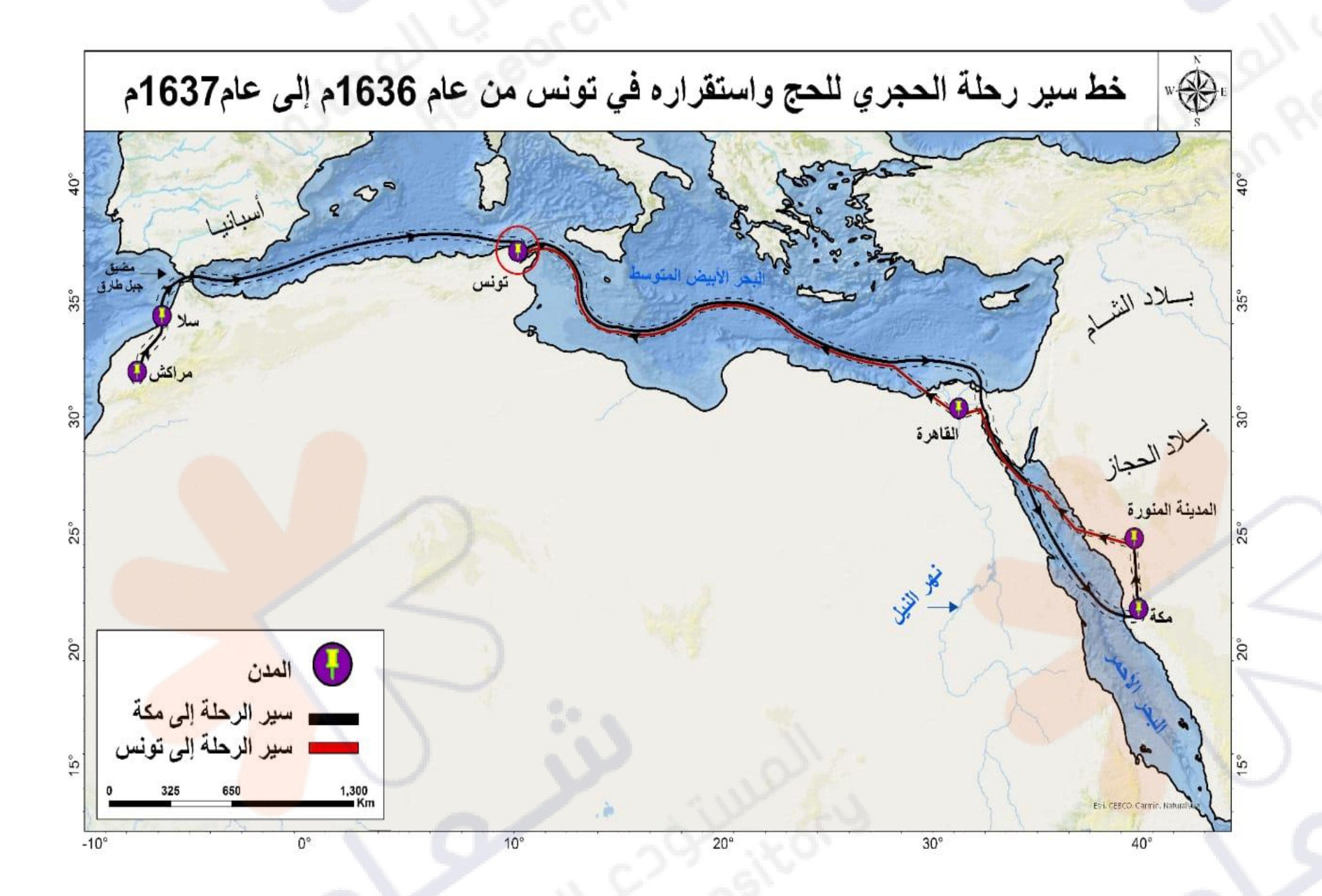
---

[١]الحجي، عبد الرحمن علي، **هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة: ظروفها وآثارها**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص٧٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحجي، هجرة علماء الأندلس).

[٢]التميمي، تراجيديا طَرْد الموريسكيّين، ص٩٣.

[٣]قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير، ص ص: ٣٨-٣٩.

هو ابن أحمد بن قاسم الحجري[١]، وبعد ذلك لم يَرِدْ ذِكْرٌ لأحمد بن قاسم الحجري ويُرَجّحُ أنَّه تُوفِّيَ بعد هذا العام.



(٢)

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٢٢٣.

[٢]الخريطة من عمل الباحثة توضح خط سير رحلة الحجري للحج واستقرار في تونس من عام ١٦٣٦م إلى عام ١٦٣٧م.

سابعًا: صورة الأَنَا والآخَر في رحلة ناصر الدين:

تُشَكِّلُ الرحلةُ السفارية تجربةً وجودية خصوصية تُبلوِرُ شخصية الإنسان العربي مَبْنِيَّةً على العلاقة المباشرة الاحتكاكية والجدلية مع الآخَر في عُقْرِ موطنِهِ وأمام مُنجَزاتِهِ. كما أنَّها من ناحية أخرى تُبْرِزُ القدرات الدبلوماسية التي يتمتَّعُ بها صاحبُها في رَصْدِ خصوصيات الآخَر ووَصْفَها وتحليلها، والمقارنة بين الأنَا والآخَر [١]. كما إنَّ الرحلة المغربية في أواخر القرن السادس عشر للميلادي كانت في أساسِها سفارية؛ وذلك استجابةً لِلضَّرُورات الظرفية التي تَطْبَعُ العلاقات المغربية–الأوربية، ما جَعَلَها ذاتَ طابَعٍ صِرَاعِيٍّ جِدَاليٍّ كما رأينا في رحلة الحجري [٢].

إذا كانت الرحلةُ سفرًا إلى الآخَر، فإنَّها تقتضي تفاعُلًا بين الأنَا والآخَر؛ يقوم على التفاهم حينًا، وعلى التَّوتُّر والخلاف حينًا آخَرَ[٣]، وقد جسَّدت رحلة الحجري هذه الصورة؛ إذْ كان صِلَةَ وَصْلٍ حضارية بين (الأنَا) التي جسَّدَتِ الذات المُسلِمَة، و(الآخَر) الذي يُجَسِّدُ الذات المسيحية؛ فقد نَشَأَ الحجري وترعرعَ في بيئة مسيحية، ثم تَعَمَّقَ في دراستها ليخوضَ الجَدَلَ الديني مع الآخَر من أجل إثبات الذات المُسلِمة والاعتزاز بها، فالحجري على خلاف الرَّحَّالة الآخرين، لم يكن مُنبَهِرًا بالحضارة الأوروبية؛ إنَّمَا خاضَ صِرَاعًا حضاريًّا مع الجانب الآخَر؛ حتى يُثْبِتَ للمسلمين أفضليَّةَ الدين الإسلامي وحضارتِهِ على الغير[٤]، فكتابُ "ناصر الدين" يُعَدُّ من المصادر التي شَهِدَتْ بداية حِقْبَة التَّطوُّر الحضاري في أوروبا، مقابلَ ما كان يشهدُهُ العالَمُ الإسلامي آنذاك، كما يُعَدُّ الكتابُ مُعَبِّرًا عن نَمَطِ الحوار الذي كان قائمًا بين دار الإسلام (المغرب والدولة العثمانية)؛ ودار الكفر والحرب أوروبا .

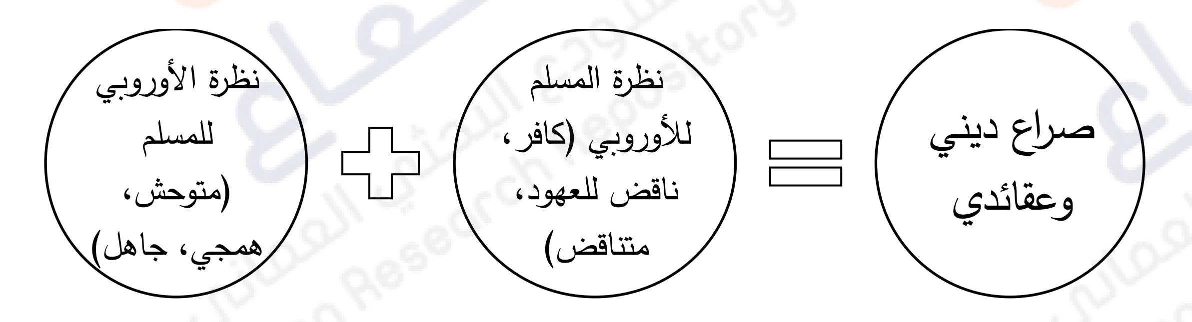
---

[١] الزاهي، فريد، "الممانعة والفتنة: الجسد والذات والصورة مُتخَيَّل الرحلة السفارية إلى أوروبا"، **مجلة الكوفة**، جامعة الكوفة، العراق، ع٢، ٢٠١٣م، ص ص: ١٦٩–١٧٠.

[٢] ذاكر، عبد النبي، **المغرب والغرب نظرات متقاطعة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨م، ص١٣٣.

[٣] بوغلا، أحمد، **الرحلة الأندلسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨م، ص٥٨.

[٤] الهلايلي، الموريسكيُون الأندلسيُون، ص١٧.



معادلة أنا والآخَر في رحلة ناصر الدين[1].

تناولت مناظرات الحجري قضايا فقهية وكلامية عِدَّةً؛ أهمُّها: مسألة الوحدانية، والتَّثليث، ومسألة التشبيه والتجسيم، والاعتراف المسيحي، ومسألة شُرْب الخمر وأَكْل لحم الخنزير، ومسألة الزّواج بأربع، وتحريم الزّواج على الرُّهبان، وحجاب المرأة، والصوم، وغيرها، وتعكِسُ هذه المناظرات ما كان يحملُهُ كُلٌّ من الطرفين المتناظِرَيْن من فكرة، وتجارب وخبرات جماعية، وعادات وتقاليد الآخَر[2]، لذا سَعَتِ الرحلة لإعلان الهُوِيَّة العربية وإقصاء هُوِيَّة الآخَر وبُطلانها، وقدرة المثقَّف العربي على التفاعل مع الآخَر تحقيقًا لمبدأ التعويض؛ دفعًا لنظرية تقليد المغلوب للغالب والانبهار به[3]، وتَظهَرُ ملامحُ الصِّراع الأيديولوجي بين الأنَا والآخَر في رحلة ناصر الدين في جوانبَ عِدَّةٍ؛ منها:

أَوَّلًا: تجسيد الذات

١- **الدِّين:** تضمَّنت رحلة ناصر الدين الكثيرَ من نصوص الجَدَل الديني، التي هَدَفَ من خلالها الحجري إلى إظهارِ اعتزازِهِ بِدِينِهِ وقوة الإسلام وصحة عقيدتِهِ وبيان بُطلانِ عقيدة الآخَر وزيفها، وأَزَمَة علاقة الدين هي الأولى في طبيعة الصِّراع بين الطرفين؛ نتيجةَ ما لاقَاهُ المسلمون تحت حكم النصارى من اضطهاد ديني وإجبارهم على اعتناق الدين المسيحي وتَرْك الدين الإسلامي؛ فهنا الحجري يُثْبِتُ هُوِيَّتَهُ الدينية التي أخفاها وأظهرَ دِينَ

---

[1] الشكل من عمل الباحثة.

[2] لبيب، الطاهر، **صورة الآخَر العربي: ناظرًا ومنظورًا إليه**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٣١٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: لبيب، صورة الآخَر العربي).

[3] الشمالي، نضال محمد فتحي، أيدولوجية الإقصاء وإثبات الهُوِيَّة في مختصر رحلة أفوقاي الأندلسي "الشهاب إلى لقاء الأحباب ١٦١١-١٦١٣م"، **مجلة العلوم العربية والإنسانية**، جامعة القصيم، مج٨، ع٢، ٢٠١٥م، ص٩٦٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الشمالي، أيدولوجية الإقصاء وإثبات الهُوِيَّة).

الآخَر قَسْرًا في ظِلِّ الحكم النصراني، ويُظهِرُ تَحَيُّزَ الحجري لِدِينِهِ جَلِيًّا في أغلب نصوص الرحلة بل ابتداء من عنوان الرحلة نفسها "ناصر الدين على القوم الكافرين"، وكان الحجري يُجادِلُ علماء النصارى وقُضَاتها وأفرادًا من عامَّة الشعب في مسائلَ عَقَدِيَّةٍ عِدَّةٍ تتضمَّنُ خلافًا بين العقائد الثلاث؛ وذلك حتى يُؤَسِّسَ منهجيَّةً راسخة في المفاضلة بين عقيدتِهِ وعقيدة النصارى واليهود، فقدِ اتَّبعَ الحجري في تلك المنهجية دورَ المجيب أو المُدَافِع فيضعُ الحُجَّة مقابل الحُجَّة؛ سواءً أكان يعتمد على حُجَجٍ من القرآن الكريم أم السُّنَّة النبوية، أم من الكتب السماوية الأخرى، أم بناءً على خبرتِهِ وثقافتِهِ كَرَدِّهِ بأبيات شعرية، وغيرها[١].

٢- **اللغة:** تُعَدُّ اللُّغَةُ أداةً رئيسةً للاعتزاز بالهُوِيَّة وتثبيتها، فمع إنَّ الحجري من الموريسكيّين الذين حُرِمُوا من لُغَتِهِم العربية؛ إلَّا أنَّهُ ظَلَّ مُتَمَسِّكًا بها سِرًّا، ودائمًا يعتزُّ بقدرتِهِ على التحدث والكتابة باللغة العربية، ويُشِيرُ إلى أفضلية اللغة العربية عن اللُّغَات الأخرى التي يُتْقِنُها كالإسبانية والبرتغالية والقليل من الفرنسية، فاللُّغَاتُ تُعَدُّ جِسْرًا تَصِلُ بالحجري إلى ثقافة الآخَر وفكرِهِ.

٣- **الاعتزاز بالحكام والقوة العسكرية:** فقد عَلَّقَ الموريسكيُّون آمالَهم في حُكَّام العالم الإسلامي لِنُصرَتِهِم واستعادة حقوقهم المسلوبة من قِبَل حُكَّام النصارى الذين نَكَّلُوا بهم أشدَّ تنكيل، فالحجري في رحلتِهِ يتحيَّزُ كثيرًا للحُكَّام المسلمين ولبلادهم؛ مع إنَّ هؤلاء الحُكَّام لم يَبذُلُوا قصارى جهدِهِم في نصرة الموريسكيِّين واستعادة الأندلس من النصارى، ولا نَجِدُ للحجري ذِكْرًا في هذا الجانب؛ إنَّمَا كان يُشِيدُ بهم ويَمتدِحُهُم، ففي حديثِهِ عن سلاطين الدولة العثمانية؛ يقول: "**وكُلُّ واحدٍ من السَّلاطين النَّصارى يرتعد ويخاف من سلاطين الإسلام والدِّين، المجاهدين في سبيل رب العالمين، وَهُمُ السَّلاطين الفُضَلَا العظماء...**"[٢]، ويقول عن حاكم تونُس عندما استقبل الموريسكيّين المُهَجَّرِين: "**وكان عثمان داي أميرًا فيها، وتَكَفَّلَ أمورَهم بالسُّكْنَى في المدينة وغيرها من القرى وأَحْسَنَ إليهم غايةَ الإحسان أَحْسَنَ اللهُ إليه**"[٣]، فغايةُ هذا المدحِ والثناء للحكماء المسلمين وإِنْ أخطؤُوا أَنْ يستظلَّ الحجري بحكمهم وعِلْمِهم ضِدَّ الطرف الآخَر المُتَمَثِّل في الحاكم النصراني الظالم[٤].

---

[١] الشمالي، أيدولوجية الإقصاء وإثبات الهُوِيَّة، ص ص: ٩٧٨-٩٧٩.

[٢] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٥٣.

[٣] المصدر نفسه، ص١٠٣.

[٤] الشمالي، أيدولوجية الإقصاء وإثبات الهُوِيَّة، ص٩٨٦.

٤- **الثقافة والعلم:** أشاد الحجري بالعديد من العلماء المسلمين والمُؤلَّفات العربية التي كانت مَرْجِعًا علميًّا ليس فقط للمسلمين؛ بل للنَّصَارى أيضًا، ويهدُفُ الحجري من الإشارة إلى علمِ المسلمين وفكرِهم ومدى أهمية المُؤلَّفات العربية إلى إبرازِ اعتزازِهِ بِمَوْرُوثِهِ الإسلامي والعربي الذي يُمْكِنُهُ من الانفتاح على الآخَر مُنطَلِقًا من ثقافتِهِ ومَوْرُوثِهِ العربي؛ لذا نلاحظ ذكرَهُ لعدد من العلماء ومُؤلَّفاتهم في رحلتِهِ، منها إشارتُهُ إلى كتاب نزهة المشتاق والجوهري، وهي المُؤلَّفات التي استعانت بها لجنة ترجمة الرقوق الرصاصية؛ ما يدلُّ على عُلُوِّ المنزلية العلمية للمسلمين وكُتُبِهم العربية ومدى حاجة النصارى إليها، وهذه الفكرة التي سعى الحجري إلى الإشارة إليها في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين"[١].

ثانيًا: تجسيد الآخَر

١- **كافر وعقيدتُهُ باطلة:** هَدَفَ الحجري من كتابة مناظراته الدينية إلى إظهار بُطلان عقيدة النصارى واليهود؛ فقد أكثرَ من المقارنة بين المسائل الجَدَلِيَّة الأكثر اختلافًا بين الديانات الثلاث مُستشهِدًا بأَدِلَّة من الكتب السماوية لكل ديانة. كما كَشَفَ الحجري أثناء مناظراته حالَ الاختلاف بين أصحاب العقيدة الواحدة بالاستناد إلى أَدِلَّة عقلية ونقلية في سبيل إثبات بُطلان عقيدتهم وزيفها[٢].

٢- **عدواني وناكِث للعهود:** تبلورت هذه الصورة لدى الموريسكيّين؛ نتيجةَ ما تَعَرَّضُوا له من قِبَل السُّلُطات الإسبانية من نقض ونَكَثَ العهود المُبرَمَة، وإصدار قرارات اضطهادية في حَقِّ الموريسكيّين، ووردت إشاراتٌ عِدَّةٌ في كتاب "ناصر الدين" تُجَسِّدُ هذه الصورة؛ فقد ذَكَرَ الحجري في كتابِهِ أَنَّ المُسلمين أصبحوا يَعْبُدُون دِينَيْن: دين النصارى جَهْرًا، ودين الإسلام خِفْيَةً؛ وذلك منذ سقوط غرناطة ونقض المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن المعاهدة وإجبار المسلمين على التَّنَصُّر وصولًا لعهد فيليب الثاني الذي أَكَّدَ تلك المراسيم المُجْحِفَة وزاد فيها؛ فقد ذَكَرَ الحجري خوفَ الناس من أَنْ يُكْشَفُوا من قِبَل النصارى أثناء تَعَلُّمِهم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، فَيَحْكُمُ عليهم بالحَرْقِ، وصولًا إلى قرار الطَّرْد، ووَعْد المسلمين بخروجهم آمِنِين، لكنْ ما لَبِثَ أَنْ نُكِثَتْ تلك الوعود؛ فأصدرَ الملكُ قراراتٍ عِدَّةً منها منعُ الأطفال دُونَ سَنِّ السابعة من السفر مع ذَوِيهِم، بالإضافة إلى ما تعرَّضَ له

---

[١] الشمالي، أيدولوجية الإقصاء وإثبات الهُوِيَّة، ص ص: ٩٨٧.

[٢] المرجع نفسه، ص٩٨٨.

هؤلاء المسلمين من نَهْبٍ وقَتْلٍ أثناء عملية الطَّرْدِ، فهنا الحجري يعكس لنا الصورة بناءً على أحداثٍ كان مُعَاصِرًا لها وليس مُؤَرِّخًا[1].

٣- **عدم الانبهار بحضارة الآخَر:** اختلفت رحلة الحجري عن الرحلات الأخرى التي زارَ فيها أوروبا في القرن السابع عشر وَوَصَفَت مظاهر الحضارة والتقدُّم فيها؛ ففي كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" لم تَرِدْ إشارات كثيرة لوصف العمران والتَّمدُّن، والتقدم العلمي، إلَّا إشارات بسيطة أوردَها الحجري ضِمْنَ سياقِ وَصْفِهِ للمُدُن التي زارَها؛ فنلاحظ تَحَيُّزَ الحجري في مَدْحِهِ للمُدُن العربية مقابل نظيرتها من المُدُن الأوروبية الرائدة آنذاك، مثالًا: وَصَفَ مصرَ بأنَّها أعظمُ مُدُن الدنيا، وإِنَّها كمدينة باريس بفرنسا؛ وهذا خيرُ دليلٍ على تَوَجُّهِ الحجري في إعلائِهِ من شأن الحضارة الإسلامية وسُمُوِّها أمام الحضارة الغربية، لذا تَقَصَّدَ الحجري في تَجَاوُز منجزات الآخَر وتقدُّمِهِ في مجالات الحياة المختلفة؛ لِيَعْرِضَ عن الاندماج معهم أو الاندهاش بهم.

٤- **مكانة المرأة وعادات المجتمع:** لاحظَ الحجري بُرُوزَ المرأة في الحياة الاجتماعية ومخالطتَها للرجال وعدمَ لِبْسِها الحجاب عنهم، وجواز صُحْبَة الرجال لَهُنَّ والتَّسَلِّي والتَّنَزُّه مَعَهُنَّ، ولا يَلْزَمُ الرَّجُلَ شيئًا إذا لم يتزوَّجْها [2]، ويرى الحجري هذا المبدأ المُبَاح لدى الأوروبيِّين ليس سوى فَسَادٍ لأخلاق المجتمع، بينما يرى الأوروبي المسلم على أنَّهُ مُتَعَصِّبٌ يَفرِضُ الحجابَ على المرأة التي يُحْرِمُ نفسَهُ من التَّعَرُّف إليها إلَّا بعد الزَّواج. كما يرى الحجري المرأةَ الأوروبيَّة على أنَّها أداة الشيطان لإغراء النفس؛ فقد ذَكَرَ الحجري قصَّةَ اعجابِهِ بفتاة فرنسية بَادَلَتْهُ الإعجاب، وكيف قاومَ هوى النفس في سبيل الحفاظ على مبادئِهِ الإسلامية؛ فقد أصبحَ الحُبُّ موضوعَ توتُّرٍ وصِرَاعٍ وجهادٍ مع الآخَر [3].

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٧٤، ص١٧٥.

[2] الخطيب، رشا، تمثُّلات الذات والآخَر في ثلاث رحلات عربية من القرن السابع عشر، **مجلة مركز الدراسات العربية**، جامعة بوخارست، رومانيا، ٢٠١٨م، ص٨٢.

[3] البيب، صورة الآخَر العربي، ص٣١٦.

الفصل الثاني

أوضاع الموريسكيِّين في عهدِ المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن فيليب الثاني وفيليب الثالث (١٥٥٦-١٦٠٩م).

المبحث الأول: أوضاع الموريسكيِّين في عهدِ الملك فيليب الثاني (١٥٥٦-١٥٩٨م):

أَوَّلًا: الموريسكيُّون تحت حكم السياسة الدينية في عهدِ فيليب الثاني.

ثانيًا: ثورة البشرات عام (١٥٦٨-١٥٧٠م).

ثالثًا: حَظْرُ هجرة الموريسكيِّين خارج إسبانيا عام ١٥٨٦م.

المبحث الثاني: أوضاع الموريسكيِّين في عهدِ الملك فيليب الثالث (١٥٩٨-١٦٠٩م):

أَوَّلًا: الطَّرْدُ النهائي لموريسكيِّي الأندلس في عهدِ فيليب الثالث (١٦٠٩-١٦١٤م).

ثانيًا: أسباب الطَّرْدِ النهائي.

ثالثًا: إجراءات الطَّرْدِ النهائي.

المبحث الأول: أوضاع الموريسكيّين في عهدِ فيليب الثاني (١٥٥٦-١٥٩٨م).

أَوَّلًا: الموريسكيُّون تحت حكم السياسة الدينية في عهدِ فيليب الثاني:

بتتويج الملك فيليب الثاني الحكم على إسبانيا عام ١٥٥٦م؛ دخلتِ الدولةُ في مرحلة صِرَاع تاريخي متعدِّد الأطراف، ففي الخارج خاضت إسبانيا حروبًا عِدَّةً مع إنجلترا والبروتستانتية، والثُّوَّار الكالفينيّين الهولنديِّين، والهوغونوت الفرنسيِّين[١]، بالإضافة إلى اشتداد المنافسة والصِّراع بين إسبانيا والدولة العثمانية، وفي الداخل شَهِدَتِ القضية الموريسكية أَشَدَّ مِحْنَتِها من الاضطهاد والتَّنكيل؛ إذْ قال فيليب الثاني للبابا بيوس الرابع عام ١٥٦٤م: "**إنَّني أُفَضِّلُ أَنْ أفقدَ كُلَّ مَمَالِكِي وأَنْ أفقدَ حياتي مئةَ مرةٍ لوِ استطعتُ، على أَنْ يُلْحَقَ أَيُّ أذًى بِدِينِ الله الحقيقي، فأنا لن أكونَ يومًا حاكِمًا لزنادقة**"؛ فتوالت على الموريسكيّين سنوات من التَّنصير القسري وملاحقة محاكم التفتيش، فكان الحُكَّامُ الإسبان يَعُدُّون الانشقاقَ الديني تهديدًا مُمْكِنًا لِسُلْطَتِهِم السياسية، وإنَّ النَّقاءَ الدِّينيَّ أساسٌ لضمان استمرار قوة إسبانيا وهيبتها في العالم الخارجي[٢]، فَعَمِلَ فيليب الثاني على إصدار مراسيم مُجْحِفَةٍ عِدَّةٍ لدمجِ الموريسكيّين في المجتمع الإسباني والقضاء على الثقافة العربية والإسلامية ككل؛ سَعْيًا منه لتحقيق سياسة أسلافِهِ فرناندو وإيزابيلا لتحقيق "نقاء الدم"[٣]، وشَمِلَتْ تلك المراسيم

---

[١] **الهوغونوت أو البروتستانت الكالفينيون:** نسبةً إلى البروتستانتي الفرنسي هوجونوت (Huguenot)، وهُمْ أعضاء كنيسة فرنسا الإصلاحية البروتستانتية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الذين تأثَّروا بآراء المُصْلِح جون كالفن، وتعرَّضوا للاضطهاد في فرنسا، فَفَرَّ كثيرون منهم إلى الدول البروتستانتية؛ للمزيد انظر: كار، ماثيو، **الدين والدم: إبادة شعب الأندلس**، ترجمة: مصطفى قاسم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٣م، ص٢٢٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: كار، الدين والدم)؛ نورويش، جون جوليوس، **الأبيض المتوسط: تاريخ بحر ليس كمثلِهِ بحر**، ترجمة: طلعت الشايب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ص: ٤٠٨-٤٠٩.

[٢] كار، الدين والدم، ص ص: ٢٢-٢٣.

[٣] الجازوي، جمال، "تأمُّلات حول سياسة الإبادة التي اتَّبَعَها ملوك الإسبان ضِدَّ الموريسكيّين 'Los Moriscos'"، **مجلة الجامعي**، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، طرابلس، ع١١، ٢٠٠٦م، ص٣٠٧.

اللغة العربية، والأشياء التقليدية، والعادات والمناسبات الدينية والاجتماعية[1]، ومن أهمِّ هذه المراسيم:

أ- تحريم اقتناء العبيد السُّود ٩٥٨هـ/ ١٥٦٠م: حَرَّمَ على الأندلسيّين اقتناء العبيد السُّود؛ خشيةَ دخول العبيد للدين الإسلامي؛ فقد رَفَعَ ديوانُ التحقيق في غرناطة للملك فيليب الثاني التَّقريرَ التَّالي: "**إنَّنَا نُحِيطُكُم عِلْمًا بظاهرة حقيقة وهي إنَّ أغلبَ موريسكي هذه المملكة هُمْ من العرب، وإنَّ العبد الأسود سوف يتَّخِذُ قانونَ سَيِّدِهِ الذي يُمارِسُهُ...ويبدو أنَّ موريسكيّين في هذه المملكة قد حَوَّلُوا إلى عربٍ كلَّ عبيدِ السُّود الذين يَملكُونهم**". تَقَدَّمَ المسلمون بطلب تظلُّم إلى الملك، وبقيت المسألة بين أَخْذٍ وَرَدٍّ حتى حَسَمَها الملك عام ١٥٦٣م برفضِ مطالبهم [2].

ب- مرسوم خاص بحملِ السلاح ٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م: يَفرِضُ المرسومُ على الأندلسيّين تسليمَ أسلحتِهِ في مدة أقصاها خمسون يومًا، ومَنْ يُخَالِفُ يُعَاقَبُ بالأعمال الشاقة لمدة سِتِّ سنوات، ويجب أَنْ تتضمَّنَ الأسلحة المحمولة خَتْمَ الحاكم، ومَنْ يعمل على تزوير الختم يُعَاقَبُ. مع ذلك ظَلَّ بعض الأندلسيّين يحتفظون بأسلحتهم في الجبال والكهوف؛ حتى يتمكَّنوا من حماية أنفسهم لاسِيَّما في المناطق المنعزلة[3].

ت- مرسوم يُلْغِي حصانةَ النُّبلاء للأندلسيّين ٩٧١هـ/ ١٥٦٤م: بسبب تزايُد فكرة ثورة الأندلسيّين بينهم؛ أُصْدِرَ المرسومُ لِيُلغِيَ حصانةَ النبلاء لهم، ويجب على أبواب الكنيسة أَنْ تُغْلَقَ في وجوههم.

ث- مرسوم يمنعُ ممارسة العادات والتقاليد الإسلامية الأندلسية ٩٦٤هـ/ ١٥٦٦م: مَنَعَ المرسومُ الأندلسيّين من ممارسة عاداتهم وتقاليدهم لاسِيَّمَا المرتبطة بالإسلام، وأَنْ تَجرِي العادات والتقاليد كُلَّها وفق عُرْفِ الكنيسة والنصارى، ولضمان ذلك يجب فتحُ أبواب المنازل أثناء

---

[1]Casares, Aurelia Martin, "The Royal Decree (Philip Li,1573) on Slavery of Morisco Men, Women and Children and Its Consequences", **World Journal of Islamic History and History and Civilization**, 3(4), Brill Academic, Netherland, 2013, p151.

[2]حومد، أسعد، **محنة العرب في الأندلس**، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٥٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: حومد، محنة العرب في الأندلس).

[3]Maria Soldad Carrasco Urgoit, El problema morisco en Aragon al comienzo del reinado de Felipe II capt. IV. pp: 56-57.

نقلًا عن: رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص٩٠.

الاحتفالات، وأيام الجُمَع والأعياد ليستطيع القِسّيسُون ورجال السُّلْطَة رُؤيةَ ما يدور في المنازل والتَّأَكُّد من عدم ممارسة أَيِّ عادات ممنوعة، ومُنِعُوا من إنشاد الأغاني الخاصة بهم، ولا يُشهِرُون الزَّمر (الرَّقص الأندلسي) أو أيًّا من آلات الطرب أو غيرها من العادات الأندلسية، ويَحْرُمُ على النِّسوَةِ الخِضَاب والحِنَّاء، ويُمْنَعُ عليهم الاستحمام، ويجب أَنْ تُهْدَمَ الحمَّامات العامة والخاصة جميعها، ويَحْرُمُ عليهم استخدامُ الألقاب العربية، ويُفْرَضُ على المُقبِلَة على الولادة أَنْ تُحْضِرَ قابلةً مسيحية قشتالية[1].

ج- مرسوم مَنْعِ اللغة العربية ٩٦٤هـ/ ١٥٦٧م: يَمنَعُ هذا المرسومُ استخدامَ اللغة العربية مَنْعًا باتًّا: قراءةً، وكتابةً، وتَحَدُّثًا، ومَنَحَ الأندلسيّين مُهْلَةَ ثلاث سنوات لِتَعَلُّم اللغة القشتالية، ومعاملاتٌ القضاء والتجارة كُلُّها وغيرها لا تُعتمَدُ إذا كانت باللغة العربية، وذَكَرَ خوان بثكيث رنخيفو[2] (ت: ١٠٢٤هـ/ ١٦١٧م) بشأن هذا المرسوم؛ فقال: "... **يكون نافعًا أَنْ يُحرَمَ أندلسيِّي وأندلسيَّات مملكة غرناطة هذه من اللغة العربية والملبس الأندلسي الذين كانوا يستعملونها، وأَنْ يُجبِرَهُم على اتِّخَاذ لُغَتِنا ومَلْبَسنا القشتالي، ليس ملبس ءاخَر**"[3].

كما مَنَعَ امتلاكَ الكتب العربية، ويجب عليهم تسليمُها خلال ثلاثين يومًا لديوان التحقيق؛ لتفحُّصها ثم تُعَادُ لصاحبها إذا ثَبَتَ أَنَّها لا تحتوي ما يُخالِف الكنيسة الكاثوليكية، ويجب التَّخلُّص منها خلال الأعوام الثلاثة[4].

ح- في عام ٩٦٥هـ/ ١٥٦٧م مَنَحَ رئيسَ أساقفة غرناطة الحَقَّ في مَنْعِ المسلمين من: الاستحمام؛ الصلاة؛ الصوم؛ ارتداء الحجاب للنساء المُسلِمَات؛ الذَّبح على الطريقة

---

[1] كربخال، وقائع ثورة الموريسكيّين، ج١، ص١٨٨.

[2] **خوان بثكيث رنخيفو:** وُلِدَ عام١٥٤٣م في قشتالة، وفي عام١٥٦٤م التحق بالجيش، وشارك في الحملة البحرية على باديس، وعندما قامت ثورة البشرات عام ١٥٦٨م شارك فيها ولُقِّبَ بِلَقَبٍ "جندي مُجِيد"، وفي عام ١٥٨٤م اشتغل وكيلًا في مجلس بلش البلدي، ثم "كاتبًا عموميًّا" وكاتبًا مَلَكِيًّا"، وفي عام١٦١٤م كتب كتابَهُ "عظائم أمور مدينة بلش وجلائل أعمال أهلها"، وتُوفِّيَ عام ١٦١٧م؛ للمزيد انظر: رنخيفو، خوان بثكيث (ت: ١٦١٧م)، **عظائم أمور مدينة بلش وجلائل أعمال أهلها**، ترجمة: جعفر ابن الحاج السلمي، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠٢١م، ص ص: ٩-١٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: رنخيفو، عظائم أمور مدينة بلش وجلائل أعمال أهلها).

[3] المصدر نفسه، ص١٢٠.

[4] رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى بلاد المغرب، ص٦٣؛

Muñoz, Nuria Martínez de Castilla, The Teaching and Learning of Arabic in Salamanca in the Early Modern Period, within a book, **The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe**, Brill, Boston, 2017, P164.

الإسلامية؛ الزّواج بِمُسلِمَات، والتَّخَضُّب بالحِنَّاء، ومَنْعِ الختان، وأَنْ تَظَلَّ البيوتُ مفتوحةً يوم الجمعة، ومَنْعِ التَّسَمِّي بأسماء عربية [١].

خ- مرسوم يَحْظُرُ الملابس الأندلسية: فَرَضَ على الأندلسيِّين ارتداءَ ملابس على نَسَقِ أزياء النَّصارى، ومُنِعُوا من صناعة ملابس أندلسية جديدة، ويُمنَعُ بعد عام ارتداء الملابس الحريرية، وبعد عامَيْن الملابس الصوفية، ومُنِعَتِ النِّساءُ من ارتداء الملابس الأندلسية، ويجب عليهُنَّ الكشف عن وُجُوهِهِنَّ [٢]، وأَنْ يَرْتَدِينَ المَعَاطِفَ والقُبَّعَات على نحو ما يفعلُهُ نساءُ موريسكو أرغون [٣].

حاولَ الموريسكيُّون التَّصدِّي لتلك القرارات بطريقة سلمية من خلال المفاوضات والرسائل المُتبَادَلة بينهم والملك فيليب الثاني؛ منها الرسالة [٤] التي وَجَّهَهَا الموريسكيُّ فرانثيسكو نونيث مولاي (Francisco Nunez Muley) [٥] إلى الملك فيليب الثاني اعتراضًا على هذه المراسيم، إِلَّا أَنَّ

---

[١]تونى، طاهر، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، الجزائر، ٢٠١٥م ص١١٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: توني، العلاقات الجزائرية الإسبانية).

[٢]طه، حركة المقاومة العربية، ص٥٢.

[٣]كربخال، وقائع ثورة الموريسكيّين، ج١، ص١٦٨.

[٤]انظر الملحق رقم (٩): رسالة من الفارس الموريسكي فرانثيسكو نونيث موالي؛ التي كُتِبَتْ في الأول من يناير عام ١٥٦٧م بدافع الرَّدِّ على تطبيق المرسوم الملكي الصادر في نوفمبر عام 1566م ضِدَّ المُتنَصِّرين الجُدُد، ص ص: ٢٣٤-٢٤٢.

[٥]**فرانثيسكو نونيث مولاي(Francisco Nunez Muley)**: وُلِدَ عام ١٤٩٠م في غرناطة، ينتمي نسبُهُ إلى سلاطين بني مرين، التي التجأت عام١٤٦٥م إلى الدولة النصرية في مملكة غرناطة، وبعد سقوط غرناطة تنصَّرت عائلتُهُ كالأُسَرِ الأندلسية الأخرى ذات الشأن؛ وذلك من أجل الحفاظ على امتيازاتها ومكانتها السياسية والاجتماعية، ويُعَدُّ فرانثيسكو من الشخصيات الموريسكيَّة البارزة التي لعبت دورًا مُهِمًّا في الدفاع عن حقوق الموريسكيّين، وتُوفِّيَ عام ١٥٧٠م، عن عُمُرٍ نَاهَزَ الثمانين عامًا؛ للمزيد انظر: زللو، محمد علي عبد الرازق، رسالة من موريسكيِّي غرناطة إلى ملك إسبانيا: دفاعًا عن اللغة العربية والتقاليد الإسلامية، **ضاد مجلة لسانيَّات العربية وآدابها**، تركيا، مج٣، ع٥، ٢٠٢٢م، ص ص: ٢١١-٢١٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: زللو، رسالة من موريسكيِّي غرناطة إلى ملك إسبانيا)؛ كاسترو، أميركو، **إسبانيا في تاريخها: المسيحيُّون والمسلمون واليهود**، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٠٢.

تلك المحاولات جميعَها باءت بالفشل، وتم تطبيق تلك المراسيم قَسْرًا على مُسْلِمِي الأندلس[١] ما سيؤدي إلى المواجهة العنيفة بين السُّلْطَة الكاثوليكية وبين موريسكيِّي الأندلس.

ثانيًا: ثورة البشرات عام (١٥٦٨–١٥٧٠م):

مع محاولات الموريسكيّين لدى السُّلُطات الإسبانية بإلغاء تلك المراسيم إلَّا أنَّ محاولاتِهم باءت بالفشل؛ فقد عَدَّتِ السُّلُطَات الموريسكيّين جُبَنَاءَ لا سلاحَ لهم ولا حُصُونَ، وإنَّ القرارات سَتُنَفَّذُ من دُونِ أَنْ يتجرَّأَ أحدٌ منهم على اعتراضها، لكنَّ الأمر عَكْسَ ذلك؛ إذِ اندلعتِ الثورة الكبرى بغرناطة مُتَحَدِّيَةً بذلك القرارات جميعها الصادرة عن السُّلَطَة الإسبانية. فقدِ اندلعت ثورة بقيادة فرج ابن فرج (Feredgas Ibn Faraj) [٢] يوم الخميس ١٤ أبريل ٩٦٥هـ/ ١٥٦٨م؛ الذي ينتمي إلى أسرة بني سراج [٣] الغرناطية [٤]، وكان لهذه الثورة صَدًى على المستوَيَيْنِ الداخلي والخارجي، واستمرَّت لِسنتَيْن من عام ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م إلى عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م، ومن أهمِّ عوامل استمرارها الدَّعمُ المادي، والمعنوي من إيالة الجزائر بتوجيه من السُّلطان العثماني سليم الثاني (١٥٦٦–١٥٧٤م)

---

[١] تمَّ رَصْدُ عيّنات من وثائق محاكم التفتيش صَدَرَت فيها أحكامٌ ضِدَّ المسلمين في الأندلس؛ بسبب مخالفتهم للقوانين التي صَدَرَت بِمَنْعِ ممارستهم لِلُّغَة العربية والعادات العربية والإسلامية؛ للمزيد انظر: القاسمي، سلطان بن محمد، **محاكم التفتيش: تحقيق لثلاثة وعشرين مِلَفًّا لقضايا ضِدَّ المسلمين في الأندلس**، ٢مج، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠٢٠م.

[٢] **فرج بن فرج (Feredgas Ibn Faraj):** قائد حربي موريسكي بَرَزَ في حرب البشارات (١٥٦٨–١٥٧١م)؛ اشتهرَ بقساوتِهِ أثناء المعارك، وقد عَيَّنَهُ الملك محمد بن أمية وزيرًا أعظمَ، ومات في المواجهة مع قوات الأمير دُون خوان دي أوستريا؛ للمزيد انظر: إي غفيريا، خوسي مونيوث، **تاريخ ثورة الموريسكيّين وطَرْدهم من إسبانيا وعواقبه على سائر أقاليم المملكة**، ترجمة: عبد العزيز السعود، منشورات ليتوغراف، طنجة، ٢٠١٠م، ص١٠٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: إي غفيريا، تاريخ ثورة الموريسكيّين).

[٣] **أسرة بني سراج:** من أعرقِ الأُسَرِ الأندلسية العربية؛ وَفَدَت إلى الأندلس منذ الفتح، وظَهَرُوا على مسرح الأحداث في عهدِ السُّلطان الأسير محمد بن الأمير يوسف، ولَعِبُوا دورًا في نقلِ عبد الله الصغير إلى وادي آش بعد سقوط غرناطة، وانتهت سيرة الأسرة بعد عزلِ فرج بن سراج الذي اختفى بعدما عَزَلَهُ ابن أمية؛ للمزيد انظر: سالم، سحر عبد العزيز، بنو السراج: وزراء بني نصر بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، ع٢٨، ١٩٦٥م، ص ص: ٧–٣٩.

[٤] الكتاني، علي المنتصر، **القطوف الدواني في التاريخ الإسباني**، كلية الآداب–جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٤٥.

[1]. خرجتِ الثورة من غرناطة إلى الجبال، وتَمَكَّنَ بعدَها الثُّوَّارُ من حصار مدينة المرية[2] وقاموا بتحصين بعض المُدُن، وفي عام ٩٧٨هـ/ ١٥٦٩م تحوَّلت من الجبل إلى السهل، وقَدَّرتِ السُّلُطَات الإسبانية الثُّوَّار بنحو ١٥٠,٠٠٠ ثائرًا، وكانت تهدُفُ إلى إعادة غرناطة لحكم المسلمين؛ فقدِ التفَّ الثُّوَّارُ حولَ شابٍ من حَيِّ البيازين يُنْسَبُ إلى سلالة بني أُمَيَّة يُدْعَى فرناندو مولاي دوفالوراي كوردبا[3]، وكان من أعيان قرطبة ومستشارًا في بلديَّتها، واحتفل الثُّوَّارُ بتتويجِهِ مَلِكًا عليهم في ٢٩ ديسمبر ١٥٦٨م، ومُنِحَ اسْمًا عربيًّا هو محمد بن أُمَيَّة[4]، وبعد اغتيالِهِ انْتُخِبَ قريبُهُ دييغولوبيت الذي تَلَقَّبَ بمولاي عبدالله[5]، وكانت الثورةُ تهدُفُ للدفاع عن المسلمين نتيجةً لِمَا لَحِقَهُم من ظلمٍ وجورٍ على يَدِ السُّلُطَات الإسبانية. قامتِ السُّلُطَات الإسبانية بمواجهة الثَّورة من خلال العسكرِيّين

---

[1]**السُّلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م):** هو السُّلطان العثماني سليم بن سليمان خان؛ وُلِدَ عام (٩٣٠هـ/ ١٥١٢م)، وتولَّى الخلافة عام (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م)، وتولَّى الحكم بِعُمُرِ أربعة وأربعين سنة، فعمل على إصلاح شؤون البلاد الداخلية، وفي عهدِهِ تم فتحُ جزيرة قبرص عام١٥٧١م، وَوَقَعَت في عهدِهِ معركة ليبانتو البحرية التي انتهت بهزيمة الأسطول العثماني وتدميره على يَدِ التحالف المكوَّن من بابا روما وإسبانيا، والبندقية، وتُوفِّيَ عام (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)؛ للمزيد انظر: آصاف، عزتلو يوسف بك، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أوَّل نشأتهم حتى الآن**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٧م، ص ص: ٦٩-٧٠.

[2]**المرية:** مدينة بالأندلس، بنيت سنة ٣٤٤هـ في عهد الأمير الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، وهي أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ازدهرت فيها التجارة والصناعة؛ فكانت تقصدُها سفن التجار من مصر وبلاد الشام؛ للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص: ٥٣٧-٥٣٨.

[3]عبد الكافي، مفتاح علي عثمان، **الموريسكيُّون ودورُهم في الحفاظ على الهُوِيَّة الإسلامية في الأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والتربية، جامعة التحدي، ليبيا، ٢٠٠٦م، ص١٨٤؛ حومد، محنة العرب في الأندلس، ص٢٩٥.

[4]**عبدالله محمد بن أمية:** نبيلٌ موريسكيٌّ، ينتمي إلى عائلة غرناطية ادَّعَتِ انتسابَها إلى الأُمويّين خلفاء قرطبة، ووُلِدَ عام ١٥٤٥م في غرناطة، وأصبح الفارس الرابع والعشرين لمدينة غرناطة؛ أَيْ عضوًا في المجتمع الديراني البلدي، وبعد اندلاع ثورة البشرات؛ انضمَّ لِلثُّوَّار وارتدَّ عن المسيحية وسَمَّى نفسه عبدالله بن أمية وعُيِّنَ زعيمًا للثورة، وقُتِلَ في قصرِهِ بأندرش في٢٠ أكتوبر ١٥٦٩م؛ للمزيد انظر: إي غفيريا، تاريخ ثورة الموريسكيّين، ص١٠٨.

[5]**عبدالله محمد ابن عبو:** نبيلٌ موريسكي؛ أصلُهُ من مسانة، وهو ابن عم ابن أمية، شارك في حرب البشرات، وأصبح زعيمًا للثورة بعد مقتل ابن أمية، واستطاع إبقاء الثورة لمدة ثمانية عشر شهرًا، وقُتِلَ من قِبَلِ رجالِهِ المُرتَشِين من قِبَل المسيحيّين عام١٥٧١م، وبموتِهِ أكَّدت هزيمة الموريسكيّين في الحرب؛ للمزيد انظر: دي إيتا، خينيس بيريث (ت: ١٦١٩م)، **الحرب ضِدَّ الموريسكيّين: الجزء الثاني من الحرب الأهلية في غرناطة**، ترجمة: عائشة محمود سويلم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٤٣؛ إي غفيريا، تاريخ ثورة الموريسكيّين، ص١١٤؛ Marcelino Menendez y Pelayo, Historia in de Espana, p149.

نقلًا عن: رزوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص ص: ٩٣-٩٤.

بقيادة دُون خوان النِّمْسَاوي (Don Juan de Austria) [1]، واستمرَّت الحربِ بين الطرفين أكثر من سنة أسفرت عن انتقام الإسبان من المسلمين بأبشعِ الطَّرائق؛ فقد عَمِلُوا على قَتْلِهم والتمثيل بِجُثَثِهِم وملاحقتهم والتَّنكيل بهم، فَنَتَجَ عن هذه الثورة صدورُ قرار عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م؛ لِنَفْيِ المسلمين من مملكة غرناطة إلى المناطق الإسبانية الأخرى، ومصادرة أملاكهم العقارية [2]. وتم توزيعهم في مناطق: استرامادورا (Estremadura)، وجليقة (Galicia) [3]، وقشتالة القديمة Old (Castile)، ومملكة ليون (Leon)، ومناطق إشبيلية، وكان مجموع المُهَجَّرِين نحو ٥٠ ألفَ شخصٍ. عانَى الموريسكيُّون خلال عملية تهجيرهم إلى المناطق المُجاوِرة؛ فمنهم مَنْ تُوفِّيَ في الطريق؛ بسبب سُوءِ الطقس والأحوال المعيشية، والبعض نُهِبَ من قِبَلِ الإسبان [4]، وأمَّا الذين سَلِمُوا فَعَانَوْا من مرارة الغربة والتَّأقلُم في بيئتهم الجديدة، والاشتغال بالأعمال البسيطة [5]. كما أصدرتِ السُّلُطَات الإسبانية فيما بعد قرارًا يمنعُ الموريسكيِّين من الدخول إلى المناطق البحرية عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٩م، وأصدرت قرارًا آخَرَ عام ٩٩٤هـ/ ١٥٨٦م؛ لمنع الموريسكيِّين من الخروج من الأراضي الإسبانية واتصالهم ببلاد المغرب أو الدولة العثمانية ضِدَّ إسبانيا كما فَعَلَ الثُّوَّارُ مُسَبَّقًا [6]، ومن نتائج الحرب أيضًا هجرةُ الموريسكيِّين إلى بلاد المغرب والقيام بهجمات على السواحل

---

[1] **دُون خوان النمساوي (Don Juan de Austria)**: هو أخٌ للملك فيليب الثاني؛ عُمُرُهُ اثنان وعشرون عامًا، وتم تعيينُهُ عام ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م قائدًا عامًّا للقوات المحاربة ضِدَّ ثورة البشرات الثانية، وتَمَكَّنَ من القضاء على الثُّوَّار وإنهاء الثورة عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م؛ للمزيد انظر: بول، قصة العرب في إسبانيا، ص١٥٨؛ العبيدي، هند عبد الحق، صورة من الحياة الاجتماعية للموريسكيِّين بعد تسليم غرناطة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)؛ ضِمْنَ كتاب دراسات أندلسية بأقلام عراقية، ج١، ص١٥٩.

[2] الميلق، عبد القادر، **تأثير ثورات الموريسكيِّين الأندلسيِّين على العلاقات الجزائرية الإسبانية (٨٩٧-١٠١٧هـ/١٤٩٢-١٦٠٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠١٣م، ص ص: ٨٧-٨٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الميلق، تأثير ثورات الموريسكيِّين الأندلسيِّين).

[3] **جليقة (Galicia)**: مدينة في الأندلس؛ وهي سهلية يَغْلِبُ عليها الرمل، وتَشتهِرُ بالدَّخَن والذُّرَة وشراب التفاح والبشكة الذي هو شراب من الدقيق، وتنتهي أحواز المدينة إلى البحر المحيط وفي القِبْلَة إلى أحواز مدينة طلسونة وقاعدتهم مدينة أقش؛ للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص١٦٩.

[4] دي مندوثا، لديغو أورتادو (ت:١٥٧٥م)، **حرب غرناطة**، ترجمة: إيمان عبد الحليم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٢٣.

[5] كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيِّين، ج٢، ص ص: ٥١٣-٥١٤؛ ايرفنغ، واشنطن، **أخبار سقوط غرناطة**، ترجمة: هلاني يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٢٣.

[6] رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص١٠٣.

الجنوبية الإسبانية، وقام بعضهم بأعمالِ النَّهْبِ على الإسبان [1]. في ظِلِّ هذه الظروف القسرية التي تَعَرَّضَ لها مُسْلِمُو الأندلس وُلِدَ الحجري، وعَايَشَ تلك الأحداث والمراسيم التي أُصْدِرَت في عهد فيليب الثاني. فكيف حافظَ الموريسكيُّون على لُغَتِهِم العربية ودينهم الإسلامي في ظِلِّ سياسة التَّضييق التي فَرَضَتْها عليهم السُّلْطَة الكاثوليكية؟

مع ما تَعَرَّضَ له الموريسكيُّون من سياسة تضييق وخناق وإصدار مراسيم مُجْحِفَة في حَقِّهِم؛ إِلَّا أنَّهُم ظَلُّوا يُمارِسُون دينَهُم الإسلامي سِرًّا. كما حافظوا على لُغَتِهِم العربية وعاداتهم الإسلامية والاجتماعية؛ فقد وردت إشاراتٌ عِدَّةٌ في كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" حَفِظَتْ لنا تاريخ الموريسكيّين من خلال سيرة الحجري التي دَوَّنَها في رحلتِهِ، وَثَّقَ فيها جوانبَ من مأساة الشعب الموريسكي عبرَ سيرة واحد من أبنائه [2]، بالمقارنة والمقاربة من المصادر التاريخية المعاصرة للأحداث؛ نتناولُها على النَّحْوِ التَّالي:

١- الحفاظ على اللغة العربية:

تَكْمُنُ أهمية الحفاظ على اللغة الأصلية لمجموعة بشرية تَخُوضُ صِرَاعًا ومُجابهةً ضِدَّ كُلِّ أنواع القمع والاضطهاد من قِبَلِ مجتمع مُهَيْمِن مُغَايِر لها في اللغة والدين؛ في الحفاظ على كينونتها وهُوِيَّتِها ووجودها في المجتمع. فاللغة أداة مُهِمَّة للمجابهة بين الأقلية المُهَدَّدَة بضياع ذاتها؛ والمجتمع المُهَيْمِن الذي يسعى لِدَمْجِها مُستعمِلًا الوسائلَ القمعيَّةَ كُلَّها في سبيل تحقيق ذلك [3].

رَأَى فيليبُ الثاني ضرورةَ مَنْعِ ممارسة اللغة العربية بين الأوساط الموريسكية؛ لأنَّها من أشدِّ العوامل التي تمنعُ تغلغلَ المسيحية في نفوس الموريسكيّين، فقد كانتِ اللُّغَةَ التي يُقْرَأُ بها القرآن الكريم والأحاديث النبوية. فالحُكَّامُ ورجالُ الكنيسة أدركوا مدى الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والإسلام[4]؛ ما جَعَلَ المجلسَ المَلَكِي عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م يُقَرِّرُ في حَقِّ المُتنصِّرين هذا القرار

---

[1]B. Vincent "El borndolerismo morisco en Andalucia", pp: 167-178; Un exemple de course borbaresco-morisque: lattaque de cuevas de Almanzora 1573, Revista de Histaria Moderna, pp: 7-20.

نقلًا عن: دي ايبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص٩٨.

[2]الخطيب، أحمد بن قاسم الحجري، ص١٢٥.

[3]بارنار، فانسون، لغة الموريسكيّين؛ ضِمْنَ كتاب تراجيديا طَرْد الموريسكيّين، ص١٣٧.

[4]رضوان، لحرش، "سقوط غرناطة ومحنة الموريسكيّين"، **مجلة ليكسوس**، محمد أبيهي، ع٢٥، ٢٠١٨م، ص٢٦.

الذي يهدُفُ إلى استئصال اللغة العربية، فيقول: "**إنَّ الذين اعتنقوا المسيحية عليهم أَنْ يتخَلَّوْا عن اللغة العربية إجباريًّا**"[١]، وقد أدَّى مرسومُ مَنْعِ اللغة العربية إلى انحسار اللغة العربية في القرن السابع عشر في إسبانيا؛ ما اضطرَّ أصحابُها لِتَعَلُّمِ اللغة القشتالية (الإسبانية القديمة)، أو الأراغونية، أو القطلانية، أو البرتغالية، وأُمْهِلَ الموريسكيُّون مُدَّةَ ثلاث سنوات لِتَعَلُّم اللغة القشتالية، ومُنِعَ الأطفالُ المُنَصَّرُون أَنْ يتعلَّمُوا إِلَّا باللغة القشتالية أو البَلَنسِيَّة، وحتى يتم التَّحكُّم بهذا الإجراء؛ كانت محاكم التحقيق تَضُمُّ مجموعةً من المُختصِّين في اللغة العربية لمراقبةِ وتَتَبُّعِ الناطقين بها، فيترصَّدُون عَثَرَاتِهم ويُحَدِّدُون طبيعة الجريمة المُقترَفة وما يُناسِبُها من عقاب. وبعد هذه القرارات المتتالية وَجَّهَتِ السُّلْطَةُ عنايةً خاصة لرجال الدين من الموريسكيِّين؛ فَوُضِعَ الفقهاءُ والعلماء مَحِلَّ شُبهة ومتابعة رسمية مستمرة [٢]، ومراقبة الآباء إذا كانوا يُرسلُون أولادَهم إلى المدارس المسيحية، أم محاولة تلقينهم تعاليم الإسلام واللغة العربية سِرًّا [٣].

فكانت رَدَّةُ فِعْلِ الموريسكيِّين أَنِ ابتكَرُوا لُغَةً سِرِّيَّةً بينهم تَضْمِنُ الحفاظ على لُغَتِهِم وهُوِيَّتِهِم هي لغة الألخميادو [٤]؛ وهي مزيجٌ من اللغة اللاتينية الإسبانية والحروف العربية، فَكُتِبَتْ أغلبُ النصوص باللُّغَة الألخميَّة خلال القرن السادس عشر وبعضها في بداية القرن السابع عشر؛ أيْ عندما كان المسلمون يعيشون أقلِّيَّةً مُضْطَهَدَة، فكان الأدبُ الألخميُّ بالنسبة لهم وسيلةً للتعبير عن ثورتهم ومقاومتهم الدفينة [٥]. كما عَمِلَ الموريسكيُّون على حفظِ تراثهم المخطوط من خلالِ حِفْظِهِ بين جدران بيوتهم وفي سقوفهم، وفي أماكن لا تَصِلُها أيدي المسيحيِّين؛ كالجبال، والوديان، والكهوف، فقد تَتَبَّعَتِ السُّلُطَاتُ النصرانية كُلَّ مَنْ لديهِ نَصٌّ أو كتابٌ عربيٌّ؛ لِتُسَلِّطَ عليه أقسى

---

[١]حمادي، عبد الله، **الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش في الأندلس ١٤٩٢-١٦١٦م**، الدار التونُسية، تونس، ١٩٨٩م، ص٣٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: حمادي، الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش).

[٢]كاردية، لوي، "حياة الموريسكيِّين الدينية عامِلُ تَمَاسُكٍ لطائفة كانت تُشَكِّلُ أقلِّيَّة في إسبانيا في القرن السادس عشر للميلاد"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ع٧، ١٩٨٤م، ص١٣٥.

[٣]حمادي، الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش، ص٤٠.

[4]Nawaz, Aminal, **Sixteenth Century Morisco Devotional Manuscripts in their Mediterranean Contexts**, Doctor of Philosophy (PhD)thesis, University of Cambridge, United Kingdom, 2014, p71.

[٥]ابن جميع، محمد نجيب، "الأدب الألخمي والموريسكي: تأصيلٌ لِكِيَانٍ"، **مجلة دراسات أندلسية**، جمعة شيحة، ع٣٠، ٢٠٠٣م، ص٢١.

العقوبات؛ أولاها التعذيب بأشدِّ أنواعه وآخِرها الحَرْقُ [١]، وكان يُحْرَقُ الموريسكيُّون في حفلٍ إيمانيٍّ (Atuo da–fe) [٢] بحضور الملك وأعيانِهِ والمسيحيُّون ليستمتعوا بمشاهدة عملية الحَرْق.

دَأَبَتِ الأُسَرُ الموريسكية على إرسال أبنائها إلى الكنيسة لِتَعَلُّمِ اللغة الإسبانية، والتعاليم المسيحية، لكنْ بمجرَّد رجوع الطفل إلى المنزل؛ يتم تعليمُهُ بِسِرِّيَّةٍ اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي، وتدريبهم على التَّكَتُّم وعدم التَّحدُّث بها خارج حدود الأسرة؛ حتى لا تتعرَّضَ العائلةُ بأكملها إلى خطرِ محاكم التفتيش، لاسِيَّما أَنَّ الأُسَرَ الموريسكية كانت مُحَاطَةً بالجيران من المسيحيّين؛ الذين كان لهم دورٌ كبيرٌ في التَّجسُّس ومراقبة تصرَّفات الموريسكيّين، والتَّبليغ عنهم والوشاية بهم عند محاكم التفتيش[٣].

وفي هذا السِّياق وَرَدَتْ إشارات في رحلة الحجري وهو يَسْرِدُ جوانب من سيرتِهِ؛ فلقد تلقَّى الحجري تعاليم الدين الإسلامي على يَدَيْ أَبَوَيْهِ بشكلٍ سِرِّيٍّ، وحَفِظَ ما تَيَسَّرَ من القرآن الكريم، وتَعَلَّمَ اللغة العربية على يَدَيْ أفرادِ أُسْرَتِهِ، وازداد تَعَلُّمًا على يَدِ ابْنِ عَمِّ والدِهِ؛ ذَكَرَ الحجري بداية تَعَلُّمِهِ لِلُّغَة العربية في سِنِّ العاشرة، بعدما قضى السنوات الخمس الأولى من حياتِهِ في تَعَلُّم اللغة الإسبانية التي أُجْبِرَ المسلمون على تَعَلُّمِها لتسهيلِ دَمْجِهِم في المجتمع الإسباني والتَّخَلِّي عن اللغة العربية، ويَسْرِدُ الحجري كيفيَّةَ تَعَلُّمِهِ لِلُّغَة العربية على يَدِ ابْنِ عَمِّ والدِهِ؛ فقد كان ذلك يتمُّ أثناء زيارة الأخير لمنزل الحجري، يقول الحجري عنه أَنَّهُ كان يعرفُ القراءة بالعربية؛ فَطَلَبَ منه الحجري أَنْ يكتب له حروفَ الهجاء، فَتَعَلَّمَها بسرعة، وكان والداهُ يخافان عليه أَنْ يكشفَ رغبتَهُ في تَعَلُّمِ اللغة العربية؛ "**بسبب الأحكام القوية التي كانت تَحْكُمُ النَّصارى على مَنْ يَعْرِفُوا أَنَّهُ مشغول بكتب**

---

[١] القمان، شاكر، "الموريسكيُّون ومعركة الحفاظ على الهُوِيَّة"، **مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية**، جامعة عاشور زيان الجلفة، الجزائر، مج٢، ع٧، ٢٠١٩م، ص ص: ١٥٨-١٥٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: (القمان، الموريسكيُّون ومعركة الحفاظ على الهُوِيَّة).

[٢] **حفل إيماني (Atuo da–fe)**: الأُوتودافي التي تعني الفِعْلَ أو الحفلَ الإيماني؛ وهو الاحتفال الذي يرافق إصدار الحكم بالموت من قِبَل محاكم التفتيش، وغالبًا يكون بالحَرْقِ والأكثر بشكل جماعي؛ للمزيد انظر: الحجي، عبد الرحمن، "الأندلس ومحاكم التفتيش"، **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ع٥١٩، ٢٠٠٨م، ص٣٨؛ عنان، محمد عبد الله، "قصة الموريسكو ومصرع الحضارة الأندلسية"، **مجلة الهلال**، دار الهلال، القاهرة، ع٨، ١٩٢٦م، ص٨٢٨.

[٣] القمان، الموريسكيُّون ومعركة الحفاظ على الهُوِيَّة، ص ص: ١٥٨-١٥٩.

المسلمين"[1]، وعند زيارتِهِ لمنزل الحجري ثانية؛ طَلَبَ منه الحجري أَنْ يُعَلِّمَهُ القراءة بعدما أَتقنَ نُطْقَ الحروف، فدعاه ابْنُ عَمِّ والدِهِ إلى منزلِهِ، فذهب الحجري، فأخرجَ له ابْنُ عَمِّ والدِهِ ورقةً مكتوبٌ عليها حروف الهجاء مكتوبةً سبعَ مَرَّات؛ الأُولى بعلامة النَّصب، ثم الخَفْض والرفع، والرابعة بِنَصْبَتَيْن، والخامسة بِخَفْضَتَيْن، ثم بِرَفْعَتَيْن، والسابعة كُلُّ حرفٍ بِجَزْمَة، ثم عَلَّمَهُ قراءة الحروف مع التشكيل؛ "**وقال هذا الأول يقرأ بِنَصْبَة بِأَنْ تقول: بَ تَ، فقرأتُ ذلك وفَهِمْتُهُ ثم الثاني الذي بالخفضة ثم الثالث.. إلى آخرها**"[2]، وكان مكتوبًا في الورقة أيضًا أسماء الفواكه، وقصيدةً منظومةً بكلام العامة[3]، وكان ابْنُ عَمِّ والدِهِ يعمل في صناعة الكَتَّان، وأثناء مزاولة عملِهِ في الصناعة؛ يُشرِفُ على الحجري في تَعَلُّمِهِ لِلُّغَة العربية، ويَرُدُّ على استفساراتِهِ، بعدَها استأذن الحجريُ ابْنَ عَمِّ والدِهِ ليحملَ الأوراق التي تَعَلَّمَها ليستذكرَها لاحقًا في المنزل؛ ليطلبَ من والدِهِ أَنْ يُرَاجِعَ معه ما تَعَلَّمَ، فكان الحجري يقرَؤُها حتى وصلَ إلى القصيدة؛ فتعجَّبَ والدُهُ منه ولم يُصَدِّقِ قدرتَهُ على القراءة باللغة العربية، حتى جاء ابْنُ عَمِّ والدِهِ مرة أخرى لمنزلهم وأَخبرَ والدَهُ عن قدرة ونباهة الحجري في سرعة تَعَلُّمِ اللغة العربية[4].

وبعدها أشار الحجري لحادثة تُثْبِتُ تَمَكُّنَهُ من الكتابة باللغة العربية بعدما أَتْقَنَ قراءتَها؛ فقد أشار إلى كتابتِهِ لسبعةِ هياكلَ [5] في ورقة جَعَلَها حِرْزًا عليه، فعندما نام الليل لم يَعْثُرْ على الورقة في الصباح، فَخَشِيَ الحجري أَنْ يَعْثُرَ أحدٌ من النَّصارى على الورقة فيكتشفُ أَمْرَهُ؛ فأخذ يدعُو حتى عثرت عليها أختُهُ فألقتْها عليه. مع إنَّ الحجري كان حريصًا جِدًّا على إخفاءِ قدرتِهِ على قراءة وكتابة اللغة العربية إِلَّا أَنَّهُ اكْتُشِفَ أَمْرُهُ عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م؛ عندما اكْتُشِفَ بغرناطة رَقٌّ كبيرٌ من الرصاص مكتوبٌ بالعربية والأعجمية؛ فقدِ اكتشفَ أَسْقُفُ غرناطة تَمَكُّنَ الحجري من اللغة، ليدعوَهُ بعد ذلك للانضمام لفريق المُترجِمين لِرَقِّ الرصاصي [6]، وطَمْأَنَهُ أَنَّهُ لن يتعرَّضَ لأيِّ

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٩٢.

[2] المصدر نفسه، ص١٩٣.

[3] المصدر نفسه، ص ص: ١٩٢-١٩٣.

[4] المصدر نفسه، ص ص: ١٩٢-١٩٣.

[5] **سبع هياكل**: هو نَصٌّ صغير يُوجَدُ دائمًا في المخطوطات ألخميادو والعربية عند الأندلسيِّين؛ للمزيد انظر:
Harvey, Literary Culture, p 110; Casassas Canals, Los siete alhaicales, pp: 61-76.
نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، الهامش رقم (٢)، ص١٩٤.

[6] السفياني، أحمد بن قاسم الحجري، ص٦٠٤.

عقوبات؛ فَهُمْ يمنحون المُترجِمِين تصريحًا باستخدام اللغة العربية نظرًا لحاجة السُّلُطَات الإسبانية في ترجمة الرُّقوق الرصاصية. ويجب أَنْ نقفَ هنا للحديثِ عن الرُّقوق الرصاصية وطَرْحِ تساؤُلات عِدَّة بشأنها؛ منها: متى اكْتُشِفَت هذه الرُّقوق؟ وما هو مضمونها؟ ولماذا اهتمَّتِ السُّلُطَات الإسبانية بترجمتها؟

في عام ١٥٨٨م هُدِمَت صومعة جامع غرناطة من أجل بناء الكنيسة[١]، فاكْتُشِفَ تحت أنقاضها صندوق رصاصي به مُخَلَّفاتٌ عِدَّةٌ؛ منها الرَّقُّ مكتوب بالعربية والأعجمية، وعظام، وقطعة خِمَار زَعِمُوا أنَّها كانت لمريمَ العذراء، ويَصِفُ الحجريُّ الرَّقَّ بأنَّهُ قديم جِدًّا، ومكتوب بِخَطٍّ عربيٍّ مَشْرِقِيٍّ، وذَكَرَ الحجري أَنَّ عنوانَ الرَّقِّ "كتاب يُوحَنَّا الإنجيلي ذُو الأسرار المتعلق بفناء الكون"، وقد كُتِبَ في بداية الكتاب "بِاسْمِ الجوهر والملتبيبة المُبَجَّلِين"، ثم سطور بالعربية يُترجِمُها بتاريخ سسليسوس، ولم يَذْكُرِ الحجري الصُّلبان الخمسة في الأعلى، والجزء اللاتيني في الأسفل؛ الذي يحتوي على قصة الكاهن بتريسيوس، وبعد سبعة أعوام في عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م؛ اكْتُشِفَتْ مجموعةٌ من الألواح الرصاصية بنصوص عربية ولاتينية في كهوفٍ خارج مدينة غرناطة، وأُطْلِقَ على المكان الذي عُثِرَ فيها على تلك الصفائح بخندق الجنة Monte/ Sacromonte) (Valparaiso، وكان معها رماد وعظام يُزْعَمُ أَنَّهُ بَقَايَا النصارى الذين أُحْرِقُوا في عهدِ الإمبراطور الروماني نيرون[٢]، وتضمَّنت تلك الألواح صلواتِ وأعمالَ يَسُوع والرُّسُل؛ كَتَبَها أَخَوانِ من بلاد العرب؛ سائيس الآية ابن الرضا، واسْمُهُ باللاتيني سيسيليوس، والثاني اسْمُهُ تسعون بن العطار (تسيفون)[٣].

أمَّا مضامينُ الألواح الرصاصية؛ فَتُوْجَدُ ثلاث نظريات عنها: الأولى أَنَّ هذه الكُتُبَ وثائق نصرانية، والثانية أَنَّها وثائق إسلامية، والثالثة أنَّها تُقَدِّمُ نوعًا من أفكار توفيقية، وتسعى إلى أَنْ

---

(1)Aammari, Lahoucine," Discursive and Cultural Encounters in Ahmad bin Qasim Al-Hajaris Ambassadorial Travel Narrative, Kitab Nasir Adin ala alqawm al-kafirin", **Athens Journal of Mediterranean Studies**, Volume4, Issue1, University of Nicosia, Cyprus, 2018, p50.

(2)Wiegers, Gerard, "Moriscos and Arabic Studies in Europe", **Al-Qantara,** XXXIV 2, Spanish, 2010.p p: 592-593.

(٣)الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص ص: ٦٥-٨٢.

تَجِدَ طريقًا وَسَطًا بين النصرانية والإسلام، ويَقُصُّ الرَّقُّ والكتبُ قِصَّةَ تعاليم اليسوع وسيرتِهِ، إلَّا أنَّها لا تُشِيرُ إليه كونُهُ هو المُخَلِّص؛ بل تُشِيرُ إلى شخص آخر موصوف بالمُنْعِم المُخَلِّص[١]؛ الذي سَيَظْهَرُ في آخِرِ الزمان، ويبدو أَنَّ المُخَلِّصَ الموعودَ هو النبي محمد صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ[٢].

ذَكَرَ الحجري بعدَها حادثةَ اكتشافِ أمرِهِ في معرفتِهِ لِلُّغَة العربية من قِبَل القِسِّيس ملضوناضو[٣]؛ فقد ذَكَرَ أَنَّ هذا الأخير كان يتعلَّمُ اللغة العربية على يَدِ محمد بن أبي العاص[٤] حفيد الشيخ جبس[٥]، وكان محمد يقرأ الكتب من أجلِ جَدِّهِ، ويقرأ بالعربية أمام النصارى، وكان

---

[1]P.S. van Koningsveld and G.A.Wiegers,"The Book of the Enormous Mysteries that James the Apostle Saw on the Sacred Mountain for the Great Gathering, Written at his Order by Cecilio, his Disciple-Lead Book Number22in the Sacromonte Archive, Granada, Arabic text and English translation with notes", in: Nuevas aportaciones al conocimiento y studio del Sacro Monte. IV Centenario Fundaccional(1610-2010), M.J.Vega Garcia-Ferrer,M.L.Garcia Valverde, Antonio Lopez Carmona(eds), pp: 259-272, p263.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٢٢.

[2]G.A.Wiegers, "El contenido de los textos arabes de Los Plomos: El Libro de los misterioso enormes(Kitab al-asrsr al-azima) como polemica islamica anticristiana y antijudia", in: Nuevas aportaciones al conocimiento y studio del Sacro Monte. IV Centenario Fundacional(1610-2010), M,J.Vega Garcia-Ferrer, M.L.Garcia Valverde, A Lopez Carmona(eds) , pp:197-214; Van Koningsveld and Wiegers, "The Book of the Enormous Mysteries".

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ٢١-٢٢.

[٣]**دييغو دي ملضوناضو**: دييجو دي مالدنادو؛ رئيس دير سانتا، وشمَّاسًا في كاتدرائية غرناطة، وكان يَدْرُسُ العربيَّةَ على يَدِ التُّرْجُمَان الأندلسي محمد بن أبي العاص؛ للمزيد انظر: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٢٣، الهامش رقم (١٢)، ص٦٨.

[٤]**محمد بن أبي العاص**: هو حفيدُ الفقيه الجبيس، وشاركَ مع جَدِّهِ في العديد من نشاطات الترجمة للنصارى، وفي١٦١١م عندما كان الحجري في باريس؛ رَاسَلَ محمد بن أبي العاص وهو في إسطنبول في ذلك الوقت، ثم التقى به مرة أخرى في مصر فَعَمِلَ الحجري أمينًا في متجر كان يملكُهُ الأخيرُ؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، الهامش رقم (١)، ص٢٤.

[٥]**لورنثو هرننديث شبيث (الجبيس)**: أصلُهُ من بياسة؛ عاشَ في غرناطة، وكان تاجرًا غَنِيًّا في حَيِّ البيازين، ثم عَمِلَ في الترجمة للنَّصارَى؛ وذلك بعد انضمامِهِ في عضوية لجنة عُهِدَ لها عام ١٥٩٦م بِمَهَمَّة ترجمة وتأويل الكتب الرصاصية؛ للمزيد انظر:

القِسِّيس يحمل كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[١]، وكان الحجري يحضر مجلسَهما، وأثناء قراءتهم للكتاب تستوقفهم بعض الكلمات؛ فكان الحجري يُشِيرُ إلى معانيها فَيُصِيبُ في جوابِهِ، وهنا اكتشف القِسِّيسُ الحجريَّ أنَّهُ على معرفة باللغة العربية ويفهمُها، ولكنْ طَمْأَنَهُ الأخير ألَّا يخافَ؛ لأنَّ القِسِّيسَ الأعظم كان بحاجة إلى مَنْ يعرف القراءة باللغة العربية؛ حتى يُترجِمُوا ما كُتِبَ في الرُّقوق الرصاصية[٢].

كما ذَكَرَ الحجري أنَّ القِسِّيس كان لديه كُتُبٌ من لُغَاتٍ عِدَّةٍ منها العربية؛ فَقَرَأَ له الحجري الكلمات التي كان يتوقف عندها فَيُترجِمُها له، ثم التقى به في اليوم الثاني، وأخبرَهُ القِسِّيسُ أنَّ القِسِّيسَ الأعظم طَلَبَهُ، وهنا خَشِيَ الحجري على نفسه من أنْ يُكْشَفَ أَمْرُهُ عند النصارى الذين كانوا يَقتُلُون ويُحرِقُون كُلَّ مَنْ لديه كتابٌ عربيٌّ أو يَعرِفُ العربية. كما إنَّ أعضاءَ لجنة المُترجِمين الآخرين كانت لديهم أسبابهم في معرفة اللغة العربية، فالشَّيخُ الأكحيل الأندلسي والشيخ جبس كانَا كبيرَيْنِ في السِّنِّ فتعلَّمُوا العربية في صِغَرِهِم بقربِ عهدِ الإسلام، أمَّا محمد بن أبي العاص فكان يَقْرَأُ لأجلِ جَدِّهِ؛ لأنَّهُ مُترجِمٌ، وأمَّا الحجري فبماذا سيجيب إذا سألَهُ القِسِّيسُ الأعظم؟! وعندما وَصَلَ الحجري لِلقِسِّيس الأعظم؛ قال له: **"ذَكَرَ لي القِسِّيسُ ملضنض أنَّكَ تُحسِنُ القراءة العربية"**، فَرَدَّ عليه الحجري أنَّهُ ليس من البالغين فيها، ثم سألَهُ من أين تَعَلَّمَ اللغة؛ فَرَدَّ عليه أنَّهُ ينتمي إلى قرية الحجر الأحمر، وكان أهلُها يتحدثون العربية، ثم تعلَّمتُ أقرأُ بالأعجمية، ثم مَشَى إلى مدريد فَوَجَدَ

Garcia–Arenal and Rodriguez Mediano, Un Oriente Espanol, pp:111–114; Childers, "An Extensive Network of Morisco Merchants", p151.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، الهامش رقم (٣)، ص٢٥.

[١]يُعَدُّ كتابُ "نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق" من أشهر أعمال الشريف محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ابن يحيى الإدريسي (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٦م) في مجال الجغرافيا، ويُطْلَقُ عليه أيضًا كتاب "روجر أو الكتاب الروجاوي" نسبةً إلى الملك روجر الثاني الذي طَلَبَ منه تأليف الكتاب، والكتابُ موسوعة جغرافية مُكَمِّلَة للخرائط التي رَسَمَها الإدريسي؛ فقد زَوَّدَ الكتابَ بسبعين خريطة تميَّزت بالدِّقَّةِ والعُمْقِ؛ للمزيد انظر: الكانوني، مريم سالم ميلاد، منهجية الإدريسي وإسهاماتُهُ الجغرافية، **مجلة روافد المعرفة**، جامعة الزيتزنة–كلية الآداب، ترهونة، ع٥، ٢٠١٩، ص٦٠.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ٦٨–٦٩.

فيها رجلًا طبيبًا أندلسيًّا من بلاد بلنسية اسْمُهُ فلان [١]، فعلَّمَهُ القراءة بالعربية، وأنَّهُ تَعَلَّمَ بسهولة لكونِهِ عربيَّ الأصل، ثم سألَهُ القِسُّ: أين الطبيب الآن؟ فأجابه الحجري أنَّهُ تُوفِّيَ منذ مدة [٢]؛ إذْ كان أهل فالنسيا حينَئِذٍ لهم حَقُّ مطالعة النصوص العربية، خاصَّةً إذا كانت غير دينية، كالنصوص الطبية، وهنا اضطرَّ الحجري للكذب على القِسِّيس في شأنِ تَعَلُّمِهِ اللُّغَةَ العربية على يَدِ طبيبٍ من بلنسية؛ حتى يَقِيَ نفسَهُ من شَرِّ النصارى وأحكامهم [٣].

بعدها أحضرَ القِسُّ الرَّقَّ، فَسَألَ الحجريَّ عن كلمة بالأعجمية فأجابَهُ الحجريُّ، فطلبَ منه أَنْ يأتيَ غدًا، وفي اليوم الثاني استوقفتِ الحجريَّ كلمة "الملتبيبة"؛ فأعطاه القِسُّ كتاب "الجوهري"[٤] في سِفْرَيْنِ، فَوَجَدَ الحجريُّ معنًى للكلمة "الذات الساذجة الخالصة؛ لا مُرَكَّبَة ولا ممزوجة"، وأشار الحجري أَنَّ مَنْ سَبَقُوهُ قَرَؤُوا الكلمةَ "المُثَلَّثَة" وهي خاطئة؛ فَفَرِحَ القِسُّ بذلك ومَنَحَ الحجريَّ ثلاثة مئة ريال، وكتابًا بالإذن للتَّرجمة من العربي إلى العجمي والعكس، وذاعَ خبرُ الحجري بين النَّصارى فكانوا يُشِيرُون إليه: **"هذا هو الذي فَهِمَ الرَّقَّ الذي وُجِدَ في الصومعة"**، بعدَها أَمَرَهُ القِسُّ أَنْ يكتبَ نسخةً من الرَّقِّ[٥]؛ ليبعثَها للبابا في مدينة روما[٦].

---

(1)ELaskary, Mohamed Ibrahim Hassan, **The Image of Moors In The Writings Of Four Elizabethan Dramatists: Peele, Dekker, Heywood And Shakespeare**, Doctor of Philosophy (PhD)thesis, University of Exeter, United Kingdom,2008, p p: 267-268.

(2)Stewart, Devin, Dissimulation in Sunni Islam and Morisco Taqiyya, **Al-Qantara,** XXXIV 2, Spanish, 2013. P p: 480-481.

(٣)الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص ص: ٦٨-٦٩.

(٤)هو كتاب "تاج اللغة وصِحَاح العربية"؛ أَلَّفَهُ أبو نصر بن حماد الفارابي الجوهري (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، ويُعَدُّ معجمُهُ "تاج اللغة وصِحَاح العربية" من أهمِّ وأشهرِ المعاجم العربية لِمَا يُمَثِّلُهُ من تطوُّر في صناعة المعجم، إلى جانب تأثيرِهِ فيما جاء بعدَهُ من المعاجم؛ للمزيد انظر: باخشوين، نبيهة بنت أحمد عابد، **اللغات في صِحَاح الجوهري: استقراء وتصنيف لغوي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١١م، ص٢.

(٥)اكتشفت أزابيل بويانو جورا النسخة المُسَوَّدَةَ لترجمة الحجري في الأرشيف الديواني في غرناطة؛ انظر:
Isabel Boyano Guerra, Diego Bexarano, traductor del pergamino de la Torre Turpiana; "Al-Hayari y su traduccion del pergamino de la Torre Turpiana". In La Historia inventada Los Libros plumbeos y el Legado sacromontano,p p: 137-158.
نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، الهامش رقم (٢)، ص٧١.

(٦)المصدر نفسه، ص ص: ٧٠-٧١.

ذَكَرَ الحجري بعض أسماء أعضاء اللجنة التي أُوْكِلَ إليها مَهَمَّةُ ترجمة الرَّقِّ والكتب الرصاصية عام ١٥٩٦م وفقًا لأمرِ البابا كليمونت الثامن (Clemens VIII) [١]؛ فقد كانوا: دييغو دي أوريرة (Diego de Urera) [٢]، لورنثو هرننديث شبيث (الجبيس)، وحفيدُهُ محمد ابن أبي العاص، وخيرونيمو بينطو [٣]. أمَّا الشخصيات التي بَرَزَتْ أسماؤُها في لجنة الترجمة الأولى عام ١٥٨٨م؛ فَهُمُ: الأكحيل ألونسو دي الكستيو، وميغيل دي لونه (Miguel de Luna) [٤].

وأشار الحجري إلى عنواناتٍ عِدَّةٍ للكُتُب الرصاصية؛ منها:

-عنوان الرَّقِّ "كتاب يُوحَنَّا الإنجيلي ذُو الأسرار المتعلق بفناء الكون".

---

[١] **البابا كليمنت الثامن (Clemens VIII):** هو ايبوليتو الدوبراندينى؛ بابا الكنيسة الكاثوليكية من عام ١٥٩٢م إلى ١٦٠٥م، وقد أَيَّدَ القضية الكاثوليكية في فرنسا، وتوسَّطَ لِعَقْدِ الصُلحِ بين فرنسا وإسبانيا عام ١٥٩٨؛ للمزيد انظر: لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٤، ص١٠٦٥.

[٢] **دييغو دي أوريرة (Diego de Urera):** تُرْجُمَان مَلَكِي، وأستاذ العربية بجامعة قلعة هناريس؛ وُلِدَ في إيطالية عام ١٥٥٩م، وتَعَلَّمَ العربية في مدرسة بتلمسان، واشتغل تُرْجُمَانًا في إسبانيا عام بعد ١٥٩١م، ثم عُيِّنَ في كرسي العربية بجامعة القلعة عام ١٥٩٣م، وتمَّت دعوتُهُ من قِبَلِ فيليب الثاني للذهاب إلى غرناطة برفقة أرياس مونطانو لترجمة الكتب الرصاصية، وقام برحلتين إلى غرناطة: الأولى عام ١٥٩٦م، والثانية عام ١٥٩٧م؛ للمزيد انظر:
Rodriguez Mediano and Garcia–Arenal, "De Diego de Urrea a Marcos Dobelio".
نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، الهامش رقم (٢)، ص٢٥.

[٣] **خيرونيمو بينطو:** طبيبٌ من مدينة بلنسية؛ للمزيد انظر: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٢٥.

[٤] **ميغيل دي لونه (Miguel de Luna):** وُلِدَ في غرناطة عام ١٥٢٢م، وكان مُسْلِمًا مُسْتَخْفِيًا، ودَرَسَ الطِّبَّ في جامعة غرناطة، وعَمِلَ طبيبًا في المدينة نفسها، وتزوَّجَ من امرأة نصرانية اسْمُها مارية دي بيراثطيكوي، وأنجبَ منها ولدَيْن: ألونسو وخوانيكو، وفي عام ١٥٨٨م اشتغل بترجمة رق برج تربيانة، وفي عام ١٥٩٦م تمَّت ترقيتُهُ؛ فكان يُوَقِّعُ بصفة تُرجُمان صاحب الجلالة الملك، ويبدو أنَّهُ حَصَلَ على هذا المَنْصِبِ بعد جهودِهِ في ترجمة الرَّقِّ والكتب الرصاصية؛ للمزيد انظر:

L.F.Bernabe Pons, "Estudio Preliminar", in Miguel de Luna, Historia Verdadera del Rey Don Rodrigo, Edicion Facsimile; M. Garcia–Arenal and F.Rodriguez Mediano, "Medico, traductor, inventor: Miguel de Luna, Cristiano Arabigo de Granada",pp: 187–231, M. Garcia– Arenal, "Miguel de Luna y Los Moriscos de Toledo: "No ay major moro",pp: 253–262.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، الهامش رقم (٤)، ص ص: ٢٢–٢٣.

-حقيقة الإنجيل، وقِيلَ أَنَّ هذا الكتاب أُوْحِيَ به لمريمَ العذراء بواسطة جبريل المَلَاك؛ يتكوَّنُ من سِتَّ عَشْرةَ وَرَقَةً.

-كتاب "مواهب الثَّواب لعباد الله في حقيقة الإنجيل"؛ نَقَلَهُ الحجري بناءً من أصل نسخة المُترجِم، وهو الأكحيل ألونسو دي الكستييو؛ التي وجدها في تونُس [1].

-كتاب "الجوهر المُبَجَّل": ذَكَرَ الحجري أنَّهُ أَخَذَ من هذا الكتاب عقيدةَ تصفيون ابن العطار [2] في التوحيد التي أضافها في الفصل الأول من كتابِهِ "ناصر الدين"، وبعض المسائل على الكتب التي وُجِدَتْ تحت الأرض مكتوبةً بالعربية من عهدِ الصالحة مريم، وأغفلَ الحجري من الكتاب فصلًا ذَكَرَ فيه: "**إنَّهُ واحدٌ بتثليث أب وابن وروح القدس، ثلاثة نفوس، إلَاهٌ واحد، وذاتُهُ كريمة ليس دُونَهُ نجاةٌ لأحدٍ من العالمين، والفعلُ بما أَمَرَ في الإنجيل**"[3].

وأثناء عمل الحجري مع لجنة ترجمة الكتب الرصاصية، حَدَثَ موقفٌ بينه وأهلِ بَلَدِهِ؛ فقدِ التقى الحجري بهم وكان يحملُ كتابًا عربيًّا، وعندما فَتَحَ الكتابَ أمامهم توجَّسُوا الخوفَ منه؛ ظَنًّا منهم أنَّهُ من المُراقِبِين أو الجواسيس الذين كانت تُرسِلُهم محاكمُ التفتيش للإيقاع بالمسلمين، وكانت تَحْكُمُ بالحَرْقِ على كُلِّ مَنْ يُظهِرُ الدين الإسلامي أو يقرأُ كُتُبَ المسلمين[4]؛ فنتيجةً لذلك كان المسلمون يخافون من بعضهم ولا يتكلمون في أمور الدين إلَّا مع مَنْ يَثِقُونَ بِهِ أشدَّ الثقة؛ فَذَكَرَ الحجري: "**وبينما كنت أُطَالِعُ الكتابَ إذْ جاء بعض المسافرين من بلادي إلى مدينة غرناطة وعلمتُ في أيي موضعٍ من الفنادق كانوا فَمَشِيتُ إليهم والكِتَابُ عندي. وبعد السلام والكلام فَتَحْتُ فلمَّا رآوهُ مكتوبًا بالعربية دَخَلَهُم الخوف العظيم من النَّصَارى؛ وقلتُ لهم: لا تخافُوا لان النَّصارى يُكرِمُونِني ويُعظِّمُونَنِي على القراءة بالعربية. وكان أهلُ بلدي جميعًا يَظُنُّون انِّ من الحرَّاقِين من النَّصارى، الذين كانوا يَحكُمُون ويُحرِقُون كُلَّ مَنْ ظَهَرَ عليه شيىء من الإسلام أو يقرأُ كُتَبَ المسلمين، يَحْكُمُون فيه؛ ومن أجل ذلك الخوف العظيم كان الأندلسُ تخافُ بعضَهم من بعض**

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٢١.

[2] **عقيدة تصفيون ابن العطار:** هي عقيدة في توحيد الله تعالى، وهي من كتاب تصفيون ابن العطار "الذات الكريمة"، وهو أَحَدُ الكتب الرصاصية المُكتشَفة تحت الأرض في٢٥ أبريل عام ١٥٩٥م، وعنوانُهُ باللغة اللاتينية (De Essentia Dei)؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، الهامش رقم (٢)، ص٧٩.

[3] المصدر نفسه، ص٢٨.

[4] Harvey, L.P, **Muslim in Spain 1500 to 1614**, The University of Chicago, Chicago, 2005.p280.

ولا يتكلَّمون في أمور الدين إلَّا مع مَنْ كان ذِمَّة؛ معناهُ: ذُو إمنة، وكثير منهم كانوا يخافون بعضَهم من بعض؛ وكان فيهم مَنْ يُحِبُّ يتعلَّم شيئًا من دين الله ولا يجدون مَنْ يُعَلِّمُهُم"[١].

قَرَّرَ الحجري بعد عملِهِ في ترجمة الرُّقوق الهروب إلى بلاد المغرب؛ فَتَحَجَّجَ على القِسِّيس أَنَّ والدَهُ كبير في السِّنِّ طَلَبَه للذهاب إليه في مدينة إشبيلية، يقول الحجري: "**ولمَّا أردتُ القدومَ إلى مدينة اشبيلية لِنَمْشِ إلى بلاد المسلمين مَشِيتُ إلى القِسِّيس وقلتُ له: إنِّي عزمتُ على القدوم إلى بلدي: وأَنَّ أبي كَتَبَ لي أَنْ نمشيَ إليه وأَنَّ طاعة الوالدين واجبة، قال لي: في بعض المسائل واجبة وفي بعضها لا تَجِبُ. قلتُ: لا بُدَّ لي من القدوم، وطلبتُ منه أَنْ يكون سندًا للأندلس لأنَّهم ذلال عند النَّصارى القدماء**"[٢]؛ فاستطاعَ الهربَ إلى بلاد المغرب عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م[٣].

فمن خلال الرواية السابقة للحجري؛ نستنتج التَّالي:

أ- تأثير مرسوم مَنْعِ اللغة العربية عام٩٦٤هـ/ ١٥٦٦م؛ في لُغَةِ الموريسكيِّين الأم:

مع مرور القرن السادس عشر للميلاد؛ أصبح من النادر وجودُ أشخاص يُتْقِنُونَ التحدث باللغة العربية وكتابتها [٤]، لذا وَاجَهَ الموريسكيُّون صعوبةً في تَعَلُّم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي بينهم بسبب مراقبة محاكم التفتيش؛ يقول الحجري: "**... من أجل ذلك الخوف العظيم كان الأندلسُ تخاف بعضَهم من بعض ولا يتكلَّمون في أمور الدين إلَّا مع مَنْ كان ذِمَّة؛ ذُو إمنة، وكثيرٌ منهم كانوا يخافون بعضَهم من بعض، وكان فيهم مَنْ يُحِبُّ يتعلم شيئًا من دين الله ولا يَجِدُون مَنْ يُعَلِّمُهُم... كنتُ أُعَلِّمُ جميع مَنْ أراد يتعلَّم من الأندلس في بلدي وغيرها من البلاد التي دخلتُها**"[٥]؛ فَنَجِدُ الكثير من الأخطاء الإملائية واللغوية في الكتابات الموريسكية، بل تأثَّرت

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٧٤.

[٢]المصدر نفسه، ص ص: ٨٠-٨١.

[٣]المصدر نفسه، ص٥٩.

[٤]باروخا، خوليو كارو، **مُسْلِمُو مملكة غرناطة بعد عام ١٤٩٢م**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: باروخا، مُسْلِمُو مملكة غرناطة).

[٥]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٧٤.

بوجود مصطلحات لاتينية في كتاباتهم؛ فَنَجِدُ مثالًا في كتاب "ناصر الدين" أسماءً لأعلام بشرية وجغرافية ذُكِرَتْ باللاتينية[١]، تَمَّ رَصْدُ عيّنة منها ضِمْنَ هذا الجدول:

الاسم باللاتيني (الإسباني)	الاسم بالعربي
فرنصه	فرنسا
بريش	باريس
برضيوش	بوردو
المبة (Mapa)	خريطة جغرافية
ببنبه (pompa)	تُطْلَقُ على الآلة التي يُرْفَعُ بها الماء
الضِّيمنت (Diamant)	ألماس
بلاد الفمنك	هولندا

[٢]

ب-أماكن ووسائل تَعَلُّم اللغة العربية والدين الإسلامي لدى الموريسكيّين:

نتيجةً لمراسيم التَّنصير القسري، ومَنْع اللغة العربية؛ انحسرت أماكن ووسائل التعليم لدى الموريسكيّين، فاقتصرت أغلبُها على التعليم المنزلي، فمن خلال رواية الحجري؛ الذي أشار إلى أنَّهُ تلقَّى تعليمَهُ الديني على يَدَيْ والدَيْهِ "**من نِعَمِ الله عليَّ أَنْ جَعَلَنِي مُسْلِمًا في بلاد الكفار منذ أعرفُ نفسي بِبَرَكَةِ الوالدين رَحِمَهُمَا الله تعالى، وإرشادِهِما**" [٣]، وعند بلوغِهِ سِنَّ العاشرة ازدادت رغبتُهُ أكثرَ في تَعَلُّم اللغة العربية، فَتَعَلَّمَها على يَدِ ابْنِ عَمِّ والدِهِ، وكان الحجري يتردَّد على بيتِ ابْنِ عَمِّ والدِهِ ليتلقَّى دروسَ اللغة بكلِّ سِرِّيَّة [٤]. ومن الوسائل التي استغلَّها الموريسكيُّون لتبادُل العلم بينهم "الإجازة"؛ وهي رخصة الترجمة من اللغة العربية إلى الإسبانية والعكس، فقد مَنَحَتْهُمُ الحقَّ في استخدام اللغة العربية والاطِّلاع على مكتبات النَّصارى وما تَحوِيهِ من الكتب باللُّغَات المختلفة لاسِيَّمَا العربية منها. وذَكَرَ الحجري أَنَّ القِسّيس دييجو دي مالدونادو دَعَاهُ إلى منزلِهِ لِيَطَّلِعَ على

---

[١]عدناوي، عبد الرحيم، تقديم لكتاب ناصر الدين على القوم الكافرين أو مُختَصَر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب للفقيه أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي أفوقاي، تحقيق: محمد رزُّوق، **مجلة أبحاث**، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة اليرموك، اليرموك، ع٢٧، ١٩٩١م، ص١٨٢.

[٢]الجدول من عمل الباحثة يوضح تأثر الكتابات الموريسكية بالمصطلحات اللاتينية(الإسبانية).

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٥٩.

[٤]المصدر نفسه، ص ص: ١٩٢-١٩٣.

أَحَدِ الكُتُبِ العربية التي كانت تَحويها مكتبة القِسِّيس [1]، واستغلَّ الحجريُّ أيضًا هذه الإجازة عندما حَمَلَ كتابًا بالعربية "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأهلِ بَلَدِهِ عندما عَلِمَ بِقُدُومِهِم إلى مدينة غرناطة؛ فكان الموريسكيُّون يَنتهِزُونَ الفُرَص لتداوُل العلم بينهم.

كما تَمَكَّنَ بعضُ الموريسكيّين من الالتحاق بجامعة غرناطة والتَّخَصُّص في العلوم المختلفة؛ فمن الشَّخصيَّات التي ذَكَرَها الحجري في رحلتِهِ شيخُ الترجمة بالإجازة ألونسو دي كاستيو، الذي دَرَسَ الطِّبَّ في جامعة غرناطة، ثم استدعاهُ الملك فيليب الثاني ليقومَ بترجمة المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال مقابل دَخْلٍ سَخِيٍّ، ثم فُوِّضَتْ إليه مَهَمَّةُ ترجمة مراسلات رسمية مع المغرب [2].

ت–تضارُب بين مرسوم مَنْعِ اللغة العربية وحاجة السُّلُطَات الإسبانية للنَّاطقين بها:

عانَى المسؤُولون في عهدِ فيليب الثاني من القدرة على ترتيب وتصنيف الكتب العربية؛ فقد كانُوا بحاجة إلى أشخاص على معرفة باللغة ليفهمُوا مضمون تلك الوثائق والكتب، فَبَرَزَت شخصيَّات موريسكية عِدَّة استعانت بها السُّلُطَات الإسبانية للقيام بعملية الترجمة؛ منها: ميغيل دي لونا، وألونسو ديل كاستيو؛ اللَّذَانِ تَخَرَّجَا من جامعة الطب؛ التي أُنْشِئَتْ حديثًا في غرناطة، وذَكَرَ أَنَّ فيليب الثاني بَعَثَ إلى ألونسو دي كاستيو عام ٩٨٩هـ/ ١٥٨٢م؛ ليقوم بترجمة الرسائل والكتب العربية مقابل مُرَتَّبٍ عالِي قَدْرُهُ مِئَتَيْ دوكادوس[3] سنويًّا، وكان يُدْعَى بالتُّرْجُمَان الموريسكي الغرناطي[4]؛ عَمِلَ في البداية مع مجلس مدينة غرناطة وبعد ذلك مع محكمة التفتيش، وأصبح المُترجِمَ الرسمي لفيليب الثاني، وكُلِّفَ مع ميغيل دي لونا بِمَهَمَّة فهرسة مجموعة من المخطوطات

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٦٨.

[2] السفياني، أحمد بن قاسم الحجري، ص٦٣٧.

[3] **دوكاس(Ducado):** عملة ذهبية قديمة، وفي الأصل هي عملة للبندقية، وأصبحت وحدة الحساب الرسمي للنظام النقدي القشتالي في القرنين السادس والسابع عشر، وهي تُعَادِلُ ٣٧٥ مارافيديس؛ للمزيد انظر:

Carlos Marichal: La piastre ou le real de huit en Espagne et en Amérique: une monnaie universelle (XVIe –XVIIIe; Revue européenne des sciences sociales; Éd, Librairie Droz, 1 juillet 2007; p108.

[4] قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير، ص١٤.

العربية في قصر الإسكوريال[١]. وفي السِّيَاقِ ذاتِهِ؛ كَشَفَ الحجري أنَّهُ كان يُخْفِي معرفتَهُ لِلُّغَة العربية، إلى أَنْ شاءتِ الأقدارُ وانكشفَ أَمْرُهُ أمام القِسِّيس دييجو دي مالدونادو؛ الذي عَمِلَ معه على ترجمة الكتب الرصاصية. ومن الشَّخصيات الموريسكية الأخرى التي استعانت بها السُّلُطَات الإسبانية في حركة الترجمة الشيخ جبيس وحفيدُهُ محمد بن أبي العاص[٢]، واهتمَّ النَّصارى كذلك بدراسة الكتب العربية والاستعانة بها في حركة الترجمة وقراءة المخطوطات التاريخية؛ فقد أشار الحجري إلى كتابَيْن عربيَّيْن استخدمَهُمَا لفهمِ وتحليل بعض الكلمات الواردة في الكتب الرصاصية؛ منها: كتاب "الجوهري"، و"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"؛ وهذا يدلُّ على أهمية اللغة والكتب العربية في دراسة التاريخ الإسباني حينَها، بكونِهِ جزءًا لا يتجزأ من ذلك الموروث الحضاري، وكيف لِلسُّلُطَات الإسبانية أَنْ تُصْدِرَ قرارًا بمنعِ لُغَةٍ كُتِبَ بها العديد من المُؤلَّفات الحضارية لمدة تزيد عن سبعة قرون، فكيف لهم أَنْ يَمنَعُوا لُغَةَ المجتمع والحضارة والعلم وَهُمْ بأمسِّ الحاجة إليها لدراسة تاريخهم! فالسياسية التَّعسُّفِيَّة التي انتهجتْها السُّلُطَات كانت لها عواقب وخيمة تتمثَّلُ في الصعوبات التي واجهتْها تلك السُّلُطَات في البحث عن الناطقين باللغة العربية لدراسة الكتب والمخطوطات العربية والحاجة إلى مُترجِمين في المراسلات الدبلوماسية مع دول بلاد المغرب.

ث-اهتمام السُّلُطَات الإسبانية بالكتب الرصاصية:

اهتمَّتِ السُّلُطَات الإسبانية بالكتب الرصاصية؛ لكونها حاميةً للمسيحية الكاثوليكية، فاعتقد الإسبانُ أَنَّ هذه الألواحَ الرصاصية هي الإنجيلُ الخامس الذي وَجَّهَتْهُ مريمُ العذراء إلى إسبانيا، في حين حاولَ الفاتيكان مَنْعَ ترجمة تلك الألواح ودراستها؛ لكونِ البعض شَكَّكَ في أثريَّتِها، إلَّا أَنَّ كنيسة غرناطة أكَّدَتْ صِحَّةَ الاكتشافات؛ فَعَمِلَ رئيس الأساقفة بيدرو دي كاسترو على تشكيل لجنة من المُترجِمين للعمل على دراسة تلك الألواح والرَّقِّ، وكان الهدفُ من تلك اللَّجنة أَنْ تُفَسِّرَ مضامين تلك الألواح بما يخدم مبادئ العقيدة المسيحية الكاثوليكية.

فهل كانت ترجمةُ الحجري الفُضْلَى بين التَّرجمات الأخرى؟ وهل كان القِسِّيس كاستيو مُقْتَنِعًا بها؟ فقدِ اهتمَّ الأخيرُ أَنْ يُفَسِّرَ ما وَرَدَ في الرَّقِّ والكتب الرصاصية تفسيرًا نصرانيًّا أرثوذوكسيًّا، أَمَّا الحجري فكان يهدُفُ أَنْ يُفَسِّرَ وفق ما يُلَائِمُ العقيدة الإسلامية، وكان يعتقد بصحة الرَّقِّ والكتب

---

[١]كار، الدين والدم، ص٢٤١.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٦٩.

الرصاصية، وإنَّهَا قديمة؛ تعود لزمن اليسوع والنَّصارى الأوائل، وإِنَّ مضامينَها مُوَافِقَةٌ للأفكار الإسلامية عن النصرانية الأولى؛ أَيْ شُهُودًا على الأفكار التوحيدية ورَفْضًا لمفاهيمَ التَّثليث والصَّلْب، بالإضافة إلى أَنَّ الحجريَّ لم يُشِرْ لِلصُّلبان الخمسة التي تضمَّنَها الرَّقُّ. كما إِنَّ الحجري لم يذكر فصلَ التَّثليث في كتاب "الجوهر المُبَجَّل"، مع إِنَّ الفصلَ وُجِدَ في كافَّةَ النُّسَخ التي كَتَبَها الأكحيل ألونسو؛ فهل تَعَمَّدَ الحجريُّ عدمَ ذكرِها، ما يجعل الكتب على وِفَاقٍ تامٍّ مع الإسلام وعقيدتِهِ بتوحيد الله [١]؟

وذَكَرَ الحجري أثناء ترجمتِهِ لِلقِسِّيس أَنَّ دِينَ محمَّد صلَّى الله عليه وسَلَّمَ يتقدَّم على دين الذين أَمْلَوْهُ بالعيوب؛ إِنَّ القِسِّيس كَرِهَ ذلك: **"ولمَّا ترجمتُ أَنَّ "دِينَهُ يتقدم على مَنْ قد آمله من العيوب"، فقال القِسِّيس: كيف هذه الترجمة؟ قلتُ: أنتَ تعرف تقرأُ: وأُترجِمُ لك كلَّ كلمة وحدَها حتى ما أَصَابَ ما يَقُولُهُ؛ وقد كَرِهَ ذلك كثيرًا؛ لأنَّ الكفار هُمُ الذين أَمْلَوْهُ من العيوب وتقدَّم دين النبي، صَلَّ الله عليه وسَلَّمَ عليهم"**[٢]. فقد سَعَى كُلُّ عضوٍ في اللَّجنة على أَنْ يُترجِمَ ويُفَسِّرَ تلك الألواحَ بما يخدم توجُّهاته الدينية والقومية وإثبات حقيقتها التاريخية. ولا شَكَّ أَنَّ الاكتشافَيْن يدخلان في الحرب العقائدية التي كانت قائمة في إسبانيا بين المسلمين والنَّصارى.

وهنا لا بُدَّ أَنْ نضعَ تساؤلاتٍ عِدَّةً: هل كانتِ الألواح الرصاصية كنزًا أَثَرِيًّا تاريخيًّا، أم زَيْفًا تاريخِيًّا؟ ومَنْ كَتَبَها؟ وما الغرض من كتابتها؟

اختلفتِ الآراءُ بشأن صحة الألواح الرصاصية؛ فالبعضُ يُشِيرُ إلى أَنَّ كُلًّا من الرَّقِّ والكتب الرصاصية حيلةٌ ابتكرَها الموريسكيُّون في الأندلس، لاسِيَّمَا أَنَّ التُّهَمَ اتَّجَهَت نحوَ كُلٍّ من ألونسو دي كاستيو وميغيل دي لونا؛ في محاولةٍ منهم لإيجادِ دليلٍ تاريخيٍّ دِينيٍّ على أَنَّ تقارُب كُلٍّ من الديانَتَيْنِ المسيحية والإسلامية[٣]، وإِنَّ النصوص المسيحية كُتِبَتْ باللغة العربية؛ اللغة التي حَظَرَتْها السُّلُطَات الإسبانية، في حين إِنَّ المَسيحيّين القدامى كَرَّمُوا تلك اللغة وكَتَبُوا بها ألواحهم المُقدَّسة؛ لذا يجب أَنْ تتركَ السُّلُطَاتُ الإسبانية أولئك الأندلسيّين المتأخرين في حالِهِم ببلادهم، من وُجُوهِ

---

[١]من مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية) ص ص: ٢٧-٢٨.

[٢]المصدر نفسه، ص٧٢.

[٣]بيانوبيا، فرانثيسكو ماركيت، **القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى**، ترجمة: عائشة محمود سويلم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: بيانوبيا، القضية الموريسكية).

كونِهِم نصارى بثقافة عربية، وإنَّ العربَ ليسوا شعبًا دَخيلًا على شِبْهِ الجزيرة الإيبيرية ارتبطَ وجودُهُ بالفتوحات الإسلامية؛ بل شَعْبًا إيبيريًّا أصيلًا عَمَّرَ تلك الأرض منذ عهود المسيحية الأولى التي أَسْهَمَ في إرسائها بإسبانيا، ورُبَّمَا وُضِعَتْ تلك الكتب الرصاصية لإثباتِ حَقِّ المُواطَنة الإسبانية لهذا الشَّعب ضِدَّ الخطة المَحُوكَة ضِدَّهُم المُتَمَثِّلَة في الطَّرْدِ، وإنَّ كُلًّا من العرب واللغة العربية (وليس بالضرورة المسلمين والإسلام)؛ جزءٌ لا يتجزَّأُ من إسبانيا، وحَقُّهُم في الهُوِيَّة الإسبانية أَمْرٌ غيرُ مشكوكٍ فيه[1].

وقد أثارتِ الكتب الرصاصية جِدَالًا ونقاشاتٍ كثيرة داخل الكنيسة الإسبانية الكاثوليكية استغرق الباحثون والمُحَقِّقُون في دراستها زمنًا طويلًا؛ فقد رَحَّبَ بها رئيسُ الأساقفة آنذاك بيدرو باكا دي كاسترو في سياقِ صِرَاعِهِ مع سُلْطَة البابا في روما، إذْ وَجَدَ فيها سَنَدًا تاريخيًّا يدعمُ عقيدةَ طُهْرَانيَّة مريمَ العذراء البَتُول، وهي العقيدة التي كان رئيسُ الأساقفة من أشدِّ المُدافِعِين عنها حتى من قبل اكتشاف لُقْيَة الساكرومونتي؛ بينما كانت روما ترفضُ الاعتراف بها [٢].

كما يرى أميركو كاسترو أَنَّ "... **الغرضَ من هذا التزييف اللاهوتي السَّاذج هو اقتراح إِلَهٍ تَقْبَلُهُ عقائد التوحيد الثلاثة... القضية في مُجْمَلِها تُمَثِّلُ ثلاثة مظاهر: الأول هو آخِر مخزون لإرادة التَّعايُش السِّلْمِي (الواعي-غير الواعي) لدى عددٍ من المسلمين وبعض المسيحيِّين الإسبان... المظهر الثاني هو الاستقبال (الواثق-الساذج) لِمَا يُعتَقَدُ أنَّه من العالَم الآخَر الخارق للطبيعة، والذي أُسِّسَ على حقيقة أكثر فاعلية واستقرارًا عمَّا نعرفُهُ عن عالَم الأموات. وأخيرًا لابُدَّ من أَنْ نضع في اعتبارِنا سببًا أخيرًا ذَا طابَع اجتماعي، وهو وضعُ كنيسة سكرامونتي في غرناطة، والتي تتمتَّعُ ببعض امتيازات الكاتدرائية، بعد إعلان السُدَّة الرسولية أَنَّ الكتب الرصاص الشهيرة المكتوبة باللغة العربية مجرَّد مهزلة سخيفة**"[٣].

---

[١]العثماني، إسماعيل، "أفوقاي الحجري مُؤَلِّف ضون كيخوطي"، **مجلة آفاق**، وزارة الثقافة، الرباط، ع٧٣، ٢٠٠٧م، ص١٦٠.

[2]Harvey, Muslim in Spain, p p: 289-290.

[٣]إيبارا، ميغيل أنخيل بونيس، **الموريسكيُّون في الفكر التاريخي**، ترجمة: وسام محمد جزر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ص: ١٧٥-١٧٦.

وفي الختام تمَّت إدانةُ هذه الكتب ومصيرها، ففي ٦ مارس سنة ١٦٨٢م، أَيْ بعد انصرام ما يَقْرُبُ من قرنٍ على مصادرة الفاتيكان لهذه اللُّقَى؛ أَدَانَ البابا إينوسينيو الحادي عشر الصَّفائحَ الرصاصية قائلًا أنَّها: "**مُجَرَّد تَخَيُّلات بشرية مُنتحَلَة لتخريب الإيمان النَّصراني فضلًا عمَّا تضمَّنَتْهُ من شرور مُحَمَّدَيَّة**"؛ مُشِيرًا إلى أنَّها بَقِيَتْ مُصَادَرَةً في مكتبة الفاتيكان إلى سنة ٢٠٠٠م، عندما أُعِيدَت إلى دِيرِ الساكرومنتي [١].

٢- الحفاظ على الدين الإسلامي:

عَمِلَ الموريسكيُّون بمبدأ التَّقِيَّة[٢] منذ عام ١٥٠٤م، بعد فتوى أَصْدَرَها مُفْتِي وهران أحمد ابن بو جمعة المغراوي[٣]؛ رَدًّا على طلبات من المسلمين الذين يعيشون في إسبانيا تحت الحكم الكاثوليكي المُضطَّهِد لِدِينِهِم الإسلامي، وكيف سَيُمَارِسُون شعائرهم الإسلامية في ظِلِّ تلك الظروف القاهرة؛ فقد حَثَّهُمُ المُفْتي على التَّمَسُّك بِدِينِهِم كالماسكِ على الجَمْرِ، ونَصَحَهم بالثبات على دينهم بوضعِ حاجزٍ صارمٍ بين مَظْهَرِهم الخارجي وسُلُوكاتِهِم وأفكارهم الداخلية؛ فَيُظهِرُون ويُمَارِسُون شعائر الديانة المسيحية، ويُخْفُونَ ويُمَارِسُون الشعائر الإسلامية وفق ما يُلَائِمُ ظروفَهُم[٤]، ونُسِخَتِ الفتوى على نطاق واسع في المخطوطات السِّرِّيَّة طوال القرن السادس عشر؛ فقد ذَكَرَ مارمول كربخال (Mármol Carvajal)[٥] في كتابِهِ "وقائع ثورة الموريسكيِّين" أَنَّ الطَّرائقَ جميعها التي

---

[١]الشويخ، فرح، محاضرة بعنوان: «من المخطوطات الغميسة للموريسكيِّين أو الأندلسيِّين المتأخرين: الكتب الرصاصية» قَدَّمَها بمركز ابن أبي الربيع السبتي فضيلة الدكتور محمد عبد الواحد العسري، مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية، تطوان، ٦ شوال ١٤٤٤هـ الموافق ٢٧ أبريل ٢٠٢٣م، https://www.arrabita.ma/، تاريخ الاسترجاع: ٢٢/ ٥/ ٢٠٢٣م.

[٢]**التَّقِيَّة**: تعني الحَذَرَ والسِّرِّيَّةَ، والكُتمان في ممارسة المسلم للدين الإسلامي في وسط بيئة اجتماعية عدائية له، وممارسة الدين ظاهريًّا الذي فُرِضَ قَسْرًا؛ للمزيد انظر: يحياوي، جمال، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيِّين ١٤٩٢-١٦١٠م**، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٤م، ص٥٥، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: يحياوي، سقوط غرناطة).

[٣]**أحمد بن بو جمعة المغراوي**: لَقَبُهُ شقرون؛ ينتمي إلى قبيلة مغراوة، وهي أسرة ذات بالٍ في تاريخ المغرب، وهو من رجال القرن التاسع الهجري، ومن علماء المغرب العربي، وتتلمَذَ على يَدِ الشيخ ابن غازي، وتُوفِّيَ بفاس سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م؛ للمزيد انظر: المغراوي، أحمد بن أبي جمعة (ت:٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق: أحمد جلولي، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥م.

[٤]كار، الدين والدم، ص ص: ٢٢٦-٢٢٧.

[٥]**مارمول كربخال (Mármol Carvajal)**: وُلِدَ عام ١٥٢٠ في مالقة؛ اشتركَ في الحملة على تونُس عام ١٥٣٥م وأمضى ٢٢ عامًا في أفريقيا، وبعد عودتِهِ لإسبانيا عَيَّنَهُ الأمير خوان دي أوستريا مُفَتِّشًا على مشتريات الجيش

سَعَتْ إليها السُّلْطَة الكاثوليكية لتنصير المسلمين باءت بالفشل: "... **اتَّضَحَ لاحقًا أَنَّ إظهار حُسْنِ النِّيَّة لم يُسهِمْ إِلَّا بصورة ضئيلة في حَمْلِ الموريسكيّين على تَرْكِ الإسلام. فعلى الرَّغم من قولِهم بأنَّهم مسيحيُّون فإنَّه كان من الواضح اهتمامُهم بشعائر وطقوس طائفة محمد أكثر من مبادئ الكنيسة الكاثوليكية**"[١].

لَجَأَ الموريسكيُّون إلى انتهاج مبدأ التَّقِيَّة، نتيجة ما لاقَوْهُ من شَتَّى أنواع العذاب والاضطهاد من قِبَل ديوان التحقيق؛ الذي سَعَى إلى تطهير إسبانيا المسيحية من الدين الإسلامي لكنَّهُ فَشِلَ في تحقيق ذلك، ويأتي ذلك في اعترافات المشرفين على حملات التَّنصير، والرُّهبان، حتى إنَّ الملك فيليب الثالث اعترف بذلك الفشل؛ فقد قال: "... **إنَّكُم على عِلْمٍ بمحاولاتي مدة سنين طويلة لتنصير موريسكي هذه المملكة بلنسية وكذلك قشتالة... وبإصداري أوامر العَفْو مِنَّةً مِنِّي عليهم... وبالنتائج الهزيلة المُحَصَّل عليها، إِذْ من الواضح أنَّه لم يتنصَّر أحدٌ بل على العكس لم يَزِدْهُم إِلَّا إصرارًا**"[٢].

يقول الحجري في هذا الصَّدَد: "**ثم ذكرتُ كيف كان حالُ المسلمين بين النَّصارى بعد أَنْ أَدخَلُوهم جميعًا كَرْهًا منهم في دينهم؛ وكانوا يَعبُدون دِينَيْنِ: دين النَّصارى جهرًا، ودين المسلمين في الخفاء من الناس. إذا ظَهَرَ على أحدٍ شيء من عمل المسلمين يحكمون فيهم الكفار الحكم القوي، يُحرِقُون بعضهم كما شاهدتُ من عشرين سنة قبل خروجي منها**"[٣]، فقد بَذَلَ الموريسكيُّون جهدًا في سبيل المحافظة على دينهم وسط مجتمع نصراني متعصِّب؛ فقد تَظَاهَرُوا بِقَبُولِهِم لهذا الدين ومارَسُوا شعائرَهُ علانيةً لِيَقُوْا أنفسهم من شَرِّ ديوان التحقيق.

فخلال القرن السادس عشر للميلاد أصبحت تعاليمُ الإسلام وممارستها لدى الطائفة الموريسكية تقاليدَ موروثةً، يتوارثُها الأبناء عن الآباء جيلًا بعد جيلٍ؛ في حَلَقَاتٍ مغلقةٍ سِرِّيَّةٍ. وذَكَرَ الحجري

الإسباني، وبعد إخماد ثورة الموريسكيّين استقرَّ في غرناطة، وبدأ بتأليف كتاب إفريقيا، ونَشَرَ كتابَهُ "وقائع ثورة الموريسكيّين" عام١٦٠٠م، أيْ بعد عام من وفاتِهِ؛ للمزيد انظر: كربخال، وقائع ثورة الموريسكيّين، ج١، ص٨.

[١]كربخال، وقائع ثورة الموريسكيّين، ج١، ص١٦٧.

[2]Mercedes Garcia Arenal: Los moriscos y la inquisicion–procesos del tribunal decuenca, p251.

نقلًا عن: يحياوي، سقوط غرناطة، ص٦٧.

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٦١.

أنَّهُ تربَّى على مبادئ الدين الإسلامي على يَدَيْ والدَيْهِ: **"من نِعَمِ الله عليَّ أَنْ جَعَلَنِي مُسْلِمًا في بلاد الكفار منذ أعرفُ نفسي بِبَرَكَةِ الوالدين رَحِمَهُمَا الله وإرشادِهما"**[1].

إنَّ الكُتَّابَ الموريسكيِّين أصبحوا أكثرَ قدرة على مجابهة الطقوس والممارسات المسيحية؛ فقد كانوا بفضل ثقافتهم الإسبانية قادرين على الخوض في المناقشات التَّصَوُّرِيَّة والفلسفية واللَّاهوتيَّة، فاستعمل المسيحيُّون الإسبان الجَدَلَ الديني استعمالًا واسِعًا في حياتهم الثقافية والدينية في القرن السابع عشر، ومن المُلَاحَظِ أصالة جِدَالِ الموريسكيِّين بالنسبة للمجادلات الإسلامية ضِدَّ المسيحيِّين في العصور الوسطى؛ على أَنَّ حُجَجَهُم هي في بعض الأحيان ثمرةُ تجربةٍ عاشُوها وتفكيرٍ شخصيٍّ [2].

أ- الصيام:

حافظَ الموريسكيُّون على صَوْمِ رمضان مع تَجَسُّس ديوان التحقيق ومراقبة تصرُّفاتهم في هذا الشهر؛ فقد حَرِصَ الموريسكيُّون على تغيير عاداتهم خلال مدة الصيام، حتى لا يُثِيرُوا شكوكَ المسيحيِّين، وكانوا يتظاهرون أمام المسيحيِّين بالأكل، أو أنَّهُم يحاولون الابتعاد عنهم أثناء مدة الأكل، وكان الموريسكيُّون يتَّفِقُون مع أصحاب العمل على تَغَيُّر أوقات عملهم بما يتناسب مع هذا الشهر[3]، وفي كثيرٍ من الحالات كان يُعْفَى الموريسكيُّون من الصيام؛ منها: الشَّيخُ المُسِنُّ الذي لا يَقْوَى على الصيام، والمسلم الذي يعمل في خدمةِ مسيحيٍّ؛ فكان عليه أَنْ يأكل في الساعات نفسها التي يأكل فيها سَيِّدُهُ أو يُطْعِمُ مِسكينًا العبدُ الذي لا يسمح له سَيِّدُهُ بالصوم، وعلى السَّيِّدِ أَنْ يُطعِمَ مسكينًا؛ لأنَّ العبد قد يموت قبل أَنْ يتمكَّنَ من القضاء، والمسجون بناءً على قرار محاكم التفتيش أو لقضاء مدة عقوبة، أو الأسير في بيت أحد المسيحيِّين أو في السجن، والمرأة التي تُجْهِضُ، أو المُرْضِعَةُ التي تخشى على طفلها؛ عليها أَنْ تُطْعِمَ مسكينًا أو تقضِي الأيام التي فاتَتْها[4]. وكان الصيام كثيرًا يُتَنَاوَلُ في المسائل الجَدَلِ التي تدور بين الموريسكيِّين والمسيحيِّين؛

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٥٩.

[2] دي ايبلزا، ميكال، الممارسات الإسلامية في مجابهة الطقوس المسيحية في نَصَّيْنِ لموريسكيَّيْن: إبراهيم الطيبلي وأحمد الحنفي؛ ضِمْنَ كتاب تراجيديا طرد الموريسكيِّين، ص١٢٢.

[3] رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى بلاد المغرب، ص١٠٦.

[4] لونغاس، بدرو، **حياة الموريسكيِّين الدينية**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٢٠٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: لونغاس، حياة الموريسكيِّين الدينية).

فقد ناقش الحجريُّ قاضيَ الأندلس بباريس بشأن مسألة الصيام عند المسلمين، فقال: "**فالقاضي ابتدأً بالكلام، اعني قاضي الأندلس، وقال لي: هل عندكم صيام في دينكم فَرْضٌ؟ قلت له: عندنا شهر قمري في العام، قال لي: كيف هو صيامكم؟ قلتُ له: نُمْسِكُ عن الأكل والشرب من انشقاق الفجر إلى غروب الشمس، قال: نحن عندنا صيام فرضِ في كُلِّ سنة.. وهو تِسْع وأربعون يومًا متوالية، قلت له: كيف هو صيامكم؟ وأنا عارف به قال: في نصف النهار ساعة معتدلة، ثم نُمْسِكُ عن الأكل إلى الليل، وفي أوَّلِهِ نأكل أقل طعامًا مِمَّا أكلنا في نصف النهار، قلتُ له: ما السِّرُّ في الصوم والمراد به؟ لأنَّنا في دِينِنَا هو لِنَرُدَّ النفس عن الشَّهوات، نُزِيلُ من قُوَّتها بالصوم، قال لي: ونحن كذلك، قلتُ له: بل تزيدون في قوتكم بهذا الصيام...**"[١]، فهنا الحجري يُقَدِّسُ قيمة الصيام عند المسلمين، وإنَّ الغرضَ منه هو تقويةُ الإيمان وَرَدُّ النفس عن الشهوات؛ بخلاف النَّصارى يصومون حتى تَقْوَى أجسادهم. فَجِدَالُ الموريسكيّين المتأخِّرين بشأن الصيام يدلُّ على حفاظِهم على رُكْنٍ يُعَدُّ من أهمِّ أركان الدين الإسلامي مع قسوة حَمْلات التَّنصير التي تعرَّضوا لها؛ فقد أَكَّدَ المسيحيُّون العاملون في مَعْصَرَة الزيتون بقرية البالات (Albalate) [٢] عام ١٠١٦هـ/١٦٠٧م أَنَّ موريسكيِّي القرية جميعهم يصومون شهر رمضان، وسُكَّان هرناشوس كانوا يستغلُّون عملهم في الحقول لصوم شهر رمضان [٣].

ب-مَنْع الخَمْر ولَحْم الخنزير:

كان الموريسكيُّون يمتنعون عن أكل لحم الخنزير؛ فلم تُشِرِ الوثائق الرسمية الخاصة بالفلاحة والماشية إلى الخنزير. وكانوا يذبحون الأبقار والأغنام على الطريقة الإسلامية، وحَرِصُوا على أَنْ يكون لهم في المَجْزَرَة مكانٌ ودكَّانٌ خاص بهم به جَزَّارٌ من طائفتهم[٤]، ففي قضايا الموريسكيّين أمام محاكم التفتيش ذكرت أنَّهُم لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر؛ بل كانوا يتناولون غذاء

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص ص: ١١٣-١١٤.

[٢]**البالات (Albalate)**: هي إحدى القرى التابعة لإقليم أرغون؛ للمزيد انظر:

Albalate del Arzobispo, [Albalate del Arzobispo – Parque Cultural del Río Martín (parqueriomartin.com)](parqueriomartin.com), تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٠/٢٦م

[3]Jaqueline Fournel: Les Moresque Aragnais et Linquisition de Sarrgosse(1540-1620), p136.

نقلًا عن: يحياوي، سقوط غرناطة، ص ص: ١٩١-١٩٢.

[٤]قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير، ص١٠.

يُسَمُّونَهُ الخليع (Alhale) [١] يَصِفُهُ الدكتور ثاراتي عضو محكمة التفتيش بالوصف التَّالي: "هو لحمٌ يصنعُهُ المسلمون لكي يستعملوه في كل وجبة كما يستخدم المسيحيُّون لحم الخنزير، وهو يُؤْكَلُ مع خبز ساخن في الصباح كما يُؤْكَلُ الزبد، ويُؤْكَلُ في أَيِّ وقت وفي أَيِّ يومٍ من العام[٢]، وأدَّتِ المرأة الموريسكية دورًا كبيرًا في الحفاظِ على الطعام الإسلامي، واعدادِهِ بالطريقة الإسلامية. كما حَرِصَتْ على عدم طبخ لحم الخنزير وإطعامه لأطفالها، وإعداد وجبة الكُسْكُسِي بدلًا عنه؛ سَعْيًا منها في تحدِّي السُّلُطَات الإسبانية والحفاظ على التقاليد الإسلامية في الطعام [٣]، وذَكَرَ الحجري امتناع المسلمين عن شرب الخمر ضِمْنَ جِدَالِهِ مع قاضي الأندلس بباريس؛ فقد أَوْرَدَ جوانب من الحوارِ ذاتِهِ في قولِهِ: "... **وانتقلَ إلى مسألة الامتناع عن شُرْبِ الخَمْرِ، وقال: ما السبب حتى مَنَعَكُم نَبِيُّكُم من الخَمْرِ؟ قلتُ: مَنَعَهُ الله تعالى؛ لأنَّ أفضل ما تَكَرَّمَ به على بني آدم هو العقل، والذي يُزِيلُهُ هو الخَمْرُ، وهو أقبحُ المسائل كلِّها، قال: حتى عندنا هو ممنوع أَنْ يَشرَبَ الانسانُ منه حتَّى يَسْكَرَ، قلتُ، ظَهَرَ لي أنَّه ممنوع لكم في الإنجيل ولا انتبهتُم له، قالوا: في أَيِّ موضع؟ قلت: في الدعاء الذي أَمَرَكُم به سيِّدُنا عيسى–عليه السلام–أَنْ تدعوا به، وأوَّلُهُ أبونا الذي في السماء... إلى أَنْ تقولوا: ولا تَدَعْنَا نقعُ فتنةَ النفس وآخرون يُترجِمُون: "ولا تُدْخِلْنَا التخريب وَهُمُ الأكثر، والأول عندي هو الصحيح. قالوا: عندنا هذا"**[٤]. وجادلَ الحجري في مسألة الخمر لأنَّهُ مُذهِبٌ للعقل وجَالِبٌ لِلْفِتَنِ، وخَاضَ الجِدَالَ مع النَّصارى من خلالِ ذِكْرِهِ لأمثلة من كُتُبِهِم حتى يُرَجِّحَ كَفَّةَ رَأْيِهِ: "**طالعتُ كتابًا من كتبكم بالعجمية وقال فيه: أَنَّ في مدينة كبيرة، أظنُّ أنَّها بإيطاليا من بلاد النَّصارى، تُعَيِّنُ الناس حكامًا لسنة كاملة... أَنَّ كل مَنْ يحكم بين الناس لا يشرب خمرًا دامَ في سنتِهِ... لِمَا فيه من المفاسد لشاربِهِ ولِلنَّاس الذين يحكمون عليهم**"[٥]؛ فَهُنَا الحجري

---

[١]**الخليع (Alhale):** هو لحمٌ يَصْنَعُهُ الموريسكيُّون من المواشي بعد انتزاع اللحم من العظام؛ يصنعون منه شرائح مُمَلَّحَة مُجَفَّفَة، ثم تُقْلَى، ثم يُضَافُ إليها دُهْنًا، وبعد أَنْ يَبْرُدَ يُوضَعُ في إناء يُحفَظ لمدة سنة كاملة؛ للمزيد انظر: Beaussier.Dict, part. Arab-france, p179.

نقلًا عن: لونغاس حياة الموريسكيّين الدينية، ص٢٤٧.

[٢]المرجع نفسه، ص٢٤٧.

[٣]الحسيني، قاسم عبد سعدون، "المرأة الموريسكية: قراءة في البحث عن الذات، وإثبات الهُوِيَّة الإسلامية في الأندلس"، **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع٥٠، ٢٠٢١م، ص ص: ٤٠-٤١، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحسيني، المرأة الموريسكية).

[٤]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١١٤.

[٥]المصدر نفسه، ص١١٥.

استمدَّ حُجَّتَهُ من نظام الحكم لديهم، وسياسة التَّعيين في المناصب العليا، ففي إيطاليا يُعَيَّنُ الشَّخصُ في الكنيسة لعام واحد، يَحْرُمُ عليه الخمرُ فيه؛ وهذا دليل من المجتمع على الضَّرَرِ الذي يُحْدِثُهُ الخمرُ للعقل، وتأثيرُهُ في قرارات الإنسان[١].

فمسألةُ جِدَالِ الموريسكيّين للخمرِ يدلُّ على امتناعهم عن شُرْبِهِ مع محاولة السُّلُطَات النصرانية إجبارهم على شُرْبِهِ وتناوُل لحم الخنزير. كما امتنعَ الموريسكيُّون عن أكلِ لحم الخنزير، فعندما سأل قاضي باريس الحجري عن سبب امتناع المسلمين عن أكلِ لحم الخنزير؛ أجابَهُ: **"لأنَّهُ نجسٌ؛ لأنَّه لا يأكل إلَّا النَّجاسات؛ وحتى في الانجيل هو ممنوع، قالوا: ليس بممنوع، وأين المَنْعُ في الانجيل؟"، ليجيبهم الحجري بذكر حكاية هلاك نحو أَلْفَيْ خنزير لعدم صلاحيتها للأكل، قائلًا: "هذا نحو ألفين خنزير تساوي دراهم كثيرة وأَذِنَ سيدنا عيسى، عليه السلام، في افنائِها وتَلَفِها وأَنَّ اربابَها يخسرون قيمتها لأجل أَنَّ الخنازير كانت عنده حرامًا؛ ولو كانت من المواشي المُبَاحَة لم يَأْذَنْ سيدنا عيسى، عليه السلام، للجنون بالدخول فيها لإفسادها وهلاكها"**[٢].

وتأكيدًا على ما سبق، عثرتِ الكشوفاتُ الأثرية الحديثة في مدينة غرناطة على مُخَلَّفَاتٍ أَثَرِيَّةٍ لبقايا أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ تعود للمدة الإسلامية–الوسيطة–كان الموريسكيُّون يتناولون فيها الطعام بشكل جماعي وفقًا للعادات الإسلامية. كما عَثَرَتِ الكشوفاتُ على بقايا طعام للمواشي التي كان يتناولها الموريسكيُّون القاطنين في المنطقة. وما يُؤَكِّدُ أَنَّ المنطقة كانت تَضُمُّ أحياءً موريسكيَّةً غيابُ المُكتَشفات الأثرية الخاصة ببقايا عظام الخنزير، وقد أَشَرْنَا مُسَبَّقًا إلى أَنَّ الموريسكيّين امتنعوا عن تناوُلِهِ، واستمرُّوا في تناوُل المواشي الحلال وذَبْحها بالطريقة الإسلامية [٣]. فكان الموريسكيُّون بعد الانتهاء من ذَبْحِها يُخْفُونَ عظامها بدفنِها تحت الأرض؛ حتى لا يتمَّ كَشْفُهُم من قِبَل محاكم التفتيش ومعاقبتهم على ذلك، وخرجت تِلكَ الكُشوفات بالرسم البياني التَّالي الذي يُوَضِّحُ إحصاءاتٍ ونِسَبًا

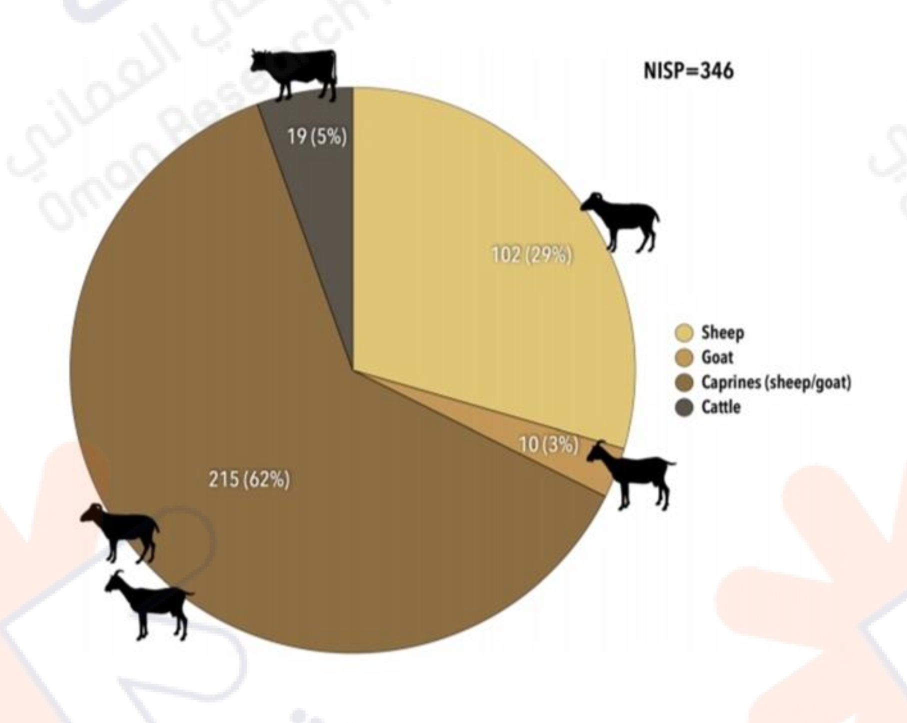
---

[١]شودار، التراث الأندلسي الموريسكي، ص٤١.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١١٧.

[3]García–García, Marcos, and anothers, The zooarchaeological identification of a ‘Morisco’ community after the Christian conquest of Granada (Spain, early 16th century): sociocultural continuities and economic innovations, **Archaeological and Anthropological Sciences**, https://doi.org/10.1007/s12520-021-01288-2, 2 March 2021, p p: 17–18.

لبقايا آثار المواشي (أغنام، الضوائن، أبقار)، التي يستهلكُها الموريسكيُّون، ولا يُوْجَدُ أَثَرٌ لبقايا عظام الخنازير:



[١]

٣- الحفاظ على العادات والتقاليد العربية:

أ- التَّسمية:

عندما تُرْزَقُ الأُسَرُ الموريسكية بطفل يفرض عليهم الذهاب إلى الكنيسة من أجل التعميد بالطريقة المسيحية؛ فكانتِ الأسرة بمجرَّد العودة للمنزل تغسل طفلها بالماء الطاهر لإزالة آثار التعميد [٢]، ثم يُطْلَقُ على الطفل اسْمٌ عربيٌّ إلى جانبِ الاسْمِ المسيحيّ المُسَجَّلِ رسميًّا للطفل لدى الحكومة الإسبانية؛ لأنَّهُ حُرِّمَ على الموريسكيِّين الأسماء العربية [٣]، فالاسْمُ الأول خاصٌّ بهم

---

[١] الرسم البياني أخذ من بحث:

García, The zooarchaeological identification of a 'Morisco' community, p57.

[٢] عويد، فراس حمد خلف، "الموريسكيُّون بين اتفاقية التسليم ووحشية محاكم التفتيش"، **مجلة آداب الفراهيدي**، جامعة تكريت، العراق، ع٣٤، ٢٠١٨م، ص٢٤٣.

[3] Bronat y Barrachina:Los Moriscos Espanoles y su expulsion ,p 252.

يتداولونَهُ بينهم، أمَّا الثاني يستعملونه في الوثائق الرسمية والمعاملات الإدارية. كما إنَّ كثيرًا منهم اتَّخَذَ لَقَبَ أسيادهم أوِ الشخصيات التي كانوا تحت رعايتها [١]؛ ذَكَرَ المُؤَرِّخُ لبورونات إي باراتشينا[٢] في كتابِهِ "الموريسكيُّون الإسبان وطَرْدُهُم": **"أَنَّ المسلمين كانوا يُعَمِّدُون أطفالهم بالطريقة الإسلامية على النَّحو الآتي، يضع المسلم حبَّاتٍ من القمح والشعير وقِطَعًا من الذهب والفضة في إناء ويَصُبُّ عليها ماءً ساخنًا. ثم يُوضَعُ المولود وهو عارٍ فوق الإناء ويغمرُ جَسَدَهُ بالماء ثم يُوَضِّئُهُ، ثم يُلْبِسُهُ ملابسَ نظيفة ويُطلقَانِ عليه اسْمًا، ويَضَعُون له غطاءَ رأسٍ من حرير، ويأخذ الموجودون في الحفل قِطَعَ قماش صغيرة ويسألون مَنْ يقومُ بِطُهُورِهِ عنِ اسْمِهِ ويُرَدِّدُ الآخرون الاسْمَ، ثم يرفعون المولودَ جميعًا ويقولون بصوتٍ عالٍ "لى لى لى لى"**"[٣]. وكان الحجري يحملُ اسْمَيْنَ، الاسم الإسلامي أحمد بن قاسم، أمَّا الاسم الموريسكي دييغو بيخيرانو؛ وهو الاسْمُ الذي كان يَستخدِمُهُ في المعاملات الرسمية لدى السُّلُطَات النصرانية.

ب-الزِّواج:

لتسهيلِ مَهَمَّةِ إدماجِ الموريسكيِّين في الوسط المسيحي أُجْبِرَتِ الفتياتُ المُسلِمَات على الاقتران القسري بالنَّصارى، وكذلك إجبار الرجال المسلمين على الزِّواج بنصرانيَّات؛ فحاولت بعضُ الإدارات المحلية تشجيعَ الزِّيجات المُختلَطة بين النَّصارى القُدَامَى والموريسكيِّين عبرَ إعفاءات ضريبية أو حوافز مالية أخرى، لكنَّ هذه الزِّيجات لم تَحْدُثْ لأعداد كبيرة لِمَا يكفي لتدميرِ خَطِّ

نقلًا عن: يحياوي، سقوط غرناطة، ص١٩٦.

[١] قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير، ص١٠.

[٢] **بورونات إي باراتشينا:** مُؤَرِّخٌ وكاهنٌ إسبانيٌّ؛ دَخَلَ سِلْكَ الرهبانية من عام ١٨٨٦-١٨٨٨م، وكان عضوًا في المدرسة التاريخية فالنسيانا من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. تَمَيَّزَ باهتمامِهِ بدراسة أوضاع المغاربة والبطريرك ريبيرا، وفي عام ١٨٩٩ كَلَّفَهُ رؤساء كلية كوربوس كريستي في فالنسيا بإجراء دراسة بشأن طَرْدِ المغاربة ومشاركة البطريرك ريبيرا مؤسس الكلية فيها، وخلال هذه المدة كَتَبَ مُؤَلَّفَهُ "الموريسكيُّون الإسبان وطَرْدُهم" الذي نُشِرَ عام ١٩٠١؛ للمزيد انظر:

M.-F.A.**Los Moriscos espanoles y su expulsion**. Estudio historico-critico, por D. Pascual Boronat y Barrachina, Pbro, con un prologo del Excmo. Sr. D. Manuel Danvila y Collado. in: Bulletin Hispanique, tome4, n1, 1902.pp: 64-66; https://www.persee.fr/doc/hispa.

[٣] أرينال، مرثيديس غارثيا، **الموريسكيُّون الأندلسيُّون**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: أرينال، الموريسكيُّون الأندلسيُّون)، ص١٠٢.

التقسيم العِرْقِي بين الجماعتَيْن [1]. فمن خلال مناقشة جَرَتْ بغرناطة بين الحجري وقِسٍّ هناك؛ سأل هذا الأخيرُ الحجريَّ قائلًا: "**أنتمُ الأندلسُ فيكم عادة غير محمودة.... أنَّكم لا تَمْشُون إلَّا بعضكم مع بعض، ولا تُعطُون بناتكم للنَّصارى القدماء، ولا تتزوَّجون مع النَّصرانيَّات القدماء**"؛ فأجابه الحجريُّ: "... **لماذا نتزوَّج النَّصرانيَّات القدماء وكان بمدينة انتقيرا**[2] **رجلًا من قرابتي عَشِقَ بنتًا نصرانية، ففي اليوم الذي مَشُوا فيه بالعروسة إلى الكنيسة ليتمَّ النِّكاح احتاج يُلْبِسُ العروسَ الزرد المهند من تحت الحوايج، وأخذ عندَهُ سَيْفًا لأنَّ قرابتها حَلَفُوا أنَّهم يقتلونه في الطريق، وبعد أَنْ تزوَّجَها بسنين لم يدخل إليها أحدٌ من قرابتها، بل يتمنَّوْنَ موتَهُ وموتَها**..."، ويُضِيفُ الحجريُّ قائلًا: "**وما ذكرتُ له عن الأندلسي والنصرانية كان صحيحًا، وأسلمتْ على يَدِهِ وحَسُنَ اسلامُها غايةَ الحسن، وأسلمتْ على يَدِها أمُّها عجوزة**"[3].

كما ذكرتِ المصادرُ أَنَّ امرأة موريسكية تزوَّجت من مسيحي إسباني بالإجبار؛ لكنَّها استطاعت أَنْ تُقْنِعَهُ بالذهاب إلى الجزائر، وعندما وَصَلَا هناك أعلنت إسلامَها، واشترطت عليه أَنْ يَعتَنِقَ الدين الإسلامي إذا أراد البقاء معها، فأسلمَ زوجُها واستقرَّا في الجزائر [4]، وهذا يدلُّ على استمرارية مقاومة الأندلسيِّين لِلتَّنصير القسري والحفاظ على الدين الإسلامي بينهم؛ بل التأثير على المسيحيِّين ودعوتهم للدخول في الدين الإسلامي.

وقد أشارَ دي ايبالثا أَنَّ أَحَدَ أهمِّ العوامل التي حَالَتْ دُونَ اندماج الموريسكيِّين في المجتمع الإسباني، العامل الديني؛ وذلك بسبب التَّمْييز الذي انتهجتْهُ محاكم التفتيش بين المسيحيِّين القدامى والمسيحيِّين الجُدُد، واتِّهَام الجُدُد بعدم صحة عقيدتهم مع إنَّ بعضَهم أَخْلَصَ للمسيحية وأصبحوا قساوسةً؛ ما أَسْهَمَ في تعميق الفجوة بين الجماعتَيْن ووَضْعِ الموريسكيِّين مَحِلَّ شَكٍّ دائمًا، وهذا

---

[1] كار، الدين والدم، ص٢١٣.

[2] **انتقيرا (Antequera):** إحدى مدن الأندلس القديمة تَبْعُدُ عن مالقة نحو ٦٠ كم؛ انظر: الحجري، أحمد ابن قاسم، **رحلة أفوقاي الأندلسي مُختصَر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب ١٦١١-١٦١٣م**؛ حَقَّقَها وقَدَّمَ لها: محمد رزُّوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص٤٠.

[3] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص ص: ٨١-٨٢.

[4] الحسيني، المرأة الموريسكية، ص٤٢.

بدورِهِ أَثَّرَ سَلْبًا في المجتمع الإسباني، وتَوَالِي النَّكَبَات على الموريسكيِّين على مدى القرن السادس عشر حتى أوائل القرن السابع عشر لحظةَ إعلان الطَّرْدِ النهائي[١].

ثالثًا: حَظْرُ هجرةِ الموريسكيِّين خارج إسبانيا عام١٥٨٦م

لَجَأَ الموريسكيُّون إلى الهجرةِ من أجل الحفاظ على دِينِهم وهُوِيَّتِهِم، فبعد فَتْوَى أصدرَها الونشريسي[٢] يَحُثُّ فيها الموريسكيِّين على الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام؛ زادت أعداد المهاجرين الأندلسيِّين إلى بلاد المغرب، فتعدَّدت طرائق الهجرة إلى الشمال الإفريقي، مع إِنَّ الأمرَ غيرُ مُتَاحٍ، وكان الإقدامُ عليه مجازفةً بالحياة، ولَجَأَ بعضُ الموريسكيِّين إلى إظهار التَّنَصُّر؛ حتى يتمكَّنوا من بيعِ أملاكهم والهروب بثمنِها إلى المغرب، وعندما اكتشفتِ السُّلُطَات الإسبانية الأمرَ مَنَعَتِ المُتنَصِّرين كافَّةً من بيعِ أملاكهم، وتعدَّدت أماكن هجرة الموريسكيِّين؛ فالبعض لَجَأَ إلى الشمال الأوروبي، وفرنسا التي كانت تتمتَّع بعلاقات وُدِّيَّة مع الدولة العثمانية، أو إلى هولندا بحكم العداء الديني بينها وإسبانيا، والبعضُ كان يُهَاجِرُ عن طريق إسبانيا الشمالي لِيَعْبُرَ فرنسا ومنها إلى إيطاليا فتونُس، واتَّجَهَ البعضُ إلى القسطنطينية؛ بل وَصَلَ بعضُهم إلى الفلبين والأمريكيَّتَيْن[٣].

ومع حَظْرِ الهجرة إلَّا أَنَّ كثيرًا من الموريسكيِّين هاجَرُوا إلى بلاد إسلامية، وكانت معظم تلك الهجرات تتمُّ بشكلٍ سِرِّيٍ، وليست هناك وثائق تُسَجِّلُها؛ وإنْ كان بعضُها قد أَمْكَنَت دراستُهُ ومعرفة ظروف الهجرة التي مَرَّ بها الموريسكيُّون [٤]. فقد كان الموريسكيُّون يَشعُرُون أنَّهم أَسْرَى لدى النَّصارى؛ لذلك استهوى بعضَهم الهربُ بِدِينِهِ من إسبانيا، مُتَحَدِّيًا بذلك سُلْطَتَها الدينية

---

[١]دي ايبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص١١٩.

[٢]**أحمد الونشريسي:** هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي؛ وُلِدَ بجبل ونشريس عام٨٣٤هـ/١٤٣١م، ونَشَأَ في مدينة تلمسان وأَخَذَ عن شيوخها علمَ الفقه واللغة، ثم استقرَّ في فاس وعَمِلَ في القضاء والفتوى، والتدريس، وتُوفِّيَ عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م؛ للمزيد انظر: الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى ابن محمد التلمساني (ت: ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، **أَسْنَى المتاجر في بيان أحكام مَنْ غُلِبَ على وطنِهِ النصارى ولم يهاجر وما يترتب من العقوبات والزواجر (٨٣٤-٩١٤هـ/١٤٣٠- ١٥٠٨م)**، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٩٩٦م، ص ص: ٥-٧.

[٣]إلهامي، محمد، "الأندلسيُّون بعد سقوط غرناطة المحنة الأولى في مسلسل الأقلِّيَّات الإسلامية المستمر"، **مجلة البيان**، المركز العربي للدراسات الإنسانية، الرياض، ٢٠٢٠م، ص ص: ٢٧٧-٢٧٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: إلهامي، الأندلسيُّون بعد سقوط غرناطة).

[٤]دي ايبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص ص: ٩٩-١٠٠.

والسياسية التي تمنعُ ذلك، ويمكن أَنْ نُمَثِّلَ على هذا الأمر بهروب الحجري إلى المغرب؛ الذي وَصَفَ رحلةَ هُرُوبِهِ بشكلٍ مُسْهِبٍ في كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"[١]، وسنتناول طَرْحَ روايتِهِ والظروف المحيطة لعملية هُرُوبِهِ إلى بلاد المغرب على النَّحْوِ التَّالي:

١- رواية الحجري لِهُرُوبِهِ إلى بلاد المغرب:

تَوَجَّهَ الحجري من إشبيليه إلى ميناء سانتا ماريا برفقةِ صاحبِهِ بعد أَنْ تَنَكَّرَا على أنَّهُمَا نصرانيَّان؛ لأنَّ الإسبان كانوا يمنعون اقتراب المسلمين من المناطق الساحلية، حتى لا يهربوا، أو يكونوا على اتِّصَال بالمسلمين سواءٌ من العثمانيِّين أم من المغاربة؛ فَتَمَكَّنَ الاثنان من ركوب القارب برفقة النَّصارى حتى وَصَلَا إلى مدينة البريجة، وكانت آنذاك تحت السيطرة البرتغالية: "... **وكان لي صاحبٌ من بلدي من أهل الخير والدِّين ومَشَى معي... وأهلُ القارب لا يَشُكُّون فينا بأنَّنَا منهم... ونزلنا في بلدٍ يُسَمَّى بالريجة هو للنَّصارى... ولمَّا أَنْ دَخَلْنَا سَأَلَنَا القبطان: ما سبب قدومكم؟ قلتُ له: وَقَعَ لنا شيءٌ من التغيير مع أناس ببلاد الأندلس وجِئْنَا إلى حُرْمَتِكُم؛ قال: مرحبًا بكم**"[٢].

فَبَدَأَ الحجريُّ وصاحبُهُ بالتخطيط للخروج من المدينة؛ فَتَوَجَّهَا إلى البساتين واستخفيَا هناك حتى يَنْتَهِزَا الفرصة المناسبة للهروب إلى مدينة أزمور التي كانت تَبْعُدُ عن البريجة بمقدار ثلاثة فراسخ؛ فَتَوَجَّهَ صاحب الحجري إلى بستان وبَقِيَ هناك قبل غروب الشمس، ثم عاد إليه بعدما سمع صوت مزمار البواب لينادي الناس للدخول قبل سَدِّ الباب؛ فَعَرَفَ أَنَّ هذا الصوت صَدَرَ من أجلِهِما، فَاتَّفَقَ الحجري مع صاحبِهِ حتى يعمل الخدعة، وخرج الحجري إلى الناس وهو يُشِيرُ إليهم أَنْ يتوجَّهُوا نحوَهُ، فعندما وصلوا؛ سألوهم: "**ما سبب جلوسهم إلى هذه الساعة، أو لا يخافا أَنْ يأخذهما المسلمون أسرى**"، فَرَدَّ عليهم الحجري: "**كنتُ بعثتُ صاحبي يشتري خيارًا ولمَّا تعطَّلَ جئتُ في طلبِهِ حتى وجدتُهُ في هذه الحالة وحدي لأنَّه يضطرب في الأرض**"، فَوَصَلَ خبرُهُمَا إلى القبطان؛ فظَنُّوا أنَّهُم هاربون إلى المسلمين، ولكنْ زالَ شَكُّهُم بعدما رَأَوْا أَنَّ الحِصَانَ والأمتعة ما زالت في الدار؛ فاجتمع الناس والقبطان حولهم، وأَمَرَ أَنْ يُنَادَى القِسِّيس حتى يُطَهِّرَهُ من الذنوب

---

[١]بنعزوز، فريدة، "الأسر في رحلة مغربية موريسكية لمجهول من القرن الهجري التاسع"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ع١٦، ٢٠٠٩م، ص٢٣.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٨٣.

قبل موتِهِ، بعدها تم حَمَلَهُم الحجريُّ وصاحبُهُ إلى المدينة، وأَخَذَا يُفكّران كيف سِيُدَبِّرَان هُرُوبَهُما من المدينة[1]، فالهُرُوبُ معًا صعبٌ للغاية وسَيُكْشَفُ أَمْرُهُمَا، بعدَها عَلِمَا أَنَّ سفينة عازمة على الرجوع إلى بلاد الأندلس؛ فقامَا بعمل القرعة مَنْ يرجع منهما على مَتْنِ هذه السفينة، فوقعتِ القرعة على الحجري؛ فَتَوَجَّهَ الحجري إلى القبطان ليستأذنَهُ بالرجوع إلى بلاد الأندلس، فسألَهُ القبطان: هل صَاحِبُكَ يمشي معك؟ فأجابَهُ الحجري: إنَّ صَاحِبَهُ يرغب بالجلوس هنا ويُوْصِيهِ أَنْ يرعاهُ لأنَّهُ غريب بينهم؛ فَتَوَجَّهَ الحجري نحو القارب الصغير الذي سينقلُهُ إلى السفينة الكبيرة، ثم جلس ينتظر التَّاجِرَ وكان برفقتِهِ صاحبُهُ، فَطَلَبُوا منه النَّصارى أَنْ يَدْخَلَ عند سَدِّ الباب؛ لكنَّ الحجريَّ طَلَبَ منهم أَنْ يسمحوا له بالبقاء إلى جانبِهِ حتى يخرجَ التاجر، فسمحوا له، وكان يدعوان الله أَنْ يتعطَّلَ التاجر حتى ينسدَّ الباب، ثم مَكَثَا اللَّيْلَ بعد أَنْ صَلَّيَا صلاةَ العشاء، وأَخَذَا يُفكّران كيف سيهربان إلى أزمور؛ فَقَرَّرَا أَنْ يَسْلُكَا الطريق الشمالي على جهة اليمين بمحاذاة البحر حتى الفجر لِيَبْلُغَا أزمور، وأثناء ذلك سَمِعَا صوت المدفع الكبير؛ وهو يدلُّ على الإشارة أَنَّهُم في طريقهم لِتَعَقُّبِ كُلٍّ من الحجريِّ وصاحبِهِ، فاختبأَ في وسط شجرة كبيرة حتى الليل، وبعدَها أكملَ مسيرَهُمَا إلى أزمور حتى صَعِدَا جبلًا؛ فشاهدَا مسلمين يحصدون الزَّرْعَ، فاقتربوا منهم بأسلحتهم وخَيْلِهِم، فلمَّا وصلوا إلى الحجريِّ وصاحبِهِ أخبروهما أَنَّهُمَا مُسْلِمَيْن، ففرحُوا بهما واستقبلُوهم، وأكرمُوهم بالطعام، واستمرَّت رحلتُهما أربعةَ أيام من البريجة إلى آزمور؛ أَيْ: من يوم الجمعة حتى يوم الإثنين، واستقبلَهُمَا قائدُ أزمور محمد بن إبراهيم السفياني[2].

من خلال الرواية السابقة؛ نستنتج التَّالي:

١. صعوبة الهجرة الجماعية:

نظرًا لِحَظْرِ هجرة المسلمين من الأندلس؛ أصبح من الصعب هجرةُ أكثر من فَرْدٍ سِرًّا في آنٍ واحدٍ، مع تَمَكُّنِ الحجريِّ وصاحبِهِ من الهروب معًا بِشِقِّ الأنفس؛ فمن خلال رحلة الهروب تتَّضِحُ أعداد الصعوبات والمُعَوِّقات التي واجهتْهُمَا وكادت أَنْ تُؤَدِّيَ بِهِمَا إلى الهلاك: "**قلنا لو كان واحد منَّا وحدَهُ كان يمكن الهروب والخروج بأَنْ يختفيَ ويهربَ والحال للأثنين صعبٌ**"[3]، ولم يذكرِ

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية): ٨٣-٨٤.

[2] المصدر نفسه، ص ص: ٨٥-٨٨.

[3] المصدر نفسه، ص٨٥.

الحجري اسْمَ الشخص الذي تَمَكَّنَ من الهروب معه؛ إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ بعضَ التفاصيل في رسالة وَجَّهَها إلى الموريسكيّين بالقسطنطينية، فقد ذَكَرَ: "**وسأتحدَّثُ عن الأمور التي حصلتْ معي منذ ودَّعتُ حضرتكم في إشبيلية. التي كنتُ فيها مستاء جِدًّا من فياكاس وأخيه، فاضطررتُ لِتَرْكِهِم في القارب كَيْ لا تَحْدُثَ المزيد من الخسائر المُنتَظَرَة إذا اكْتُشِفَتْ أعمالنا. في الأخير تَرَكْتُهُم ومعي الشَّابُّ القرطبي**"[١]، فالحجري أشار هنا أَنَّ هروبَهم كان في مجموعة، إِلَّا أَنَّ سَبَبَ العداء بينه وفياكاس وأخيه جَعَلَهُ يترك القارب ويُخَطِّطُ للهرب مع زميلِهِ القرطبي؛ حتى تتم عملية الهروب بنجاح من دُونِ خسائر كما ذَكَرَ مُسَبَّقًا [٢].

٢. إنَّ من أهمِّ الأسباب التي دفعتِ السُّلُطَاتِ الإسبانية لحظرِ الهجرة الموريسكية هي التَّالية:

أ- أسباب عسكرية: إنَّ هجرة الموريسكيّين إلى البلاد الإسلامية تُسْهِمُ في ازدياد أعدادِهِم في الجيوش وزيادة القوة العسكرية للجيش الإسلامي، لاسِيَّمَا القوة البحرية، وكان الموريسكيُّون يعرفون الأراضي الإسبانية جيِّدًا، ولغةَ وعاداتِ أهلها؛ ما يُسَهِّلُ لهم عملية التَّجَسُّس[٣]، وهذه العوامل أدَّت إلى تأخير في صدور قرار الطَّرْدِ، وهذا يتَّضِحُ جَلِيًّا عندما عَلِمَ القبطان بهروب الحجري وصاحبِهِ إلى مدينة المسلمين، فَغَضِبَ؛ فقد كان النَّصارى يمنعون حدوثَ أَيِّ عملية هروب من قِبَلِ المسلمين ووصولهم سالمين إلى الجانب الآخر واتِّصَالهم بهم، وذَكَرَ الحجري: "**... أَنَّ البلاد التي هي على حاشية البحر من بلاد الأندلس وأيضًا فيما لهم في بلاد المسلمين أَنَّ للنَّصارى فيها من الحرص والبحث في مَنْ يَرِدُ عليها من الغرباء شيئًا كثيرًا؛ كل ذلك لِئَلَّا يذهب أحد أو يجوز عليهم إلى بلاد المسلمين**"[٤]، وذَكَرَ الحجري في نَصِّ رسالة القسطنطينية: "**... أَبْحَرْنَا من ميناء سانتا ماريا إلى مازكان التي هي على حدود شاطئ بربريا، المكان الأكثر تحصينًا، أين يجب أَنْ يكون منتصف العالم، والمأهول من البرتغاليّين. وَهُمْ أشخاص مُولَعِين بالحرب... وقد كان الفرسان والرماة**

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٥٤.

[٢] المصدر نفسه، ص١٥٤.

[3] A.C Hess: "The Moriscos: an Ottoman Fifth Colum in sixteenth century spain", American Historical Review.

نقلًا عن: دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا وفي المنفى، ص٩٩.

[٤] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٨٣.

يترصَّدون أهل عقيدتنا. وبعد شهرين خَرَجْنَا هاربين نحو أزمور"[١]؛ فقد أشار الحجري في نَصّ الرسالة أَنَّ البرتغاليّين كانوا يترصَّدون المسلمين ليمنعوهم من العبور إلى المُدُن الإسلامية.

ب-أسباب دينية: كانتِ السُّلُطَاتُ الإسبانية تَأْمَلُ أَنَّ الموريسكيّين سيتحوَّلون إلى المسيحية بإخلاص ويُصبِحُون جزءًا من المجتمع، ونظرًا لحاجة العديد من النُّبَلاء لهم؛ بسبب خبرتهم في العديد من الصناعات والحِرَف، فَطَرْدُهُم من البلاد سَيُخَلِّفُ آثارًا اقتصاديَّةً في البلاد، إلَّا أَنَّ العديد من الموريسكيّين هربوا من الأندلس حفاظًا على دِينِهِم في ظِلِّ سياسة التَّنصير القسري؛ فقد ذَكَرَ الحجري: "... **وقد جَعَلَ اللهُ في قلبي مَحَبَّةً للخروج من بلاد الأندلس مُهاجرًا إلى الله تعالى ورسوله والقدوم إلى بلاد المسلمين**"[٢].

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٥٤.

[٢] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٥٩.

المبحث الثاني: أوضاع الموريسكيّين في عهد فيليب الثالث (١٥٩٨-١٦٠٩م).

يُعَدُّ حَدَثُ طَرْدِ الأندلسيّين الموريسكيّين من إسبانيا أَبْشَعَ مأساةٍ إنسانية حَدَثت خلال القرن السابع عشر للميلاد، وتجرِبَةً تاريخيَّةً تبلورت في ظِلِّ ظروف سياسية واقتصادية متردِّية ووسط تصادُم ديني، وتَصَدُّع اجتماعي وثقافي بين المسلمين والمسيحيّين، والطَّرْدُ مؤامرةٌ لتصفية الوجودَيْن الإسلامي والعربي عِرْقِيًّا ودِينيًّا من الأراضي الإسبانية، وخطة للإبادة العِرْقِيَّة بأنواع التعذيب والتَّنكيل وأساليب القهر جميعها، والقتل الفردي والجماعي [1].

أَوَّلًا: الطَّرْدُ النهائي لموريسكيّي الأندلس في عهد فيليب الثالث (١٦٠٩-١٦١٤م):

تَرْجَمَ الحجريُّ وثيقةَ طَرْدِ موريسكيّي بلنسية بناءً على طلب السُّلطان مولاي زيدان، وقام بإضافة الترجمة في النسخة التونُسية لكتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ ذَكَرَ الحجري: "وَكَتَبَ السُّلطان فِلِبْ الثالث [2]، من اسْمِهِ؛ كتابًا لقريبِهِ وخليفتِهِ بمدينة بلنسية [3] يأمرُهُ أَنْ يَشْرَعَ في إخراج الأندلس. وتُرْجِمَتْ نسخةٌ من البراءة للسُّلطان مولاي زيدان ابن السُّلطان مولاي أحمد بمراكش، وكان تاريخ الكتاب-والله أعلم-في أوَّل عام ثمانية عشر وألف من الهجرة؛ قال فيه:

"مركش ذَا قرسنا (Marques De Carazena) قريبنا وخليفتنا في سَلطنتنا بلنسية سلام! قد علمت ما صُنِعَ وعُمِلَ، مع النَّصارى الجدُود الأندلس أهل تلك السَّلطنة وقشتالة، على طول السِّنين الكثيرة الماضية من التحريض والإرشاد لإثباتهم في ديننا المجيد وإيماننا. ولا نَفْعَ معهم قليلًا ولا كثيرًا لأَنَّهُ لم يُوْجَدْ فيهم واحدٌ مَنْ هو نصراني حقيقةً. والغررُ والشَّرُّ الذي يُمكِنُ أَنْ

---

[1] نادية، مبروك، **استلهام التراث الموريسكي الأندلسي في الرواية الجزائرية المعاصرة-رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج أُنموذجًا**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٩م، ص٤٢.

[2] يَقْصِدُ الملك فيليب الثالث (١٥٩٨-١٦١٢م).

[3] **هو دُون لويس كاريللو دي توليدو (Luis Carrillo de Toledo)**: نبيلٌ، عسكريٌّ ورجلُ دولة؛ تولَّى العديد من المناصب في مدة حكم فيليب الثالث، وكان نائب الملك في بلنسية بين ١٦٠٦-١٦١٥م، وفي عهد فيليب الرابع عَيَّنَهُ مستشارًا، وتُوفِّيَ في شهر فبراير ١٦٢٦م؛ للمزيد انظر: الحجري، ناصر الدين(النسخة التونسية)، هامش رقم(٢)، ص١٧٣؛ شاشيّة، السفارديم والموريسكيُّون، ج٢، ص٤٤؛ عبد المؤمن، محمد، "مرسوم طَرْدِ الموريسكيّين من مملكة بلنسية ومرسوم طَرَدِ الموريسكيّين من سائر الممالك الإسبانية"، **دورية كان التاريخية**، ع٣٤، ٢٠١٦م، ص١٦٣.

يَحدُثَ بسبب ما تَعَامَيْنا عليهم؛ قد ذَكَرَهُ إلينا رجالٌ وعلماء وصلحاء وأَنَّهُ لزمنا إصلاح ذلك الأمر لنُرضيَ به اللهَ؛ ونَزَلَ غضبُهُ من أجل هذه الأمة، وأَفْتَوْا فيهم أَنَّهُ يجوزُ لنا من غير شَكٍّ أَنْ نُعاقِبَهم في أنفسهم أموالهم؛ لأنَّ الاستمرار على سُوءِ أفعالهم، خَتَمَ وحَكَمَ عليهم أنَّهم منافقون وأعداء للمَقَام الإلهي والإنساني، وَهَبْ إنَّنا قادر على أَنْ نجزيَهم ونعاقبَهم بما أوجبَ سُوءُ فِعْلِهِم ولَوْمَتِهم. فمع ذلك اخترتُ معاملتهم على طُرُوقِ الحِلْم واللّين وتَرْكِ المؤاخذة، وبسبب ذلك أَمَرْنَا باجتماع المحفل الذي حضرتُ فيه مع العلماء والأكابر في تلك المدينة، لَعَلّي نَجِدُ سبيلًا لِتَرْكِ إخراجِهم من مملكتِنا؛ ونحن في هذا تَحَقَّقْنَا وَصَحَّ من وُجُوهٍ: اِنّهُم بَعَثُوا للتركي الكبير بإسطنبول، ومولاي زيدان بمراكش رُسُلهم، يطلبون منهم أَنْ يُنجِدُوهم، واَنّهُم عندهم مائة وخمسون ألف رجلًا مُسلمون؛ مثل الذين ببلاد المغرب الأفريقية؛ وأيضًا بعثوا لأعدائنا البحرية بالجهة الشمالية التي تحت القُطب [1]، وأَنْعَمُوا أنَّهم يُعِينُهُم بسُفونهم. وأمَّا سُلطان إسطنبول فقدِ اصطلحَ مع سُلطان الفُرس لأنَّهُ كان يشغلهُ؛ وأمَّا سلطانُ مراكش فقد عَزَمَ على تدويخ البلاد وتسكينها؛ وإذا اتَّفَقُوا جميعًا مع هؤلاء نرى نفوسنا في الأمر الذي لا يَخْفَى.

وللقيام بما لَزِمَنَا من حفظِ مملكتِنا، ودَفْعِ ما يَعْرِضُ لها اتَّفَقَ نَظَرَنا، بعد أَنْ دعوتُ الله وأمرتُ بالدعاء لهُ، طامعًا ومتوكلًا في تأييدِهِ ونَصْرِهِ، لِمَا يجبُ لمجدِهِ وفضلِهِ، على إخراج جميع الأندلس الذين هُمْ في تلك السَّلطنة، لأنَّهم أقرب للغَرَر؛ بذلك أَمَرْنَا بإشهار هذا الأمر ويُنَادَي به.

١. فأَوَّلًا يُعْرَفُ منهُ أَنَّ جميع الأندلس في تلك المملكة، رجالًا ونساءً، بأولادهم في ثلاثة أيام من شهرة هذا الأمر، بالبلاد التي هُمْ ساكنون أَنْ يَخرُجوا ويَمْشُوا ليركبوا البحر في الموضع الذي يُؤْمَرُ به؛ وأَنْ يَحْمِلُوا من العُروض والأثاث ما يستطيعون عليه، ليركبُوا في السفن والأغربة التي هي موجودة لِحَمْلِهِم إلى بلاد المغرب؛ ويُنزِلُونَهُم من غير مَضَرّةٍ لأحدٍ في النفوس والأموال، ويُعطُوهم ما يحتاجون إليه من الطعام ما دامُوا فيها. ومَنْ أراد أَنْ يحملَ لنفسِهِ ما يَقْدِرُ عليه فلْيَفْعَلْ. ومَنْ يَتَعَدَّ عن هذا الأمر فلْيُقْتَلْ في الحين.
٢. وإنَّ كُلَّ مَنْ يُوْجَدُ بعد ثلاثة أيام التي يُنَادَى بالأمر، خارجًا عن بلدِهِ؛ يجوزُ لكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ أَنْ يَنْهَبَ ما عندَهُ؛ ويُسَلِّمَهُ للحُكَّام، وإنِ امتنعَ يجوزُ لهُ قَتْلُهُ.
٣. وإنَّ كُلَّ مَنْ يَسمعُ النِّدَاءَ لا يخرُج من بلدِهِ إلى غيرِهِ حتَّى يمشيَ مع مَنْ يَقُودُهُم إلى ركوب البحر.

---

[1] يَقصِدُ بلاد هولندا.

٤. وإِنَّ كُلَّ مَنْ يَدْفِنُ شيئًا من أمتعتِهِ، وإِنْ لم يستطعِ الرُّفُود معهُ؛ أو يُحرِق شيئًا من الزَّرع أو الأشجار، أَنْ يُقْتَلَ على ذلك؛ وأَمَرْنَا جِيرانهُ بتنفيذ الحكم فيهم.

٥. ولِمَا يَصْلُحُ بالبلاد من مَعَاصِرَ السُّكَّر والرُّزّ وسَقْيِ البلاد لِيُعملوا السُّكَّان الجُدود؛ وأَمَرْنَا بقعود ستة من الأندلس بأولادهم الذين لم يتزوَّجوا، في كُلِّ بلدٍ يكون من مائة دار والأمر في ذلك لتعيينهم فهو لِمَوْلِ كُلِّ بلد ويكونُ من الفلاحين القُدماء الذين ظَهَرَ عليهم القُرْبُ والمَيْلُ لِدِينِنا، ويُرْجَى فيهم الثبات عليه.

٦. وإِنَّ الرُّماةَ والنَّصارى القُدماء لا يأخذون شيئًا من أموالهم، ولا يَقْرَبُون إلى نسائهم وأولادهم.

٧. ولا يَكْتُمُونَ منهم أحدًا في دارِهِ؛ ولا يَكْتُمُ منهم أحدًا في دارِهِ؛ ومَنْ يفعلْ ذلك يُجْعَلْ في مُقذف الأغربة سِتَّ سنين، ويُزَادُ على ذلك ما يَظْهَرُ لنا.

٨. وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ السُّلطان ما مُرادُهُ إِلَّا إخراجهم من بلادِهِ إلى بلاد المغرب؛ فلا يَضُرُّهُم أحدٌ بوجهٍ من الوجوه؛ وأَنَّهُ يُنْفِقُ عليهم ويَحمِلُهُم في سُفُنِهِ، وإذا بَلَغُوا فليرجِعُوا عُشْرٌ منهم لِيعلموا لغيرهم وكبراء الاغربة والسفن فليعلموا بهذا الأمر.

٩. وإِنَّ الصبيان والأيتام من أقل من أربع سنين؛ إذا أرادوا القعود برضاء وكلائهم والأوصياء؛ فليقعُدُوا.

١٠. وإِنَّ الصِّبيان الذين يكونون أولاد نصارى، لا يَخرُجُون ولا لأُمَّهاتهم معهم وإِنْ كانت أندلسية. وإِنْ كان أبُوهم أندلسيًّا وأُمُّهُم نصرانية فَتَقْعُدُ المرأة بأولادها الذين هُمْ ستت فأقل وهو يذهب ويخرجُ.

وشُهِرَ هذا الأمرُ ونُودِيَ به في الثاني والعشرين من شهر شتنبر من عام تسع وسِتِّ مئة وألف من ميلاد سيدنا عيسى، عليه السلام"[1].

ثانيًا: أسباب الطَّرْد النهائي

ذَكَرَ الحجري أثناء حديثِهِ مع ملك هولندا أهمَّ الأسباب التي دفعتِ السُّلُطَات الإسبانية لاتخاذ قرار الطَّرْد، فعندما سَأَلَهُ الأميرُ: **"ما السَّبب الِّي ظَهَرَ لك حَمْل سُلطان إشبانية على إخراج الأندلس من بلادِهِ؟"**؛ أجابه الحجري: **"أعلم أَنَّ الأندلس كانوا مسلمين في خفاءٍ من النَّصارى، ولاكن تارةً يَظْهَرُ عليهم الإسلام؛ ويحكمون فيهم، ولَمَّا تَحَقَّقَ منهم ذلك لم يَامَنْ فيهم؛ ولا كان يحمل منهم أحدًا إلى الحروب وهي التي تُفْنِي كثيرًا من الناس. وكان أيضًا يمنعهم من ركوب**

---

[1] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص ص: ١٧٣-١٧٥.

البحر لِئَلَّا يهربوا إلى أهلِ مِلَّتِهم. والبحرُ يُفْنِي كثيرًا من الناس. والبحرُ يُفْنِي كثيرًا من الرجال. وأيضًا في النَّصارى كثيرون قِسِّيسون ورُهبان ومُتَرَهِّبَات؛ وبِتَرْكِهِم الزّواج ينقطع فيهم النَّسْلُ؛ وفي الأندلس لم يكن فيهم قِسِّيسون ولا رُهبان ولا مُتَرَهِّبَات إلَّا جميعهم يتزوجون ويزداد عددهم بالأولاد وبترك الحروب وركوب البحر. وهذا الذي ظَهَرَ لي حَمْلُهُ على اخراجهم؛ لأنَّهم بطول الزمن يَكْثُرُون"[١]، ومن خلالِ تحليلِ نَصِّ الحجري نستنتج أسبابَ عِدَّةً لِطَرْدِ الموريسكيّين بالرَّبْطِ مع ما وَرَدَ في نَصِّ وثيقةِ الطَّرْدِ التي تَرْجَمَها الحجري؛ من أهمّها:

١- سبب ديني: تَمَسُّك المسلمين بدينهم واتِّبَاعهم مبدأ "التَّقِيَّة" في الحفاظ على الممارسات السِرّيَّة لعبادتهم الاسلامية، وفَشَل سياسة التَّنصير التي اتَّبَعَتْها السُّلُطَات الاسبانية في سبيل تحويلهم إلى الديانة النصرانية، ودَمْجهم في المجتمع النصراني[٢]، وتحقيق مبدأ نقاء الدم؛ فقد ظَلَّتِ السُّلُطَاتُ الإسبانية تنظر للأندلسيّين على أنَّهم غير مُخْلِصِين للمسيحية، فَهُمْ غيرُ أنقياء الدم، وشأنُهُم أقلّ من المسيحيّين القدامى[٣]، فعندما اتَّخَذَ فيليب الثالث قرارَ طَرْدِ الموريسكيّين؛ كان يُحَرِّكُهُ عاملُ الوحدة الدينية في ممالكِهِ تحت راية العقيدة الكاثوليكية، فسياسةُ الملك تلك تأثَّرت بعقدِ اتفاقية السلام مع بروتستانت هولندا عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م، فأراد أَنْ يُحْدِثَ تَوَازُنًا بين تلك الاتفاقية الناتجة عن توحيد العقيدة، وطَرْدِ المتمرّدين عن الوحدة الإسبانية من الموريسكيّين المُتَّهَمِين بإضعاف الصفة الكاثوليكية للمَلَكَة الإسبانية[٤]. كما ذَكَرَ ابن عبد الرفيع [٥] في كتابِهِ "الأنوار النبوية في أنباء خير البَرِيَّة" أَنَّ من جملةِ أسبابِ طَرْدِ الموريسكيين هو تَمَسُّكهم بِدِينِهِم؛ فقد ذَكَرَ: "**... وعدم رجعوهم رجوعًا صالحًا من قلوبهم لِدِينِ النصرانية**

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١٦٩.

[٢]خيري، خديجة خيري عبد الكريم، طَرْد الموريسكيّين من إسبانيا: الدوافع والأسباب ١٦٠٩-١٦١٤م"، **مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة بحري، مج٥، ع١٠، ٢٠١٦م، ص١٧٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: خيري، طرد الموريسكيّين من إسبانيا).

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١٧٣.

[٤]عبد اللطيف، عبد الغني، "الطَّرْد الأخير للموريسكيّين ١٦٠٤-١٦٠٩م من منظور تاريخي"، **مجلة الأندلس**، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، مج٢، ع٥، ٢٠١٧م، ص٩٦، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: عبد اللطيف، الطَّرْدُ الأخير للموريسكيّين).

[٥]**ابن عبد الرفيع:** محمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الحسيني الجعفري المرسي الأندلسي؛ عالِمٌ في الأنساب، وسَكَنَ تونُس، ومن أهمّ مُؤلَّفَاتِهِ كتاب "الأنوار النبوية في أنباء خير البَرِيَّة"، وتُوفِّيَ عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م؛ للمزيد انظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٠٤.

وأنَّه لم ينفع فيهم وصايَانَا ولا وَصَايَا أجدادنا الملوك ولا مَنْ سَلَفَ مِنَّا، ورأينا عيانًا أَنَّ كثيرًا منهم أحرقناهم النار لاستمرارهم على دين المسلمين، وظَهَرَ منهم العناد بعيشِهم فيه بصفة دائمة"[1].

٢- سبب اجتماعي وديمغرافي: تَزَايَدَ أعدادُ الأندلسيّين وكثرتهم؛ نتيجةً لحركة التَّزَاوُج والإنجاب، وعدم مشاركتهم في الحروب، وعدم عَمَلِهِم في ركوب البحر؛ فقد مَنَعَتِ السُّلُطَاتُ الإسبانية المسلمين من ركوب البحر حتى لا يهربوا إلى بلاد المسلمين، واقتصر العمل البحري على النَّصارى فكانوا أكثر عُرْضَةً لأخطار الموت في البحر، كما إنَّ أغلبَ المسيحيّين التحَقُوا في سِلْكِ الرَّهبنة ولا يتزوَّجون؛ ما أدَّى إلى زيادة نسبة الأندلسيّين في المجتمع، ويجعلهم يُشَكِّلُون خطرًا لقيامهم بحركات مُنَاوِئَة ضِدَّ السُّلُطَات الإسبانية مستقبَلًا [2]. كما أشارَ أَحَدُ التقارير التي رَفَعَها المُحَقِّقُ في بلنسية بدور دي فالنسيا إلى الملك إلى ازدياد أعداد الموريسكيّين قائلًا: **"أنَّهُمْ لا يموتون في الحرب ولا يذهبون إلى الهند، ولا يدخلون السِّلكَ الكَنَسِي الذي يمنع الفرد من أَنْ يكون له أبناء، وهناك سببٌ آخَرُ لكثرتِهِم هو أَنَّهم على العكس من المسيحيّين الذين يتركون الكثير من بناتهم دُونَ زِوَاج بسبب عدم مقدرتهم على دَفْعِ صداق مرتفع أمَّا هُمْ فيدفعون مُهُور معتدلة"**[3].

٣- سبب سياسي أمني: استمرار تَوَاصُل الأندلسيّين واستغاثتهم بِسَلَاطِين العالم الإسلامي، وبعض ملوك أوروبا؛ فقدِ استغاثُوا بسلاطين الدولة العثمانية في الوقت الذي تَصَالَحَتْ فيه الدولة العثمانية مع بلاد فارس التي كانت تَشْغَلُها في جبهاتِها الشرقية؛ فستكون مُستعِدَّةً للمواجهة في جبهاتِها الغربية، والدولة السعدية لاسِيَّمَا اتِّصَالهم بمولاي زيدان، فَبَعَثُوا له رسالة أَنَّ عندهم مئةً وخمسين ألفَ رَجُلٍ مُسْلِمِين يطلبون المَدَدَ من الدولة السعدية لِنُصرَتِهِم ضِدَّ السُّلُطَات الإسبانية. كما بَعَثَ الأندلسيُّون رسائلَ مُتبادَلةً بينهم وملك هولندا المُعَادِي للإسبان

---

[1] ابن عبد الرفيع، محمد، الأنوار النبوية، نقلًا عن: المنوني، محمد وآخرون، **التاريخ الأندلسي من خلال النصوص**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ١٩٩١م، ص٢٨٥، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: (المنوني، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص).

[2] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٦٩.

[3] يوسف، كاظم جميل الشمري؛ محمد عبد الله المعموري، "الموريسكيُّون في بلنسية (دراسة في أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٥٢٥-١٦٠٩م)"، **مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية**، جامعة بابل، العراق، مج٥، ع١، ٢٠١٥م، ص١٨٨.

[1]؛ لِيَدْعَمَهُم بِسُفُنٍ يستخدمونها في قتالهم ضِدَّ الإسبان. فحركةُ الاتصالات بين الأندلسيّين وسلاطين العالم الإسلامي وبعض ملوك أوروبا تُشَكِّلُ خطرًا سياسيًّا وعسكريًّا ضِدَّ السُّلُطَات الإسبانية في حالِ تحالُف القوى السابقة في سبيل نُصْرَةِ الأندلسيّين ضِدَّ ملوك إسبانيا[2]، وذَكَرَ ابْنُ عبد الرفيع هذا العاملَ في كتابِهِ بقوله: "... **واستنجادهم كذلك عون السُّلطان العثماني لِيَنْصُرَهُم علينا، وظَهَرَ لي أَنَّ بينهم وبينه مراسلات إسلامية ومعاملات دينية، وقد تَيَقَّنْتُ ذلك من إخبارات صادقة وصلتْ إليَّ، ومع هذا أَنَّ أحدًا منهم لم يَأْتِ لِيُخبِرَنا بما هُمْ يُدَبِّرُونَهُ في هذه المدَّة بينهم وفيما سبق من السِّنين، بل كَتَمُوهُ بينهم، علمتُ، بذلك، يقينًا أَنَّ كُلَّهم قدِ اتَّفَقُوا على رأيٍ واحدٍ ودينٍ واحدٍ ونِيَّتُهُم واحدة**"[3]، ولكن هل بالفعل شَكَّلَ العاملُ السِّياسي الأمني مُسَوِّغًا قويًّا لِطَرْدِ الموريسكيّين من إسبانيا؛ مع العلم أَنَّ أوضاعَ تلك الدول التي كانت على تَوَاصُل مع الموريسكيّين مُتَرَدِّيَةٌ في تلك المدة، ولم تُشَكِّلْ أَيَّ خطرٍ حقيقيًّا على إسبانيا، بدليل أَنَّ العثمانيّين عندما هُزِمُوا في معركة ليبانتو (Lepante)[4] عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م؛ فَقَدُوا سيطرتهم على البحر المتوسط، أَمَّا الدولة السعدية، فكانت تُعَانِي من حروب أهلية وسياسية منذ عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م، ولم يَكُنْ بمقدورِها خَوْضُ صراعٍ خارجيٍّ مع الإسبان، أَمَّا بالنسبة للدول الأوروبية فَعَقَدَتْ معها إسبانيا إلى اتفاقيَّاتِ

---

[1]بيريز، جوزيف، **التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا**، ترجمة: مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١١م، ص٢٥٨؛

Turkcelik, Evrim, **Muslim and Jewish "Otherness" in the Spanish Nation-Building Process Throughout the Reconquista (1212-1614), Master of Science in the Department of European Studies**, Middle East Technical University, Ankara, 2013, P92.

[2]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص ص: ١٧٣-١٧٤.

[3]ابن عبد الرفيع، محمد، الأنوار النبوية في أنباء خير البرية، نقلًا عن: المنوني، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ص ص: ٢٨٥-٢٨٦.

[4]**ليبانتو(Lepante):** هي معركة بحرية وقعت بين الأسطول العثماني والأوروبي المكوَّن من الحِلْفِ المقدس؛ الذي يَضُمُّ كُلًّا من إسبانيا، والبنادقة، وقوات البابا بيو الخامس Pio V، واستطاع الأسطول الأوروبي إلحاق هزيمة بالأسطول العثماني وتدميره، وتُعَدُّ هذه الخسارة بدايةَ تحوُّل موقف الدولة العثمانية من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع؛ للمزيد انظر: المحامي، محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م، ص ص: ٢٥٦-٢٥٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: المحامي، الدولة العلية العثمانية)؛ شهبر، عبد العزيز وآخرون، عبد المالك السعدي ولقاء الملوك الثلاثة في وادي المخازن-٤ غشت ١٥٧٨ نصوص ودراسات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ٢٠١٣م، ص١٤٦.

مُهَادَنَةٍ عِدَّةٍ ابتداءً من فرنسا عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م، ثم إنجلترا عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، وهولندا عام ١٦٠٩م، فأوضاعُ تلك الدول وتحالُفها مع الموريسكيّين لم يكن مُسَوّغًا مُنَاسِبًا للقيام بعملية الطَّرْد[١].

٤- سبب اقتصادي: ادَّعَتِ السُّلُطَات الإسبانية أَنَّ حَلَّ أَزَمَةِ الوحدة الدينية والقومية رهينةٌ بِطَرْدِ الموريسكيّين؛ فإنَّ هذا الادِّعَاءَ كان مُجَرَّدَ ذريعةٍ لتحقيق الثراء، ليس للبلاد إنَّمَا لأشخاص مُعَيَّنِين [٢]؛ من خلال مصادرة أملاك الموريسكيّين المَطْرُودِين، ومَنْعهم من بَيْعِها قبل ترحيلهم؛ حتى يتسنَّى لأصحاب السُّلْطَة التَّحكُّم بها وبيعها وجَنْي ثروتها لصالحهم. لذا نلاحظ أَنَّ أحدَ بنود قرار الطَّرْد تضمَّنت "**وإنَّ كُلَّ مَنْ يَدْفِنُ شيئًا من أمتعتِهِ، وإنْ لم يستطعِ الرُّفُودَ مَعَهُ؛ أو يُحْرِقُ شيئًا من الزرع أو الأشجار، أَنْ يُقْتَلَ على ذلك؛ وأَمَرْنَا جِيرانَهُ بتنفيذ الحكم فيهم**"؛ فلم تَكْتَفِ السُّلُطَاتُ بحيازة أملاك الموريسكيّين العقارية من منازل ومزارع، بل تَعَرَّضَ الموريسكيُّون لعلميَّاتِ سَلْبٍ ونَهْبٍ من طَرَفِ ربابنة السفن أثناء إبحارهم، فَسَرَقُوهم ونَكَّلُوا بهم ورَمَوْهُم في عَرْضِ البحر من دُونِ تَرْكِ أَيّ أَثَرٍ لهم [٣]. ومن الأدلة الأخرى التي يُمكِنُ أَنْ ندعمَ بها هذا العاملَ؛ قرارُ مجلس الدولة الصادر بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٦٠٨م، من مِثْلِهِ: "**الكتابة إلى نائب الملك بقطلونية فيما يَخُصُّ الموريسكيّين الذين يَمُرُّونَ عبرَ فرنسا، يجب التَّعَرُّف عليهم إذا كان من بينهم أغنياء يَختَفُون، فينبغي احتجازُهم وحراستُهم وأَخْذُ ما لديهم من مال. أمَّا الفقراء فَيُخْلَى سبيلهم، لأنَّهُ كُلَّما قَلَّ عددُهم بيننا كُلَّما كان ذلك أفضل**"؛ فقد صَدَرَ القرار نتيجةَ تَمَكُّنِ عدد كبير من الموريسكيّين من الهروب بممتلكاتهم وبَيْعِها قبل الخروج من إسبانيا عندما بدأتِ الإشاعات بقرب قرار الطَّرْد تنتشر، وتَمَكَّنَ بعضُ أغنياء الموريسكيّين بالهروب مع ممتلكاتهم والإفلات من جرائم الطَّرْد المفاجئ [٤].

---

[١]قشتيلو، محمد، **محنة الموريسكوس في إسبانيا**، ط٢، مطابع الشويخ، تطوان، ١٩٩٩م، ص٧٣؛ خيري، طَرْد الموريسكيّين من إسبانيا، ص١٧٥.

[٢]عبد اللطيف، الطَّرْد الأخير للموريسكيّين، ص١٠٠.

[٣]ابن دمراد، نصيرة، "المغرب الأوسط ملاذ الموريسكيّين: قراءة في أهمّ المصادر الأجنبية"، **مجلة دراسات أدبية**، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، ع٨، ٢٠١٠م، ص١٤٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: ابن دمراد، المغرب الأوسط ملاذ الموريسكيّين).

[٤]الكتاني، علي المنتصر، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٦١، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس).

ثالثًا: إجراءات الطَّرْد النهائي

١- إجراءات ما قبل الطَّرْد النهائي:

قامتِ السُّلُطَاتُ الإسبانية بإحصاء أعداد المسلمين وتَتَبُّع تَزَايُد أعدادهم؛ حتى تتأكَّدَ من نسبة تَزَايُدِهم في المجتمع الإسباني، وتمَّت عملية الإحصاء خلال مُدَّتَيْن:

أ- المدة الأولى: تم إحصاء أعداد الموريسكيِّين في عهد الملك فيليب الثاني (١٥٥٦-١٥٩٨م)؛ فقد تم إحصاء المسلمين جميعهم من الرجال، والنساء، وكبار السِّنِّ، والأطفال، وحتى من يظهر عليها الحمل، ليحصي ما في الأرحام [١].

ب-المدة الثانية: تم إحصاء الموريسكيّين في عهدِ فيليب الثالث (١٥٩٨٠-١٦١٢م)، وتم هذا الإحصاء بعد ١٧ سنةً من الإحصاء الأول، وكان الهدف من هذا الإحصاء التَّأَكُّدَ من نسبة تَزَايُد المسلمين خلال الأعوام السابقة، وعندما تَأَكَّدَتِ السُّلُطَاتُ الإسبانية من ذلك؛ بدأت باتخاذ إجراءات الطَّرْد النهائي بشكل رسمي [٢].

١- إجراءات تنفيذ قرار الطَّرْد النهائي.

مَرَّتْ عملية الطَّرْد بمراحلَ عِدَّةٍ؛ منها:

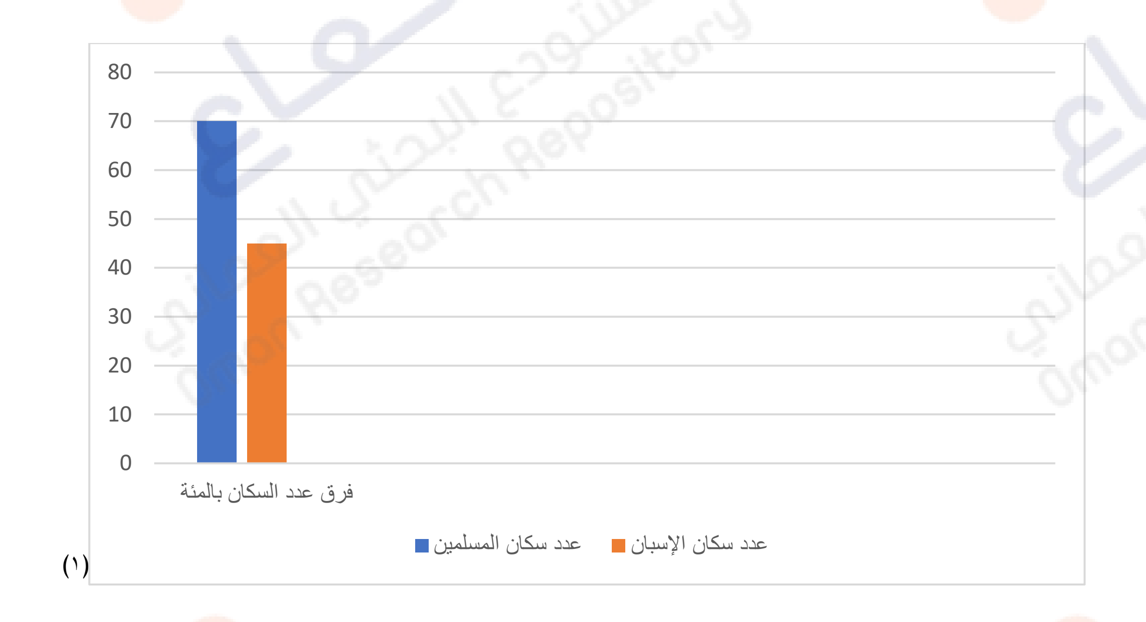
أ- أَوَّلًا: طَرْدُ مُسْلِمِي مدينة بلنسية عام ١٠١٠هـ/ ١٦٠٢م [٣]، الذي بدأتْهُ السُّلُطَاتُ الإسبانية من مدينة بلنسية، وذلك يعود إلى أسبابٍ عِدَّةٍ؛ منها: إنَّ هذه المدينة كانت تَضُمُّ أعدادًا كبيرةً من الموريسكيِّين يَصِلُ عددُهُم نحوَ ١٣٥ ألف، وهذا العددُ يُشَكِّلُ نحوَ ثُلُثِ سُكَّان مملكة بلنسية، وكانت نسبة زيادة السُّكَّان بين المسلمين والعرب في ارتفاع مستمر خلال عامَيْ (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م-١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م) وفق ما يُوَضِّحُهُ الرسم البياني التَّالي:

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٧٢.

[٢] المصدر نفسه، ص١٧٣.

[٣] انظر الملحق رقم (١٠): وثيقة طَرْدِ الموريسكيّين في بلنسية ٢٢ سبتمبر عام ١٦٠٩م، ص ص: ٢٤٣-٢٥٢.



(١)

فمن خلالِ المُخَطَّطِ البياني السابق؛ نستنتج أنَّ الفرق في نسبة الزيادة بين المسلمين والإسبان في بلنسية نحوَ ٢٥٪ خلال ٥٦ عامًا [٢]؛ ما يجعل المسلمين يُشَكِّلُون مجتمعًا عُرِفَ بـ "أُمَّة النَّصارى الجديدة لِمُسْلِمِي مملكة بلنسية"، وإنَّ تَمَاسُكَ هذا المجتمع؛ سَيُشَكِّلُ خطرًا على أمنِ الإسبان في المنطقة، فقد اتُّهِمَ المسلمون في بلنسية باستمرار اتِّصَالهم بالأتراك وبلاد المغرب وبعض الدول الأوروبية ضِدَّ السُّلُطَات الإسبانية، وذلك بحكم موقع المدينة على ساحل البحر؛ ما يُسَهِّلُ لهم الاتصال عن طريق البحَّارة المغاربة والسفن التجارية. كما أَنَّ محاكم التفتيش واجهت مع قراراتها المُجْحِفَة في حَقِّ المسلمين صعوبةً في تحويلِهم للنصرانية ودَمْجِهم في المجتمع؛ بلِ اكتشفتِ استمراريَّةَ سُكَّانِ المنطقة في ممارسة عقائدهم الإسلامية وعاداتهم العربية بالسِّرِّ (التَّقِيَّة) [٣].

فأُصْدِرَ في ٢٢ سبتمبر عام ١٦٠٩م قرارُ طَرِدِ موريسكيِّي مملكة بلنسية؛ تَضَمَّنَ القرارُ عشرةَ بنود أَوْرَدَهَا الحجري في ترجمتِهِ لبراءة الطَّرْد التي أَشَرْنَا إليها مُسَبَّقًا.

---

[١] الرسم البياني من عمل الباحثة يوضح الفرق بين نسبة زيادة أعداد المسلمين مقارنة بأعداد الإسبان خلال عامَيْ (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م-١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م).

[2] P.Chaunu, Minorites et conjuncture, lexplusion des Morisque, en 1609, p90.

نقلًا عن: رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص١٢١.

[٣] الشمري، يوسف كاظم جميل؛ محمد عبدالله المعموري، الموريسكيُّون في بلنسية (دراسة في أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٥٢٥-١٦٠٩م)، **مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية**، جامعة بابل، العراق، مج٥، ع١، ٢٠١٥م، ص ص: ١٨٨-١٩٠.

ب–ثانيًا: الطَّرْدُ العامُّ لبقيَّة المسلمين من الممالك الإسبانية كافَّةً عام ١٦٠٩م [١]، واستمرَّ حتى عام ١٦١٤م، وأثناء عملية طَرْدِ الأندلسيِّين وحَمْلِهم على مَتْنِ السفن النصرانية في وادي إشبيلية؛ صَدَّرَ فيليبُ الثالث قرارًا أَنْ يُؤْخَذَ من أبناء الأندلسيِّين مَنْ كان من أقل من سبع سنين من الأولاد والبنات [٢]. وكان عددُ السفن عشرين سفينة؛ فأخذوا من بلاد الحجر الأحمر نحو ألفٍ من الأولاد، كما أخذوا من السفن التي ستتوجَّهُ إلى كُلٍّ من طنجة وسبته[٣]، وذَكَرَ الحجري في رسالتِهِ المُوَجَّهة إلى الموريسكيِّين في القسطنطينية رَدَّةَ فعلِ المُهَجَّرين من قرارِ أَخْذِ أبنائهم؛ يقول: "**كنتُ أرغبُ لو كان بالإمكان الذهاب إلى هناك لأرى إذا أَمْكَنَنِي القيام ببعض المساعدة في هذا الحَدَث الكارثي، القاسي والجسيم الذي يحدث في إسبانيا على حدود سَبْتَه وطنجة، بأنَّ كُلَّ الأبناء يأخذونهم من آبائهم، حتى لو تَجَاوَزُوا العشر سنوات؛ كذلك في إشبيلية أخذُوا أبناء الأشخاص الذين خرجوا في أربع عشرةِ سفينة وكانت الأصوات التي تُصْدِرُها الأمَّهاتُ عالية جِدًّا، فكان الإشبيليُّون يقولون بأنَّهُ يوم الحساب. البعضُ من هؤلاء الأشخاص قَدِمُوا إلى المغرب، فلم تستطعِ الأمَّهاتُ تمييزَهم بأيِّ طريقة، فَفَقَدَ بعضُهُنَّ عُقُولَهُنَّ. كذلك قَدَّمُوا لي توكيلًا حول هذا الموضوع؛ قُمْتُ بمراسلة سفير إسبانيا في باريس، وقال لي أنَّهُ من الضروري [تقديم] اسْمِ كُلِّ الأمَّهات، وهُنَّ يُطَالِبْنَ وهكذا، طالَبُوا هناك ببعض الأمور حول هذا الموضوع، فلعلَّ السيد الكبير يُعطِي أَمْرًا، أو عبرَ طريق فرنسا هذا، وأَتْرُكُ كُلَّ شيء على حُسْنِ تقدير حضرتكم**"[٤]، فمن خلال ما ذَكَرَهُ الحجري بشأن هذه المأساة التي وَصَفَها الإشبيليُّون بيوم الحساب؛ بسبب أهوال الموقف ووحشيَّتِهِ، فالسُّلُطَات الإسبانية لم تحترم ما جاء في قرارات الطَّرْد بشأن أعمار الأبناء الذين يُمْكِنُهم البقاءَ، أو ضرورة موافقات آبائِهم؛ بل حتى المجهودات الدبلوماسية في استرجاع بعض الأبناء المُنتزعين، كانت سببًا في زيادة مآسِي تلك الأمهات، فكان من الصعب تمييزُهُم بعد أَنْ تُرِكُوا صغارًا؛ فَفَقَدَتْ بعضُ الأُمَّهَات عقولَهُنَّ بسبب هذه المأساة الشنيعة في حَقِّ الموريسكيِّين[٥].

---

[١]انظر الملحق رقم (١١): وثيقة طَرْدِ الموريسكيِّين من كافَّة ممالك الإسبانية عام ١٦٠٩م، ص ص: ٢٥٣–٢٦٠.

[2]LLD, Henry Charles Lea, **The Moriscos of spain: Their Conversion and Expulsion**, Cornell University Library, United States, 2006, P321.

[٣]الحجري، ناصر الدين، (لنسخة التونُسية)، ص١٧٥.

[٤]الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٦١.

[٥]شاشيّة، السفارديم والموريسكيُّون، ص٣٦٩.

كما صَاحَبَ عمليَّةَ الطَّرْدِ جرائمُ وَسَطْوٌ على ممتلكات الموريسكيّين المُهَجَّرِين[1]، فبالإضافة إلى ما سَلَبَهُ النُّبَلاء منهم؛ تَعَرَّضَ الموريسكيُّون لعميات سَطْوٍ ونَهْبٍ من قِبَل عصابات نصرانية، تُجَرِّدُهُم من ممتلكاتهم المحمولة، وشاركَ في عملية السَّلب والنَّهب والقتل أفرادُ الجيش الذين يحرسونهم، وأَغْرَقَ أصحابُ السفن كثيرًا من الموريسكيّين الذين نَقَلُوهُم؛ من أجلِ سَلْبِ أموالهم، ومَنْ وَصَلَ منهم سالمًا إلى الشمال الإفريقي تَعَرَّضَ لأسوأِ معاملة من قِبَل عصابات الأعراب الذين قَتَلُوا ونَهَبُوا ما شاؤوا؛ فرجعَ عددٌ كبيرٌ من الموريسكيّين إلى إسبانيا لِيُواجِهُوا مِحْنَتَهُم الأولى، إمَّا بالتَّسَتُّرِ؛ أم يَهِبُون أنفسهم عبيدًا لِلنَّصارى[2].

اختلفتِ المصادرُ بشأن عدد الموريسكيّين المَطْرُودِين من إسبانيا؛ فلا يُمكِنُنا التحديد على وَجْهِ الدِّقَّة عددَهُم، وذلك بسبب طبيعة الظروف التي أحاطت بعملية الطَّرْد، وسنطرح هنا جداول للمقارنة بين أعداد الموريسكيّين المَطْرُودِين التي وَرَدَتْ في المصادر الأوروبية، والمصادر الموريسكية؛ على النَّحْوِ التَّالي:

المصدر الأوروبي	العدد
بليدا Bleda	٣٤٠,٦٧٢ موريسكيًّا
بينالوسا Penaiosa	٣١٠,٠٠٠ موريسكيٍّ
ساروزار دي موندوزا Salazarde Mondoza	٣١٣,٠٠٠ موريسكيٍّ
مونكادا Moncada	٤٠٠,٠٠٠ موريسكيٍّ
إيكزولانو Escolano	٦٠٠,٠٠٠ موريسكيٍّ
رودريقو مانديز سليفا Rodrigo Mendez silva	٩٠٠,٠٠٠ موريسكيٍّ [3]

(1) Matar, Nabil, **In the Lands of the Christians: Arabic Travel Writing in the Seventeenth Century**, Routledge, New York, 2003.p42.

(2) الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص ص: ١٦٤-١٦٤.

(3) H. Lapeyre, **Géographie de l'Espagne morisque**, Paris, 1959, pp:87-88.

نقلًا عن: رزوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص ص: ١٢٦-١٢٧.

أما المصادر الموريسكية الأندلسية، فتقدر عدد الموريسكيين المطرودين:

المصدر الموريسكي	العدد
الحجري	٨٠٠,٠٠٠[١]
ابن عبد الرفيع	٦٠٠,٠٠٠[٢]

ونلاحظ من المصادر السابقة الاختلاف والتفاوت في أعداد المَطْرُودِين، وذلك بسبب طبيعة الظروف التي أحاطت بعملية الطَّرْد؛ فلا يُمكِنُ إحصاء عدد المَطْرُودِين بشكل صحيح، فبعضُ الموريسكيّين تَمَكَّنُوا من الهرب بشكلٍ سِرّيٍ ولم يتم إحصاؤُهُم من قِبَلِ الوثائق الإسبانية، والبعض الآخَرُ ماتِ بسبب الجوع والمرض، أو تَعَرُّضِهِم للقتل أثناء عملية تهجيرهم، والبعض الآخَر عاد إلى إسبانيا بعد عملية الطَّرْد، وأشار هنري لابير (Henri Lapeyre) أَنَّ مجموع الموريسكيّين الذين هُجِّرُوا من إسبانيا بلغ ٢٧٢١٤٠ موريسكيًّا مُوَزَّعِين على النَّحْوِ التَّالي:

بلنسية	١١٧٤٦٤ موريسكيًّا	Valencia
قتلونية	٣٧١٦ موريسكيًّا	Cataluna
أرغون	٦٠٨١٨ موريسكيًّا	Aragon
قشتالة، لامنتشا	٤٤٦٢٥ موريسكيًّا	Castilla, La Mancha
استرامادورا، مرسية	١٣٥٥٢ موريسكيًّا	Y.Extremadura, Murcia
الأندلس	٢٩٩٣٩ موريسكيًّا	Andalucia
غرناطة	٢٠٢٦ موريسكيًّا	Granada [٣]

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص١٠٣.

[٢] ابن عبد الرفيع، محمد، الأنوار النبوية، نقلًا عن: التركي، عبد المجيد، وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس، **حوليات الجامعة التونسية**، تونس، ع٤، ١٩٦٧م، ص٣٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: التركي، وثائق عن الهجرة الأندلسية).

[3] H. Lapeyre, **Géographie de l'Espagne morisque**, p213.

نقلًا عن: حتاملة، محمد عبده، "التهجير القسري للموريسكيّين خارج شِبْه جزيرة ايبريا في عهد الملك فيليب الثالث ١٥٩٨-١٦٢١م"، **مجلة دراسات العلوم الإنسانية**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، مج١٠، ع١، ١٩٨٣م، ص ص: ١٢١-١٢٢.

ومن خلال الجداول السابقة نلاحظ اختلاف المُؤَرِّخِين في تقدير أعداد المَطْرُودِين؛ لكنَّ معظم مَنْ عَايَشُوا الأحداثَ بَرْهَنُوا على أَنَّ الإحصاءات أعطت أرقامًا تتراوح بين ٢٧٠٠٠٠ و ٣٤٠٠٠٠، وتعود صعوبة تقدير عدد المُطْرُودِين إلى أسباب كثيرة منها:

١- أعداد كبيرة من مُسْلِمِي إسبانيا خرجوا منها قبل تاريخ الطَّرْد النهائي.
٢- أحصتِ السُّلُطَات الإسبانية عددًا من مُسْلِمِي إسبانيا على أنَّهم طُرِدُوا منها؛ ولكنَّهم بَقَوْا فيها من دُونِ علمِ السُّلُطَات الإسبانية.
٣- تَمَكُّن بعض المَطْرُودِين من العودة إلى إسبانيا بعدما طُرِدُوا منها قَسْرِيًّا [١].

ختامًا، نُشِيرُ إلى أَنَّ تَبَنِّي الحجري لِمَا جاء في الرواية الرسمية لقرار الطَّرْد النهائي لخدمة الرواية الذاتية؛ حتى يُقَدِّمَ رُؤْيَةً عن الجماعة الموريسكية، كجماعة مُسْلِمَة اضطُهِدَت في سبيل الحفاظ على دينها ومبادئها العربية؛ أَيْ إِنَّ هذه الرُّؤْيَة ليست مُوَجَّهَة فقط إلى الموريسكيِّين المُهَجَّرِين، بل أساسًا إلى جماعات الاستقبال المحلية؛ فكأنَّ الرَّاوِي يجعل من الأسباب التي ذكرتْها الرواية الرسمية لقرار الطَّرْد من مقاومة الموريسكيّين لعمليات التَّنصير القسري، وتعاوُنهم مع أعداء الدولة الإسبانية، أَدِلَّةً على صدقِ إيمان الموريسكيّين المهجرين، وانتمائِهم إلى العالم الإسلامي، وهي مسألة شَغَلَتِ الكتابات الموريسكية الأخرى؛ فلقد ظلَّت مسألةَ شَكٍّ في بلدان العالم الاستقبال حتى بعد أكثر من قرنٍ من صدور قرار الطَّرْدِ[٢].

وعَدَّ الحجري أَنَّ قرارَ الطَّرْدِ فَرَجٌ من الله؛ فَذَكَرَ: "**وبعد ذلك باثني عشر سنة فرج الله تعالى على مسلمي الأندلس الذين كانوا فيها تحت قهر سلطان البلاد المسمى بفيليب الثالث**"[٣]؛ فَعَدُّوا هذا الفرجَ من الله حفاظًا على أنفسهم ودينهم، والهجرة من بلاد الكفر؛ التي أصبحت غير آمنة لهم إلى دار الإسلام لتكونَ مُسْتَقَرًّا آمِنًا لأنفسهم ودينهم. فقد شَبَّهَ الحجري قصة هُرُوبِهِ من إسبانيا إلى بلاد المغرب؛ جاعِلًا بذلك ما تَعَرَّضَ له المُهَجَّرُون خلال عملية الخروج ورحلة العبور كُلَّهُ شبيهًا

---

[١] خديجة، دوبالي، "مأساة طَرْد مُسْلِمِي الأندلس بعد سقوط غرناطة: الأبعاد والتحليل"، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران، الجزائر، ع٢٣، ٢٠١٦م، ص١١٦.

[٢] شاشيّة، حسام الدين، **قرار الطَّرد في الكتابات الإسبانية الموريسكية: بين مقاربتَيْن من التأريخ التبريري**، أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر والسادس عشر للدراسات الأندلسية المغربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ٢٠١٥م، ص١٦٦.

[٣] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٥٩.

"**بأهوال يوم القيامة**"، في حين إنَّ الوصول إلى العالم الإسلامي هو "**الدخول إلى الجنة**"، وذَكَرَ ابن عبد الرفيع في كتابِهِ "الأنوار النبوية في أنباء خير البَرِيَّة" موقفَهُ من حَدَثِ الطَّرْد؛ قال: "... **ولا يَخْفَى أَنَّ هذا أَمْرٌ عظيمٌ ومُحَالٌ عادة، لِمَا كُنَّا فيه معه من الشِّدَّة والضِّيق في الدين والنفس والمال؛ فسبحان رَبِّ السماوات ورَبِّ الأرض الذي إذا أراد أَمْرًا قال له: كُنْ! فكان! فيها لها من أعجوبة ما أعظمَها ومن فضيلة ما أشرفَها ومن كرامة ما أجملَها ومن نعمة ما أكبرَها!**"[١].

كما ذَكَرَ مُؤَلِّفٌ موريسكيٌّ مجهولٌ في كتابِهِ "السَّبِيلَيْن" أَنَّ حَدَثَ الطَّرْدِ هو قضاءٌ إلهيٌّ؛ يقول: "**حتَّى أَنْعَمَ علينا اللهُ العظيمُ برحمتِهِ، وجَعَلَ قلبَ فيليب الثالث ومُستشارِيه بِأَنْ يأمرَ بإخراجنا من مملكتِهِ**..."، وعَدَّ الطَّرْدَ نعمةً إلهيَّةً وَجَبَ حمدُهُ عليها؛ فيقول: "**إليه الله ملايين الشُّكر، لأنَّهُ أَخْرَجَنا من بينهم، وحَمَانَا من عديد الأخطار في البَرِّ والبحرِ، ومن الاسترقاق، من الذُّلِّ، ومن سُوءِ الحَظِّ والموتِ**"[٢]؛ مُحاوِلًا من خلال هذه الفكرة تقديمَ رسالة موجَّهة إلى الموريسكيِّين أنفسهم، وإقناعهم بالحفاظ والتَّمَسُّك بدينهم الإسلامي، وخروجهم لبلدان العالم الإسلامي أفضلَ من مُكُوثِهِم في إسبانيا وانخراطهم في الدين المسيحي.

---

[١]ابن عبد الرفيع، محمد، الأنوار النبوية في أنباء خير البَرِيَّة، نقلًا عن: التركي، عبد المجيد، وثائق عن الهجرة الأندلسية، ص٣٨.

[٢]شاشيّة، السفارديم والموريسكيُّون، ص٢٤٣.

الفصل الثالث

الهجرة الموريسكيَّة من خلال كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"

المبحث الأول: الهجرة الموريسكيَّة إلى دول العالم الإسلامي:

أَوَّلًا: الهجرة إلى بلاد المغرب.

ثانيًا: الهجرة إلى بلاد المشرق والأناضول.

المبحث الثاني: الهجرة الموريسكيَّة إلى الدول الأوروبية:

أَوَّلًا: الهجرة إلى فرنسا.

ثانيًا: الهجرة إلى هولندا.

ثالثًا: الهجرة إلى إيطاليا.

مقدمة

شَهِدَ القرنُ السادس عشر صعودَ وتيرة الصِّرَاع الديني بين الإسلام في الشرق والمسيحية في الغرب؛ فالإسلامُ المُتَمَثِّلُ بالإمبراطورية العثمانية سيطرَ على بلاد البلقان المسيحية الأرثوذوكسية. والمسيحية المُتَمَثِّلَة في إسبانيا الكاثوليكية التي اجتاحت غرناطة؛ آخِرَ مَعَاقِلِ المسلمين في إسبانيا، فالصِّرَاعُ بين الأطراف ذات عُمْقٍ حضاريٍّ أكثرَ من كونهِ صِرَاعًا دينيًّا؛ بدليل جملة القرارات التي أصدرَها الملك فيليب الثاني في حَقِّ الموريسكيِّين بِمَنْعِهِم عن لُغَتِهِم، وملابسهم، وعاداتهم الاجتماعية؛ التي أَشَرْنَا إليها مُسَبَّقًا بالتفصيل في الفصل الثاني، والحقد الإسباني لم يتوقف هنا؛ بلِ استمرَّ حتى طَرْدِ الموريسكيِّين عام ١٦٠٩م، ما جَعَلَ القضيَّةَ الموريسكية أَحَدَ فصول الصِّرَاع الحضاري الذي استمرَّ قُرُونًا طويلةً بين الشرق والغرب[١].

عاصرَ المُؤَلِّفُ مدة تاريخية أصبح فيها المجال المتوسِّطي يَعرِفُ تحوّلاتٍ مُهِمَّةً؛ إذْ تَمَيَّزَتْ هذه الحِقْبَةُ الزمنية بأحداث تاريخية غَيَّرَتِ المعالم التاريخية لهذا المجال المتوسِّطي. إنَّ فَهْمَ هذه الحِقْبَة التاريخية وانعكاساتها على ضَفَّتَي البحر الأبيض المتوسط لا يمكن أَنْ يتأتَّى إلَّا من خلالِ فَهْمِ السياق العام الذي أَنْتَجَ هذه التَّحوُّلات التاريخية التي عاصرَها المُؤلِّف التي أصبح المجالُ المتوسِّطي مسرحًا لها. وهكذا شَكَّلَ حدثُ خروج الموريسكيِّين من إسبانيا الحَلَقَةَ الأهمَّ في تلك التَّحوُّلات التاريخية التي ارتبطت بالبحر الأبيض المتوسط منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي. فَحَدَثُ طَرْدِ الموريسكيِّين مُؤَشِّرٌ تاريخيٌّ يُعَبِّرُ عن هذا التَّحوُّل التاريخي في جملة المُتغيّرات التاريخية التي عَرَفَها هذا المجال المتوسِّطي يتمثَّلُ في وصول فيليب الثاني إلى الحكم في إسبانيا (١٥٥٦ –١٥٩٨م)، وسيطرة العثمانيِّين على أجزاء واسعة من البحر الأبيض المتوسط. إنَّ وجود العثمانيِّين في كلٍّ من إفريقيا وأوروبا إبَّانَ مرحلة التوسع العثماني الذي وَصَلَ ذروتُهُ خلال القرن السادس عشر الميلادي؛ جَعَلَ منهم قوَّةً تُحَاصِرُ المجال المتوسِّطي وتتحكَّم فيه خاصَّةً من الناحية الاقتصادية، فأصبح العنصرُ الموريسكي الذي تَعَاطَفَ معه العثمانيون في نظر الإسبان يُشَكِّلُ الخطر الاستراتيجي القادم [٢].

---

[١]بروديل، فرنان، **المتوسط والعالم المتوسطي**، ترجمة: مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م، ص ص: ١٣٨-١٤٠.

[٢]الغزواني، محمد، الموركسيُّون والمجال المتوسطي والوعي بالتفاوت: إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد ابن زكرياء الأندلسي نموذجًا، **دورية كان التاريخية**، ع٤٢، ٢٠١٨م، ص٦٧.

ولكونِ الطَّرْدِ النهائي عام ١٦٠٩م يُعَدُّ أهمَّ حلقات الصّراع الحضاري في الحوض البحر الأبيض المتوسط بِعَدِّهِ حركةً لهجرة العشرات الآلاف من الأشخاص إلى الدول المُطِلَّة على البحر الأبيض المتوسط؛ لذا فالهجرة الموريسكية لم تكن شأنًا موريسكيًّا–إسبانيًّا فقط، بل شأنًا متوسِّطيًّا.

سنتطرَّقُ من خلال هذا الفصل لظاهرة الهجرة الموريسكية، وأهمِّ منافذ العبور، وخطوط الهجرة إلى الدول الإسلامية والأوربية. بالإضافة إلى مسألة في غاية الأهمية هي استقبال الموريسكيّين المَطْرُودِين من إسبانيا في القرن السابع عشر في المجتمعات المتوسطية، والمقارنة بين استقبالهم في كِلْتَا الضِّفَّتَيْن من البحر؛ أَيْ بين الاستقبال الإسلامي المُتَمَثِّل في الدولة العثمانية والمناطق التابعة لها، وبلاد المغرب، والاستقبال الأوروبي أو المسيحي لهم؛ وذلك من خلال المقارنة بين سياسات تلك الدول في استقبال الموريسكيّين، وهلِ اعتمدت سياستُهم على الترحيب، والدَّمْج أم الرفض والتهميش؟ وما هي العوامل التي أَثَّرَتْ في تلك السياسات؟ أَي العوامل الدينية، الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية، والسياسية التي وُجِّهَتْ نحو حُسْنِ أم سُوءِ استقبال الموريسكيّين في تلك الدول. وكيف تَعَامَلَ الموريسكيُّون مع جملة هذه التَّحوُّلات وهذا الواقع المتوسِّطي الذي وَجَدُوا أنفسَهم مُحاصَرِين فيه؟ لذا سنحاول معالجة هذه المسألة من خلال ما ذَكَرَهُ الحجري في رحلاتِهِ السفارية بالرَّبْط مع ما ذُكِرَ بشأن طبيعة العلاقات الدولية آنذاك من خلال المراسلات والمعاهدات المُتبادَلة بين دول الحوض البحر الأبيض المتوسط التي ذُكِرَت في المصادر العثمانية أو الأوروبية، أو تلك التي دَوَّنَتْها المصادر الموريسكية المُعاصِرة لِحَدَثِ الطَّرْدِ النهائي.

المبحث الأول: الهجرة الموريسكية إلى الدول الإسلامية

هاجرَ الموريسكيُّون بعد قرار الطَّرْدِ عام ١٦٠٩م لبلدانٍ عِدَّةٍ؛ إلَّا أَنَّ نتيجة لِقِلَّةِ الوثائق، والبُعْدِ الجغرافي للبلدان، وذَوَبَانِهم في المجتمعات التي هاجَرُوا إليها جَعَلَ عمليَّةَ إحصاء أعدادهم ومعرفة المناطق التي استقرُّوا فيها صعبةً، ولم تقتصرِ الهجرة الموريسكية إلى دول بلاد المغرب (المغرب، الجزائر، وتونُس)؛ بل هاجَرُوا أيضًا إلى ليبيا، ومصر، والأناضول، وبلاد الشام، وبعض هذه الدول كانت عبارة عن محطات انتقال كفرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، وبلاد البلقان. كما هاجرَ بعض الموريسكيّين إلى إفريقيا الجنوبية، والهند [(١)]، وأمريكيا الجنوبية (ذهب العديد من الموريسكيّين إلى المستعمرات الإسبانية بالمكسيك، وبوليفيا، وكلومبيا، وكواتمالا، وكوبا) [(٢)]، وقد تناولتِ الباحثةُ في هذا المبحث دُوَلًا عِدَّةً هاجرَ إليها الموريسكيُّون بعد عملية الطَّرْد؛ فاقتصرت على ذِكْرِ الدول التي وَرَدَتْ عنها إشارات في كتاب "ناصر الدين"، التي تُشِيرُ إلى الوجود الموريسكي فيها. كما قامتِ الباحثةُ أيضًا بتقسيم هذه الدول إلى دول إسلامية، ودول أوروبية؛ حتى تَسْهُلُ عمليَّةُ تناوُلِها، وفَرْزِها على حَسَبِ كثرة الإشارات التي وَرَدَتْ في كتاب "ناصر الدين" على النَّحْوِ التَّالي:

أَوَّلًا: الهجرة إلى بلاد المغرب

١- الهجرة إلى بلاد المغرب الأقصى:

هاجرت أعدادٌ كبيرة من الموريسكيّين إلى بلاد المغرب، واستقرَّت أعداد كبيرة منهم بقصبة سَلَا حتى أصبحت تُعْرَفُ بقصبة الأندلس، وازدادتِ الهجرة الموريسكية إلى بلاد المغرب بين عامَيْ ١٦٠٩-١٦١٤م، وإنَّ عددًا كبيرًا من الموريسكيّين تَسَلَّلُوا إلى بلاد المغرب عن طريق المراكز الساحلية؛ التي كان البعض منها خاضعة للاحتلال الإسباني والبرتغالي، ومنها تَوَزَّعَ الموريسكيُّون في المُدُن والأرياف المغربية؛ إلَّا أَنَّ غالبيَّتهم استقرَّ في مدينة تطوان وسَلَا التي بَنُوْا فيها القصور والحمَّامات وفق ما ذَكَرَهُ الناصري في كتابِهِ "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى". كما في قوله: "**... وكذلك خَرَجَ طوائف منهم بتطوان وسَلَا والجزائر، ولَمَّا استخدمَ سُلطانُ المغرب الأقصى منهم عسكرًا جَرَّارًا وسَكَنُوا سَلَا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن، وحَصَّنُوا**

---

(١)دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا وفي المنفى، ص ص: ٣٣٠-٣٥٢.

(٢)قشتيليو، حياة الموريسكوس الأخير، ص٦٣.

قلعة سَلَا وبَنَوْا بها القصور والحمَّامات والدُّور"[١]، وفي هذا الصَّدَدِ ذَكَرَ الحجري المناطق التي نَفَذَ منها من الأراضي الإسبانية إلى بلاد المغرب؛ فقد هَرَبَ برفقةِ صاحبِهِ من البريجة التي كانت خاضعةً للاحتلال البرتغالي، ومنها اتَّجَهَا نحو مدينة أزمور وصولًا إلى مراكش [٢].

أ- القضية الموريسكية في عهدِ السُّلطان أحمد المنصور السعدي:

نالتِ القضيَّةُ الموريسكية اهتمامَ السَّلاطين السعدين؛ بكونها تُمَثِّلُ أهمَّ القضايا في الصِّراع الإسلامي المسيحي، ونتيجةً لذلك حازتِ القضية على اهتمامٍ واسعٍ من قِبَلِ السُّلطان أحمد المنصور السعدي، فَسَعَى جاهدًا لتقديم المساعدات للمُهَجَّرِين الأندلسيِّين واحتوائِهِم في بلادِهِ؛ فقد عَمِلَ على فِدَاءِ الأسرى الأندلسيِّين الذين كانوا بحوزةِ الإسبان مقابل أسرى من الإسبان المسجونين لدى الدولة السعدية. كما أرسلَ الكثيرَ من المساعدات إلى أبي الغيث القشاش [٣] الذي كان يحمي المُهَاجرين الأندلسيِّين في تونُس ويُوَفِّرُ لهم المسكن والطعام، ولَقِيَ المُهَاجرين الأندلسيِّين التَّرحابَ والاهتمام في بلاط الدولة السعدية. وفي هذا السياق ذَكَرَ الحجري حادثةَ استقبال المغاربة للموريسكيِّين قبل

---

[١] الناصري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (ت:١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ٩ج، تحقيق: جعفر الناصري؛ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ج٦، ص١٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الناصري، الاستقصا).

[٢] شاشيّة، حسام الدين، حسن/ سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطية في مواجهةِ طَرْدِ الموريسكيّين خلال القرن السابع عشر؛ ضِمْنَ كتاب:

Ben Khalifa, Ridh, **Migrations Mediterraneennes du Moyen Age Anos Jours institutions et liens sociaux**, Etab lissement Boujmil dEdition et de Publicite, Nirvana, 2021, p109.

[٣] **أبو الغيث القشاش:** الشيخ أبو الغيث المعروف بالقشاش المغربي التونسي؛ وُلِدَ بمدينة تونس، وأَخَذَ العلم والأدب من علماء عصرِهِ منهم الشيخ محمد الجديدي، وتَعَمَّقَ في دراسة علم التفسير والحديث والأصول والفروع؛ فأصبح من أشهر علماء تونُس وتتلمذَ على يَدِهِ الكثير من الطلاب، وعُرِفَ عنه اهتمامُهُ ببناء المساجد والقناطر، وكانت له مواقف داعمة للموريسكيّين المُهَجَّرين؛ فكان يَبْذُلُ الأموال لكسوتهم وطعامهم وسكنهم، وأنفقَ الأموال في فكاك أسرى المُسامِين من قبضة الإسبان؛ للمزيد انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد الدمشقي (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ٤مج، تحقيق: مصطفى وهبي، المطبعة الوهبية،٢٠١٢م، مج١، ص ص: ١٤٠-١٤٢؛ الحسيناوي، محمود عاشور عبيد، **موقف الدولة السعدية من مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة (٩١٦-١٠٦٩هـ/١٥١٠-١٦٥٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٣م، ص ٥٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحسيناوي، موقف الدولة السعدية من مُسْلِمِي الأندلس).

الطَّرْد في حادثةِ استقبالِهِ في مدينة أزمور المغربية؛ فاستقبلَهم قائدُها محمد بن إبراهيم السفياني، وبَعَثَ في خبرِهما إلى السُّلطان أحمد المنصور الذي رَغِبَ في لقائِهما؛ يقول الحجري: "... **ثم بَلَغْنَا إلى أزمور فأقبلَ علينا قائدُها وبَحَثْنَا كثيرًا في أمور دِين المسلمين وقال لي اكتب بالعربية، قلتُ له: نعم، قال اكتب في هذه الورقة؛ قلتُ له ماذا أكتب، قال: الذي تُحِبُّ؛ فَكَتَبَ ما الهمني الله تعالى وشكرتُهُ على قضاء الحاجة وخلاصُنا من الكفار ودعوتُ بالخير للقائد محمد ابن إبراهيم السفياني على ما احسنَ إلينا؛ وقَبَضَ الورقة؛ واظنُّ أنَّهُ بَعَثَّها للسُّلطان مولاي أحمد رَحِمَهُ الله. وكَتَبَ له وأَمَرَهُ أَنْ يمشيَ لحضرتِهِ في عيد الأضحى وأَنْ يحملَنا معه. فَلَمَّا أَنْ بَلَغْنَا في دكالة إلى سوق كبير أَمَرَ القائدُ لخديمه أَنْ يركب معي إلى السوق؛ فلمَّا أَنْ دَخَلْنَا فيه جاء المسلمون يسئلون الخديم عني قال لهم: هو مسلم فجاؤُني من كلِّ جانب وَهُمْ يقولون لي: شهد شهد وأنا ساكت؛ حتى الحُّوا عليَّ وكثروا في ذلك؛ قلت اشهد أَنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسوله. قالوا والله أَنَّهُ قالها خيرٌ مِنَّا. ثم مَشَوْا وأَتَوْنِي بِتَمْرٍ وغير ذلك مِمَّا كانوا يبيعونَهُ وفِضَّه دراهم. قلتُ لهم: لا أطلب منكم شيئًا من ذلك**"[١].

فمن خلالِ هذا النَّصِ يتَّضِحُ لنا حُسْنُ استقبال قائد المدينة للحجري وصاحبه بعدَما أَثْبَتَا صِدْقَ انتمائِهم اللغوي والديني، والمساعدات التي قُدِّمَتْ لَهُمَا من قِبَل أهالي المدينة. كما يتَّضِحُ لنا الصعوبات التي كانت تُوَاجِهُ الموريسكيّين أثناء هجرتهم للبلدان الإسلامية، فبسبب طبيعة مظهرهم الإسباني؛ كان المغاربة يَشُكُّونَ في مدى صحة انتمائهم للأندلسيّين لذا كانوا يسارعون إلى إعلان هُوِيَّتِهِم الإسلامية، التي بدورِها تُؤَكِّدُ صحة انتمائِهِم للجماعة المُسْلِمَة من خلال نُطْقِهِم للشهادة؛ ما يجعلُهُم يشعرون بالتضامن والانتماء في المجتمعات الإسلامية، بالإضافة إلى إنَّ إشارة الحجري لِتَمَكُّنِهِ من الكتابة باللغة العربية أثناء طلب قائد أزمور منه ذلك؛ يدلُّ على افتخارِ ومَدْحِ الحجري بنفسِهِ، وإثباتِهِ للطَّرف الآخَر أَنَّ الموريسكيّين لا يزالون يحتفظون بقدراتهم اللغوية التي تُمَكِّنُهُم من ممارسة اللغة العربية بكلِّ طلاقة؛ وهذا مُؤَشِّرٌ آخَرُ لصدقِ انتمائِهِم اللغوي والديني للجماعة المُسلِمَة في بلدان العالم الإسلامي[٢].

ويَصِفُ الحجري الاستقبال الذي لَقِيَهُ من قِبَلِ السُّلطان أحمد المنصور: "**أَنَّهُ لمَّا بَلَغْنَا إلى مَحَلّه السُّلطان مولانا أحمد ابن مولاي محمد الشيخ الشريف الحسني... وبعد أَنْ دَخَلَ السُّلطانُ من المَحَلَّة وكان ذلك عام سبعة وألف، وأَنْعَمَ علينا، وأَذِنَ لنا في الدخول إلى حضرتِهِ في يوم**

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٨٨.

[٢] دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص١٩٢.

الديوان، ولمَّا ابتدأتُ بالكلام الذي اخترتُهُ أَنْ أقولَهُ بحضرتِهِ العالية بصوت جهير سَكَتَ جميعُ الناس الحاضرون كأنَّها خطبة. فَفَرِحَ السُّلطان وقال كيف يكون ببلاد الأندلس مَنْ يقولُ بالعربية مثلَ هذا الكلام، لأنَّهُ كلام الفقهاء، وفَرِحَ بذلك كافَّةُ الأندلس القدماء، ورأينا العافية والرخاء في تلك البلاد إلى أَنْ ماتَ مولاي أحمد... في مولد النبي من سنة اثني عشرة وألف. وقامتِ القوام والهرج في المغرب كلّه"[١]؛ فمن خلالِ نَصِّ الحجري نستنتج التَّالي:

أ. اهتمام أحمد المنصور بالمهاجرين الأندلسيّين الوافدين على المغرب، وكانت لهم مكانة كبيرة لدى المنصور خَاصَّةً العلماء والفقهاء؛ فقد قام بتوظيف الحجري في البلاط السعدي.

ب. وجود عدد من المهاجرين الأندلسيّين في مجلس أو ديوان أحمد المنصور، "**وفَرِحَ بذلك كافَّة الأندلس القدماء**"، وإنَّ هذا الوجود الكبير من الأندلسيّين لدى السُّلطان السعدي يُوضِحُ أَنَّهُم كانوا يُؤَيِّدُونَهُ ويُسَانِدُونَه؛ فنالُوا شرفَ حضور مجالسِهِ.

ت. تَمَتُّع المهاجرين الأندلسيّين بالأمان والاهتمام والحرية طيلة مدة حكم أحمد المنصور، "**ورأينا العافية والرخاء في تلك البلاد إلى أَنْ مات المنصور**"[٢].

كما ذَكَرَ الحجري في رسالتِهِ إلى الموريسكيّين في القسطنطينية إلى حُسْنِ استقبال الموريسكيّين في بلاد المغرب، سواءٌ من قِبَلِ السُّلْطَة الحاكمة أم من قِبَلِ الأهالي؛ يقول: "**... في الحقول عَامَلَهُم المسلمون معاملةً جيّدةً جِدًّا، وأعطَوْهُمُ العديدَ من الصدقات، كذلك وَهَبَهُم ملكُ المغرب ثلاثة آلاف دوكادوس، وأعطاهم تُجَّارُ المدينة وأَحْسَنُوا إليهم، واسْتُقْبِلُوا على أحسنِ ما يكون**"[٣]. وفي المقابل واجهتِ الموريسكيّين العديد من الصعوبات أثناء دخولهم لبلاد المغرب، منها نَهْبُ الأعراب؛ يقول الحجري في الرسالة نفسِها: "**... أمَّا فيما يتعلق بأولئك الذين في مملكة فاس ومراكش، فقد خَرَجَ إلى تطوان والموانئ المحيطة نحو ستُّون ألف شخص؛ وإلى مراكش. عانَوْا في هاتَيْن المملكتَيْن من نَهْبِ الأعراب والحروب الأهلية**"[٤]، وهو الأمرُ ذاتُهُ وَقَعَ على الحجري أثناء قدومِهِ لبلاد المغرب بعد هجرتِهِ من إسبانيا؛ يقول في كتابِهِ "ناصر الدين": "**وتذكَّرتُ**

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ٨٩-٩٠.

[٢]الحسيناوي، موقف الدولة السعدية من مُسْلِمِي الأندلس، ص١٠٦.

[٣]من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٥٨، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[٤]المصدر نفسه، ص١٥٧.

إلى كُتُبٍ سُرِقَتْ لي بمراكش مِمَّا كتبتُ بِيَدِي في التوحيد وغير ذلك، بقربِ العهدِ الذي جئتُ أوَّل مرة من بلاد الكفار"[١].

فهل كان للسُّلطان أحمد المنصور السعدي أهدافٌ شخصية وسياسة يطمَح في تحقيقها من خلال القضية الموريسكية؟ وما هي العوامل التي دَفَعَتْهُ لاحتواء قضية الموريسكيِّين؟

وَرَدَتِ العديدُ من الرسائل في "منهال الصَّفَا في مآثر موالينا الشُّرَفَا" للفشتالي[٢] التي أرسلَها السُّلطان أحمد المنصور إلى علماء المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي في كُلٍّ من مكة ومصر؛ فقد أرسلَ إلى شريف مكة رسالة جاء فيها: "**ونُطَالِبُكُم لوشائج الرَّحِمِ التماس دانه المساهمة بالدعاء مع الأحيان تِجَاهَ البيت الحرام وعند المُلتَزِم والمقام إنْ يُؤَيِّدُنا اللهُ على عَدُوِّ الدين بفضلِهِ ويُنْجِزَ لنا وَعْدَهُ الصادق في إظهار دين الحق على الدين كُلِّهِ ويُسَهِّلَ علينا بفضلِهِ ومَعُونَتِهِ أسباب فتح الأندلس وتجديد رسوم الإيمان بها**"[٣]، وأرسل رسالة إلى كبير العلماء في مصر وَرَدَ فيها: "**لتمدُنَّ إنْ شاء الله بأدعيتِكُم الصالحة أوقاتَ الإجابة وتَحْرِصُوا على التماسها لنا...إنْ يُؤَيِّدْنَا اللهُ على عَدُوِّ الدين بفضلِهِ ويُنْجِزْ لنا وعدَهُ الصادق في إظهار دين الحق على الدين كُلِّه ويُسَهِّل علينا بفضلِهِ ومَعُونَتِهِ أسباب فتح الأندلس وتجديد رسوم الإيمان بها وإحياء إطلالة الدرس حتى ينطلقَ لسان الأذان في أرضها بكلمة الله**"[٤]. فمن خلال النصوص السابقة يَتَبَيَّنُ لنا رغبة السُّلطان أحمد المنصور السعدي باسترجاع الأندلس، والطلب من علماء المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي التأييد بالدعاء في عملِهِ الجهادي، ولكن هل كان بالفعل يهدُفُ لذلك؟ أم إنَّهُ قَصَدَ من وراء هذا الأمر كَسْبَ علماء الدين في مصر ومكة المكرمة وإظهار نفسه بمظهر خليفة للمسلمين وحَامِي عقيدتها باحتضانِهِ للقضية الموريسكية والدفاع عنها ضِدَّ العَدُوِّ المسيحي، وهل كان وراء هذا الهدف منافسة الدولة العثمانية على المكانة العليا في العالم الإسلامي؟ وذلك بسبب طبيعة العلاقة التنافسية بين الطرفين والتنافس الجيوسياسي على الحوض البحر الأبيض المتوسط،

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٢٠٠.

[٢] **عبد العزيز الفشتالي:** هو أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي، وزير الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور؛ للمزيد انظر: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذِكْرِ مَنْ لَقِيتُهُ من أعلام الحضرتَيْن مراكش وفاس**، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٣م، ص ص: ١١٢-١١٣

[٣] الفشتالي، عبد العزيز بن محمد (ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م)، **مناهل الصَّفا في مآثر موالينا الشُّرَفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٨٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الفشتالي، مناهل الصَّفا).

[٤] المصدر نفسه، ص١٩١.

لاسِيَّمَا إنَّ الأخيرة كانت تخشى تَنَامِي قوة الدولة السعدية في بلاد المغرب بعد تحقيقها النصر في معركة [١] وادي المخازن (Alcazarquivir)[٢].

تعتمد الإجابات عن هذه التَّساؤلات على ما تَوَفَّر من معطيات تاريخية تعود إلى هذه الحِقْبَة الزمنية؛ إذْ كان في استخدام السُّلطان أحمد المنصور الأندلسيّين في الجيش السعدي للسيطرة على السودان الغربي[٣] عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م، فقدِ اتَّخَذَ هذا السُّلطانُ هذه الخطوةَ احتياطًا منه لِضَمِّ الموريسكيّين إلى جانبِهِ نظرًا لخبرتهم المتطورة؛ التي أَتَوْا بها من أوروبا لاسِيَّمَا في المجال العسكري، فيتجنَّب كُلَّ عملٍ قد يَصْدُرُ منهم ضِدَّ السُّلْطَة الحاكمة أو الانضمام لعناصر مُنَاوِئَة ضِدَّ السُّلْطَة[٤]؛ فقد أقنعَ الأندلسيّين أَنَّ هَدَفَهُ من السيطرة على السودان أنَّهُ يريد استغلال موارد وخيرات بلاد السودان لتقويةِ جيشِهِ وجَلْبِ الأخشاب منها لبناء السفن اللازمة لأسطولِهِ الحربيّ المُعَدّ لاستعادة الأندلس، وحماية الحدود الجنوبية لدولتِهِ من الخطر الإسباني؛ وهو أَمْرٌ لا يمكن حدوثُهُ ليس فقط للبُعْدِ الجغرافي بين مناطق النفوذ الإسباني فحسبُ، إنَّمَا أيضًا بسبب تركُّز النفوذ الإسباني على السواحل المغربية من جهة الشمال؛ فكان الأجدرُ بالسُّلطان أَنْ يقوم بتحرير تلك المناطق حتى يتخلَّصَ من الخطر الإسباني على دولتِهِ، ورُبَّمَا كان يهدُفُ السُّلطان أحمد المنصور من وراء ذلك مَدَّ نُفُوذِهِ في مناطق بعيدة عن مُنَافِسِيهِ الآخرين لاسِيَّمَا الدولة العثمانية؛ الذي يَظهَرُ ذلك جَلِيًّا في رسالتِهِ التي رَدَّ فيها على وُزَرَائِهِ عندما اعترَضُوا فكرة سيطرتِهِ للسودان الغربي خشيةَ

---

[١]النفاع، كمال، **محاولات التحديث والإصلاح في العصر السعدي عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور نموذجًا**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٧م، ص١٣٠.

[٢]**معركة وادي المخازن (Alcazarquivir):** وقعتِ المعركة في عام٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م؛ بين البرتغال بقيادة سباستيان مدعومًا من قِبَلِ إسبانيا، وإيطاليا، والبابوية بالتعاون مع الملك المتوكِّل الذي خَلَعَهُ عبد الملك من عرش المغرب بمساعدة العثمانيّين، وبين الدولة السعدية بقيادة عبد الملك، وانتهتِ المعركة بهزيمة البرتغال على يَدِ الدولة السعدية، وأُطْلِقَ عليها العديد من التَّسميات؛ منها: معركة القصر الكبير، والملوك الثلاثة؛ لأنَّهُ مات فيها مَلِكَانِ مغربيَّان، والملك سبستيان. بعد هذه المعركة انهارتِ البرتغال وضَمَّتَها إسبانيا؛ للمزيد انظر: بوستو، غيرمو غونالبيس، **الموريسكيُّون في المغرب**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٥١.

[٣]**السودان الغربي:** هي المناطق التي تُشَكِّلُ الجزء العلوي لِحَوْضَـي السنغال والنيجر؛ تَحُدُّها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى ومنطقة باخوي (Bakhoy) وباولي (Baoule) إلى منطقة الغابات الاستوائية المُمطِرَة جنوبًا، ومن الضِّفَاف الشرقية لنهر النيجر شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ويَحُدُّها من الشرق نهر النيجر، ومن الجنوب نهر تنكيسو؛ للمزيد انظر: شعباني، نور الدين، **محاضرات في تاريخ الممالك السودان الغربي**، دار الجزائر، ٢٠١٥م، ص٤.

[٤]قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخير، ص٤٣.

هلاك الجيش بسبب بُعْدِها الجغرافي، فَرَدَّ عليهم: "**فاعلَمُوا أَنَّ المُرَابِطِين صَرَفُوا عنايتَهم لِغَزْوِ الأندلس ومقابلة الافرنج ومن بذلك السواحل من الروم؛ والمُوَحِّدِين اقتلَفُوا سبيلهم في ذلك، وزادُوا بحربِ ابن غانية؛ والمرينيُّون كانت وقائعُهم مع بني عبد الواد بتلمسان؛ تلمسان باستيلاء التُّرْكِ عليها**". كما يَتَبَيَّنُ من النَّصِ أَنَّ أحمد المنصور يُدْرِكُ عدمَ قدرتِهِ على استعادة الأندلس من قبضة الإسبان بسبب تفوُّقهم العسكري[١]؛ فهل كان السُّلطان أحمد المنصور يسعى من خلال هذه الحَمْلَة إلى السيطرة على مناجمِ الذهب السوداني،[٢] فيتحرَّرَ بذلك من القوى المحلية المغربية التي كانت تُمَوِّلُهُ وتتحكَّم في سياستِهِ الخارجية، أم أراد من خلالها أَنْ يتخلَّصَ من بعض العناصر الموريسكية التي كانت تتمتَّع بنفوذ قوي في الأوساط الموريسكية؛ فقد كان قائد الحَمْلَة الباشا جوادر [٣] وهو موريسكي، وتم اغتيالُهُ عند عودتِهِ من المغرب[٤]، ورُبَّمَا كما لا يُسْتَبْعَدُ في أمثال تلك الأجواء المشحونة بروح التنافس القوى الدولية آنذاك في الحوض الجنوبي للبحر المتوسط أَنْ يتخوَّفَ أحمد المنصور من القادة الأندلسيّين ونَوَايَاهُم الخَفِيَّة وعلاقتهم بالأتراك[٥]، ورغبتهم في تعيين شخص يقودُهُم من مِلَّتِهِم؛ ما يجعل الوضع يتحوَّل إلى مؤامرة أندلسية ضِدَّ السُّلْطَة السعدية بحماية تركية[٦].

ونتيجةً لهذه الحَمْلَة تم فَتْحُ السودان الغربي وأصبحت خاضعة للنفوذ السعدي في ظِلّ حُكْمِ السُّلطان أحمد المنصور. ولم تَغِبِ عن الحجري في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين" الإشارةُ إلى اتِّسَاع نفوذ السُّلطان السعدي لنفوذ؛ يقول: "**... وكان له ببلاد السودان سلطنتانِ استفتحَها**

---

[١]الحسيناوي، موقف الدولة السعدية من مُسْلِمِي الأندلس، ص ص: ٥٨-٦١.

[٢]كريم، عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط٣، جمعية المُؤَرِّخِين المغاربة، الرباط، ٢٠٠٣م، ص١٧١.

[٣]**الباشا جوادر**: من أصل إسباني؛ من قرية (Las Cuevas) قرب غرناطة، وقد دَخَلَ الإسلامُ حديثًا، وقاد جيشَ أحمد المنصور لبلاد السودان؛ للمزيد انظر: الوفراني، محمد الصغير (ت: ١١٥٦هـ/ ١٧٤٤م)، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص٩٣؛ رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص١٨٥.

[٤]دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص٢٢٦.

[٥]رزُّوق، محمد، "العلاقات المغربية الإسبانية خلال القرن السادس عشر العهد السعدي الأول نموذجًا"، **مجلة المناهل**، وزارة الدولة للشؤون الثقافية، الرباط، ع٣٨، ١٩٨٩م، ص١٩٢.

[٦]رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص١٧٨.

هو، أَعْني السُّلطان المذكور، رَحِمَهُ الله، وهي مدينة تُنْبُكْتُ بما تحت حُكْمِها؛ ومدينة جاغ وككي؛ وليس بينهما وبين خَطِّ الاستواء إلَّا نحو عشر درج من العرض"[١].

ختامًا، نُشِيرُ إلى أَنَّ الهجرة الأندلسية استمرَّت بالتَّدَفُّق إلى بلاد المغرب خلال العهد السعدي الأول، وتعاملَ معهم سلاطين الدولة السعدية بِحَذَرٍ؛ نتيجةَ الضغط العثماني، فقد كان السّعديُّون يحاولون باستمرارِ دَمْجِ الأندلسيّين المُهَجَّرِين في المشروعات الجهاديَّة المختلفة لتحقيق أغراضها السياسية، لكنَّ استمرار الاتصالات بين العثمانيّين والأندلسيّين في المغرب تَحُولُ دُونَ تحقيق تلك المشروعات؛ بل تَحَوَّلَ في أغلب الأحيان من دُونِ تقديم المساعدة للموريسكيّين في إسبانيا، وفي المقابل فَتَحَ السّعديُّون للأندلسيّين في المغرب مجالاتٍ عِدَّةً للعمل في النشاطات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية المختلفة؛ ما دامُوا يحترمون سُلْطَةَ البلاد ولا يتدخَّلون في شؤونها[٢]. كما هو الحال مع الحجري الذي حُسُنَ استقبالُهُ في بلاط السُّلطان السعدي أحمد المنصور وقام بتعيينِهِ مُترجِمًا له ولأبنائِهِ من بعدِهِ، ولكن بعد وفاة هذا السُّلطان، وتدهُور أوضاع البلاد بالتزامن مع تدفُّق أعداد كبيرةِ من الأندلسيّين؛ كيف سيكون حالُ هؤلاء في تلك الظروف؟ وكيف ستتناول السُّلُطَات السعدية القضيَّةَ الموريسكية خلال مرحلة الطَّرْدِ؟

أ- القضية الموريسكية في عهدِ السُّلطان زيدان بن أحمد المنصور:

بعدما تُوفِّيَ أحمد المنصور وتولَّى ابْنُهُ زيدان الحكم من بعدِهِ عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، وكان هذا الأخير قد وَعَدَ الأندلسيّين بمساعدتهم في مِحْنَتِهِم عندما يتولَّى الحكم؛ إلَّا أنَّهُ وَاجَهَ حربًا أهليَّةً مع أَخَوَيْهِ أبي فارس[٣] والمأمون[٤]؛ نتيجةً لِلتَّنافُس على سدَّة الحكم، ورُبَّمَا كان يهدُفُ زيدان من وعدِهِ للأندلسيّين بمساعدتهم من أجلِ استمالتِهِم إلى جانبِهِ وانضمامِهِم إلى جيشِهِ ليخوضَ بهم حَرْبِهِ مع أَخَوَيْهِ، وقام السُّلطان زيدان بإسكانهم في المناطق الساحلية لاسِيَّمَا مدينة رباط الفتح[٥]،

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٥٠.

[٢]رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص١٨٨.

[٣]**أبو فارس:** أبو فارس عبدالله الواثق، كان خليفة على مراكش، أُغْتِيلَ عام ١٦١٠م؛ انظر: شاشيّة، السفارديم والموريسكيون، الهامش رقم (٤)، ص٢٣٥.

[٤]**المأمون:** أبو عبدالله محمد الشيخ المأمون، وقُتِلَ بتطوان عام ١٦١٣م؛ انظر: شاشيّة، السفارديم والموريسكيون، الهامش رقم (٤)، ص٢٣٥.

[٥]**رباط الفتح:** مدينة أَسَّسَها يعقوب بن يوسف المُوَحِّدِي؛ عندما أراد العبور إلى الأندلس لحرب الممالك الإسبانية واتَّخَذَها مركزًا لتجمُّع جيوشِهِ التي سَتَعْبُر إلى الأندلس، وللمدينة ميناء طولُهُ نحو المِيلَيْن وعَرْضُهُ نحو الميل؛ للمزيد انظر: الحسيناوي، موقف الدولة السعدية من مُسْلِمِي الأندلس، ص١٠٧.

ومدينة سَلَا، وهي المُدُن التي بَدَأَ فيها الجهاد البحري للأندلسيّين ضِدَّ السفن الإسبانية[١]، وسياسة توطين الموريسكيّين في المناطق الساحلية لم تَأْتِ من فراغ؛ إنَّمَا كان الهدفُ منها جَعْلَ الموريسكيّين الخَطَّ الأول في مواجهة الإسبان المتركّزين بالقرب من تلك السواحل. وسياسةُ زيدان هنا هي استمرار لسياسةِ والدِهِ أحمد المنصور في كَسْبِ الموريسكيّين لجانبِهِ واستخدامهم في القوات البرية والبحرية [٢]، بالإضافة إلى تسكين الموريسكيّين في المناطق الساحلية سَيُسْهِم في بناء الأسطول البحري للدولة السعدية؛ نظرًا لخبرتهم في بناء السفن وصناعتها.

وفي عهدِ مولاي زيدان استقرَّت جالية أندلسية مهمة بِسَلَا [٣]، فَمَنَحَهُمُ العديدَ من الامتيازات السياسية والعسكرية، وعَيَّنَ قائدَهُ عبد العزيز الزعروري [٤] لحكمِ القصبة تحت الوصايا السعدية؛ إِلَّا أَنَّ طُمُوحِ الموريسكيّين في القصبة بالاستقلال عن السُّلْطَة السعدية جَعَلَهُم يصطدمون مع قائدها الزعروري، ورغبتهم في تعيين العياشي [٥]، لتبدأَ سلسلةٌ من التَّمَرُّدات ضِدَّ السُّلْطَة السعدية في القصبة [٦].

وقُبَيْلَ الطَّرْد بعام ١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م؛ أرسلَ زيدان إنذارًا حَذَّرَ فيه الإسبانَ من طَرْدِ مُسْلِمِي الأندلس، وكان الإسبانُ على علمٍ بالمراسلات بين مُسْلِمِي الأندلس وزيدان، وبينهم والدولة العثمانية،

---

[١] الحسيناوي، موقف الدولة السعدية من مُسْلِمِي الأندلس، ص١١٩.

[٢] دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص١٦٩.

[٣] الناصري، جعفر بن أحمد، **سَلَا وباط الفتح: أسطولُهُمَا وقَرْصَنَتُهُمَا الجهادية**، ٦ج، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ٢٠٠٦م، ج٢، ص ص: ٢١٣-٢١٨.

[٤] **عبد العزيز الزعروري:** تولَّى شؤون الرباط بِأَمْرِ زيدان إلى أَنْ ساءت علاقتُهُ بالسَّلاويّين؛ فَنُهِبَت دارُ الزعروري وأُلْقِيَ القبض عليه عام ١٦٢٧، انظر: الشادلي، عبد اللطيف، **الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن ١٧**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨٢م، ص٨٨.

[٥] **محمد العياشي:** أبو عبدالله محمد ابن أحمد المالكي الزياتي؛ نَسَبُهُ يمتدُّ إلى بني مالك ابن زغبة الهلاليّين، وعَيَّنَهُ مولاي زيدان حاكمًا على مدينة أزمور، ثم عَزَلَهُ بسبب تحريض رجال البلاط، والشعبية التي حَظِيَ بها بين الناس؛ فَلَجَأَ إلى قصبة سَلَا، وأخذَ في محاربة الإسبان والبرتغال. كما حارب الأندلسيّين مُتَّهِمَهُم بمساعدة الإسبان ضِدَّهُ؛ فتحالفَ الأخيرُون مع الدَّلَائِين بتحريض القبائل ضِدَّ العياشي، حتى قُتِلَ في قبيلة الخَلْط التي لَجَأَ إليها؛ للمزيد انظر: الناصري، الاستقصا، ج٦، ص٢٤؛ الحسيناوي، موقف الدولة السعدية، ص١٢٠.

[٦] رزُّوق، محمد، "مُلاحَظَات حول الوجود الموريسكي بالمغرب"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمد الأول، المغرب، ع٦، ١٩٩٦م. ص ص: ١٤٦-١٤٧؛ بنرمضان، العربي، "الهجرات الأندلسية إلى المغرب: السياق التاريخي والتأثيرات الحضارية"، **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع٣٩، ٢٠١٩م، ص١٧٦.

وبعض الدول كفرنسا وهولندا. ومن مظاهر مساعدة زيدان لِمُسْلِمِي الأندلس تخصيصُهُ أماكن لهم للسَّكن وإعطائهم الأموال، وعندما تعرَّضَ المهاجرون الأندلسيُّون أثناء قدومهم لبلاد المغرب لهجماتِ القبائل؛ إذْ سُرِقَتْ أموالُهُم وسُبِيَتْ نِسَاؤُهُم؛ وعندما عَلِمَ السُّلطانُ السعدي زيدان بتلك الهجمات؛ قام بإرسال حَمْلَة عسكرية لمعاقبة زعماء القبائل الذين قاموا بالاعتداء على المهاجرين الأندلسيّين. ورُبَّمَا يعود سببُ تلك الهجمات إلى اختلاف نظرة المغاربة للمهاجرين الأندلسيّين؛ فقد كانوا يَرَوْنَ هؤلاء المهاجرين أَشْبَهَ بالنَّصارى من وَجْهَيْ لُغَتِهِم ولِبَاسِهِم، فأغلبُهم كان يتكلم اللغة الإسبانية ولا يجيد اللغة العربية إلَّا قليلًا؛ نتيجةً لإجراءات محاكم التفتيش التي حَرَمَتْهُم من التحدث بِلُغَتِهِم العربية، وحَرَمَتْهُم من لباسهم وعاداتهم؛ لهذا كان المغاربة يُشَكِّكُون بهؤلاء المهاجرين أَنَّهُم إسبانٌ أكثر من كونِهِم أندلسيّين مهاجرين [1].

كما سَعَى السُّلطان زيدان كذلك إلى استرجاع حقوق المسلمين الذين تعرَّضُوا لِلنَّهْبِ من قِبَل ربابنة السفن الفرنسية أثناء نَقْلِهِم من فرنسا إلى بلاد المغرب؛ فقام بإرسال الحجري، وحَمَّلَهُ رسالة موجَّهة إلى رئيس الجالية الأندلسية في فرنسا ورسالة أخرى إلى القاضي الأعلى في مدينة بوردو الفرنسية؛ يُطَالِبُهُم بإعادة حقوق الأندلسيّين التي سُلِبَتْ على مَتْنِ السفن الفرنسية. كما عُهِدَتْ إليه مَهَمَّةٌ أخرى هي النظر في شأن الأطفال الأندلسيّين الذين تَرَكَهُم أهلُهُم مُجْبَرِين في إسبانيا، وسَنُشِيرُ لاحقًا لهذه السفارة بالتفصيل في الهجرة الموريسكية لفرنسا[2].

وبعد وفاة زيدان عام ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م، اندلعت حرب أهلية مرة أخرى؛ فقدِ انتقلَ الحكم بعد وفاة زيدان إلى ابْنِهِ أبي مروان عبد الملك، إلَّا أَنَّ أَخَوَيْهِ الوليد وأحمد [3] رَفَضَا مبايعتَهُ وسَيْطَرَا على فاس، ونَجَحَ عبد الملك من التَّخلُّص من أحمد؛ إلَّا أَنَّ الوليد اقتحمَ مراكش وقام بمقتل عبد الملك عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣١م، بينما حُكْمُ هذا الأخير لم يَدُمْ طويلًا؛ في الحكم، فَقُتِلَ على يَدِ قادة

---

[1] الحسيناوي، موقف الدولة السعدية من مُسْلِمِي الأندلس، ص١٠٧.

[2] من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٦١، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[3] **أحمد بن زيدان (ت:١٠٥١هـ/ ١٦٤٢م):** أحمد بن زيدان بن أحمد السعدي؛ ثارَ مع أخيه الوليد على أخيهما عبد الملك بمراكش، إلَّا أَنَّهُمَا انْهَزَمَا، وفَرَّ أحمد إلى فاس واستقرَّ فيها وضَرَبَ السَّكَّة، وبعد عشرة أشهر قُبِضَ عليه، ثم سُجِنَ، فَهَرَبَ، فتلقَّاهُ أَحَدُ العامة في فاس الجديدة؛ للمزيد انظر: الوفراني، نزهة الحادي بإخبار ملوك القرن الحادي، ص٢٤٤؛ الزركلي، ج٢، الأعلام، ص١٢٩.

الجيش عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٧م، وتولَّى بعدَهُ سلاطينٌ ضِعَافٌ حتى سقوط الدولة السعدية عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م [١].

هذه الحروب الأهلية انعكست سَلْبًا على أوضاع الموريسكيّين في بلاد المغرب؛ فهاجرَ بعضُهم بحثًا عن مكان آخر آمِن لهم، في حين قُتِلَ بعضُهم في خِضَمِّ تلك الحروب الدامية، وقد ذَكَرَ الحجري في الرسالة التي وَجَّهَهَا إلى الموريسكيّين الذين استقرُّوا في القسطنطينية أوضاع الموريسكيّين خلال الحرب الأهلية؛ يقول: "**... في المغرب عَشْتُ دائمًا في سلامٍ شخصيٍّ، لكنْ أَشْبَعَ الحزنُ قلبي وأنا أرى الحرب الأهلية والفُرْقَة التي حصلت بعد موت مولاي أحمد، الذي حَكَمَ منذ الحرب التي خَسِرَها سيباستيان مَلِك البرتغال، والتي كانت منذ خمس وعشرون سنة، تَرَكَ ثلاثة أبناء دَمَّرُوا المملكةَ تمامًا. دارت بينهم سِتَّ عشرة معركة في غضون سبعة أعوام. مات خلالَها أكثرُ من سِتّين ألفَ رَجُلٍ، وكانتِ الحروبُ الأهلية متعدِّدة، مِمَّا جَعَلَ الناس غير قادرين على الاشتغال في حقولهم. فكانتِ النَّتيجةُ مَجَاعَةً دامت سنوات عديدة، ماتَ فيها من الجوع عددٌ كبير من الناس، بحيث أَنَّهُ ونحن في فرنسا، قِيلَ لي أَنَّهُم في المغرب انتهى كبار المملكة أَنْ يُنَصِّبُوا عليهم رَجُلًا عارفًا وبصحة جيدة. الأندلسيُّون المساكين الذين كانوا يسكنون المملكة منذ القديم وأولئك الذين أُمِرُوا بمغادرة إسبانيا، أغلبُهم ماتوا، وبَقِيَ الحَيُّ مَحْشُوًّا بالأيتام والنساء**"[٢].

ومن خلال هذه الرِّواية نستنتج أَنَّ عددًا كبيرًا من الموريسكيّين ماتَ من الجوع بسبب حَرْقِ الحقول الزراعية وتدميرها ما تَسَبَّبَ في قِلَّةِ المحصول الزراعي والمَوْرِد الغذائي المُهِمّ الذي طالَمَا عَمِلَ عليه الموريسكيُّون منذ استقرارِهم في بلاد المغرب. وهنا لا بُدَّ أَنْ نُشِيرَ إلى ما ذَكَرَهُ الحجري بشأن موتِ عددٍ كبيرٍ من الرجال الموريسكيّين قَدَّرَهُم بِنَحْوِ سِتِّينَ ألفِ رجلٍ، وهنا إشارةٌ واضحةُ إلى سياسة التَّوطين العسكري للمُهَجَّرين التي اتَّبَعَها سلاطين السّعديّين؛ التي أَوْدَتْ بدورِها حياة

---

[١] مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ص ص: ٩٤-٩٥؛ عمر، بن قايد، **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا) من١٠٦٩-١١٣٩هـ/ ١٦٥٩-١٧٢٧م**، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠١١م، ص ص: ٢٢-٢٣.

[٢] من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص ص:١٥٥-١٥٦، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

الآلاف من الموريسكيّين خلال تلك الحروب، وهنا يُدرِكُ الحجري تمامًا أَنَّ الموريسكيّين في المغرب لم يكونوا إِلَّا حَطَبًا استهلكتْهُ نارُ الحرب الأهلية، التي لم يكن لهم فيها لا ناقةً ولا جَمَلًا [1].

٢- الهجرة إلى تونُس:

مع بداية مطلع القرن السابع عشر لم تكنِ الهجرة الموريسكية مستمرَّة إلى تونُس؛ فقد توقَّفت نتيجةُ الاحتلال الإسباني على الشواطئ التونُسية، الذي بدورِهِ مَنَعَ هجرةَ الموريسكيّين طوال القرن السادس عشر؛ إِلَّا أَنَّ تدمير العاصمة التونُسية والقضاء على بِنْيَتِها هو الذي دَفَعَ بالسُّلُطَات العثمانية الحاكمة في تونُس آنذاك إلى إعادة توطين الموريسكيّين في المنطقة، فقد كانت تلك السُّلُطَات تهدُفُ من وراء ذلك إعادة تنظيم البلاد، وقد تَدَخَّلَ السُّلطان العثماني أحمد الأول[2] لدى السُّلُطَات الفرنسية والفينيسية[3] لتسهيل عملية عبور الموريسكيّين لبلاد المشرق الإسلامي.

كما تَدَخَّلَ لدى السُّلُطَات العثمانية في تونُس وأَمْرِها بِحُسْنِ استقبال الموريسكيّين، ومَنْحِهِم الأراضي ووسائل المعيشة اللازمة [4]، وتقديم التَّسهيلات كافَّةً لتوطينهم في المُدُنِ التونُسية، وأَلَّا يتعرَّضَ لهم أحدٌ، وأَنْ يتمَّ إعفاؤُهُم من الرسوم والضرائب لمدة خمس سنوات [5]. كما أرسلَ السُّلطان أحمد الأول رسالة في عام ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م [6] إلى المسؤولين في تونُس جاء فيها: **"أَمْرٌ إلى أمير أمراء تونُس إِنَّ طائفة المُدَجَّنِين الذين سَقَطُوا في يَدِ الكفار من قِبَلِ هُمْ من أهل الإسلام**

---

[1] شاشيّة، السفارديم والمورسكيُّون، ص٥٢٤.

[2] **السُّلطان العثماني أحمد الأول:** وُلِدَ عام ٩٩٨هـ/١٥٩٠م، وتولَّى الحكم لمدة١٤عامًا، وفي عهدِهِ خاضتِ الدولة العثمانية حربًا ضِدَّ بلاد فارس بقيادة الشاه عباس، واستمرَّتِ الحربُ بين الطَّرَفَيْن حتى عَقَدَ الصُّلحَ بينهما عام١٦١٢م. كما خاضتِ الدولة حَرْبًا مع النِّمْسَا واستمرَّت حتى عام ١٦٠٦م، وفي عهدِهِ جُدِّدَتِ الاتفاقيات مع الدول الأوروبية؛ كفرنسا عام ١٦٠٤م، ومع مملكة بولونيا عام ١٦٠٩م، وحصلت هولندا عام١٦١٢م على الامتيازات التجارية نفسِها التي عُقِدَت بين الدولة العثمانية وكُلٍّ من إنجلترا وفرنسا، وتُوُفِّيَ عام ١٠٢٦هـ/١٦١٧م، وعُمْرُهُ ٢٨ عامًا؛ للمزيد انظر: المحامي، تاريخ الدولة العَلِيَّة، ص ص: ٢٧١-٢٧٥.

[3] **السُّلُطات الفينيسية:** وبالاتيني (Buonducate Di Venezia)، ويُقْصَدُ بها السُّلطات في مدينة البندقية الإيطالية؛ للمزيد انظر: عبد المجيد، معاوية، البندقية والمُخَيِّلَة العربية، **مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية**، وكالة الاتصالات بن عدة كريمة، الجزائر، ع٣، ٢٠١٩م، ص٣٢٨.

[4] دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا، ص ص: ٣١٦-٣١٧.

[5] انظر الملحقَيْن رَقْمَيْ (١٢) و(١٣): رسائل السُّلطان العثماني أحمد الأول إلى وُلاتِهِ في تونُس يأمرُهُم بإعفاء الموريسكيّين من الضرائب، ص ص: ٢٦١-٢٦٤.

[6] انظر الملحق رقم (١٤): رسالة السُّلطان أحمد الأول إلى والي تونُس يأمرُهُ بمعاملة الموريسكيّين معاملة حسنة، ص ص: ٢٦٥-٢٦٦.

وعلى هَدْيٍ من الدين المُبين والصِّراط المستقيم، ومن ثَمَّ فإنَّهُ بأمرٍ من الله تعالى يجبُ أَنْ نُخَلِّصَهُم من يَدِ المشركين، وعلى أَمَلِ أَنْ يعودوا إلى ديارهم آمنين سالمين جاءُوا إلى تونُس- وهي من بلادي المحروسة ودَخَلُوا ضِمْنَ أهل الإسلام وشارَكُوهم أرزاقَهُم. وقد علمتُ أنَّهُ مع أنَّهُم قَبِلُوا دَفْعَ ما عليهم مثل باقي الرَّعايا، وتَصَرَّفُوا تَصَرُّفَ الرعايا، فإنَّ البعض لم يَقْنَعْ بذلك، وأصبحوا يُكَلَّفُون بتكاليف زيادة عن غيرهم من الرَّعايا والبَرَايَا، وارتكَبُوا في حَقِّهِم كُلَّ أنواع الظلم والتَّعدِّي، إنَّ ما تقتضيهِ قواعد العدالة ان مَنْ يتعدَّى أو يظلم أحدًا من رعيَّتِي سوف يكون محرومًا من رِضَايَ السَّلطاني، وأَنَّ المذكورِين "مُسْلِمِي إسبانيا" سوف يكونون في حمايتي ويستظلُّون بِعَدْلِي إلى أَنْ يتخلَّصُوا من يَدِ الكفار، وقد جاءُوا بهذا الأمل ومع ذلك نُلَاقِيهم بالتَّعدِّي والظلم، بما يُخَالِفُ الشَّرع الشريف، ومَنْ يفعلْ ذلك سوف ينالُهُ عقابي. كما أنَّنِي أصدرتُ أمري السُّلطاني فإعفائهم من الرسوم والتكاليف"[١].

كانتِ السُّلْطَةُ العثمانية العليا في تونُس بِيَدِ الداي عثمان؛ الذي أَحْسَنَ استقبال المهاجرين الموريسكيّين في الأراضي التونُسية، واتَّخَذَ إجراءاتٍ عِدَّةً لتسهيلِ استقرارِهِم في تونُس؛ منها: أَمْرٌ بعدم تحصيل رسوم جمركية من السفن التي كانت تُحْضِرُ الموريسكيّين؛ إعفاءٌ مؤقَّت من الضرائب؛ توفير مُستلزَمات للأنشطة الفلاحية؛ توفير الأمن؛ السماح لهم بإقامة نظام قضائي خاص بهم غير خاضع للقضاء العثماني، ومن أهمِ العوامل التي دفعت دايات تونُس لِحُسْنِ استقبال الموريسكيِّين:

أ. العامل الديني: شَكَّلَ التَّعاطُفُ الديني عاملًا مُهِمًّا في حُسْنِ استقبال الموريسكيِّين في الأراضي التونُسية؛ فقد حَمَلَتِ السُّلُطَاتُ العثمانية في تونُس على عاتِقِها مسؤولية الدفاع عن المسلمين المُضطَّهَدين من الإسبان الكاثوليك، في سبيل الحفاظ على دِينِهِم وحماية المسلمين [٢].

ب. العامل السياسي: شَهِدَتْ تونُسُ في عهدِ الداي عثمان ومن بعدِهِ الداي يوسف حالًا من الاستقرار السياسي والأمني في الإيالة؛ ما جَعَلَها وجهةً استراتيجية للموريسكيّين الذين عانَوْا من ويلات الحروب والاضطهاد المسيحي، فقد أصبحت تونُسُ بالنسبة لهم المُستَقَرَّ والمَسْكَنَ المناسب لهم من الناحية الأمنية والدينية؛ فقد ذَكَرَ الحجري بعد وصولِهِ إلى تونُس عام ١٦٣٧م أنَّها أفضلُ وطنٍ للموريسكيِّين، في قولِهِ: **"في كُلِّ الأوقات وبأيِّ حالٍ من الأحوال**

---

[١]العيدروس، محمد حسن، **العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس التطهير العرقي وجرائم الإبادة الجماعية ضِدَّ المسلمين في إسبانيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١١م، ص٢٣٤، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: العيدروس، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس).

[٢]شاشيّة، حسام الدين، حسن/ سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطية، ص١٧٢.

وحتى اليوم، **تونُس هي أفضل مُستَقَرٍ للأمة**". كما ذكر أيضا أنه: "... **في عام خمسين وألف كنتُ بمدينة تونُس المحروسة بالله ساكنًا في بيت وحدي**"، "... **ثم بعد أَشْهُرٍ جاء ابني بزوجتِهِ من تسترت، بلاد، ونَزَلَ عندي**"[١]. وهذه المدينةُ ظَلَّت تتمتَّعُ بخصائصها المعمارية والحضارية الأندلسية، وتحتفظ بخصائصها الموريسكية من وُجُوهِ بِنْيَةِ المجتمع، والمعمار، واللغة [٢]، ففي أوائل القرن الثامن عشر زارَ أحدُ الرَّحَّالة الفرنسيِّين المدينة؛ فَذَكَرَ: "**لقد وجدتُ النساء والأطفال يتكلمون اللغة الإسبانية بشكل جيد**"؛ فَعَمِلَتِ الجاليةُ الموريسكية في تونُس على افتتاح مدرسة لِتَعَلُّم اللغة الإسبانية، وهذا يدلُّ على الانفتاح اللغوي والفكري الذي تميَّزت به هذه الجالية [٣].

كما استقرَّ بعضُ الموريسكيِّين في كُلٍّ من العاصمة تونُس وحلق الوادي (Gulete)[٤]، وأشار الرياش في كتابِهِ "العِزُّ والرفعة والمنافع": "**وفي الزمن الذي أَمَرَ سُلطان النَّصارى بإخراج جميع أهلِ الأندلس من بلادِهِ، كنتُ مسجونًا من أجل ما وَقَعَ لي مع بعض النَّصارى على أمور راجعة إلى دَعَاوِي النفس بالشجاعة، وكان لي من أكابرِهِم مَنْ يُعِينُنِي ويُصَاحِبُنِي، حتى خَلَّصَنِي اللهُ من السجن، فأردتُ الخروج من تلك البلاد إلى بلاد المسلمين مع جملة الأندلس، فمنعوني من ذلك، ثم أنفقتُ دراهم في الرشوات وخرجتُ من بينهم، وجئتُ إلى مدينة تونُس حَرَسَها الله فوجدتُ فيها كثيرًا من الأصحاب والأحباب من الأندلس**"، وعن وجودهم بحلق الوادي يقول: "**وَوَلَّيْنَا إلى تونُس والأمير يوسف داي أَمَرَنِي بالقُعُود في حِصْنِ حلق الوادي، ونحن من أهل الجيش في الرَّاتب. وفيها كَمَّلتُ معرفة آلات المَدَافِع، بالاشتغال بيدي فيها، وبالقراءة في كُتُبِ الفَنِّ بالأعجمية**"[٥].

ت. العامل العسكري: زَوَّدَ الداي عثمان الموريسكيِّين بالعديد من الإمكانات العسكرية للانخراط في عملية الجهاد البحري، وذَكَرَ الرياش في كتابِهِ "العِزُّ والرفعة والمنافع" لِلدَّعْم العسكري

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٩٩.

[٢] عنان، محمد عبدالله، "تستور–بلد الموريسكيِّين الأندلسيِّين"، **مجلة العربي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع١٥٦، ١٩٧١م، ص١٤١.

[٣] التميمي، تراجيديا طَرْدِ الموريسكيِّين، ص٦١.

[٤] **حلق الوادي (Gulete)**: ميناء يقع على الساحل التونُسي، ويحتوي على قلعة حصينة، وكان الميناءُ مَحَطَّ للصِّراع العثماني–الإسباني لمدة طويلة؛ حتى تمكَّنَ العثمانيُّون عام١٥٧٣م من ضَمِّهِ للدولة العثمانية؛ للمزيد انظر: الغزواني، الموريسكيُّون والمجال المتوسطي، ص٧٠.

[٥] الرياش، العِزُّ والرفعة والمنافع، ص٦١.

الذي قَدَّمَهُ الداي عثمان للموريسكيّين؛ قائلًا: "**وأقبلَ عليَّ أميرُ المدينة عثمان الداي رحمة الله تعالى، وقَدَّمَنِي على مائتي رجل من الأندلس، وأعطاني خمس مائة سُلطانية، ومائتي مكحلة [بندقية]**[١] **ومائتي سِكّين، وغير ذلك مِمَّا يحتاج إليه في سَفَرِ البحر، ورَكِبْنَا بأصحابنا في سُفُنِهِ ولم تَجْزِ إلّا نحو الستة أشهر، وماتَ رَحِمَهُ الله، وبعد موتِهِ بقليل رَجَعْنَا إلى تونُس، بغنيمةٍ قليلة وأنا مجروح من حرب الأعداء حتى أشرفتُ على الهلاك. وبعد أَنْ بَرَيْتُ رَكِبْنَا أيضًا البحرَ، وسافرْنَا في طلبِ الكفار وأموالهم**"[٢]. قام الحجري بترجمة كتاب "العِزُّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمَدَافِع" لإبراهيم الرياش، وقد وَضَعَ الكتابَ من أجل تزويد المسلمين المقاتلين بالمَدَافِع بمعلومات قيّمَة عن صناعتها واستخداماتها [٣].

ث. العامل الاقتصادي: أدركتِ السُّلُطَات العثمانية في تونُس أهمية احتواء الموريسكيّين في أراضيها؛ نظرًا لِتَمَكُّنِهِم في العديد من المهارات الحِرْفِيَّة والفلاحية، والتجارية، ونظرًا لخبرتهم في العديد من العلوم والفنون في شَتَّى المجالات، فاستقرارُهم في تونُس سيعود بالنفع والفائدة للبلاد[٤]؛ وهو بالفعل ما تَحَقَّقَ وما زالت آثارُهُم موجودةً في المُدُن التي استقرُّوا فيها من وُجُوهِ اللِّبَاس، والتجهيزات المنزلية، وهندسة الشوارع، والبناءات الدينية، وصناعة الأسلحة والسفن[٥]، والقيام بأعمالِ الرَّيِّ وشَقِّ مجاري المياه[٦]، وذَكَرَ ابن أبي دينار التونُسي في كتابِهِ "المُؤنِس في أخبار إفريقية وتونُس": "**وفي هذه السنة والتي تَلِيها جاءتِ الأندلس من بلاد النَّصارى نَفَاهُم صاحب إسبانية، وكانوا خَلْقًا كثيرًا؛ فأوسعَ لهم عثمانُ داي في البلاد. وفَرَّقَ ضعفائهم على الناس، وأَذِنَ أَنْ يُعَمِّرُوا حيث شاؤُوا، فاشترُوا الهناشير وبَنَوْا فيها واتَّسَعُوا في البلاد فَعَمُرَتْ بهم، واستوطَنُوا في عِدَّة أماكن، وعَمَّرُوا نحو عشرين بلدًا، وصارت لهم مُدُنٌ**

---

[١]السلمي، جعفر ابن الحاج؛ محمد رضى بودشار، **المغرب والأندلس في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث**، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠٢١م، ص٢١٧.

[٢]الرياش، العِزُّ والرفعة والمنافع، ص٦٠.

[٣]المصدر نفسه، ص٢٥٧.

[٤]شاشيّة، حسن/ سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطية، ص ص: ١٧١-١٧٢.

[٥]التميمي، تراجيديا طَرْدِ الموريسكيّين، ص٦٣.

[٦]أرينال، مرثيديس غارثيا، **شَتَات أهل الأندلس**، ترجمة: محمد فكري عبد السميع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ص: ١٧٩-١٨١.

عظيمة، وغَرَسُوا الكروم والزيتون والبساتين، ومَهَّدُوا الطرقات وصاروا يَعتَبِرُون أهل البلاد"[١].

ويُشِيرُ الحجري في نسختِهِ التونُسية من كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" إلى دورِ كُلٍّ من عثمان داي والوَلِيّ بلغيث القشاش؛ ذَاكِرًا: "**وذَكَرَ لي مَنْ جاء بعدَهُم رجلٌ أندلسي من بلاد الثغر اسْمُهُ قلش بأنَّ كتاب الديوان السُّلطاني بمذريل[مدريد] قالوا: بَلَغَ نهاية جميع الاندلس بصغارهم لثمان مائة ألف مخلوق، وأكثرُهم خَرَجُوا بتونُس. وكان عثمان داي أميرًا فيها؛ وتَكَفَّلَ أمورَهُم بالسُّكنى في المدينة وغيرها في القرى وأَحْسَنَ إليهم غايةَ الاحسان؛ أَحْسَنَ الله إليه... وكذلك الوَلِيُّ الشهير سيدي أبو الغيث القشاش كان يعطيهم في كُلِّ يوم نحو ألف وخمسمائة قرصة من الخبز صدقة**"[٢]، وهذه الصورة التي قَدَّمَها الحجري إنْ كان ظاهرُها مَدِيحًا على حُسْنِ صنيعِ التونُسيّين مع المهاجرين الموريسكيّين؛ إلَّا أنَّها تعكِسُ أوضاعهم المعيشية الصعبة في بلدان المهجر، وتُعَبِّرُ عن مَذَلَّةٍ بعدَ عِزٍّ، وتَشَرُّدٍ بعد استقرار.

فمن خلال ما وَرَدَ في النصوص السابقة التي وَرَدَت في كتاب "ناصر الدين" وغيرها من كتب المصادر الموريسكية لا نَجِدُ ذِكْرَ للصعوبات والتحديات لاستقرارِ الموريسكيّين في تونُس؛ ولكنْ هل كانت بالفعل لا تُوجَدُ تحديات لعملية استقرارهم في تونُس؟ وما هي العوامل التي دفعت بالحجري لتقديم الصورة المثالية لعمليَّةِ استقرارِ ودَمْجِ الموريسكيّين في تونُس إبَّانَ عهدِ الداي عثمان، والمساعدات التي حصلوا عليها من الوَلِي الغيث القشاش؟ رُبَّمَا كانت نتيجة لأسبابٍ عِدَّةٍ: منها نتيجة اطِّلَاعِهِ على كتاب ابن عبد الرفيع الذي كان من المُقَرَّبِين من الوَلِي القشاش، أو حواراتِهِ مع غيرِهِ من أعيان الموريسكيّين، وأيضًا نتيجةً لتجربة الشخصية التي عَايَشَها الحجري في المغرب أثناء هُرُوبِهِ من إسبانيا والاستقرار فيها وما لاقَوْهُ هو وغيرُهُ من الموريسكيّين من صعوبات في عدم الاستقرار والشعور بالأمان؛ فقد عَايَشُوا الحروبَ الأهليَّةَ بين أبناء أحمد المنصور الذهبي، ولكن هل كانت بالفعل عملية استقرار الموريسكيّين في تونُس بتلك السهولة من دُونِ أَيِّ مشكلات؟ فلا نَجِدُ ذِكْرًا لذلك عند الحجري وابن الرفيع، في حين أشار صاحب كتاب "ابن السبيلين"[٣] إلى حُسْنِ تَعَامُل الداي عثمان؛ الذي وَفَّرَ لهم العديد من الامتيازات لِتُسَهِّلَ عملية اندماجهم في المجتمع

---

[١]ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت:١٦٩٠م)، **المُؤنِس في أخبار إفريقية وتونُس**، مطبعة الدولة التونسية، تونُس، ١٨٦٩م، ص١٩٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: ابن أبي دينار، المؤنس).

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٠٣.

[٣]صاحِب كتاب "السَّبيلين": مُوريسكيٌّ تونُسيٌّ مجهولٌ عَايَشَ عمليَّةَ الطَّرْدِ عام ١٦٠٩م؛ للمزيد انظر: شاشيّة، السفارديم والمورسكيُّون، ص٣٧١.

التونُسي، أمَّا بشأن الوَلِي القشاش؛ فأشار إلى أنَّهُ تَعَامَلَ بالتسامح مع المُهَجَّرِين غير العارفين بالدين الإسلامي، وممارسة عباداتهم. كما شَجَّعَ على تأليف الكتب الدينية بِلُغَتِهِم ترفُّقًا بهم وتشجيعًا لهم للدخول في زمرة المسلمين، وقَدَّمَ لهم الكثير من المساعدات من توفير الغذاء والمسكن لهم؛ إلَّا أَنَّ صَاحِبَ الكتاب لم يكتفِ بالإشارة للجوانب الإيجابية، بل أشار إلى الصعوبات التي واجهتِ الموريسكيّين في المراحل الأولى من عملية توطينهم في تونُس، التي تمثَّلت في حَسَدِ الأهالي للمُهَجَّرِين بسبب ثراء بعضهم، وتفوُّقهم الحضاري [١].

وذَكَرَ الرَّاهِبُ خيميناث [٢] العديدَ من التفاصيل المُهِمَّة بشأن الحضور الموريسكي في تونُس، فقد ذَكَرَ أَنَّ السُّلْطَةَ الحاكمة استعملتِ الموريسكيّين لتعمير المناطق الزراعية؛ نظرًا لخبرتهم في المجال الزراعي ونبوغهم فيه. كما وظَّفَتْهُم لتعمير المناطق الساحلية الخالية من السكان؛ كمدينة المهدية[٣] التي سَعَى عثمان الداي بدعمٍ من الوَلِي سيدي بلغيث القشاش لتشجيع الموريسكيّين على النُّزُول بها من خلالِ إعفائِهِم عن الضرائب وتسليحهم بالبنادق؛ يقول خيميناث: "... **الذين ذهبوا لإعمار المهدية كان ذلك ضِدَّ إرادتهم، وبَقَوْا هناك مدة قصيرة"، ويُضِيفُ في موضِعٍ آخَرَ: "أمَّا الذين تَوَجَّهُوا إلى المهدية فقد أعطاهم [الباي] البنادق، لأنَّها منطقة ساحلية، ولِكَيْ يتمكّنوا من**

---

[١]بالكاهية، ثريا، وآخرون، **مُساءَلة الانتماء من منظور المباحث التاريخية التونُسية**، الكلمة للنشر والتوزيع، تونُس، ٢٠٢١م، ص ص: ١٧٧-١٧٨.

[٢]**فرنثيسكو خيميناث:** هو الرَّاهِبُ فرنثيسكو خيميناث دي سانتا كاتالينا؛ وُلِدَ في٢ ديسمبر ١٦٨٥م في مدينة أسكيفياس (Esquivias)، وعَمِلَ في شبابِهِ في بعثة الترينيتاريين (المُلَثَّمِين) (Orden Trinitaria)، وعندما بلغ سِنَّ ٣٢ عامًا أيْ عام ١٧١٧م تَوَجَّهَ إلى الجزائر، وفي عام ١٧٢٠ تَوَجَّهَ إلى تونُس؛ فأنشأ مستشفى للأسرى المسيحيّين. عاد إلى إسبانيا عام ١٧٣٥م؛ للمزيد انظر:

Iglesia Parrochial de Santa Maria de Esquivias, Matrimonios, Libro3 Folio 106 anv. I inscripcion.

نقلًا عن: شاشيّة، حسام الدين، تونُس والجزائر في عيون الإسبان خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر: مثال: الراهبين فرنثيسكو خيميناث ومالغور غارثيا نفاراو، الندوة الدولية هجرة الآثار في المتوسط ٢٠-٢١ نوفمبر ٢٠١٥م، المندوبية الجهوية للثقافة بالمهدية، جانفي، ٢٠١٦م، ص ص: ١٣٥-١٣٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: شاشيّة، تونُس والجزائر في عيون الإسبان).

[٣]**المهدية:** مدينة بساحل إفريقية؛ كانت مَقْصِدًا للسفن الواردة من الشرق والمغرب وبلاد الأندلس وبلاد الروم وغيرها، وهي من القيروان على مرحلتين، وهي من المدن العتيقة التي بناها الرومان، ثم أصبحت العاصمة الأولى للخلافة الفاطمية، وبعد سيطرة الأتراك عليها أصبحت تابعة للنفوذ العثماني؛ للمزيد انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص: ٥٦١-٥٦٢؛ مارمول، إفريقيا، ج٢، ص٣٧٢.

الدفاع عن أنفسهم من المسيحيّين الذين كانوا يأتون بغرض القرصنة، ولكنَّهم لم يتمكَّنوا من العيش هناك، وتَوَجَّهُوا إلى جهة أخرى"[١].

فمن خلال ما وَرَدَ في النَّصِ السابق يتَّضِحُ لنا أَنَّ عملية استقرار الموريسكيّين في تونُس لم تكن مثاليَّةً بشكل كامل؛ بل تخلَّلَتْها العديد من الصعوبات والتحديات، ولا نستبعد أَنَّ حُسْنَ استقبال السُّلُطَات العثمانية للموريسكيِّين في تونُس كان الغرضُ منه استخدامَهم في تعمير المناطق الزراعية، والساحلية؛ التي تَعُدُّ مناطقَ الخَطِّ الأول للدفاع عن الحدود البحرية التونُسية ضِدَّ الهجمات الإسبانية.

٣- الهجرة إلى الجزائر:

فَضَّلَ عددٌ كبيرٌ من الموريسكيّين التَّوَجُّهَ نحو الجزائر؛ فَتَحَقَّق لهم ذلك مُستعمِلين – بِتَنَكُّرٍ شديدٍ – المراكز التي كان يحتلُّها الإسبان في المغرب الأقصى، خاصَّةً طنجة وسبتة ومليلية، ومن هذه الثغور كانوا يتسلَّلُون إلى تطوان وفاس ومراكش؛ فقد شَكَّلَتْ لهم هذه المُدُن الجِسْرَ الآمِنَ الذي أوصلَهم إلى الإيالة تُؤَكِّدُ المصادر التاريخية أَنَّ المغرب الأوسط نالَ نصيبًا مُهِمًّا من الموريسكيِّين المَطْرُودِين والمُهَجَّرِين من بلاد الأندلس[٢].

استقبلتِ الدولة العثمانية في الجزائر المهاجرين الأندلسيّين استقبالًا جيّدًا، ويَسَّرَتْ لهم سُبُلَ الاستيطان، وتلقَّى المهاجرين الاستقبالُ الرَّحْبَ من قِبَلِ الأهالي في بعض المُدُنِ الجزائرية، كالعاصمة الجزائر، وتلمسان، وبجاية، ومستغانم؛ إِلَّا أَنَّهُم تعرَّضُوا لسوءِ المعاملة من قِبَلِ الأعراب في بوادي الجزائر، لاسِيَّمَا أثناء انتقالهم من مستعمرة وهران[٣] إلى الأراضي العثمانية. كما تعرَّضُوا

---

[١]شاشيّة، تونُس والجزائر في عيون الإسبان، ص١٤١.

[٢]الغزواني، محمد، "الموركسيُّون وإعادة الانتشار: الظروف والمآلات: المجال المغاربي نموذجًا"، **دورية كان التاريخية**، ع٥٠، ٢٠٢٠م، ص ص: ١٠٩-١١٠.

[٣]**مستعمرة وهران:** احتلَّ الإسبان مدينة وهران مَرَّتَيْن: المرَّة الأولى عام ١٥٠٥م على يَدِ الماركيز غوماريس، وتم تحريرُها عام ١٧٠٨م على يَدِ محمد بكداش. أمَّا المرة الثانية عام ١٧٣٢م على يَدِ الكونت دي مونتار، وحُرِّرَت عام ١٧٩٢م في زمن الداي حسن باشا، وخلال هذه المدة كانت مدينةُ وهران وِجْهَةً للعديد من الموريسكيّين المهاجرين من إسبانيا؛ فقد كانت مَعْبَرًا للأراضي العُثمانيَّة الأخرى التي هاجَرُوا إليها، أمَّا البعضُ منهم فاستقرَّ في المدينة، وبَقِيَ تأثيرُهم الحضاري والمعماري فيها حتى اليوم؛ للمزيد عن الاستعمار الإسباني للمدينة؛ انظر: المزاري، للآغابن عودة، **طُلُوع سَعْدِ السُّعُود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ٢ج، تحقيق: يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م؛ المدني، أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ١٤٩٢-١٧٩٢م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ١٩٦٥م.

للقتل، والنَّهْبِ، والسَّرِقَة من قِبَلِ هؤلاء الأعراب[1]؛ ذَكَرَ الحجري في رسالتِهِ للموريسكيّين في القسطنطينية تعرَّضَ الموريسكيُّون الذين توجَّهُوا إلى كُلٍّ من تونُس والجزائر والمغرب لِنَهْبِ الأعراب ومضايقة السُّكَّان المحلّيِّين، قال: "**فيما يتعلق بإفريقيا من المغرب إلى تونُس في حَسَبِ رأيي منطقة يمكن تسميتُها "مطهر الغرباء" لِمَنْ يبحث عن عالَمٍ صالِحٍ، ويُحزِنُني كثيرًا أَنَّ الذين خرجُوا إلى تونُس حسب ما كَتَبَ مارمول في كتابِهِ "وصف إفريقيا"، بأنَّهُ في هذا المكان لن يتوفَّرَ ما يكفي من المياه العذبة للفقراء، ولأنَّهُ لديهم آفَتَيْن: الأولى هي الأعراب، والأخرى هي عدم تسامُح العلوج والأتراك، نفسُ الأمر ينسحبُ على الجزائر وتلمسان**"[2]، وذَكَرَ المقري في كتابِهِ "نفح الطيب" أَنَّ تَعَرُّضَ الموريسكيِّين لِنَهْبِ الأعراب وقُطَّاع الطُّرُق أثناء وصولهم للجزائر؛ قال: "**إلى أَنْ كان إخراج النَّصارى إيَّاهُم بهذا العصر القريب سبعة عشر وألف، فخرجتْ ألوفٌ بفاس، وألوفٌ أُخَرُ بتلمسان من وهران... فَتَسَلَّطَ عليهم الأعراب ومَنْ لا يخشى اللهَ تعالى في الطُّرُقَات، ونَهَبُوا أموالهم، وهذا ببلاد تلمسان وفاس، ونَجَا القليل من هذه المعرة**"[3].

قاومتِ السُّلُطَاتُ العثمانية في العاصمة الجزائرية هذه الجرائمَ. كما تصدَّى لها العلماء، ودافعت عنها القبائل الواعية من الأندلسيّين. وقد أَثَّرَتِ الهجرةُ الأندلسية في الجزائر في المجالات المختلفة، خاصَّةً في الزراعة، والفنون العسكرية والإدارية. كما قام الأندلسيُّون المُستقِرُّون في الشواطئ الجزائرية بتنظيم جهاد بحري ضِدَّ الوجود الإسباني في حوض البحر الأبيض المتوسط[4].

ثانيًا: الهجرة إلى بلاد المشرق والأناضول

١- الهجرة إلى مصر:

تُعَدُّ مصرُ إحدَى الوِجْهَات التي هاجرَ إليها الموريسكيُّون بعد صدور قرار الطَّرْد؛ قال المقري: "ووصل جماعة إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام"[5]،

---

[1]العرجوم، فتحية؛ نعيمة حليمي، **الدولة العثمانية ومُسْلِمِي الأندلس خلال القرنين (١٠-١١هـ/ ١٦-١٧م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية، ٢٠١٥م، ص٧٣.

[2]من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٥٧، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[3]المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٨.

[4]الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص ص: ١٧٩-١٨٠.

[5]المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٨.

وكانت الثغور المصرية، كالإسكندرية، ورشيد، ودمياط؛ من أهمِ المراكز التي استقَرُّوا بها، ومنها اتَّجَهُوا نحو المناطق الكبرى كالقاهرة، والمنصورة، والسويس؛ فاندمجوا مع أبناء المجتمع المصري، وبَدَؤُوا بممارسة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، وأَكَّدَتْ وثائق المحاكم الشرعية المصرية بما تحتويهِ من كَمٍّ هائلٍ من الوثائق المتعلقة بالمُهَجَّرِين الأندلسيّين مدى تأثيرهم في مناحي الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية المختلفة في مصر [1].

ففي الناحية الاقتصادية؛ عَمِلَ الأندلسيُّون في قطاع الزراعة والصناعة والتجارة، ولَعِبُوا دورًا مُهِمًّا في الحياة الاقتصادية في مصر خلال العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م)، أمَّا من الناحية الاجتماعية؛ فقدِ اندمجَ هؤلاء الأندلسيُّون اجتماعيًّا مع أبناء المجتمع المصري من خلال الزّواج، والتعامل اليومي، والاشتراك في الأعمال المهنية المختلفة، وإدخال بعضٍ من عاداتهم وتقاليدهم في المجتمع المصري. أمَّا أَثَرُهُمُ الثقافي فَتَجَسَّدَ في هجرة العلماء الأندلسيّين إلى مصر والتحاقهم بالمجالس العلمية، وتأليف العديد من المُؤَلَّفات العلمية في المجالات المختلفة، وتأثير اللَّهجة الأندلسية المغربية في بعض المناطق التي استقَرُّوا فيها كالإسكندرية. كما انتشرتِ الثقافة الصوفية على يَدِ مُتَصَوِّفة أندلسيّين [2].

وكانت مصرُ مَمَرًّا ضروريًّا للمسلمين القادمين من المغرب والأندلس لأداء فريضة الحج، وفي طريق عودة الحجري من الحج اتَّجَهَ نحو مصر عام ١٦٣٧م، وظَلَّ فيها حتى انتهى من كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ الذي أَلَّفَهُ بناءً على طلبِ الشيخ الأجهوري، والمدة التي قَضَاهَا الحجري في مصر عَمِلَ خلالَها أَمِينًا في دُكَّان أَحَدِ الموريسكيّين المهاجرين لمصر هو محمد بن أبي العاصي: "**... وكان عامَ سِتٍّ وأربعون وألف، في نحو العشرين من شوال، يوم السبت، وأنا في مصر... ومشيتُ إلى دُكَّان محمد ابن أبي العاصي الأندلسي؛ كنتُ أَمِينًا على قَبْضِ ما يبيعُ التَّاجِرُ**"[3]، وهذا دليلٌ آخَرُ يُقَدِّمُهُ الحجري لنا على الوجود الموريسكي في مصر بعد عملية الطَّرْد النهائي.

---

[1] التميمي، تطبيق الموريسكيّين الأندلسيّين للشعائر الإسلامية، ص١١٢.

[2] عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن، "المُهَجَّرُون الأندلسيُّون من خلال وثائق محكمة الإسكندرية الشرعية في العصر العثماني في مصر"، **مجلة الدارة**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، مج١٠، ع١، ١٩٨٤م، ص١٧٨.

[3] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص ص: ١٩٩-٢٠٠.

٢- الهجرة إلى الأناضول (الدولة العثمانية):

لَفَتَتِ القضيَّةُ الموريسكية اهتمامَ الدولة العثمانية بحكم طبيعة الصِرَاع الدولي آنذاك، وهجرة أعداد كبيرة من الموريسكيِّين إلى الأراضي الجزائرية والتونُسية، التي كانت خاضعةً للنفوذ العثماني، ولا بُدَّ أَنْ نُشِيرَ إلى المساعي التي قام بها السُّلطان العثماني أحمد الأول لدى كُلٍّ من بريطانيا، وفرنسا والبندقية؛ لمساعدة الموريسكيّين بتسهيلِ عُبُورِهِم إلى الأراضي العثمانية[١]؛ فموقفُ الدولة العثمانية من الهجرة كان موقفًا مُسَانِدًا للموريسكيّين الذين اتَّجَهُوا نحو الأراضي التابعة لنفوذها[٢]، وَوَصَفَ الحجري في رسالتِهِ للموريسكيّين في القسطنطينية أَنَّ حالَ المُهاجِرين إلى أراضي الدولة العثمانية؛ قال: "**أمَّا الذين تَوَجَّهُوا إلى القسطنطينية وأنحاء من بلاد الشام، فَسَيُعَامَلُون بعدلٍ أكبرَ، ويَلْقُونَ حُكْمًا أفضلَ، لأنَّهُ هناك تُوْجَدُ سُلُطات إمبراطور الشرق، وستكون ظروف الناس أفضل، وسيتمتَّعُون بطقسٍ أكثر برودة من طقسِ إفريقيا، الذي مع الحرارةِ يُحْرِقُ الدم، فلا ينقص الحسرة، ولا الأحزان**"[٣].

إنَّ اهتمام الدولة العثمانية بالقضية الموريسكية ليس لأنَّها قضية إسلامية فحسبُ؛ بل بحكم طبيعة الصِراع الدولي في حوض البحر الأبيض المتوسط المُتَمَثِّل في الصِّراع العثماني-الإسباني، فقد أصبحتِ الدولة العثمانية تُشَكِّلُ قَلَقًا أَمْنِيًّا ودينيًّا على الدول الأوربية لاسِيَّمَا بعد سيطرة العثمانيّين على القسطنطينية، والتَّوسُّع في شرق أوروبا؛ وصولًا إلى فيينا عام١٥٢٩م، بالإضافة إلى سيطرتِها على الشمال الإفريقي ما عَدَا المغرب؛ لِتُصبِحَ بذلك الدولة العثمانية المُهَيْمِنَ الأول على المنطقة، مُهَدِّدَةً النُّفُوذَ المسيحي التقليدي في المنطقة، وقد أدَّى هذا التَّفوُّق لازدياد حالة القلق والعداء ليس فقط على الصعيد العثماني-الإسباني[٤]؛ بل على مستوى العالم الإسلامي والمسيحي ككل، فأصبح

---

[١]زغروت، فتحي، **العثمانيُّون ومحاولات إنقاذ مُسْلِمِي الأندلس (٨٩٨-١١١٥هـ/ ١٤٩٢-١٦٠٩م) منذ سقوط غرناطة حتى الطَّرْدِ النهائي**، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، فاس، ٢٠١١م، ص٢٩٥.

[٢]شاشيّة، حسن/ سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطية، ص١٠٨.

[٣]من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٥٧، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[٤]التميمي، عبد الجليل، العثمانيُّون والبحر الأبيض المتوسط: الإشكاليَّات والمقاربات الجديدة؛ ضِمْنَ كتاب "**العثمانيُّون والعالم المتوسِّطي: مقاربات جديدة**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠٠٣م، ص٢١. (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: العثمانيُّون والعالم المتوسِّطي).

المسيحيُّون يُطلِقُون على كُلِّ مسلم "تركي"[١]؛ وهو الأمر الذي أَكَّدَهُ الحجري خلال زيارتِهِ لفرنسا وهولندا بين عامَيْ (١٦١١– ١٦١٣م)، يقول: "... **لأنَّ في بلاد الفرنج وفي كثيرٍ من سُلطانات النَّصارى لا يُسَمُّونَ المُسلِمَ إلَّا تُرْكِيًّا**"، **وعندما ألتقي بامرأة من أكابر الفرنج في مدينة بوردو، سألتْهُ "أنتَ تركي؟"، ليجيبَها الحجري: "مُسلِم، الحمد الله"**[٢].

واستمرَّ الصِّرَاعُ بين الطَّرفَيْن ليس فقط على صعيد الصِّرَاع العسكري في منطقة البحر الأبيض المتوسط؛ بل عَدَّ الإسبانُ الدَّولةَ العثمانيَّة تتدخَّل في شؤونهم الداخلية، بسبب دَعْمِها لقضية الموريسكيّين خارجَ إسبانيا وداخلَها ضِدَّ السُّلْطَة الإسبانية الكاثوليكية؛ فأصبح الموريسكيُّون يُشَكِّلُون خطرًا أَمْنِيًّا داخليًّا لِتَحَالُفِهِم مع هذه القوة الإسلامية. كما أصبحوا يُشَكِّلُون خطرًا خارجيًّا لاسِيَّمَا بعد طَرْدِهِم عام ١٦٠٩م وهجرتِهِم نحو الأراضي التابعة للدولة العثمانية، وتَلَقِّيهِم دَعْمًا عسكريًّا من قِبَلِ العثمانيّين في الجزائر، وممارستهم لعمليات هجومية ضِدَّ السفن الإسبانية في سواحل البحر الأبيض المتوسط[٣]، وتنبغي الإشارة هنا إلى أَنَّ العثمانيّين كانوا يَسْعَوْنَ من خلالِ تدخُّلِهِم في قضية الموريسكيّين على استغلال تَمَرُّد الموريسكيّين لزعزعة استقرار إسبانيا في الداخل، وتشتيت عمليات هجومها ضِدَّ العثمانيّين في الخارج[٤].

إلَّا أَنَّ الدولة العثمانية عانت خلال العِقْدَيْنِ الأول والثاني من القرن السابع عشر الميلادي العديد من المشكلات الداخلية والتحديات الخارجية؛ الأمرُ الذي انعكسَ سَلْبًا على مكانة الدولة العثمانية في الحوض البحر الأبيض المتوسط، إذْ أَثَّرتْ هذه الأحداث في تقويضِ الدور العسكري للعثمانيّين في منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط بشكل عام، والقضية الموريسكية بشكل خاص، فالمُتغَيّرات السياسية التي شَهِدَتْها الدولة العثمانية خلال حكم السُّلطان أحمد الأول (١٠١٢–١٠٢٧هـ/ ١٦٠٣–١٦١٧م)، كانت صعبةً للغاية؛ إذْ هُزِمَتِ الدولة العثمانية على يَدِ النِّمْسَا، وما

---

[١]شاشيّة، حسام، "صورة المسلم في المِخْيَال الغربي خلال الفترة الحديثة: "تجذُّر القلق"، **مجلة الكراسات التونُسية**، معهد الدراسات العليا–جامعة تونُس، تونُس، ع٢١٨، ٢٠١٤م، ص ص: ٤٨–٤٩، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: شاشيّة، صورة المسلم في المِخْيَال الغربي).

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١١٣، ص١٢١.

[٣]شاشيّة، صورة المسلم في المِخْيَال الغربي، ص ص: ٥٠–٥١.

[٤]النظام، الزهراء، العثمانيُّون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط؛ ضِمْنَ كتاب "**العثمانيُّون والعالم المتوسِّطي**"، ص٧٦.

تَرَتَّبَ على هذه الهزيمة من عَقْدِ صُلْحِ زيتفاترك (Szitvatarok)[1] بين الدولة العثمانية والنِّمْسَا، ثم عَقَدَتِ الصُّلْحَ مع شاهِ فارس الكبير، وواجهتِ الدَّولةُ داخليًّا العديدَ من الثورات في بعض الولايات التابعة للدولة العثمانية. كما ظهرتِ العديدُ من التَّغيُّرات على الساحة الدولية المُتَمَثِّلَة بظهور فرنسا، وإنجلترا، والبندقية؛ بعَدِّها قُوَى بحرية كبرى، ما أدَّى بدورِهِ إلى تراجُع دور الدولة العثمانية في الساحة الدولية؛ لذا بادرَ السُّلطان أحمد الأول بِعَقْدِ معاهدات صداقة مع كُلٍّ من فرنسا، وإنجلترا، والبندقية، واستغلَّ العلاقاتِ الوُدِّيَّةَ مع تلك الدول في خدمة توجُّهات الدولة العثمانية ضِدَّ عَدُوِّها التقليدي إسبانيا، وفي خدمة القضية الموريسكية من جهة أخرى؛ وذلك بتقديم الوسائل اللازمة لضمان سلامتهم والوصول إلى المناطق التي يرغبون اللُّجُوء إليها [2].

حاولَ الحجريُّ تسويغَ عدمِ وصول النَّجدات التي أَمِلَ الموريسكيُّون وصولَها من الدولة العثمانية وبلاد المشرق الإسلامي بِحُجَجٍ واقعية تعكس إدراكَهُ للوضعية الجيوسياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط؛ فقد وَصَفَ أوضاع الدولة العثمانية نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، فبعد سنوات من الحرب عَقَدَت معاهدةَ سِلْمٍ مع الدولة الصفوية (٩٠٧-١٥٠٧هـ/ ١١٤٩-١٧٣٦م)[3]، ومن جهة ثانية كانتِ المغربُ غارقةً في الحروب الأهلية[4]؛ يقول: "... **وأمَّا سُلطان إسطنبول فقدِ اصطلحَ مع سُلطان الفرس لأنَّهُ كان يُشْغِلُهُ؛ وأمَّا سُلطان**

---

[1] **زيتفاترك (Szitvatarok):** معاهدة الصُّلحِ الأولى التي أَبْرَمَها العثمانيُّون مع النِّمْسَاوِيّين بعيدًا عن القسطنطينية؛ عُقِدَت في ١١ نوفمبر ١٦٠٦م، وتخلَّى النِّمساويُّون عن ترانسلفانيا للزعيم بوسكاي، واعترفَ العثمانيُّون بأنَّ النِّمساويِّين يقفون معهم على قَدَمِ المساواة، وأوقفَ النِّمساويُّون دفعَ الجزية عن الأقاليم التي يحتلُّونها من المَجَر؛ للمزيد انظر: لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٤، ص ١١٣٣.

[2] الحسيني، قاسم عبد سعدون، **الموريسكيُّون والعالم الإسلامي من سقوط غرناطة حتى نهاية محاكم التفتيش دراسة تاريخية وثائقية**، مركز الكتاب الأكاديمي، عَمَّان، ٢٠٢٢م، ص ص: ١٦٧-١٦٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الحسيني، الموريسكيُّون والعالم الإسلامي).

[3] **الدولة الصفوية:** قامتِ الدولة الصَّفَوِيَّة في إيران عام ٩٠٧هـ/ ١١٤٩م، وتُنْسَبُ للشيخ صفي الدين الأردبيلي جَدِّ الشاه إسماعيل الصفوي مُؤَسِّس الدولة الصفوية، وقد قامتِ الدولة على أساس المذهب الشيعي، وامتدَّت لتشملَ خراسان، وأفغانستان وأذربيجان والعراق، وبلاد الكرج، وتُعَدُّ سنةُ ١٥٠٧هـ/ ١٧٣٦م سنةَ نهاية الدولة الصفوية؛ فقد تُوِّجَ نادرُ شاه في هذا التاريخ شاهًا على إيران؛ للمزيد انظر: الجاف، حسن كريم، **موسوعة تاريخ إيران السياسي**، ٤مج، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م، مج٣، ص ص: ١٢-١٤؛ أمحزون، محمد، الدولة الصفوية في إيران التاريخ والمنهاج، **مجلة البيان**، المنتدى الإسلامي، ع٢٥١، ٢٠٠٨م، ص ص: ٨١-٨٤.

[4] شاشيّة، السفارديم والموريسكيُّون، ص٢٣٥.

مراكش فقد عَزَمَ على تدويخ البلاد وتسكينها..."[١]. وسَنُشِيرُ إلى جهود الدولة العثمانية تِجَاهَ القضية الموريسكية من خلال علاقاتها الدولية لاسِيَّمَا مع الدول الأوروبية في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: الهجرة الموريسكية إلى الدول الأوروبية.

أَوَّلًا: الهجرة إلى فرنسا

تعدَّدتِ السفارات بين الدولة العثمانية والبلاط الفرنسي منذ تَوَلِّي السُّلطان أحمد الأول العرشَ العثماني عام ١٦٠٤م؛ لأسباب عديدة: كتجديد الاتفاقيات التي مُنِحَت عام ١٦٠٤م، أو تقديم الهدايا منذ عام ١٦٠٧م؛ فأصبحتِ المشكلة الموريسكية تُشَكِّلُ حَجَرَ الزاوية في العلاقات الفرنسية–العثمانية[٢]، وأشار الحجري إلى تلك المراسلات بقولِهِ: "**ولمَّا صَحَّ عند سُلطان إسطنبول بخروج الأندلس الذين يُسَمُّونَهُم ببلاد التُّرك بِمُدَجَّلين كَتَبَ كتابَهُ السني إلى سُلطان فرانجة بالوصية عليهم ونَفَعَ ذلك الكتاب الأندلس نفعًا عظيمًا**"[٣]، وعملت تلك المراسلات على تسهيلِ عمليَّةِ نَقْلِ الموريسكيّين إلى دار الإسلام[٤]، وفي السِّياقِ نفسِهِ ذَكَرَ ابْنُ عبد الرفيع السفارة التي أرسلَها السُّلطان العثماني أحمد الأول إلى حاكم فرنسا لتسهيلِ عمليَّةِ نَقْلِ الموريسكيّين من فرنسا إلى أراضي الدولة العثمانية أثناء حَدَثِ الطَّرْدِ؛ فقال: "... **فخرج مِنَّا بعضٌ للمغرب وبعضٌ للمشرق خِفْيَةً مُظْهِرًا دينَ الكفار–أبعدَهُم اللهُ–فذهبَ بعضُ إخواننا إلى مدينة بلغراد من عمالة القسطنطينية العظمى فاجتمع بالوزير المُعَظَّم المرحوم مراد باشا**[٥] **أحد وزراء حضرة السُّلطان الأعظم والخاقان الأفخم– المرحوم برحمة الله– تعالى السُّلطان أحمد خان نجل آل عثمان–**

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٧٤.

[٢]التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٣١.

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٩٥.

[٤]هلايلي، حنيفي، **أبحاث في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٠م، ص٣٥.

[٥]**مراد باشا:** وُلِدَ عام٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م، ويُلَقَّبُ بـ(Koyucu) ومعناها حفَّاري الآبار أو مَسْؤُولي آبار؛ وهو الصدر الأعظم للسُّلطان العثماني أحمد الأول، وتولَّى الصدارة لمدة أربع سنوات (١٦٠٦–١٦١١م)، وقد تُوفِّيَ عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م؛ للمزيد انظر: الرجبي، حبيب بن حسين بن خلف، **الأحوال السياسية في الدولة العثمانية (١٠١٢–١٠٥٠هـ/ ١٦٠٣–١٦٤٠م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، ٢٠١٦م، ص ص: ٣٧–٣٨.

نَصَرَهُم الله تعالى وأَيَّدَهُم وَرَحِمَ سَلَفَهُم الصالح آمين-وأخبرَهُ بما حَلَّ بإخواننا الأندلس من الشدة والضيق بفرائضِهِ وغيرها"[١].

اتَّبَعَتِ السُّلُطَاتُ الفرنسية مُتَمَثِّلَةً في الملك هنري الرابع (Henri IV) (١٥٨٩-١٦١٠م)[٢] سياسةً حَسَنةً في استقبال الموريسكيّين المُهَجَّرِين، وكانت هذه السياسةُ وليدةَ عواملَ سياسية واقتصادية ودينية عِدَّةٍ:

أ. العامل الاقتصادي: أدركتِ السُّلُطَاتُ الفرنسية أهمّيَّةَ السَّمَاحِ للموريسكيّين بِعُبُورِ أراضيها؛ فَسَيُشَكِّلُ عبورُهُم عائدًا ماليًّا لها، فقد كانت على علمٍ بالقرارات التي أَصدرَتْها السُّلْطَاتُ الإسبانية في شأن الأموال الثمينة التي يسمح للموريسكيّين بِحَمْلِها بعد خروجهم من الأراضي الإسباني؛ التي يستعملها الموريسكيُّون أثناء عبورهم للأراضي الفرنسية سواءٌ في الضرائب أم الإيواء، والنقل[٣]، فقد أبحرتِ الغالبيَّةُ العظمى من الموريسكيّين عن طريق موانئ إقليم الباسك وأَهَمُّ ميناءٍ كان سان جوي دلوث؛ إلَّا أَنَّ السُّلُطَاتِ الفرنسية بعد ذلك قامت بترحيل الموريسكيّين المُتَّجِهين نحو فرنسا باتِّجَاهِ بلاد المغرب[٤].

ب. العامل السياسي: لقد كان للدولة العثمانية أَثَرٌ واضحٌ في حُسْنِ استقبال فرنسا للموريسكيّين المُهَاجِرين؛ وذلك للتَّقارُب العثماني-الفرنسي ضِدَّ إسبانيا في القرن السابع عشر للميلاد، فقد أرسلتِ الدَّولةُ العثمانية العديدَ من السفراء والرسائل التي أسهمت بدورِها في تسهيل حركة عبور الموريسكيِّين للأراضي الفرنسية والإقامة فيها أو العبور منها إلى بلاد المغرب أو إلى الدول الأوروبيَّة الأخرى ومنها إلى القسطنطينية، ففي عام ١٦١٠م أرسلَ السُّلطان العثماني أحمد الأول إلى الملك هنري الرابع رسالةً يطلب فيها السَّمَاحَ للموريسكيّين بالمرور إلى الأراضي الفرنسية، وأَنْ تتمَّ معاملتُهم معاملةً جيدة، وأَمَرَ بمعاقبة اللصوص الذين تعرَّضُوا لموريسكيّين وممتلكاتهم أثناء عبورهم الأراضي الفرنسية، وعن هذا يقول الحجري في رسالتِهِ المُرسلَة من باريس إلى الموريسكيّين في القسطنطينية، التي ذَكَرَ فيها سفارتَهُ إلى فرنسا

---

[١]ابن عبد الرفيع، محمد، الأنوار النبوية في أنباء خير البَرِيَّة، نقلًا عن: المنوني، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ص٢٨٤.

[٢]**الملك هنري الرابع (Henri IV) (١٥٨٩-١٦١٠م):** هو الملك هنري نافار (Navarre). تولَّى حكم فرنسا عام ١٥٨٩م بعد وفاة الملك هنري الثالث، وكان زعيمًا من زعماء الهيجونوت، وتحوَّل من المذهب البروتستانت إلى الكاثوليك عام١٥٩٣م في كنيسة سانت دينس؛ للمزيد انظر: راشد، تاريخ أوروبا الحديث، ص١٥٩.

[٣]شاشيّة، حسن/ سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطية، ص ص: ١٦١-١٦٤.

[٤]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٠٣.

لاسترداد حقوق الموريسكيّين المَنْهُوبين من قِبَل ربابنة السفن الفرنسية، ودَوْرِ السُّلُطَات الفرنسية في الاستجابة للتحقيق بشأن القضية ومعاقبة اللصوص؛ يقول: "... **ثم جاءَنا الخبر بأنَّ مَلِكَ فرنسا أَمَرَ بمعاقبة اللصوص، وهكذا رَجَانِي كُلُّ القادمين، وأعطَوْنِي توكيلًا عامًّا في هذه المملكة**"[١].

كما أرسلتِ المَلِكَةُ الوصيَّةُ ماري دو ميديشي (Marie de Medicis) [٢] رسالةً بتاريخ ١ يونيو ١٦١٠م إلى سفير الدولة بالقسطنطينية؛ تُخْبِرُهُ فيها أَنَّهُ تم السَّماح للموريسكيِّين بالعبور إلى فرنسا والمرور إلى الشمال الإفريقي، وتم تعويضُهم ومعاقبة الذين قاموا بابتزازهم وإهانتهم من رعايا الملك. كما يُؤَكِّدُ الحجري في الرسالة السابقة نفسها على دورِ هذا التحالف العثماني–الفرنسي في حُسْن استقبال الموريسكيِّين في فرنسا؛ يقول الحجري: "... **كذلك ارغبُ في أَنْ يتمَّ تقديم الشكر لسفير فرنسا من أجل كُلِّ ما فَعَلَهُ لصالح الموريسكيّين، وأَنْ يتمَّ إخبارُهُ بما كتبتُ؛ وأَنْ يتمَّ نيابتي عند السيد الكبير**"[٣].

كما أَدَّتِ العلاقاتُ الودية المغربية–الفرنسية دورًا مُهِمًّا في حُسْنِ استقبال فرنسا للموريسكيّين؛ ففي عهدِ السُّلطان مولاي زيدان أرسلت سفارةً إلى ملك فرنسا بين عامَيْ ١٦١١–١٦١٣م برئاسة مُتَرْجِمِهِ الموريسكي أحمد بن قاسم الحجري، للنَّظَرِ في قضية الموريسكيّين المَنْهُوبين من قِبَل ربابنة السفن الفرنسية أثناء عملية نقلِهم من الأراضي الفرنسية إلى بلاد المغرب بعد أَنْ تم طَرْدُهُم من الأراضي الإسبانية عام ١٦٠٩م؛ فقد ذَكَرَ الحجري في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين" المَنَافِذَ الفرنسية التي تَوَجَّهَ إليها الموريسكيُّون أثناء عملية الطَّرْد، لِيَعْبُرُوا منها إلى بلاد المغرب، وذلك حتى يتمكَّنُوا من مرافقة أطفالهم أثناء السفر؛ فقد صَدَرَ مرسوم بمنعِ اصطحاب الأطفال الذين تَقِلُّ أعمارُهُم عن سبعة أعوام، إلَّا إذا تَوَجَّهتِ الأُسَر إلى بلاد مسيحية؛ ما أدَّى بالأُسَرِ الاتجاه نحو فرنسا، وسَلَكَ معظمُهم الطَّريقَ البَرِّي، ثم تم حملُهُم بعد ذلك على مَتْنِ السفن الفرنسية باتِّجَاهِ السواحل المغربية، وكان أغلبُ مَنْ سَلَكُوا هذه الطريق من موريسكيِّي إكستريمادورا وقشتالة[٤]،

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٥٨.

[٢] **ماري دو ميديشي (Marie de Medicis)**: هي مَلِكَة فرنسا ونافارا، وزوجة الملك هنري الرابع ملك فرنسا أوَّل مَلِك من أسرة بوربون. اغتِيلَ زوجُها بعد يومٍ واحدٍ من تتويجها، ثم أصبحتِ الحاكمةَ الوصيَّة على ابْنِها لويس الثالث عشر حتى ١٦١٧م؛ للمزيد انظر: Marie de Médicis queen of France https://www.britannica.com/biography/Marie-de-Medicis، تاريخ الاسترجاع: ٦/ ٩/ ٢٠٢٣م.

[٣] من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٦٠، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[٤] دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا وفي المنفى، ص١٥٨.

وأثناء عملية نقلِهم تعرَّضُوا لِلنَّهْبِ من قِبَل ربابنة السفن الفرنسية؛ يقول: "**ولمَّا خَرَجْنَا من بريش[باريس] إلى مدينة برضيوش[بوردو] إلى قاض الأندلس قالوا لنا: هو البلد الذي تَخْرُجُ إليه الأندلس–وهو البلد الأول من بلاد فرنجة القريب للحدود بين فرنجة وبلاد الأندلس؛ ويُسَمَّى بشان جوان دلز... وكان فيه آخِرُ مَنْ خَرَجَ من الأندلس**"(١)، ومن هناك يُتَمِّمُ الإبحارَ باتِّجَاهِ ميناء أسفي؛ يقول: "**أَبْحَرَ من سانت لوكار دي لوث خمسةُ قوارب نحو آسفي، بالمغرب، وخمسة آخرون في شهر ديسمبر. بينهم كان قارب بلنسي، نصفُهُ مُحَمَّل من القادمين من روشالا**"[٢]، وقد تَعَرَّضَ الموريسكيُّون لعمليَّة نَهْبٍ وسَرِقَةٍ على مَتْنِ السفن الفرنسية من قبل ربابنة السفن؛ يقول الحجري: "**واتَّفَقَ لكثير من المسلمين الأندلس عند خروجهم أَنْ نَهَبَهُم في البحر النَّصارى وأكثرُهُم الفرنجة البحرية الذين أكترَوْهُم ودَفَعُوا لهم أُجْرَتَهُم على أَنْ يُبَلِّغُوهم في عافية وأمان إلى بلاد المسلمين، وخانُوهم كل واحد من الرياس في سفينتِهِ. وبعد أَخْذِ كُلِّما كان لهم أَخرجُوهم في بعضِ جُزُرِ المسلمين، وأربع من تلك السفن المنهوبة خرجت بالمغرب الأقصى...**"[٣].

بعد وصول الأندلسيّين المَنْهُوبين للمغرب اتَّجَهُوا نحو سُلطان مراكش مولاي زيدان، واشتَكُوا له ما جَرَى لهم على مَتْنِ السفن الفرنسية؛ فقام مولاي زيدان بإعداد سفارة بقيادة الحجري، وقد أَوْرَدَ الحجري بذلك ضِمْنَ كتابِهِ "ناصر الدين" في قولِهِ: "**كان الأندلسُ يقطعون البحر في سفن بالكِرَاء، ودَخَلَ كثيرٌ منهم في سفن الفرنج ونَهَبُوهُم في البحر، وجاء إلى مراكش أندلس منهوبون من الفرنج من أربع سفن وبَعَثَ رجلٌ أندلسي من بلاد فرنجة يطلب منهم وكالة ليطلب بالشرع عنهم ببلاد الفرنج؛ واتَّفَقَ نَظَرُهُم أَنَّهُم يبعثون خمسة رجالًا من المنهوبين ويمشي بهم واحد من الأندلس الذين سَبَقُوهُم بالخروج واتَّفَقُوا أَنَّنِي نمشي بهم واعطاني السُّلطان كتابَهُ ورَكِبْنَا البحرَ المحيط بمدينة أسفي**"[٤].

انطلقت سفارة الحجري من آسفي عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م، برفقةِ خمسةٍ من الأندلسيِّين المَسْطُوِّ عليهم، ونعلمُ اسْمَيِ اثْنَيْنِ من رفاقِهِ؛ هُمَا: جاك فرننديث الإشبيلي، وهرني غرسية

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٠٣.

[٢]**رشولا:** هي مدينة لاروتشيل (La Rochelle) الفرنسية، الواقعة في الوسط الغربي على ساحل المحيط الأطلسي؛ انظر: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، هامش رقم (٤)، ص١٦٢.

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٦٠.

[٤]المصدر نفسه، ص٩٠.

اللوغي[1]، وبعد ثلاثين يومًا وَصَلَ ميناء لوهافر الفرنسي، ثم تَوَجَّهَ إلى مدينة روان؛ فالتقى بالسيد كارت، وهو مَسِيحِيٌّ عَرَفَهُ الحجري في المغرب الأقصى سابقًا. كما التقى بالقاضي الأكبر للمدينة، ثم اتَّجَهَ بعد ذلك نحو مدينة باريس؛ فَقَدَّمَ للمجلس الملكي (الديوان السُّلطاني) المسألة التي جاء من أجلها، ثم سُلِّمَتْ إليه رسائلُ الملك المُوَجَّهَة إلى القضاة التي أُعْطِيَ أسماؤهُمُ وكذلك إلى قاضي الأندلس؛ قال الحجري: "**وقد رَفَعْنَا أَمْرَنَا الذي ذَكَرْنَا جِئْنَا بسببِهِ إلى تلك البلاد إلى الديوان السُّلطاني وأعطَوْا كُتُبَ السُّلطان للقضاة الذين ذَكَرْنَا لهم وأيضًا لقاضي الأندلس؛ وذلك أَنَّ في دِيوانهم وَجَّهُوا قاضيًا نصراني [2] منهم إليهم**"[3]. كما التقى في باريس بالطبيب والمُستشرِق إيتان هوبرت، وعَرَّفَهُ الأخيرُ بأحدِ تلاميذِهِ هو توماس اربينيوس[4]؛ الذي سوف يلتقي به الحجري مرة أخرى في لايدن بهولندا[5]، وَوَعَدَ هوبرت الحجريَّ بمساعدتِهِ في أداءِ مَهَمَّتِهِ شَرْطَ أَنْ يُقْرَأَ معه عددًا من النصوص العربية التي يمتلكُها[6]؛ ذَكَرَ الحجري: "**وألتقيتُ في تلك المدينة برجلٍ من علمائهم كان يقرأُ بالعربية؛ وبعض النَّصارى يَقْرءُون عليه. وكان يُسَمَّى بأبرت. وقال لي أنا أخدمُك فيما تحتاجني لِأُكَلِّمَ لك من كبراء الناس وغير ذلك؛ وما نُحِبُّ منكَ إِلَّا نقرأُ عليك في الكُتُبِ التي عندي بالعربية وتَبَيَّنَ لي فيها شيئًا مِمَّا فيها**"[7].

وبعد ذلك تَحَوَّلَ الحجري إلى مدينة بوردو، وسان جوي دلوث ليلتقيَ بقاضي الأندلسيّين، وكان ذلك عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١٢م. كما التقى بشخصٍ اسْمُهُ كالس، الذي أخبرَ الحجريَّ عن أعداد

---

[1]Reg. de la jurade Bordeauxm Vol. de 1612-1613, apud F. Michel, Histoire des Races Maudites de la France et de lEspagne, P92.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٣١.

[2]**مارك أنطون دي غورغ:** نبيلٌ وسياسيٌّ مُهِمٌّ، شَغَلَ مَنْصِبَ قاضي الأندلسيّين في فرنسا؛ انظر: مقدمة محقق كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٣٣.

[3]المصدر نفسه، ص٩٥.

[4] Loop, Tan, others, **The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe**, Brill, Boston, 2017, p26 ؛ Vrolijk, Arnoud, Richard van Leeuwen, **Arabic studies in the Netherlands: a short history in Portraits, 1580-1950**, Brill; Illustrated edition, 2013, p p: 26-27.

[5]Toomer, G.J, **Eastern Wisedome and Learning: The Study of Arabic in Seventeenth-Century England,** Oxford University, Oxford, 1996, p44.

[6]Kontzi, Reinhold, **Romania Arabica**, Gunter Narr Verlag Tubingen, Narr, 1996, p410.

[7]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٩٦.

المَطْرُودِين وتَوَجُّهُهُم لتونُسَ فَأَحْسَنَ استقبالَهم كُلٌّ من الداي عثمان والوَلِي أبو الغيث القشاش، ثم تَوَجَّهَ الحجري إلى باريس مصحوبًا بالقاضي الأندلسي، واستكمالًا لِمَهَمَّتِهِ تَحَوَّلَ إلى مدينة ألونه، ثم إلى مدينة بوردو وهناك التقَى قساوسةً وقاضيًا مُسِنًّا جَادَلَ وخاضَ معهم مناقشات بشأن العديد من المسائل الدينية، وبعد ذلك زارَ الحجريُّ مدينة تولوز عن طريق سفينة صغيرة عَبَرَ بها نهرَ القارون، ولدى رُجُوعِهِ إلى باريس[١]؛ تَعَرَّفَ على أشهرِ مُنَجِّمِي العصر، إلَّا أنَّهُ لم يَذْكُرِ اسْمَهُ، وكان من تلاميذ الفقيه أحمد المصيوب الفاسي، وأثناء وجودِهِ بباريس؛ قَدِمَتْ إليه سيِّدتَانِ تُرْكِيَّتَانِ تنتميانِ إلى إحدى العائلات الكبيرة بإستانبول وقد أُسِرَتَا أثناء تحوُّلِهِمَا لأداء فريضة الحج، وقد جُلِبَتْ بادِئَ الأمرِ إلى البندقية، ثم قام سفير فرنسا بإرسالِهِما إلى ملكة فرنسا ماري دي ميديتشي؛ فقدِ اشْتَغَلَتَا عندها خيَّاطتَيْن ممتازتَيْن، وقد رَجَتَا من الحجري مساعدتَهُمَا في الرجوع إلى أهلِهِمَا وقد وَعَدَهُمَا بالاهتمام بوضعيَّتِهِما. وبالفعل فقد نَجَحَ في إرسالِهِمَا إلى هولندا ومنها تَمَكَّنَتَا من الإبحار في اتِّجَاهِ إسطنبول، وعند مغادرتِهِ باريس تَحَوَّلَ الحجري إلى روان ومنها إلى لوهافر ثم التحقَ بهولندا [٢].

ومن خلال السفارة تَبَيَّنَ أَنَّ الحجريَّ قد تَوَجَّهَ إلى فرنسا لِحَلِّ أَزَمَةِ الموريسكيِّين بها؛ إِذْ إِنَّ السُّلُطَات الفرنسية كانت شديدة العداء لهؤلاء المهاجرين إليها، ولم يقتصرْ العداءُ على الوجود الموريسكي في التراب الفرنسي؛ بل بَرَزَ بوضوح أثناء عمليات نقلِهِم عبرَ البحر إلى الشمال الأفريقي للتَّخلُّص منهم؛ إِذْ تَعَرَّضَ الموريسكيُّون إلى السَّلْبِ والنَّهْبِ من طرفِ أرباب السفن الفرنسية.

ومن أهمِّ تجمُّعات الموريسكيِّين التي ذَكَرَها الحجري فرنسا؛ إِذْ تَحَدَّثَ في سفارتِهِ التي اتَّجَهَت إلى هذه الدولة عن وجودِ قاضٍ للأندلسيِّين في المجلس المَلَكِي بفرنسا، مركزُهُ في سان جوي دلوث؛ يختارُهُ الملك من بين النصارى ليقضيَ بين الأندلسيِّين في نزاعاتهم ولأخذِ خُمْسِ أملاك أغنيائهم لِصَرْفِها على فقرائهم؛ يقول الحجري: "**... واعْطُوا كُتُبَ السُّلطان للقضاة الذين ذَكَرْنَا لهم وأيضًا لقاضي الأندلس؛ وذلك أَنَّ في ديوانهم وَجَّهُوا قاضيًا نصراني منهم إليهم ويقضي بينهم ويأخذ خُمْسَ المال للأغنياء من الواردين على بلاد الفرنج ويُقِيمُ بذلك فقراؤهم**"[٣].

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص ص: ١١٣ – ١٦٣.

[٢]التميمي، تطبيق الموريسكيِّين الأندلسيِّين للشعائر الدينية الإسلامية، ص ص: ٨٣–٨٦.

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٩٥.

ويبدو أَنَّ علاقة التَّحالُف بين الجماعات الموريسكية في كُلٍّ من أراغون وبلنسية وبين فرنسا قبل الطَّرْدِ لَعِبَتْ كذلك دَوْرًا مُهِمًّا في حُسْنِ استقبالهم في الأراضي الفرنسية.

لم يذكرِ الحجري تفاصيلَ بشأن عدد المُمتلَكَات المسروقة في كتابِهِ "ناصر الدين"، لكنَّهُ ذَكَرَ بعض التفاصيل في رسالتِهِ التي وَجَّهَهَا إلى الموريسكيّين في القسطنطينية؛ فقد ذَكَرَ أَنَّ مراسلاتِهِ مع أَحَدِ الموريسكيّين المَنْهُوبِين، ومقدار ما سُرِقَ منه، وتقدير الأموال التي نُهِبَتْ على مَتْنِ الفَنِّ الفرنسية "**كذلك خيرونيمو دي لا كويبا، أصيل بايّخا، والذي قام بسرقَتِهِ أحدُ الفرنسيّين، والذي سَيُسْجَنُ قريبًا إنْ شاء الله، وقَدَّرَ المسروقاتِ بأربعين ألف دوكادوس؛ ورجاني كذلك أَنْ أتوكَّلَ عنه. كاتبتُ الذين أَرسَلُوا لي المعلومات، رَغْمَ أَنَّ خيرونيمو دي لا كويبا قال بأنَّهُ سيأتي إلى هنا؛ وهكذا أدركتُ أَنَّ مجموع سرقات البحارة الفرنسيّين سيكون أكثر من ثلاثمائة دوكادوس؛ كلها، أو أغلبها ضاعت وأُكِلَتْ وقُسِمَتْ**"[1]، وذَكَرَ الحجري الأشخاص الذين ساعدُوهُ في فرنسا للقيام بالمَهَمَّة التي أُوْكِلَ إليها؛ قال: "**... وبمساعدة كبيرة من عِدَّة أشخاص تحصَّلتُ عليه: الأول هو السيد دي ليلو، الذي كان طبيبًا للملك في المغرب لسنوات عديدة. الآخَرُ هو سكريتير الملك ويُسَمَّى السيد مانها، وهو رجل رائع وزارَ جميعَ أنحاء إسبانيا؛ ثم السيد هوبارت، طبيب الملك، وأستاذ عربية. زارَ كذلك المغرب بأمرٍ من مَلِكِ فرنسا في الوقت الذي كنتُ فيه في خدمة الملك... كان السيد تابيا هنا معي، وهو مُفَاوِضٌ جيّد، أدركتُ معرفتَهُ للسَّيِّدَيْن الذين قُلْتُ أَنَّهُمَا دَعَمَانِي؛ أرجو بشدة أَنْ يُراعَى معروفُهم، فإذا كانوا في حاجة في أَيِّ يوم من الأيام للمساعدة فيجب مُساعدتهم، لأَنَّهُ بالإضافة إلى أَنَّهُم رجال أصحاب شرف كبير بمساعدتي، فقد دَعَمُوا أُمَّةً في خِضَمِّ العاصمة، مسحوقة في هذه الأزمان، كذلك أرغبُ في أَنْ يتم تقديم الشكر لسفير فرنسا من أجل كُلِّ ما فَعَلَهُ لصالح الموريسكيّين، وأَنْ يتم إخبارُهُ بما كَتَبْتُ؛ وأَنْ يتمَّ نيابتي عند السيد الكبير. أَعَزَّهُ الله، الدَّاعِم لإنجاز هذه الأمور، وأَنْ يتمَّ إعلامُهُ بِأَنَّ دَعْمَهُ أَعَزَّنَا في هذه الأرض ولهذا السبب عُملنا على أساس جيد**"[2]، وبمساعدتِهِم تَمَكَّنَ الحجري من استعادة بعض الأموال المَنهُوبَة لِمُوَكِّلِيهِ "**كان للرسالة التي كَتَبَهَا السفير إلى المجلس إلى الأعلى بباريس تأثير، فأخيرًا تَمَكَّنَا من استرجاع بعض الأمتعة وحَمَلْنَاها إلى الذين أَعْطَوْنَا التوكيل**"[3].

---

[1] من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٥٩، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[2] المصدر نفسه، ص١٦٠.

[3] المصدر نفسه، ص١٩٥، ص١٦٣، ص١٦٤.

بعد وفاة هنري الرابع (١٥٨٩-١٦١٠م) تَغَيَّرَتْ سياسة فرنسا تِجَاهَ الموريسكيّين؛ فلم يسمح لهم بالإقامة في الأراضي الفرنسية، باستثناء الذين تحوَّلُوا إلى المسيحية الكاثوليكية، أمَّا المهاجرون الآخرون فَعَلَيْهِم التَّوَجُّهُ نحو الموانئ المغربية، ومَنْ يُعَارِضُ يحكم عليهم بالسجن المُؤَبَّد، وأُمِرَتْ كُلٌّ من بلدية باينا، وبرلمان تولوز أَنْ يُغْلِقَا الحدود أمام الموريسكيّين، وأثناء عملية نقلِ الموريسكيّين على مَتْنِ السفن الفرنسية؛ واجَهُوا العديدَ من الصعوبات، منها تعرُّضُهم للقتل ورَمْيُهُم في البحار، ومنهم مَنْ سُلِبَتْ منه أمتعتُهُ وأموالُهُ[١]، وتتَّضِحُ هذه المعاناة التي واجهتِ الموريسكيّين أثناء مُرُورِهم على الأراضي الفرنسية في مراسلات السفير الفرنسي بارون صالينياك (Barn de Salignac)[٢]؛ التي وَرَدَتْ فيها المصائب والمآسِي التي لَحِقَتْ بالموريسكيّين أثناء مرورهم بفرنسا، وذَكَرَ المناطق التي تعرَّضَ فيها الموريسكيُّون لتلك الأَزَمَات: **"أَنَّ الأماكن التي اشْتَكَى الموريسكيُّون منها أساسًا هي ساحل بروفنس (Provence Cote de)، وبايون (Bayonne)، وسان جوي دلوث، وإذا كان واحدٌ في المائة فقط مِمَّا ذَكَرُوهُ صحيحًا، فإِنَّ شَكَاوِيهِم تُعَدُّ حقيقةً وتستحق العطف عليها ومعالجتها"، "إِنَّ هؤلاء الموريسكيّين الذين عَبَرُوا منطقة لي لندر (L. Landres) قد سُلِبُوا تمامًا وتَحَمَّلُوا المعاملات غير المُشَرِّفَة"**[٣]، وكانت رَدَّةُ فعلِ السفير عندما عَلِمَ بالمأساة التي حَلَّتْ بالموريسكيّين على الأراضي الفرنسية: **"أنا أعلم أَنَّ المَضَرَّةَ التي أُلْحِقَتْ بهؤلاء الغرناطيّين**

---

[1] El Alaoui,Youssef, **The Moriscos in France after the Expulsion Notes for the History of a Minority**, Within a book, The Expulsion of the Moriscos from Spain, Brill, Boston, 2014, pp: 255-256.

[٢] **بارون صالينياك (Barn de Salignac)**: ديبلوماسي فرنسي وُلِدَ ١٥٢٣م في كييانGuyenne، وهو ابن هيلي دي سالينياك وكاترين دي سيغور ثيو بون؛ الذين هُمْ من عائلة بارونية نبيلة النَّسَبِ، وقد تَقَلَّدَ مهامَّ السفير لبلدِهِ فرنسا في كُلٍّ من إسكتلندا وإنجلترا فظلَّ فيها بين ١٥٦٨-١٥٧٥. نالَ أوسمةً وألقابًا عاليةً؛ منها: " La MONTHE " و " Fe Nelon " ؛ نظيرَ الخدمات العسكرية والدبلوماسية التي كَرَّسَها مدة خدمتِهِ لملوك فرنسا خاصَّةً الملكين هنري الثالث، والرابع، وذلك منذ منتصف القرن السادس عشر للميلاد، وقد رَحَلَ في ١٣ أغسطس ١٥٩٩م؛ للمزيد انظر:

Charles Purton Cooper: Correspondance Diplomatique Bertrand de Salignac de la Fenelon; Recueil des Dépêches, Rapports T1; 1568-1569. Ed Panckouke, Paris,1838, pp:5-19.

[3] Ambassade en Turquie de Jean Biron de Salignace (1605-1610), Publies et annotes par le comte Theodorc de Gontaut Biron, paris, 1889, p370.

رسالة من صالينياك إلى المَلِكَة الوَصِيَّة؛ نقلًا عن: التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٢٢.

بمرسيليا لم تكن بموافقة الملك. ولقدِ اتُّهِمَ موظَّفُو مونسينيور دوفيز (Monseigneur de Guise) الذين يَجْرُونَ وراء الرِّبح. وهذا ما أُشِيعَ وما كُتِبَ إليَّ من مرسيليا، وأنا اعتقدُ أَنَّ الملك سوف يلتقي قريبًا رسائل السُّلطان راجيًا منه تأمين مرور الموريسكيّين: وعندما يُثَارُ معي هذا الموضوع هنا، فسوف أُقَدِّرُ على أَنَّهُ تَدَخُّلٌ طيِّبٌ من أجل المحافظة على الصداقة..."[1]، وهنا تَتَبَيَّنُ لنا مساعي السفير التي تهدُفُ إلى إقناع الملك ثم بعد ذلك الملكة بتأمين مرور الموريسكيّين بفرنسا في ظروف آمنة، ومعاقبة المُعتَدِين على الموريسكيّين، وذلك من أجل المحافظة على العلاقات الوُدِّيَّة بين فرنسا والدولة العثمانية؛ التي من شأنها يتوقف مستقبل الاتفاقيات، والامتيازات، والمصالح الفرنسية في منطقة الشرق.

إلَّا أَنَّ المَلِكَة الوصِيَّةَ ظَلَّتْ على تَرَدُّدٍ بشأن مرور الموريسكيّين بفرنسا خوفًا من إلحاقهم الضَّرَرَ فوق التراب الفرنسي أو أَنْ يكونوا هُمْ ضحايا حِقْدِ المواطنين؛ وهذا الأمر قد سَوَّغَ اتخاذ الإجراءات التي تمنعُ حصول الاضطرابات والفوضى، وعندما عَلِمَ السفير دو صاليناياك بقرارِ منعِ مرور الموريسكيّين على الأراضي الفرنسية؛ أدركَ العواقب الوخيمة للقرار، ولذا عاد مرة أخرى لمراسلة المَلِكَة، وأَلَحَّ كثيرًا لدى المَلِكَة الوَصِيَّة بالرجوع عن قرارِها: **"لقد كتبتُ كثيرًا وبإطنابٍ حول هؤلاء الغرناطيّين المَطْرُودُون من إسبانيا، وأَنَّهُ وَجَبَ عليَّ الآن السكوت حول هذا الموضوع إلَّا أنَّنِي من جديد التمسُ من سُمُوِّكُم إعادة النظر في هذه المسألة التي نتمتَّعُ هنا بعطفٍ وحماسٍ شديدَيْن. أَنَّ العلاج الذي بَدَا لي مَنْحَهُ لهذا الموضوع، هو كما بَيَّنْتُ، وأنا لا أَشُكُّ في ذلك، وهو أَمْرٌ سَيُرْضِي الجميعَ هنا..."**[2].

وبعد أَشْهُرٍ عِدَّةٍ قرَّرتِ الحكومةُ العثمانية بتوجيهٍ من السفير الفرنسي توجيهَ رسالة إلى المَلِكَة الوَصِيَّة، وحَمَلَ هذه الرسالةَ الحاجُّ إبراهيم[3] من القاهرة، ولقد كانت رسالة السُّلطان أحمد الأول إلى المَلِكَة الوَصِيَّة مُهِمَّة جدًّا؛ إذْ أَلَحَّتْ بالدرجة الأولى على الصداقة القائمة في الماضي بين الدَّولتَيْن، والرغبة في تقويتها، لذا أُثِيرَتْ مشكلة مرور الموريسكيّين بالتراب الفرنسي، وإِنَّ الدولة العثمانية كانت على علمٍ تامٍ بِأَدَقِ التفاصيل بشأن هذه المشكلة، ومن خلال رسالة السُّلطان أحمد

---

[1] Ambassade, p277.

نقلًا عن: التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٢٥.

[2] التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص ص: ٢٧-٢٩.

[3] **الحاج إبراهيم:** هو الحاج إبراهيم مصطفى آغا؛ موظف إداري وعسكري، كان من موريسكيِّي غرناطة ثم استقرَّ في القاهرة؛ للمزيد انظر: التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٣١.

الأول اتَّضَحَ لنا الصورة المُؤْلِمَة لمرور الموريسكيّين بفرنسا؛ منها: "**أُسِيئَ معاملتُهُم... سُجِنُوا... الحَقُوا بهم مَضَرَّةً كبيرة وخسارةً وأذًى لصداقتنا وإيماننا الصادق وحسن التفاهم بيننا... أَنَّ هؤلاء الموريسكيّين قد سُلِبُوا من كُلِّ يملكون من طرفِ وُلَاةِ الأماكن بل أكثر من ذلك، أُعْدِمَ البعض منهم وأَنَّ آخَرِين منهم قد عُومِلُوا معاملة قاسية من طرفِ الرُّبَّان وقائدي السفن الذين حَمَلُوهُم وتركوهم في أماكن خالية ومهجورة، بعد أَنْ سَلَبَهُم هؤلاء الرُّبَّان كُلَّ ما يملكون وإنَّ ابناءَهم وعائلاتهم قد حُوِّلُوا إلى عبيد، وأنَّ بقيَّة الغرناطيّين الذين تَمَكَّنُوا من انقاذ أنفسهم من هذا الاضطهاد، انسحبوا مغمورين وفقراء إلى فرنسا وإنقلترا...**"[1]، لذا أَلَحَّتِ السُّلُطَات العثمانية على المَلِكَة الوَصِيَّة: "**استعمال كل عنايتكم لإصلاح هذا الضَّرَر بإعطاء وبكُلِّ وضوح أوامركم إلى حُكَّام ولاياتكم ودولتكم وعلى الأخصِّ إلى كُلِّ الرُّبَّان والرؤساء القناصل وبقية وزرائكم المُقِيمِين في ولايات الحدود والموانئ البحرية وبقيَّة الأماكن التي سيتم فيها مُرُورُهم، أَنْ يَمْنَحُوا عنايتهم إلى أولئك المسلمين الذين يرغبون في التَّحَوُّل إلى أراضينا ويُنجِدُوهم ويُقَدِّمُوا لهم المساعدة وتوفير البواخر على أَنْ يدفعوا ثمنَ ذلك، وذلك بغرض نقلِهم بعطف وأمان نحو الجزائر أرض الإسلام**"،[2] وجاء رَدُّ المَلِكَة الوَصِيَّة مُطَمْئِنًا وَوُدِّيًّا عندما أَكَّدَتْ فَمَنَحَتِ الإِذْنَ للموريسكيّين المُطْرُودِين من إسبانيا أَنْ ينسحِبُوا إلى فرنسا ويَمُرُّوا إلى شمال إفريقيا بكلِّ حرية وأمان[3].

ثانيًا: الهجرة إلى هولندا

كان فيليب الثاني يُحَارِبُ كُلًّا من الموريسكيّين، والمسيحيّين على المذهب البروتستانت، ولم يكن يُمَيِّزُ بين هؤلاء وأولئك، وقدِ اشتدَّ الصِّرَاع بين الملك الكاثوليكي ودُعَاةِ الإصلاح في فرنسا،

---

[1]Serie Turquie, Memoires et Documents, vol, p95-96.

أرشيف الخارجية الفرنسية بباريس، نقلًا عن: التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٣٩.

[2]Ambassade, pp: 368-369.

رسالة من المَلِكَة الوَصِيَّة ماري دو ميديسي إلى السفير الفرنسي بإستانبول دو صالينياك بتاريخ ١ يونيو ١٦١٠م؛ نقلًا عن: التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٤٢.

هذه الرسالة وُجِّهَتْ في الواقع يوم ١ يونيو ١٦١٠م ليس إلى السُّلطان؛ بل إلى السفير صالينياك، فقد كُلِّفَ هذا الأخيرُ بنقلِ محتواها إلى السُّلطة العثمانية؛ نقلًا عن: التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي.

[3]التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص ص: ٣٢-٣٦.

التي نَقَلَتْ هذه الدعوة من أفكار كُلٍّ من كالفان (Calvin)[(١)]، ولوثر (Luther)[(٢)] في المجتمع الهولندي، ونظرًا إلى أَنَّ هاتَيْنِ المجموعتَيْن لَهُمَا العَدُوُّ السياسي والديني نفسه –الذي هو إسبانيا الكاثوليكية–جَعَلَهُمَا يَتَّخِذَانِ مواقف مشتركة، فَكِلْتَاهُمَا عَانَيَا من محاكم التفتيش في إسبانيا وهولندا التي كانت خاضعةً للتَّاج الإسباني آنذاك، وكِلْتَاهُمَا ترغبان بالانتقام من السُّلْطَة الحاكمة التي سَلَبَتْ وَطَنَ الموريسكيّين في الأندلس، وَوَطَنَ البروتستانت في هولندا، وأشار الحجري إلى الأفكار الداعية لإصلاح الكنيسة: "**وأعلمُ أَنَّ هذه فلنضس، هي سبع عشرة جزيرة، وجميعُها كانت لسُلطان بلاد الأندلس. وبعد أَنْ ظَهَرَ في تلك البلاد رجلٌ عالِمٌ عندهم يُسَمَّى بلطرى [لوثر] وعالِمٌ آخَرُ يُسَمَّى بلقن [كلفن]، وكَتَبَ كُلُّ واحد منهما ما ظَهَرَ له في دين النَّصارى من التحريف، والخروج عن دين سيدنا عيسى والإنجيل، وأَنَّ البابا برومة يُضِلُّونَ النَّاسَ بعبادة الأصنام، ولمَّا يزيدون في الدين بمنعِ القِسِّيسين والرُّهْبَان من التزويج، وغير ذلك كثيرٌ، ودَخَلَ في هذا المذهب جميع أهل فلنضس[هولندا]، أعني الجُزُرَ السبعة وقاموا على سُلطانهم إلى الآن**"[(٣)]. ومن خلالِ النَّصِّ الحجري نستنتجُ طبيعة العلاقة بين كُلٍّ من الكاثوليك والبروتستانت ودَورِهِ في تصعيد توتُّر العلاقات السياسية والدينية بين البروتستانت وإسبانيا الكاثوليكية من جهة، وبين البروتستانت والكاثوليك في روما من جهة أخرى؛ وذلك من محاورَ عِدَّةٍ أهمُّها:

[(١)]**جون كالفن (Johannes Calvin)** (١٥٠٩–١٥٦٤م): وُلِدَ في بلدة نوايون بفرنسا، ونَشَرَ تعاليمَهُ المسيحية عام ١٥٣٦م. وَضَعَ كالفن كتابًا يُعَدُّ من أهمِّ كُتُبِ الإصلاح الديني هو "الأسس المسيحية". كما أَسَّسَ حكومية ثيوقراطية في جنيف وكَثُرَ أتباعُهُ في أنحاء متفرقة من فرنسا عُرِفُوا بِاسْمِ أوغنو (Hugueunots)؛ للمزيد انظر: بشتاوي، عادل سعيد، **الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)**، مكتبة المهتدين، الجزائر، ٢٠٠٠م، ص٢٤٦.

[(٢)]**مارتن لوثر (Martin Luther)**: رَاهِبٌ وعالِمُ لاهوت ألماني؛ وُلِدَ في ايزليبين في مقاطعة سكسونيا، ودَرَسَ القانون، وفي عام ١٥١٢م عُيِّنَ أستاذًا لكرسي لاهوت في جامعة وتنبرج، وفي عام ١٥١٩م أَطْلَقَ حركة الإصلاح الديني في أوروبا مُتَمَثِّلَةً في البروتستانتية والإنجيلية واللوثرية، ونَشَرَ مبادِئَهُ في رسالتِهِ عام ١٥١٧م؛ أَنْكَرَ فيها صكوك الغفران وحَصَرَ تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة، وتسبَّبت أفكارُهُ في حروب دينية امتدَّت في أوروبا كلها، وحَكَمَ عليه كُلٌّ من بابا روما والإمبراطور شارل الخامس بالحِرْمَان الكَنَسِي؛ للمزيد انظر: راشد، زينب عصمت، **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١١٠؛ كار، الدين والدم، ص١٧٤؛ العبيدي، هند عبد الحق، صورة من الحياة الاجتماعية للموريسكيّين بعد تسليم غرناطة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)؛ ضِمْنَ كتاب "دراسات أندلسية بأقلام عراقية"، ص١٥٥.

[(٣)]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٦٤.

١. كانت هولندا خاضعةً للتَّاج الإسباني الذي يَدِينُ بالمذهب الكاثوليك؛ إلَّا أَنَّ دخول أفكار المُصلِحِين لوثر وكالفن إلى الأراضي الهولندية جعل غالبية المُسيحِيّين يعتنقُون المذهب البروتستانت، ما أدَّى إلى وقوع الاختلاف في الأفكار السياسية والدينية بين السُّلْطَة الحاكم والمجتمع، فاشتدَّ العداء والكراهية بين أهل فلنضس وإسبانيا وأقاموا الوجود الإسباني في الأراضي الهولندية، وعُرِفَتْ تلك المقاومة بحرب الثمانين عامًا (١٥٦٧-١٦٤٨م)، وفي الأخير تَمَكَّنَ الهولنديُّون من التَّحَرُّر من قبضة الإسبان، واستمرَّ الصِّراع بين الطَّرفين بعد الاستقلال دينًا وسياسةً[١].

٢. من نقاط الاتفاق بين الموريسكيّين والبروتستانت نَقْدُ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فيما يتعلق بعبادة الأصنام، ومَنْعُ القِسّيسِين والرُّهبان من الزّواج، فقد كان البابويُّون يُقِيمُون التماثيل ويُغَالُون في عبادتها وتقديسها؛ وذلك في مواجهةٍ مع المسيحيّين اللُّوثريّين الذين يعلمون أَنَّ طريقة عبادة التماثيل مُحَرَّمَة بأيّ شكلٍ من الأشكال [٢].

وقد أشارَ الحجري أثناء سفارتِهِ إلى بلاد هولندا (١٦١١-١٦١٣م) [٣] إلى طبيعة تلك العلاقات الوُدِّيَّة وانعكاسها على الموريسكيّين؛ فأثناء عودتِهِ إلى بلاد المغرب لم يُفَضِّلِ العودةَ عن طريق فرنسا؛ نظرًا لعدمِ ثقتِهِ في الربابنة الفرنسيّين الذين كانوا يَعتَدُون على الموريسكيّين ويَضُرُّونَهُم، بخلاف هولندا؛ التي أصبحت وِجْهَةً آمِنَةً لهم، يقول الحجري: "... **قلتُ: لِمَ نُوَلّي إلى بلادنا في سفنهم؛ بل نمشي إلى فلنضس[هولندا] لأَنَّهُم لا يَضُرُّون المسلمين، بل يُحْسِنُون إليهم، كما سيأتي**"[٤].

كما أَطْرَى على الهولنديّين لأنَّهُم أَطْلَقُوا سَرَاحَ ثلاث مئة مسلم وأعادوهم إلى المغرب، وجزاءَ ذلك رَدَّ عليهم الإحسانَ بإحسانٍ عندما تَوَسَّطَ لدى سُلطان مراكش في إطلاق سراح أحد أبناء الهولنديّين: "**وتذكَّرتُ الخيرَ الذي عَمِلُوا للمسلمين حين بَعَثُوهُم هَدِيَّةً إلى مِلَّتِهِم، وقفتُ ودَبَّرْتُ وكَلَّمْتُ المُفْتِي العالِمِ الشَّهير محمد أبا عبدالله، وكَلَّمَ السُّلطانَ وانطلق من السجن. فلمَّا أَنْ زَارَنِي**

---

[١]القدوري، عبد المجيد، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)**، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢م، ص١٨٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: لقدوري، المغرب وأوروبا).

[٢]كارديلك، لوي، **الموريسكيُّون الأندلسيُّون والمسيحيُّون**، ترجمة: عبد الجليل التميمي، مطبعة الاتحاد العام التونُسي، تونُس، ١٩٨٣م، ص١٢٤.

[3]Waardenburg, Jacques, **Muslim Perceptions of Other Religions: A historical Survey,** Oxford university press, United Kingdom, 1999, p75.

[٤]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٦٣.

ببلادِهِ مَشَى إلى الأمير وأَعْلَمَهُ وحَمَلَنِي إلى عندَهُ وأقبلَ عليَّ وعَرَّ رأسَهُ وأَخَذَ بيدي وأَجلَسَنِي"[١].

والشخص الذي ساعدَهُ الحجري في النَّصِّ السابق هو بيتر ميرتنسزون كوي [٢]؛ الذي كان هذا الأخيرُ نائبَ الولايات العامة بمراكش خلال سلطنة مولاي أبي فارس، وكان الحجري قد أعانَ على تسريحِهِ بعد أَنْ سُجِنَ، والتقى به الحجري في لاهاي بالصُّدْفَة؛ فَعَرَّفَهُ الأخيرُ لحاكم هولندا امتنانًا لمساعدتِهِ له في مراكش [٣]. ويُضِيفُ الحجري في قولِهِ: "**ثم مَشَيْنَا على مدينة الهاية[لاهاي]، فيها دارُ أميرِهِم والديوان، والتقيتُ هنالك برسول الأمير، كنتُ عرفتُهُ بمراكش، وكان شاكرًا لي كثير على ما وقفتُ معه في سِجْنِهِ حَتَّى خلَّصْتُهُ منه. وسببُ قُدُومِهِ إلى مراكش؛ أَنَّ سُلطان بلاد الأندلس بَعَثَ الأغربة إلى الجُزُرِ التي قُلْنَا أَنَّها على غيرِ طاعتِهِ؛ فَخَرَجَ إليهم أهلُ الجُزُرِ وأخذوا الأغربة؛ ورَمَوْا مَنْ كان فيها من النَّصارى في البحر، كَذَا قِيلَنْ وفَكُّوا كُلَّ مَنْ كان فيها من المسلمين؛ وكانوا أكثر من ثلاث مائة؛ وجعلوهم في سفينة عظيمة وبَعَثَهُم أهلُ فلنضس[هولندا] هَدِيَّةً إلى سُلطان مراكش، وكان ابن مولاي أحمد اسْمُهُ بو فارس وكان ذلك في نحو أربعة عشرة سنة وألف**"[٤].

وتلقَّى الحجري معاملة حسنة من قِبَلِ ملك هولندا، وأَمَرَهُ هذا الأخيرُ أَنْ يطلب ما يريد؛ فَطَلَبَ الحجري أَنْ يُؤَمِّنَ له سفينة تَضْمِنُ عودتَهُ لبلاد المغرب سَالِمًا، فتم تنفيذُ الأمرِ له، ثم مَنَحَهُ أحد التُّجَّار الهولنديِّين السُّكَّر والتَّمْر الذي يُعَدُّ من أَنْدَرِ السِّلَعِ التجارية في بلاد هولندا التي كانت تَستورِدِ من بلاد المسلمين، وهنا إشارة أخرى أَنَّ طبيعة العلاقات مع هولندا لم تَقْتَصِرْ على الجانب السياسي فقط؛ بل شَمِلَتِ الجانبَ الاقتصادي المُتَمَثِّل في العلاقات التجارية بين الطَّرَفَيْن، ذَكَرَ الحجري: "**قال: ما تطلبُ؟ قلتُ: أَنْ تُوصِيَ بنا رايس السفينة التي نمشي فيها. قال: هذا فقط؟ قلتُ: نعم، قال فابحثْ حتى تَتَحَقَّقْ من السفينة التي تمشي واعْرَفْ اسْمَ الرايس وأيضًا اسم التاجر مولا السفينة؛ وأتني فأخبرتُهُ بأسمائِهِما، وأَمَرَ لكاتبِ السِّرِّ أَنْ يكتب لكل واحد براءة بالوصية علينا وعَلَّمَ عليها، وفَرِحَ كُلُّ واحد بكتابِهِ؛ فالتاجر استعملَ لنا من السُّكَّر أنواعًا من**

---

[١] الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٦٩.

[2] Harvey, **Muslim in Spain**, P36.

[٣] من مقدمة كتاب الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٤٠.

[٤] المصدر نفسه، ص١٦٨.

الأطعمة، وأعطانَا حتى التَّمر التي هي غريبة عندهم، لأنَّها مجلوبة من بلاد المسلمين، إذْ ليس هي في الدنيا إلَّا في بلادهم"[١].

وتعود أسبابُ حُسْنِ استقبال الهولنديّين للموريسكيّين لطبيعة العلاقات الوُدِّيَّة بين هولندا والدولة السعدية، فمنذ عام١٦١٠م عَقَدَتِ اتفاقية بين هولندا والسُّلطان مولاي زيدان؛ لذا نُفَسِّرُ هنا زيارة الحجري لحاكم هولندا موريس مَرَّاتٍ عِدَّةً نتيجةً لتلك العلاقة [٢]، وتَحَاوَرَ الأخيرُ مع الحجري بشأن إمكان التَّحالُف بين التُّرك والمغاربة والهولنديّين والأندلسيّين ضِدَّ إسبانيا: "... **قال لي: لوِ اتَّفَقْنَا مع كبراء الأندلس ونبعثُ لهم عمارة من سفن كبيرة ليركَبُوا فيها مع جنونا نأخذ اشبانية؟ قلتُ: لا يمكن للأندلس أَنْ يتَّفِقُوا على هذا إلَّا بإذنِ السَّلاطين الذين خرجوا ببلادهم وسَكُنوا بها. قال لو كُنَّا نَتَّفِقُ مع سُلطان مراكش ونبعث للسَّيِّد الكبير، أعني السُّلطان الأعظم سُلطان الإسلام والدين، ونَتَّفِقُ جميعًا على سُلطان إشبانية نَظْفَرُ به ونأخذُ بلادَهُ. قلتُ له: هذا أَمْرٌ عظيم لو حَصَلَ وفي تحصيلِهِ شَكٌّ. وأمَّا لو كان هذا الاتفاق فيأخذون بلاد الأندلس، أعادَها الله إلى الإسلام"**[٣].

كما وردت إشارة في براءَة الطَّرْدِ التي تَرْجَمَها الحجري توضِّح طبيعة العلاقة بين الموريسكيّين والهولنديّين، والاتفاق بشأن إمكان التعاون العسكري بين الطرفين ضِدَّ إسبانيا **"أنَّهم بَعَثُوا للتُّركي الكبير بإصطنبول ومولاي زيدان بمراكش رُسُلَهُم يطلبون منهم أَنْ يُنجِدُوهم وأنَّهُم عندهم مائة وخمسون ألف رجلًا مُسلِمُون؛ مثلًا الذين ببلاد المغرب الإفريقية؛ وأيضًا بَعَثُوا لأعدائنا البحرية بالجهة الشمالية التي تحت القطب وانْعَمُوا أنَّهم يُعِينُهُم بِسُفُونِهِم"**[٤].

وذَكَرَ الحجري إحْدَى السفارات المُتبادَلة بين مولاي زيدان وهولندا؛ قال: **"وقد جاء رسول من بلاد فلمنك إلى مولاي زيدان ابن مولاي أحمد، رَحِمَهُما الله، إلى مدينة مراكش؛ وكتاب رسالتهم عجمي؛ وأَمَرَنِي السُّلطان أَنْ أُعَرِّبَهُ؛ ومن أجل ذلك كان الرسول يُظْهِرُ لي محبَّةً"**[٥].

ومن الأدِلَّة التاريخية الأخرى التي تُقَدِّمُ لنا دورَ الهولنديّين في قضية الموريسكيّين المَطْرُودِين، المراسلات التي جَرَت بين كُلٍّ من السفير الهولندي كورنليس هاغا (Cornelis

---

[١]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٧١.

[2]Kontzi, **Romania Arabica**, p406.

[٣]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص١٧٠.

[٤]المصدر نفسه، ص١٧٣.

[٥]المصدر نفسه، ص١٥٢.

Haga)[١]؛ والطبيب الموريسكي المُقيم في إستنبول محمد أبو الحق[٢]، ومن خلال هذه المراسلات تَبَيَّنَ لنا أَنَّ الموريسكيّين الأندلسيّين نالُوا تَفَهُّمًا ودَعْمًا عمليًّا من قِبَل السُّلُطَات الهولندية تُمَكِّنُهُم من الانتقال إلى الأراضي العثمانية على مَتْنِ البواخر الهولندية؛ والدليل على ذلك أَنَّهُ زارَ اثْنَيْ عَشَرَ فردًا، من الجالية الموريسكية بإستنبول السفير الهولندي هاغا وقَدَّمُوا له الشكر والامتنان على حُسْنِ صَنِيعِ الهولنديّين على الأمة الموريسكية بِنَقْلِهِم على مَتْنِ السُّفُن الهولندية للديار العثمانية[٣].

ومن خلال هذه الوثائق [٤] اتَّضَحَ لنا اهتمام شيخ الإسلام بالدَّعْم الذي قَدَّمَتْهُ السُّلُطَات الهولندية إلى الموريسكيّين، وإعطاء إِذْنها بِنَقْلِهِم إلى أراضي الدولة العثمانية على مَتْنِ السفن الهولندية؛ فقد طلبَ الشيخ من الموريسكيّين مَدَّهُ بالمزيد من المعلومات عن هذه المساعدات، وهو ما يَنُمُّ عن اهتمام وتقدير السُّلُطَات الدينية والسياسية العليا في الدولة العثمانية لموقف الدولة الهولندية وأميرها موريس لتقديمهم المساعدات اللازمة للموريسكيّين إبَّانَ عمليات الطَّرْد.

كما عَبَّرَ الموريسكيُّون في رسالتهم للسفير الهولندي استعدادَهُم لتقديم المساعدات للموريسكيّين الذين ما زالوا في الأراضي الفرنسية والإيطالية وغيرها من الدول الأوربية؛ بِدَعْمٍ من قِبَل السُّلُطَات الهولندية لدعمِهم بالبواخر الهولندية التي تُمَكِّنُهُم من نَقْلِ الموريسكيّين الآخرين لأراضي الدولة العثمانية [٥].

وَوَجَّهَ الطبيب الموريسكي محمد أبو الحق رسالةً إلى السفير الهولندي هاغا لإعلامِهِ بأَنَّهُ على اتصال بشيخ الإسلام [٦]، وإِنَّهُ طبيبٌ لعائلتِهِ. كما أَنَّهُ ناقشَ مع الشيخ موقف الدولة الهولندية

---

[١]**كورنليس هاغا (Cornelis Haga):** أوَّلُ سفير للمقاطعات الهولندية المتحدة في القسطنطينية من عام ١٦١٢-١٦٣٨م؛ انظر: المُدَرِّس، عصمت، أوليفية سالمون، **العلاقات ما بين هولندا وسورية العثمانية في القرن السابع عشر أربعة قرون على إقامة القنصلية الهولندية في حلب (١٦٠٧-٢٠٠٧م)**، ترجمة: حسين عصمت المُدَرِّس، دار شعاع للنشر والعلوم، حلب، ٢٠٠٨م، ص٣٢.

[٢]تَعَذَّرَ الحصول على ترجمة للشخصية.

[٣]مجموعة باحثين، **المغرب والأندلس في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث**، منشورات تطاون أسمير، تطوان، ٢٠٢١م، ص٢١٥.

[٤]انظر: الوثائق من رقم (١) إلى رقم (٥)، التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص ص: ٦٦-٧٢.

[٥]التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص ص: ٦٣-٦٤.

[٦]**شيخ الإسلام (Seyhui-Islam):** أعلى مَنْصِب ديني في الدولة العثمانية، وهو المسؤول عن تعيين القضاة وعَزْلِهِم والإشراف على التدريس، وإصدار الفتاوَى الشرعية، واسْتُخْدِمَ هذا اللقب في نهاية القرن السابع عشر الميلادي بعد أَنْ كان يُسَمَّى مُفْتِيًا؛ للمزيد انظر: صابان، سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**

من الموريسكيّين، ونتيجةً لذلك، فإنَّ شيخ الإسلام سيأخذ ذلك في الحُسبان لِعَقْدِ اتفاقية تفاهُم بين الأمة الهولندية والدولة العثمانية، وطلبَ منه أَنْ يقوم بزيارة شخصية لشيخ الإسلام، ويَشْكرُهُ على موقفِهِ من الدولة الهولندية، ورَدَّ السفير الهولندي على رسالة الأخير أنَّهُ فَرِحَ بها، وإنَّهُ سيبقى مَدِينًا للموريسكيّين الذين دافَعُوا عن مصالح وطنِهِ لدى الشخصية الإسلامية المُقَدّسَة لدينهم، وإنَّهُ سوف يُبَلِّغُ حكومتَهُ بهذا الموضع، "**... وسوف أُبَلِّغُ حكومتي بهذا الموضوع وبِمَدَى خدمات أُمَّتِكُم وصداقتكم وأحبَّائكم لوطني. أمَّا بخصوص ما نبّهتُمُوني إيَّاهُ من تقديم تشكُّراتي إلى المُفْتِي، فسوف أقوم بذلك غدًا، إنْ شاء الله وسوف ألاحظ أيضًا مساعيكم أنتم شخصيًّا وأُمَّتكم إلى جلالة المقدسة حكومتي. وفي هذا الإطار إذا كنتُ قادرًا على أَنْ أُقَدِّمَ خدماتي لكم أو لِأُمَّتِكُم، فإنَّ ذلك سوف يجلب امتناني لأدائِهِ. وفي هذا المضمار ولأصدقاء حميمين لوطني، فإنَّكُم تستحقُّون ذلك**"، وقد أضاف السفير أنَّهُ سوف يقوم بِمَسَاعٍ لدى حكومتِهِ "**للحصول على رسائل رسمية يَعترِفُ فيها رؤسائي لكم بالامتنان والشكر، وهي الرسائل التي يمكن أَنْ تكون ذات فائدة هنا أو في بلدنا...**"[1]، ومن خلال المراسلات السابقة؛ نستنتج التَّالي:

١. هجرة أعداد كبيرة من الموريسكيّين إلى إستنبول، وإنَّ عددًا من هؤلاء الموريسكيّين كانوا شخصيات بارزة من أطباء، وعلماء، وحِرْفِيّين، وتُجَّار أغنياء، وكان تحوُّلُ هذه النُّخْبَة إلى عاصمة الدولة العثمانية دُونَ غيرها من العواصم العربية أو الأوربية الأخرى؛ فإستنبول عاصمة عالمية مفتوحة على العديد من الجنسيات، ومن هنا فإنَّ كفاءاتهم الفكرية والمهنية تَجِدُ مجالًا للتعبير، والإبداع.
٢. لَعِبَتْ هذه النُّخْبَةُ الموريسكية دورًا مُهِمًّا لدى العديد من السفارات للدول الأوروبية في إستنبول؛ بقصدِ تسهيلِ مرورِ مواطنيهم ونَقْلِهِم إلى أراضي الدولة العثمانية.
٣. قَدَّمَتِ الحكومةُ الهولندية مساعداتٍ كبيرة للموريسكيّين الذين التجَؤُوا إليها من فرنسا، بدعمِها وتسهيلِ نَقْلِهِم على مَتْنِ السفن الهولندية إلى تُرابِ الدولة العثمانية. وقدِ اعترفَ الموريسكيُّون بهذه الخدمات الجليلة تِجَاهَهُم؛ وهو ما جَعَلَهُم يَعْرِضُون خدماتهم على الدولة الهولندية في المجالات المختلفة [2].

التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص١٤٢، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية).

[1] انظر الوثيقة رقم (٥) من كتاب التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٧٢.

[2] التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص ص: ٦٤-٦٦.

ثالثًا: الهجرة إلى إيطاليا

كانتِ الدولةُ العثمانية قدِ ارتبطت بعلاقات ديبلوماسية واقتصادية مُتَمَيِّزَة مع البندقية طوال القرن السادس عشر، ما عَدَا التَّحَالُف الأوروبي الذي ضَمَّ البندقية وإسبانيا والبابوية الذي تَكَلَّلَ بالنجاح في معركة ليبانتو عام١٥٧١م؛ ومن هذا المنطلق فإنَّ دوق البندقية كان يسعى دومًا لِعَقْدِ اتفاقيات مع الباب العالي تُؤَهِّلُهُ للحصول على امتيازات على الدول الغربية الأخرى؛ وفي هذا النطاق جَدَّدَ البابُ العالي معاهداتِهِ مع البندقية وقد تَحَصَّلَ سفيرُها بونو (Bono)[١] على اتفاقية ذات ثلاثة عشر بَنْدًا أصبحت من خلالها البندقية تتمتَّعُ بقوة المعاهدة لفائدة التجارة معها[٢].

مع قلَّة المصادر التي أشارت إلى هجرة الموريسكيّين إلى إيطاليا؛ غير أَنَّ إشاراتٍ وَرَدَتْ لعبور أعداد مُهِمَّة من الموريسكيّين إلى الموانئ الإيطالية منها جنوة، فقد سَلَكَ بعضُ الموريسكيّين الطُّرُقَ البرية للوصول إلى المناطق العثمانية في البلقان وصولًا إلى القسطنطينية[٣]؛ إلَّا أَنَّ الموريسكيّين لم يَسْلَمُوا من قِبَلِ سُكَّان المناطق الإيطالية التي مَرُّوا بها، فقد تعرَّضُوا للعديد من النَّهْبِ والمضايقات والاستغلال؛ أشارَ الحجريُّ إلى ذلك في إحدَى مراسلاتِهِ مع أَحَدِ الموريسكيّين الذين عَبَرُوا تلك المناطق وتَعَرَّضُوا للسَّرِقَة، يقول: "**وفي هذا الوقت كاتَبَنِي ألونسو دي كامبوس الذي كان يعيش في أرشيدونيا والموجود في مالقة. بأنَّهُ قد نُعَرِّضُ للسَّرِقَة من الجنويين، وبِأَنَّ لديه معلومات عن ستة سفن قام بِنَهْبِهَا الفرنسيُّون، وتَوَسَّلَنِي أَنْ أتلقَّى معلومات من هذا القبيل للتَّمكُّن من متابعة مثل هذه الدَّعَاوِي القضائية**"[٤].

كما أُسِرَ العديد منهم في المناطق التابعة لإيطاليا أثناء عبورهم على المناطق الإيطالية؛ فقد ذَكَرَ الحجري: "**... ورجوتُ الله تعالى أَنْ تكون البندقية أو مالطه لأنَّهَا في البحر؛ وليس على**

---

[١]تَعَذَّر الحصول على ترجمة للشخصية.

[٢]التميمي، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ص٣٧.

[٣]شاشيّة، حسن/ سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطية، ص١٦٧.

[٤]من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص١٥٨، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

المسلمين اضَرَّ منها. وقال لي الحاج يوسف الحكيم الأندلسي [١]: إنَّ نهاية المسلمين الذين هُمْ فيها أُسَارَى خمسة آلاف وخمسمائة؛ منهم خمسون أندلسيا والباقي تَرَكَ وأولاد عرب"[٢].

ونتيجةً لِمَا لَحِقَ بالموريسكيّين في إيطاليا؛ كَتَبَ السُّلطانُ العثماني أحمد الأول رسالة إلى دوق البندقية في عام ١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م [٣] وَرَدَ فيها: "**افتخار الأمراء العظام.. نحيطكم علمًا بهذا التوقيع الرفيع الهمايوني بِأَنَّ سليمان وعلي وَهُمَا من طائفة المُدَجَّلِين [المُدَجَّنِين] القاطنين بإسبانيا الإسلامية، وقد رَفَعَا إلى أبوابنا العالية عَرْضًا أَعْلَمَا فيه أَنَّهُ قد وَرَدَ سابقًا إلى الممالك المحروسة طائفة من المُدَجَّلِين المسلمين كانوا قد غادروا بلادهم، وأَنَّهُ ما يزال منهم هناك أناس يريدون القدوم علينا عن طريق البَرِّ ليدخلوا الممالك المحروسة وَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ لا يتعرَّض لهم ولا يتدخَّل في شأنهم أحدٌ، إذا وَرَدَ هؤلاء المسلمون عن طريق البندقية إلى الممالك المحروسة فلتسمحْ بمرورهم وعبورهم بالأمن والسلامة وأرسلنا إليكم هذا الميمون الهمايوني لِتُجِيزُوا مَنْ هو الآن ببلادكم من طائفة المسلمين أَنْ يَعْبُرُوا عن طريق البَرِّ إلى ممالكنا آمنين سالمين فلا تسمحوا لأحدٍ أَنْ يتدخَّلَ في أمورهم أو يتعرَّضَ لهم ولأرزاقهم وأموالهم ودوابهم خلافًا للعهد والأمان [بيننا] وهذا اثناء مرورهم بالمنازل والمراحل والمعابر ليصلوها آمنين سالمين. وقد سبق واتَّضَحَ لنا حتى الآن حُسْنَ اهتمامكم وتَيَقَّنُوا أَنَّ مساعدتكم لهؤلاء المساكين بدخولهم بلادنا التي هي دار الأمان وسيلةٌ لتحصيل رِضَانَا الميمون وسبب لتحكيم بُنْيَان المصالحة وتمديد المعاهدة**"[٤]، ومن خلال هذه الرسالة نستنتج أَنَّ العلاقات العثمانية–الإيطالية خلال حكم السُّلطان أحمد الأول كانت جيدة بعد أَنْ كانت علاقة عدائية في الماضي [٥].

---

[١]**الحاج يوسف الحكيم الأندلسي:** من الأندلسيّين المُستقِرّين في مراكش أيام الدولة السعدية بعد هُرُوبِهِ من الأندلس فرارًا من محاكم التفتيش، وكان مِمَّنْ له خبرة في علوم الحكمة والطب، والتنجيم؛ للمزيد انظر: رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم لبلاد المغرب، ص٢٨٣.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٧٥.

[٣]انظر الملحق رقم (١٥): رسالة من السُّلطان العثماني أحمد الأول إلى دوق البندقية عام ١٦١٤م حول الموريسكيّين، ص ص: ٢٦٧–٢٧٠.

[٤]أرشيف الدولة الإيطالية بالبندقية:

Archivioi Di Stato Di Venzia, Buste7–48/166

نقلًا عن: التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيّين الأندلسيّين، ص٤٥.

[٥]العيدروس، العصر الأندلسي: خروج العرب من الأندلس، ص٢٣٣.

كما سمحت إيطاليا لبعض الموريسكيّين بالبقاء في أراضيها وكانوا يتظاهرون بأنَّهُم مسيحيُّون، وقد عَبَرَ الكثيرون من الموريسكيّين الأراضي الإيطالية لِلتَّوجُّه نحو القسطنطينية أو إلى الشمال الإفريقي، وكانت إيطاليا تسمح للموريسكيّين للبقاء في أراضيها من أجلِ أهدافٍ عِدَّةٍ؛ منها:

أ. أهداف الاقتصادية: فقد كَتَبَ أَحَدُ الموريسكيّين رسالةً ذَكَرَ فيها معاملة الموريسكيّين في إيطاليا؛ جاء فيها: **"نحن جميعًا الذين كُنَّا أكثر من ألف شخص تَقَرَّرَ أَنْ نخرجَ من هذه المملكة وأَنْ نذهبَ إلى مكان نَجِدُ فيه هدوءًا أكثر وقد ذهبْنَا إلى ليورنا، فَحَدَثَ لنا مثلَما حَدَثَ في مرسيلية، ورأيتُ هناك وفي الاقطاعات الأخرى من إيطاليا أَنَّهُم لا يُرِيدُونَنا لشيء أكثر من أَنْ نخدمَ في زراعة الحقل في مِهَنٍ أخرى حقيرة، ومعظم الناس لا يجيدون ذلك، فمعظمُهُم كانوا تُجَّارًا وكثيرون يُجِيدُون حِرَفًا راقية"**[1].

ب. أهداف دينية: كشفتِ الوثائقُ أَنَّ الحُكَّامَ الإيطاليّين أَحْسَنُوا استقبالَ الموريسكيّين الذين عُرِفُوا بأنَّهُم أقربُ للمسيحية منه إلى الإسلام؛ فقد أشارتِ التقاريرُ إلى حُسْنِ استقبال الموريسكيّين الإشبيليّين بكونِهم مسيحيّين جَيّدِين، مقابل عدم استقبال الموريسكيّين الأراغونيّين والبلنسيّين الذين عُرِفُوا بأنَّهُم الأكثرُ مُحَافَظَةً على دينهم وثقافتهم العربية؛ إلَّا أَنَّ غَلَبَةَ العامل الاقتصادي لم يَمْنَعْ من استقبال الموريسكيّين البلنسيّين الذين عُرِفُوا ببراعتهم في الجانب الزراعي [2].

ختامًا نُشِيرُ إلى أَنَّ جهود الدولة العثمانية خلال هذه المرحلة اقتصرت على التَّدخُّل الدبلوماسي الناتج عن توسُّلات الموريسكيّين؛ بهدفِ تسهيلِ نَقْلِهِم لبلدان العالم الإسلامي والتخفيف من حِدَّة معاناتهم، وكانتِ الدولة العثمانية قد دخلت مرحلة التراجع والانحطاط العسكري، والاشتغال بالخلافات مع الصَّفويّين، ومع النِّمْسَا والمَجَر، ومواجهة البرتغاليّين في الشرق؛ ما حَدَا بنفوذها وقُوَّتِها في الحوض البحر الأبيض المتوسط، ومواجهة الإسبان بشكل مباشر [3].

---

[1]Jancr, Florencio: Codicion social de los Moriiscos, apandice, p132.

نقلًا عن: جمال الدين، المسلمون المُنَصَّرُون أو الموريسكيُّون، ص٣٩٨.

[2]شاشيّة، حسن/ سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطية، ص١٦٩.

[3]البطوش، بسام عبد السلام حميدة؛ صالح عليم الشورة، "موقف الدولة العثمانية من استغاثات الأندلسيّين-الموريسكيّين-ما بين سنتَيْ ١٤٥١-١٦١٦م"، **مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية**، جامعة الزرقاء، عَمَّان، مج١٤، ع١، ٢٠١٤م، ص٢٨٥.

نَخْلُص مِمَّا وَرَدَ سابقًا نُشِيرُ إلى ما ذَكَرَهُ الحجري في رسالتِهِ إلى الموريسكيّين في القسطنطينية، التي عكست لنا أوضاع الموريسكيّين المهاجرين لمناطق المغرب الأقصى والدولة العثمانية؛ يقول: "**... أقول سادتي بأنَّ أَتْبَاعَكُم لن يكونوا سعداء حتى في أحسنِ بقعة في الموريسما فالاعتقاد أنَّهُ ستمرُّ على الغرباء سنوات قبل أَنْ يُعَامَلُوا جيِّدًا، حتى لو كانوا في أفضل مكان. فيما يتعلق بإفريقيا، من المغرب إلى تونُس فهي حسب رأيي منطقة يمكن تسميتُها "مطهر الغرباء" لِمَنْ يبحث عن عالَمٍ صالحٍ، ويُحزِنُنِي كثيرًا أَنَّ الذين خرجوا إلى تونُس حسب ما كتب مارمول في كتابِهِ "وَصْف إفريقيا"، بأنَّهُ في هذا المكان لن يتوفَّرَ ما يكفي من المياه العذبة للفقراء، ولأنَّهُ لديهم آفتَيْن: الأولى هي الأعراب، والأخرى هي عدم تسامُح العلوج والأتراك، نفس الأمرُ ينسحب على الجزائر وتلمسان [1]. أمَّا فيما يتعلق بأولئك الذين في مملكة فاس ومراكش، فقد خَرَجَ إلى تطوان والموانئ المحيطة نحو ستُّون ألف ألف شخص؛ وإلى مراكش. عانَوْا في هاتَيْنِ المملكتَيْن من نَهْبِ الأعراب والحروب الأهلية، وفي كُلِّ الأحوال حالتُهم أفضلُ لأنَّهُم لم يكونوا هدفًا لمحاكم التفتيش. أمَّا الذين تَوَجَّهُوا إلى القسطنطينية وأنحاء من بلاد الشام، فَسَيُعَامَلُونَ بعدلٍ أكبرَ، ويَلْقَوْنَ حُكْمًا أفضلَ، لأنَّهُ هناك تُوْجَدُ سُلُطَات إمبراطور الشرق، وستكون ظروف الناس أفضل، وسيتمتَّعُون بطقس أكثر برودة من طقس إفريقيا، الذي مع الحرارة يُحْرِقُ الدم، فلا ينقص الحسرة، ولا الأحزان**"[2].

فالحجري هنا يُشِيرُ إلى أَنَّ حالَ المُهَجَّرِين إلى الدولة العثمانية أفضل من حال الذين هاجَرُوا إلى إيالتي تونُس والجزائر، سواءً أكان من ناحية تعامُل السُّلْطَة الحاكمة، أم حتى من ناحية الظروف المعيشية والمناخية؛ فالذين هاجَرُوا على أراضي الدولة العثمانية لاقَوِا المعاملة الحسنة من قِبَلِ السُّلطان العثماني والمسؤولين، بخلاف المُهاجِرِين إلى تونُس والجزائر؛ فقد كانوا يتعرَّضون للعديد من المعاملات السيئة من قِبَلِ حُكَّامِها أو الرعية؛ بسبب عدم التزامهم في بعض الأحيان بالفرامانات[3] العثمانية الدَّاعِيَة إلى حُسْنِ معاملة الموريسكيِّين، أمَّا بالنسبة للظروف المعيشية والمناخية في تلك المناطق كان سَيِّئًا جِدًّا بالنسبة للموريسكيِّين الذين واجَهُوا في بادئ الأمر صعوبة

---

[1] مارمول، إفريقيا، ج١، ص٤٢.

[2] من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص ص: ١٥٦-١٥٧، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[3] **الفرامانات (Ferman)**: الأمرُ السُّلطاني الرسمي المكتوب الصادر في قضية من القضايا، ويتم تدوينُهُ بالخَطِّ الديواني في الديوان الهمايوني؛ للمزيد انظر: صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص١٦٤.

التَّأقلُم ليس فقط مع ثقافة أو نَمَطِ عيشٍ غريب؛ بل مع المناخِ الحارِّ الذي لم يتعوَّد عليه غالبية الموريسكيّين الذين كانوا يعيشون في ظِلِّ ظروف مناخية باردة أو معتدلة في إسبانيا[١].

وهنا لا بُدَّ أَنْ نُشِيرَ إلى التناقض بشأن ما ذَكَرَهُ الحجري في كُلٍّ من رسالتِهِ إلى الموريسكيّين في القسطنطينية، وما ذَكَرَ في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين" فيما يتعلق بظروف وأحوال الموريسكيّين في المناطق التي هاجَرُوا إليها بعد الطَّرْد النهائي؛ ففي الرسالة نَجِدُ الحجري يتكلم بلسانِ حالِ الموريسكيّين خلال تلك المرحلة المأسوية للطَّرْد، ويذكرُ التَّحدّيات والمشكلات التي واجهتهم أثناء عملية الهجرة وبعد الاستقرار في مناطق العالم الإسلامي؛ أَيْ إِنَّ خطابَهُ هنا كان مُوَجَّهًا للجماعة الموريسكية، لذا نَجِدُهُ يتحدَّث بكلِّ شفَّافِيَّة عن مآسِي وأحزان الموريسكيّين، أمَّا في كتابِهِ "ناصر الدين على القوم الكافرين" نَجِدُهُ يُثْنِي على السُّلُطَات القائمة في دول الاستقبال في العالم الإسلامي، ويتحدَّث عن حالِ الموريسكيّين بشكل أفضل في تلك المناطق؛ وذلك بفضل الجهود التي بَذَلَتْها تلك السُّلُطَات في حُسْنِ استقبال الموريسكيّين، وهنا نُفَسِّرُ هذا التناقض على مُنْحَنَيَيْن:

–المنحى الأول: رُبَّمَا يعود سببُ هذا التناقض إلى تَغَيُّرِ أحوال الموريسكيّين من عام ١٦١٢ إلى عام ١٦٣٧م؛ فالحجريُّ كَتَبَ الرسالة عام ١٦١٢م، أمَّا الكتابُ فَكَتَبَهُ عام ١٦٣٧م.

–المنحى الثاني: هنا نُشِيرُ بشأن ما ذَكَرَهُ الباحث حسام الدين في كتابِهِ "السَّفارديم والموريسكيُّون"؛ إِنَّ التناقض بين ما وَرَدَ في الرسالة والكتاب يعود إلى "... **من اختلاف في رواية الحجري، بين تلك التي يُقَدِّمُها للداخل أَيْ للجماعة الموريسكية، والمُدَوَّنَة باللغة الإسبانية، أين تَطْرُقُ المآسي المُهَجَّرِين خلال مرحلة القدوم أو وصولهم للأراضي المغاربية، وروايتُهُ للعالَم الإسلامي التي دَوَّنَها باللغة العربية، أين يغيبُ تمامًا رواية اللقاء الأول وما تَعَرَّضَ له المُهَجَّرُون، في محاولة رُبَّمَا إلى عدمِ نَكْأ الجرح، في ظل ظرفية اتَّسَمَتْ بالتَّوتُّر في العلاقة بين الجماعة الموريسكية والجماعات المسلمة**"[٢].

وهنا لا بُدَّ أَنْ نُشِيرَ إلى مسألة في غاية الأهمية بشأن ما ذَكَرَهُ الحجري عن مسألة الموريسكيّين الباقين والعائدين في إسبانيا، فقد وَصَفَ الباقين بالحمقى، وكَشَفَ تَعَامُلَ السُّلُطَات الإسبانية معهم؛ فتمَّت محاكمتهم محاكماتٍ صُورِيَّة، وخَسِرُوا أموالَهم كُلَّها، ثم وَقَعَ طَرْدُهُم؛ يقول:

---

[١]شاشيّة، السفارديم والموريسكيُّون، ص٥٢٠.

[٢]المرجع نفسه، ص٥٢٠.

"... **فيما يتعلق بأولئك الحمقى الذين كانوا في إسبانيا، فقد وقع مقاضاتُهم كَيْ لا يُسَاءَ فَهْمُهُم، فأعطى الملك أمرًا إلى الكوندي سالاثار من أجل محاكمتِهِم والإطِّلاع على الحُجَج. وبعد أَنْ أَنْفَقُوا أموالهم، أَمَرُوهُم بالخروج**". كما ذَكَرَ حالَ الذين رَجَعُوا إلى إسبانيا بعد طَرْدِهِم وخروجهم عبرَ فرنسا؛ يقول: "**أَمَّا بالنسبة إلى الذين عادُوا عبرَ فرنسا، فقد أعطَوْهُم خوبونس** [١]**، ولا يدفعون الألكابا**[٢] **عشر سنوات في التجذيف**"[٣].

ويذكرُ الحجري رأيَهُ بشأن كيفية التعامل مع هؤلاء الأفراد؛ فيذهب إلى ضرورة التَّخَلِّي عنهم، وعَزْلِهِم عن الجماعة المسلمة؛ يقول: "**ولا يجب فعلُ شيءٍ لأولئك الناس الذين بَقَوْا في إسبانيا وفي أراضي المسيحيّين**"، فأيُّ علاقة بهؤلاء كانت سَتَضُرُّ بصورةِ الموريسكيّين كونُهُم جماعةً مُسْلِمَةً في بلدان الاستقبال، وتجعل إيمانَهم مَحِلَّ مَزِيدٍ من الشَّكِّ في البلدان التي هاجَرُوا إليها [٤]. ذَكَرَ بيرنارد فينسنت (Bernard Vincent) [٥] أَنَّ عدد الموريسكيّين الذين بَقُوْا في إسبانيا بعد الطَّرْدِ النهائي كان كبيرًا: "**فإمَّا أَنَّهُم تَعَلَّلُوا بِحُجَجٍ قانونية تستثنيهم، وإمَّا أَنَّهُم اختَفَوْا وسط المسيحيّين القدامى الذين تَوَاطَئُوا معهم إذا لم يكونوا يُشعرُون نحوَهم بالكراهية**"[٦]. وَوَرَدَتِ العديدُ من الإشارات في كُتُبِ الرحلات التي دُوِّنَتْ في القرن الثامن عشر للميلادي عن وجود بقايا للمسلمين في إسبانيا، ومنها ما ذَكَرَهُ الغزال[٧] في رحلتِهِ عام (١١٨٠–١١٨١هـ/ ١٧٦٦–١٧٦٧م)

---

[١]**خوبونس (El jubon)**: لباس يُغَطِّي الكتفين حتى الخصر؛ كان منتشرًا في إسبانيا منذ المدة الوسيطة، وقد تَطَوَّرَ شكلُهُ عبرَ العصور؛ انظر: المرجع نفسه، ص٣٩٠.

[٢]**الألكابا (La alcabala)**: هي الضريبة الأهمُّ من وَجْهِ العائدات خاصَّةً في مملكة قشتالة، وتُفْرَضُ على الأنشطة التجارية؛ انظر: المرجع نفسه، ص٣٩٠.

[٣] من نص الرسالة المأخوذة من الملحق رقم (١)، ص ص: ١٦١–١٦٢، الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية).

[٤]شاشيّة، السفارديم والمورسكيُّون، ص ص:٣٨٩–٣٩٠.

[٥]**بيرنارد فينسنت (Bernard Vincent)** (١٩٤١م): مُؤَرِّخٌ فرنسي؛ من أشهرِ المُتَخَصِّصِين الفرنسيّين في التاريخ الإسباني، وقد تَقَلَّدَ مناصبَ عِدَّةً في المؤسَّسات المختلفة؛ منها: المركز الوطني للبحث العلمي، ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بفرنسا، وعَمِلَ أمينًا عامًّا لمؤسسة دار بيلانكيث، وهو عضوٌ في الأكاديمية المَلَكِيَّة للتاريخ بمدريد؛ للمزيد انظر: أورتيث، تاريخ الموريسكيّين: حياة ومأساة أَقَلِّيَّة، ص٥٤٨.

[٦]دي إيبالثا، الموريسكيُّون في إسبانيا وفي المنفى، ص١٥٨.

[٧]**الغزال:** أبو العباس أحمد بن المهدي الحميري الأندلسي المالقي الفاسي؛ كان شاعرًا وكاتبًا وأديبًا، تَرَأَّسَ الكتابة في دولة مولاي محمد بن عبدالله، وتُوفِّيَ عام (١١٩١هـ/ ١٧٧٧م)؛ للمزيد انظر: الغزال، أبو العباس أحمد ابن المهدي الحميري الأندلسي المالقي الفاسي (ت:١١٩١هـ/ ١٧٧٧م)، "**نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**"، تقديم

التي دَوَّنَها في كتابِهِ "نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد"؛ فقد ذَكَرَ لِقَاءَهُ بأشخاص من بقية المسلمين في الأندلس في مدينتَيْ بلافرنكا وبلاصيوص (Palacios y Villafranca)[1] فقال: "... **وأهلُهُمَا للبداوةِ أَمْيَلُ، ولا مَرْيَةَ أنَّهُمَا من بقايا الأندلس، وقد ألتقيْنَا برجل من طلبة المدينتَيْن اسْمُهُ بلاشكو [Blasco]، هو من أعيان العُدُول عندهم، وقد أَظْهَرَ من المَيْلِ إلينا ما غَلَبَ على الظَّنِّ أنَّهُ مسلم وصارَ يُشِيرُ بإشارة خَفِيَّة ويُكثِرُ من الالتفات على مخاطبتِهِ ايَّانَا ولم يستطعِ التصريح بما في باطن الأمر**"[2].

كما ذَكَرَ الغساني[3] في رحلتِهِ "رحلة الوزير في افتكاك الأسير" المُؤَرَّخَة عام (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) عن وجود بقيَّة المسلمين المُتَنَصِّرِين في الأندلس من بَنِي سراج المُتَنَصِّرِين، قال: "... **والغالبُ على أعمارِهِم أنَّهُم من بقايا الأندلس، وجُلُّهُم من أولاد السراج الذين كانوا تَنَصَّرُوا على عهدِ السُّلطان أبي الحسن آخِرِ ملوك غرناطة، وذلك فيما يزعمُهُ النَّصارى**"، وذَكَرَ لِقَاءَهُ برجل في مدينة؛ فَعَرَّفَ نفسَهُ أنَّهُ ينتمي لِبَنِي سراج: "**فلقد لقيتُ يومًا بمدينة مدريد رجلًا (نسيتُ اسْمَهُ الآن) راكبًا في كدش له، ومعه جماعة من النساء صغارًا وكبارًا، لَهُمْ حُسْنٌ وجمالٌ، فَوَقَفَ وسَلَّمَ سلامًا كثيرًا، وأَظْهَرَ هو ومَنْ معه من النساء بشرًا وترحيبًا، فقابلناه بما يجب. وحين أراد الانصراف عَرَّفَ بنفسه بأَنْ قال: نحن من جنس المسلمين من نَسْلِ أولاد السراج، فسألتُ عنه بعد ذلك، فقيل لي إنَّهُ من كُتَّاب الديوان**"، وذَكَرَ حالَهُم في أَمْرِ دِينِهِم وعدم معرفتهم بمبادئ الدين الإسلامي؛ بعد أَنْ أُجْبِرُوا على التَّنَصُّر جيلًا بعد جيلٍ وفقدانهم دِينَ أجدادهم، قال: "**ولقد كانوا**

وتعليق: ألفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للأبحاث العربية-الإسبانية، طنجة، ١٩٤١م، ص١٠، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الغزال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد).

[1] **بلافرنكا وبلاصيوص(Palacios y Villafranca)** : بلدتان صغيرتان من أعمال أشبيلية؛ للمزيد انظر: Historia de Los Palacios y Villafranca, https://turismo.lospalacios.org/, تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٠/٣١م.

[2] الغزال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، ص٢٤.

[3] **محمد الغساني**: أبو عبدالله محمد الوزير الغساني من أسرة أصلها من الأندلس انتقلت بعد ذلك إلى مراكش فهناك استقرَّت؛ عَمِلَ كاتبًا في بلاطِ الدولة العلوية بمكناس في عهد مولاي إسماعيل، وقام بسفارة لإسبانيا من عام١٦٩٠م إلى عام ١٦٩١م، وهي الرحلة التي أَرَّخَها في كتابِهِ: رحلة الوزير في افتكاك الأسير"؛ للمزيد انظر: الغساني، محمد بن عبد الوهاب الأندلسي (ت: ١٧٠٧م)، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**؛ حَرَّرَهَا وقَدَّمَ لها: نوري الجراح، دار السويدي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص١٥٥، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير).

يسألون عن دين الإسلام وعن أشياء منه، فحين يَسمعُون ما نُجِيبُهم عنه من الديانات، وأحكام الطهارة التي بُنِيَ الإسلام عليها، وغير ذلك، يُعْجِبُهم ما يسمعون منه ويُنْصِتُون إليه، ويَشكُرونَهُ بِمَحْضَر النَّصارى ولا يَعْبَئُون بِمَنْ حَضَر، ولم يزالوا مدة مقامِنا بمدينة مدريد يُكثِرُون التَّرَدُّد لدينا، ويَرُدُّونَ علينا المرةِ بعد المرة، ويُظْهِرُونَ من المَحَبَّة والتَّحَنُّن شيئًا كثيرًا. نسألُ الله تعالى أَنْ يَهْدِيَهُم إلى الصِّرَاط المستقيم، ويُرشِدَهُم إلى الدين القويم"[1].

كما ذَكَرَ بردويل مسألةَ الوجود الموريسكي في إسبانيا بعد الطَّرْدِ؛ قال: "**لقد طُرِدَ تقريبًا جميعُ الموريسكيّين من المُدُن؛ وبنسبة أقل، أولئك الذين كانوا يَسكُنون في أراضي الدولة، وقد كانت هناك استثناءات أكبر لأولئك الذين كانوا داخل أراضي النفوذ الإقطاعي، والجبليّين، والقرويّين المُنعَزِلين**"[2]؛ من خلال ما ذَكَرَهُ بردويل في النَّصّ السابق يتَّضِحُ أَنَّ الموريسكيّين في المُدُن الكبرى كانت لهم فُرَصٌ كُبرَى لِتَجَنُّبِ الطَّرْدِ والتَّخَفِّي بين أفراد الطبقات الاجتماعية المتدنية، أمَّا الموريسكيُّون في المناطق القروية فاحتَمُوا من القرار تحت مظلة أسيادهم الإقطاعيّين الذين حاولوا الاحتفاظ ببعض مُقْطِعِيهِم[3].

ومن خلال ما أَشَرْنَا إليه سابقًا بشأن هجرة الموريسكيّين واستقبالهم في دول العالم الإسلامي والأوروبي، وطبيعة العلاقات بينهم ودول الاستقبال؛ هنا نتساءل: ما الدافع الذي دَفَعَ هذه الأَقَلِّيَّة الأندلسية تُؤْمِنُ برجوعها إلى إسبانيا واستعادتها من الإسبان؟ فنرى تعامُلَهُم مع أعداء الإسبان جميعهم في آنٍ واحدٍ؛ فقد كانوا على اتصال بالدولة العثمانية، وبلاد المغرب. كما كانوا على اتصال بالدول المُعَادِيَة لإسبانية في أوروبا كفرنسا، هولندا، وبريطانيا، وحتى بعد طَرْدِهِم وتَوَجُّههم إلى تلك الدولة، واستمرَّ نِضَالُهُم ضِدَّ الإسبان؛ فَعَمِلُوا على تأسيس كِيَانات سياسية تَضُمُّهُم كالتي التي أَسَّسُوها في بلاد المغرب، كقصبة سَلَا التي اتَّخَذُوها قاعدةً لهم لِشَنّ هجوم ضِدَّ السفن الإسبانية المُعَادِيَة، أو تكتُّلهم في كِيَانَات اجتماعية خاصة بهم تُمَارِسُ الضغط على سُلْطَة البلاد التي التجَؤُوا إليها في سبيل مساعدة الموريسكيّين الآخرين في إسبانيا ودول المهجر الأخرى؛ رُبَّمَا يعود السبب

---

[1] الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص ص: ٥٢-٥٤.

[2] بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، ص ص: ١٣٩-١٤٠.

[3] عبد الكريم، جمال، **الموريسكيُّون: تاريخُهُم وأدبُهُم**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ص: ٣٦-٣٧؛ أورتيث، تاريخ الموريسكيّين، ص٤٥٧.

هنا في إيمانهم القوي بالعودة إلى إسبانيا بإيمانِهِم بالنُّبُوءَات[١] أو ما تُعْرَفُ في الكتابات الموريسكية بالأجفار (Jofares)[٢]؛ فمنها كان الموريسكيُّون يَستمِدُّون قُوَّتَهم ومقاومتَهُم، فهي بالنسبة لهم عمل ديني سواءٌ من وَجْهِ أُصُولِهِ، أم أهدافِهِ.

سَجَّلَ الحجري جانبًا كبيرًا من هذه النُّبُوءَات؛ فقد ذَكَرَ أنَّهُ قَرَأَ بإسبانيا جفرًا يقول أَنَّ المسلمين سيرجعون مرة أخرى إلى إسبانيا وأنَّهُم سَيدخُلون من أربع جهات، وإنَّ المسلمين سيحكمون إسبانيا كاملةً [٣]. كما خَصَّصَ بابًا كاملًا من كتابِهِ "ناصر الدين" للكُتُبِ الرصاصية؛ فقد ذَكَرَ أَنَّ الجفر المكتوب يقول: "**من أقصى المغرب على ماء البحر يأتي سريع قوام إلى بلاد النَّصارى وتَصِلُ الهملى [الحَمْلَة] إلى رومة**"[٤]. وعَرَضَ الحجري هذا الجفر على السُّلطان السعدي أحمد المنصور "وأمَّا ما ذُكِرَ في الرَّقِّ أَنَّ علامة النَّحس الذي ينزل على النَّصارى؛ يكون إذا أخذ المشرقي مدينة البحر، فكنتُ قد أظهرتُ نسخة من الرَّقِّ المذكور لمولاي أحمد سُلطان مراكش رحمه الله"؛ لذا استغلَّ سَلاطين السَّعديِّين هذه الأجفار، فكانوا يأملون الأندلسيّين بعزمهم على فَتْح الأندلس والانتصار على المسيحيّين، مقابل الخدمات العسكرية والجهادية التي كان يُقَدِّمُها الأندلسيُّون لهم، وهو ما حَدَثَ فعلًا في عهد أحمد المنصور عندما فتح بلاد السودان باستخدام العناصر الأندلسية في الجيش. كما وَصَفَ الحجري القوة العسكرية التي كانت تمتلكُها الدولة السعدية في عهدِ السُّلطان أحمد المنصور؛ وهو ما جَعَلَ الموريسكيّين على أَمَلِ أَنْ يتمَّ دَعْمُهُم بتلك القوة لاستعادة الأندلس، قال الحجري: "**إنَّ جزيرة الأندلس استردادُها من أيدي الكفرة سهلٌ واسترجاعُها منهم قريبٌ، ولمَّا دخلتُ في أيام المنصور مراكش، وجدتُ عندَهُ من الخيل نحو ستة وعشرين ألفًا. فلو تحرَّكتْ هِمَّتُهُ لفتحِها لَاسْتَوْلَى عليها في الحين**". "**وخَرَجَ السُّلطان في جنود لم نَظُنَّ ذلك؛ وعَجَبَنِي حالُ الرماة فحزامُهُم هو أفضلُ وأحسنُ وأزينُ من حزام النَّصارى بكثير؛ وأمَّا العرب الذين جاؤا وحضروا**

---

[١]**النُّبُوءَات:** تُعْرَفُ بالوصايا، وتُكْتَبُ باللغة العربية أو الألخميادو، وكانت شائعةً بين الأوساط الموريسكية خلال القرن السادس عشر، وتهدُفُ هذه النُّبُوءَات في بَعْثِ الأمل لتحقيق النصر والايمان بانتصار الإسلام انتصارًا كاملًا، وإنَّ النَّصْرَ سيأتي على يَدِ الأتراك أو على يَدِ سلاطين الدولة السعدية؛ للمزيد انظر: أرينال، الموريسكيُّون الأندلسيُّون، ص٦٣.

[٢]**الأجفار (Jofares):** من اللَّفْظِ العربي جُفر والجمع جُفور، التي تعني التَّكَهُّن أو الكهانة؛ للمزيد انظر: أرينال، مرثيديس غارثيا، **محاكم التفتيش والموريسكيُّون**، ترجمة: خالد عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٣٠.

[٣]رزُّوق، الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب، ص ص: ٢٤٦-٢٤٧.

[٤]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونُسية)، ص٧٣.

مع قُوَّادِهِم فكانوا تسعًا وعشرون ألف فارس وكذا مائة ما عَدَا السبيحية [١] وفرسان المدينة والفرادة والجُنْد الكثير"[٢].

إلَّا أَنَّ أَمَلَ الموريسكيّين في العودة إلى إسبانيا بمساعدة سَلاطين الدول الإسلامية ما لَبِثَ أَنْ تَلَاشَى بمرور الوقت، وإدراكهم عَجْزَ السَّلاطين عن اتخاذ أَيِّ إجراء فعلي في سبيل تحقيق أُمنيتهم؛ لذا اعتمدُوا على أنفسهم ودَعَمُوا أبناء جَلْدَتِهِم في ظِلِّ هذا الشَّتَات الجماعي الذي شَهِدَتْهُ الجماعة الأندلسية؛ فقد أقامُوا شبكة من العلاقات لِلتَّواصُل بينهم، وربطت بين الجالية الموريسكية المُقِيمَة في كُلٍّ من القسطنطينية، وتونُس، وفرنسا وإيطاليا؛ ويتَّضِحُ ذلك في المراسلات التي دارت بين الحجري والجالية الموريسكية في القسطنطينية، وبين تلك الجالية والسُّلُطَات العثمانية، أو بينها والمسؤولين في كُلِّ من فرنسا أم هولندا في سبيل مساعدة الموريسكيّين العالِقِين في إسبانيا أو منافذ العبور، أو تقديم المساعدة للموريسكيّين المُقِيمِين في مناطق المهجر أينما وُجِدَتْ، وتوفير سُبُل العيش الكريمة لهم، ويبدو أَنَّهُ في ظِلِّ هذه الظروف التاريخية بَرَزَتِ العديدُ من الشخصيات الموريسكية الأخرى؛ التي لَعِبَتْ هذا الدَّوْرَ أيضًا؛ كمحمد بن عبد الرفيع، ومحمد الروبيو وغيرهم مَنْ كان للحجري على صِلَةٍ بهم.

---

[١]**السبيحية**: يعني السباهية (Sipahi): الخَيَّالة، والفرسان في الجيش العثماني، ويُستخدَمُ للدلالة على الخَيَّالة صاحب الأرض الميري، الذي يشترك في الحرب مع أفراد من الذين كُلِّفُوا بإحضارهم للحرب؛ للمزيد انظر: صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ١٣٢.

[٢]الحجري، ناصر الدين (النسخة التونسية)، ص٨٩.

الخاتمة:

بعد البحث والتَّقَصِّي في دراسة أوضاع الموريسكيِّين الأندلسيِّين في عهد المَلِكَيْنِ الكاثوليكيّين فيليب الثاني وفيليب الثالث (١٥٥٦-١٦٠٩م) من خلال تلك الإشارات الواردة في رحلة أحمد بن قاسم الحجري الموسومة بـ" ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ تم التَّوَصُّلُ إلى مجموعة نتائج تتمثَّلُ في التَّالي:

١- يُعَدُّ أحمدُ بن قاسم الحجري صاحب الرحلة أُنموذَجًا للشخصية الموريسكيَّة؛ إذْ نَشَأَ وكَبُرَ وتكوَّنَ في فضاء الحضارة الإسلامية التي وَجَدَ فيها تعبيرًا عن الذات وتأكيدًا للوجود، وهو بذلك يُعَبِّرُ تعبيرًا صادقًا عن الذات المُسلِمة "الأنا" ضِدَّ "الآخر" الذي هو الذات المسيحيَّة؛ ما يُكْسِبُ آراءَهُ قيمةً حضاريَّةً ويُسْبغُ على رحلتِهِ قيمةً توثيقيَّةً للتاريخ الموريسكي.

٢- تُعَدُّ رحلةُ الحجري من بواكير الرحلات ذات النَّفَس الإيديولوجي الواضح، وهي حالة مُبَكِّرَة من الانقسام الحضاري الفكري واحتدام الجَدَل بين الدين والأخلاق؛ ما يجعلُ الرِّحلةَ ميدانًا لصراعِ الإيديولوجيَّات، فاتَّخَذَ هذهَ الرحلةَ وسيلةً لإثبات الذات وإقصاء الآخر؛ فَتُعَدُّ شخصيَّةُ الحجري حلقةَ وَصْلٍ بين الأنا المُسلِمة التي تُشَكِّلُ مصدرَ اعتزازِهِ وفَخْرِهِ، والآخَرِ أَيِ المسيحي الأوروبي؛ ما مَيَّزَ هذه الرِّحلةَ عن مثيلاتها في نصوص الرحلة الأندلسية التي سَبِقَتْها، وهذا يعني دخولَ الرحلة الأندلسية مُنعَطَفًا تاريخيًّا جديدًا على مستوى الموضوعات والأساليب؛ مُعْلِنَةً تكيُّفَها مع السياق التاريخي وعصر تأليفها، فضلًا عن كَوْنِ مُؤَلِّفِ الرحلة يُمَثِّلُ دورَ المُثَقَّفِ الباحثِ عن هُوِيَّةٍ حُجِبَتْ منه لمدة من الزمن بسبب ممارسة سياسة الاقصاء؛ فيأخذ دورَ الشاهد على مجريات عديدة أخفقتِ الذَّاكرةُ العربية في إبرازِها.

٣- جاء تأليفُ الكتابِ تعبيرًا عن الصمود التاريخي الذي خَاضَـهُ المؤلِّف أحمد بن قاسم الحجري والموريسكيِّين ضِدَّ أوروبا المسيحية بشكل عام؛ وإسبانيا المسؤولة عن مأساة مُسْلِمِي الأندلس بشكل خاص. فَدَوَاعِي تصنيفِهِ لم تكن بهدف التأليف؛ بقدر ما كانت نتيجَةً حتميَّة لِوَعْيِ هذا الرجل الأندلسي بحجم التَّحوُّلات التي بَدَأَ يَعرِفُها الحوضُ الغربي من البحر الأبيض المتوسط، التي أخذت تُفْرِزُ تناقضاتٍ جوهريَّة بين ضِفَّتَيْهِ الجنوبية والشمالية؛ وهي تحوُّلات ليست في صالح الأمة العربية والإسلامية. كما حاول المُؤَلِّف من خلال مضامين هذا الكتاب؛ أَنْ يُطْلِقَ صيحةً تاريخيَّةً نحو الأمة الإسـلامية يـدعوها إلـى مواجهة أوروبا المسيحيَّة من خلال التَّشَبُّث بالمبادئ الإسلامية والعربية لإثبات هُوِيَّتِهِم في المجتمعات المُعَادِيَة المُستقبِلَة لهم.

٤- أَرَّخَتْ رحلةُ الحجري العديدَ من القضايا التاريخية للموريسكيّين ما جَعَلَها ذاتَ أهمية توثيقية لكونِها كُتِبَتْ بقلمِ شاهِدِ عيان؛ إِذْ مَثَّلَ الحجريُّ أُنموذَجًا مُمَيَّزًا لأبناء شعبِهِ من الموريسكيّين، فقد كانت له علاقات دبلوماسية رفيعة المستوى واتصالات مع الملوك، والرجال السياسيِّين، والمُستشرِقين في الدول الأوروبية المختلفة.

٥- أَدْرَجَتِ الرِّحلةُ نَصَّ وثيقة الطَّرْدِ الصادرة عن السُّلُطات الإسبانية في عهد الملك فيليب الثالث عام١٦٠٩م؛ الذي تَرْجَمَهُ الحجريُّ من اللغة القشتالية إلى العربية، وهي أول ترجمة عربية للوثيقة، ما أَكْسَبَ هذه الرِّحلةَ قيمةً مصدرية؛ فانكشفت بذلك حقيقةٌ طَالَمَا تَحَرَّجَ منها الكثيرُ من المُؤَرِّخِين الإسبان، لبشاعة الحدث وانعكاساته على سُمْعَة تاريخ الكنيسة وتاريخ الملوك الإسبان.

٦- تَضَمَّنَتِ الرِّحلةُ رسائلَ إيحائية مُوَجَّهة إلى المسلمين بشكل عام وللموريسكيِّين بشكل خاص، وتمحورت تلك الرسائل في نصوص الجَدَل الديني التي تَضَمَّنَها الكتاب، وَوَجَّهَتْ تلك الرسائلُ خطابًا لتثبيتِ الموريسكيِّين على الدين الإسلامي، ومَنْعِ ارتدادهم وعودتهم للدين المسيحي، ورغبة من الحجري لإثباتِ صِحَّةِ إسلامِهِ وإسلام الطائفة الموريسكية في خطابٍ مُوَجَّهٍ إلى المجتمع المحلِّي.

٧- عكستِ الرِّحلةُ تَمَسُّكَ الموريسكيِّين بموروثهم العربي والإسلامي، مع إِنَّ السُّلُطَات المسيحية في عهدِ الملك فيليب الثاني قد فَرَضَت قوانينَ تَنْسِفُ هُوِيَّتَهُم الإسلامية العربية؛ ما جَعَلَ الصِّرَاعَ الحضاري يحتدِمُ بينهم والإسبان الذين سَعَوْا لِأَسْبَنَتِهِم وصَبْغِهِم بالصبغة الأوروبية المسيحية، الأمرُ الذي دَفَعَ بالإسبان لطردِ الموريسكيِّين من بلادهم عام١٦٠٩م.

٨- رَكَّزَتِ الرِّحلةُ على الأحداث التي عاشتها الأندلس في سنوات الطَّرْد والترحيل. كما كان بإمكان صاحب الرحلة التَّوَغُّلُ أكثرَ في تاريخ المدن أو الشعوب التي زارَها، على عادة الرَّحَّالة الآخرين؛ وقد يعود سبب ذلك أَنَّ ما يُوْجَدُ بين أيدينا عبارة عن تلخيص وليس النَّصَّ كاملًا، لذا يُرَجَّحُ أَنَّهُ اسْتَغْنَى عن الأخبار الأخرى لِيُرَكِّزَ فقط على خبرِ سقوط الأندلس، وخَبَرِ تهجير سُكَّانها وتَتَبُّع آثارِهم في البلدان المُستقبِلَة.

٩- كشفتِ الرِّحلةُ أَنَّ حَدَثَ الطَّرْدِ النهائي عام١٦٠٩م؛ لا يُعَدُّ نهايةَ قطعية للوجود العربي والإسلامي في الأندلس كما يتصوَّرُهُ البعض، بلِ استثْنَى من القرار العديد من الأُسَر الموريسكية؛ التي ظلَّت في إسبانيا. كما أثبتتِ الأدلَّةُ التاريخية عودةَ أعداد كبيرة من الموريسكيِّين بعد الطَّرْد إلى مَواطِنهم الأصلية في إسبانيا، وفي وِسعِ المرء أَنْ يَلْمَسَ في

تكوين المجتمع الإسباني الحاضر؛ لاسِيَّمَا في الجنوب الكثير من الظواهر والعادات التي ترجع في أصلها للتراث العربي الإسلامي.

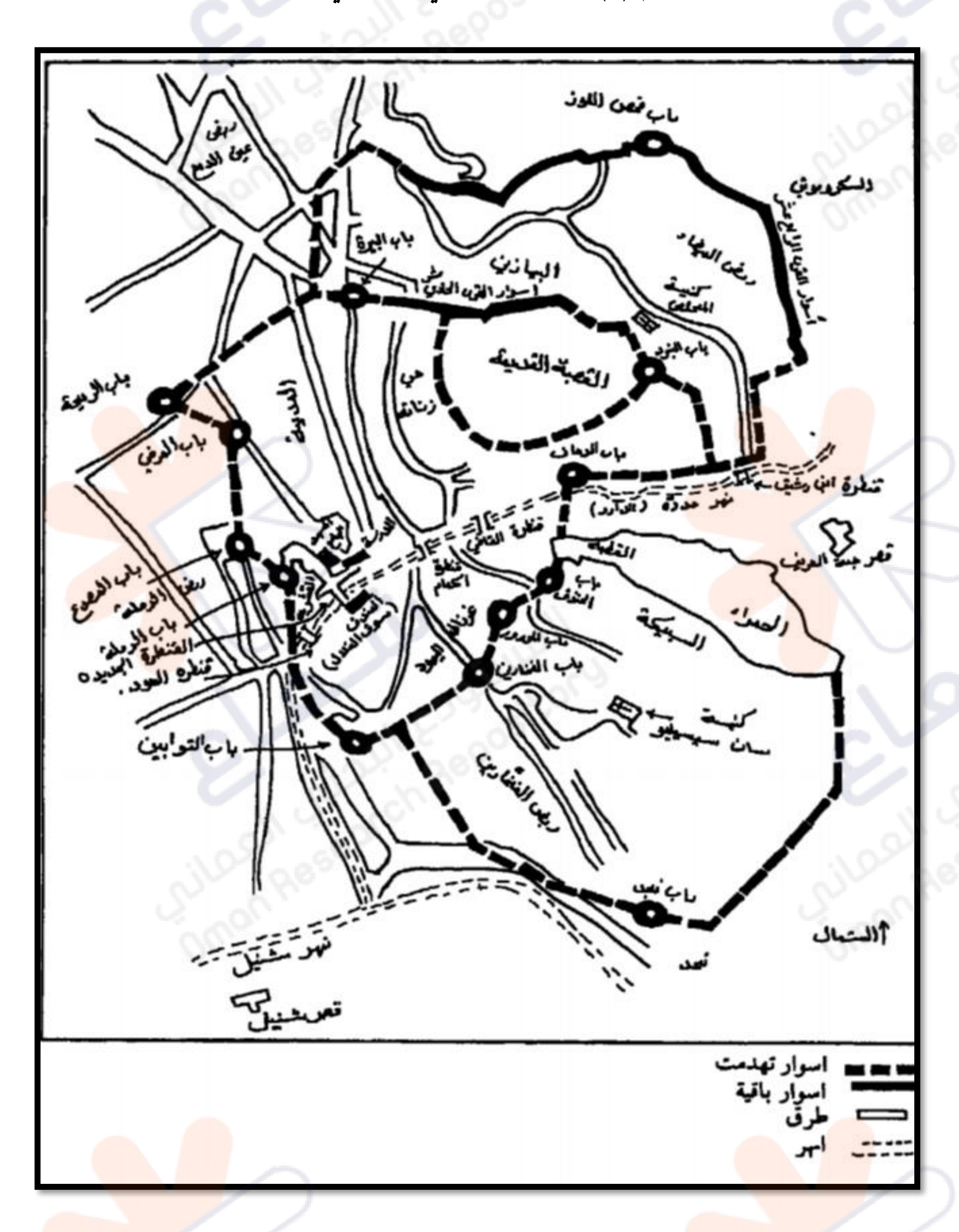
١٠- وصَفَتِ الرِّحلةُ معاناةَ الموريسكيّين بعد طَرْدِهِم وسوءِ استقبالهم في بعض بلدان المغرب؛ فقد تعرَّضُوا لِلسَّلْبِ والنَّهْبِ من قِبَل الأعراب، والاستغلال من بعض السُّلُطات الحاكمة، ما جَعَلَ الباقين يرفضُون الترحيل ويُبْدُونَ المعارضة والمقاومة ضِدَّ السُّلُطات الكاثوليكية في إسبانيا.

١١- كشفتِ الرِّحلةُ أَنَّ الموريسكيّين بعد الهجرة خارج إسبانيا واجهُوا واقعَهم بالسُّبُلِ كُلِّها المتاحة مع ضعفِ الإمكانات وغيابِ أَيِّ مساعدة حقيقية بحكم التَّحوُّلات والمُتغيّرات السياسية التي كان يَشْهَدُها المجال المتوسِّطي آنذاك؛ إلَّا أَنَّهُم واجَهُوا تلك الصعوبات وتَكَيَّفُوا مع تلك المجتمعات واندَمجُوا فيها تارِكين بصمتَهُم الثقافية والحضارية فيها.

١٢- احتوتِ الرِّحلةُ معطياتٍ تاريخيَّةً عن المُقَوِّمَات الثقافية والحضارية للموريسكيّين، فضلًا عن تسجيلاتها للجَدَل الديني فيما يُعْرَفُ بعلمِ الأديان المُقارَن. كما كشفتِ الرِّحلةُ أيضًا أَنَّ الهجرة الموريسكية بعد عملية الطَّرْد لم تقتصِر على المورفولوجية البشرية للموريسكيّين؛ بل كان تأثيرُهُم واضحًا في المجالات المختلفة في البلدان التي هاجَرُوا إليها، فاستفادت تلك البلدان من مهاراتهم المهنية والفلاحية، ومن مَنْتُوجاتِهِم الثقافيَّة والعلميَّة، ومن مهاراتِهِم العسكرية في الجهاد البحري وصناعة الأسلحة. فلم تَكُنْ إسهاماتُ الحجري فقط في مجال الترجمة؛ بل كان له دورٌ كبيرٌ في نقلِ المعرفة والتِّقْنِيَّة العسكرية الأوروبية خلال ذلك العصر إلى بلدان شمال أفريقيا؛ إذْ تُعَدُّ ترجمتُه لكتاب "العِزُّ والرِّفعةُ"، خيرَ دليلٍ على ذلك.

الملاحق

ملحق رقم (١): مدينة غرناطة في عصر بني الأحمر [1].



(١)فرحات، غرناطة، ص١٧٧.

ملحق رقم (٢): معاهدة تسليم غرناطة المعقودة بين أبي عبد الله الصغير والمَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن؛ ضِمْنَ فرديناند وضونيا إيزابيلا بتاريخ ٢١، محرم سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٤٩١م

المادة الأولى:

على مَلِكِ غرناطة والقادة والفقهاء والحُجَّاب والعلماء والمُفْتِين والوجهاء، بمدينة غرناطة والبيازين وضواحيها؛ أَنْ يُسَلِّمُوا إلى صاحِبَيْ السُّمُوِّ، أو مَنْ يَنْتَدِبَانِهِ للنيابة عنهما، في مدة أقصاها ستُّون يومًا، اعتبارًا من ٢٥ تشرين الثاني، عام ١٤٩١م؛ مَعَاقِلَ الحمراء، والبيازين، وأبوابَ تلك المَعَاقِل، وأبراجها، وأبواب المدينة المذكورة، والبيازين، وضواحيهما، وأبراج أبواب المدينة المذكورة. وضِمْنَ هذه الشروط يأمرُ صاحِبَا السُّمُوِّ؛ أَلَّا يَصْعَدَ أَيُّ نصرانيٍّ السُّورَ القائم بين الحمراء، والبيازين، لِئَلَّا يَكشِفَ عوراتِ المسلمين في بُيُوتِهِم، وإنْ خَالَفَ أحدٌ هذه الأوامر؛ يُعَاقَبُ عقوبةً شديدةً. وضِمْنَ هذا الشَّرْطِ؛ سَيُقَدِّمُ المسلمون الطَّاعةَ والإخلاص والولاء بِعَدِّهِم أَتْبَاعًا مُخْلِصِينَ لِصَاحِبَي السُّمُوِّ.

ضَمَانًا لسلامة تنفيذ هذه البنود؛ يُقَدِّمُ أبو عبد الله الصغير مَلِكُ غرناطة، إلى صاحَبَي السُّمُوِّ؛ خمسَ مِئَةِ شخصٍ من أبناء وبنات عِلْيَة القوم في المدينة، والبيازين، وضواحيهما، وذلك قُبَيْلَ تسليم الحمراء بيوم واحد، مُصْطَحِبِينَ معهم الحاجبَ يوسف بن قماشة؛ ليكونوا جميعَهُم رهائنَ، لدى صاحِبَي السُّمُوِّ، لمدة عشرة أيام؛ يتمُّ خلالها ترميمُ المَعَاقِل المذكورة، شَرْطَ أَنْ يُعَامَلَ الرَّهائِنُ إلى حين انتهاء هذه المدة معاملةً حسنةً. وفي نهاية الأجل؛ تُرَدُّ الرهائن إلى مَلِكِ غرناطة، ويُرَاعِي هذه الاتفاقيَّةَ صاحِبَي السُّمُوِّ، وابْنُهُمَا ضون خُوان وسُلَالَتُهُم. ويُعَدُّ أبو عبد الله الصغير، وسَائِرُ قادتِهِ، وسُكَّانُ غرناطةَ جميعهُم، والبيازين، وضواحيهما، وقُرَاهُمَا، وأراضيهما، والقرى، والأماكن التابعة للبشرات رَعَايَا طبيعيِّين، ويَبْقَوْنَ تحت رعايتهم ودفاعهم. وتُتْرَكُ لهم بُيُوتُهُم وأراضيهم، وعقارهم، وأملاكهم جميعُها، حاليًّا ومُستقبَلًا من دُونِ أَنْ يَلْحَقَ بها أَيُّ ضَرَرٍ أو حَيْفٍ،

وأَلَّا يُؤْخَذَ أَيُّ شيءٍ منها يَخُصُّهُم، بلِ العكس؛ سيتمُّ احترامُ الجميع ومساعدتُهُم، ويَلْقَوْنَ المعاملةَ الطَّيِّبَةَ من قِبَلِ صَاحِبَي السُّمُوِّ، وشَعْبُهُمَا بِعَدِّهِم خَدَمًا وأَتْبَاعًا لَهُمَا.

المادة الثانية:

في الوقت الذي يَتَسَلَّمُ صاحِبَا السُّمُوِّ قصرَ الحمراء، يَأْمُرَانِ أَتْبَاعَهُمَا؛ بالدُّخُول من بابَيْ العشار، ونجدة، ومن الحقل القائم خارج المدينة. وعلى مَنْ يُعِينُ لِتَسَلُّمِ الحمراء؛ أَلَّا يَدْخُلَ من وَسَطِ المدينة.

المادة الثالثة:

في اليوم الذي يتمُّ فيه تَسْلِيمُ الحمراء، والبيازين، وشوارعِهما، وقِلَاعِهِمَا، وأبوابِهِمَا، وغيرُ ذلك، يقوم صَاحِبَا السُّمُوِّ؛ بتسليمِ ابْنِ المَلِكِ أبي عبدِ الله الصغير المُحْتَجَز في قلعة موكلين، مع سَائِرِ الرَّهَائِن الموجودين معه، وسَائِر الحَشَمِ، والخَدَمِ الَّذِينَ كانوا برفقتِهِ، ولا يُكْرَهُونَ على التَّنَصُّرِ أثناءَ احتجازِهِم.

المادة الرابعة:

يَسْمَحُ صَاحِبَا السُّمُوِّ، وسلالتُهُمَا، للمَلِكِ أبي عبد الله الصغير وشَعْبِهِ؛ أَنْ يَعِيشُوا دائمًا وَفْقَ قانونِهِم، أَيْ: بممارسة الشعائر الإسلامية من دُونِ المَسَاسِ بِسُكْنَاهُم، وجَوَامِعِهِم، وأبراجِهِم، وسَيَأْمُرَانِ بالحفاظ على مَوَارِدِهِم وسَيُحَاكَمُونَ بموجب قوانينهم، وقُضَاتِهِم، حَسْبَ مَا جَرَتْ عليه العادة، وسيكونون مَوْضِعَ احترام من قِبَلِ النَّصَارَى، كما تُحْتَرَمُ عاداتُهُم وتقاليدُهُم إلى غيرِ حِينٍ.

المادة الخامسة:

لَنْ تُصَادَرَ من المسلمين أسلحتُهُم، أو خيولُهُم، أو أَيُّ شيءٍ آخَرَ، حاضِرًا وإلى الأبد؛ باستثناء الذَّخِيرَة الحربية التي يجبُ تسليمُها لِصَاحِبَي السُّمُوِّ.

المادة السادسة:

يُسمَحُ لِمَنْ يرغب في الجواز إلى العدوة أو أَيّ مكان آخر، من أهالي غرناطة، والبيازين، والبشرات، والمناطق الأخرى التابعة لمملكة غرناطة؛ ببيعِ مُمتلكاتهم، وأراضيهم لِمَنْ شاؤوا، ولن يحاول صاحِبَا السُّمُوّ، وذُرِّيَّتُهُمَا مَنْعَهُم من ذلك أبدًا. وإذا رَغِبَ صاحِبَا السُّمُوّ بشرائها، من أموالهما الخاصة؛ فشأنُهُمَا في ذلك شأنَ سَائِرِ الناس، ولكنَّ الأولويَّةَ تكون لَهُمَا.

المادة السابعة:

تُجَهَّزُ عمليَّةُ نَقْلِ الأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى العدوة أرض [المغرب] في غُضُونِ سَتِّين يومًا من تاريخِهِ على مَتْنِ عشرِ سُفُن كبيرة تتوزَّع على الموانئ القريبة منهم، حَسَبَ رغبة المُبْحِرين؛ لِيُحْمَلُوا أحرارًا، وطَوْعَ إراداتهم، إلى المكان الذي يرغبون النزول إليه، فيما وراء البحر [أرض المغرب]؛ خاصَّةً الموانئ التي كانت تَرْسُو بها تلك السفن.

أمَّا الأشخاصُ الذين يرغبون في العبور في غضون الأعوام الثلاثة القادمة، فَتُهَيَّأُ لهم السفن الخاصة من الموانئ القريبة لأماكن إقاماتهم؛ شَرْطَ أَنْ يُقَدِّمُوا طلباتِهم قبل موعد الرحيل بخمسين يومًا. ويُنْقَلُونَ برعاية تامَّة إلى الميناء الذي يرغبون بالنُّزُولِ فيه.

لا يترتَّبُ على مَنْ يريد العبور إلى العدوة – خلال الأعوام الثلاثة هذه – أَجْرٌ أو نفقةٌ. أمَّا الذين يرغبون في العبور بعد انتهاء الأعوام الثلاثة؛ فعليهم دَفْعُ دوبلة واحدة فقط عن كُلِّ شخص. أمَّا الذين لا يتمكَّنُون من بيعِ أملاكهم المُوَزَّعَة في أنحاء مملكة غرناطة جميعها قبل سفرهم؛ فَيَحِقُّ لهم تفويضُ أَيِّ شخص من أجل تحصيل حقوقهم ولِيَقُومُوا مقامَهم، ويتولَّوا بعد ذلك إرسال هذه الحقوق لأصحابها أينَما كانوا؛ من دُونِ أَيِّ مُعَوِّقاتٍ.

المادة الثامنة:

لا يُرْغِمُ صاحِبَا السُّمُوِّ، وسُلالَتُهُمَا، حاضِرًا وإلى الأبد، المسلمين، وأعقابَهم؛ على وَضْعِ أَيِّ شارةٍ مُمَيِّزَةٍ لملابسهم.

المادة التاسعة:

لا يَحِقُّ لِصَاحَبِي السُّمُوِّ، لمدة ثلاث سنوات من تاريخِهِ؛ تحصيلُ الإتاوات من المَلِك أبي عبد الله الصغير، وسُكَّان غرناطة، والبيازين وأرباضهما، وهي الإتاوات التي يترتَّبُ أداؤُها عن دُورِهِم، وأملاكهم الموروثة؛ بل يكفي أَنْ يدفعَ المسلمون لِصَاحِبَي السُّمُوِّ، عُشْرَ الخبز والذُّرَة، وعُشْرَ المواشي خلال شهرَيْ أبريل ومايو.

المادة العاشرة:

على المَلِكِ أبي عبد الله، وسائرِ سُكَّان المملكة الذين شَمِلَتْهُم هذه الاتفاقية؛ أَنْ يُطْلِقُوا سراحَ الأَسْرَى النَّصارى جميعهم الذين في قبضتهم، أو في أَيِّ مكان آخَر طواعيةً من دُونِ أَيِّ فِدْيَةٍ؛ وذلك حين تسليمُ المدينة.

المادة الحادية عشرة:

على صَاحِبَي السُّمُوِّ؛ أَلَّا يَسْتَخْدِمَا أَيَّ رَجُلٍ من أَتْبَاعِ أبي عبد الله، أو سُكَّانِ المملكة، أو أَنْ يُسَخِّرَا دَوَابَّهُم؛ في أَيِّ غرضٍ من دُونِ إرادتهم، ومن دُونِ أَنْ تُدْفَعَ لهم أُجُورُهُم.

المادة الثانية عشرة:

لا يُسْمَحُ لِأَيِّ نصرانيٍّ دُخُولُ المساجد، أو أَيِّ مكان لعبادة المسلمين؛ من دُونِ إِذْنٍ من الفقهاء، ومَنْ يُخَالِفُ ذلك؛ يُعَاقِبُهُ صَاحِبَا السُّمُوِّ.

المادة الثالثة عشرة:

لا يَجُوزُ لأيِّ يهوديٍ أَنْ يتولّى الجِبَايَةَ، أو تحصيلَ الضَّرائبِ من المسلمين بشكل مباشر، أَوْ أَنْ يُمْنَحَ أَيُّ سُلْطَةٍ، أم وِلَايَةٍ عليهم.

المادة الرابعة عشرة:

يُعَامِلُ صاحِبَا السُّمُوِّ المَلِكَ أَبَا عبد الله الصغير وسَائِرَ رعاياهُ الذين شَمِلَتْهُم هذه المعاهدةُ؛ معاملةً شريفةً، وتُحْتَرَمُ عاداتُهُم وتقاليدُهُم، وتُمْنَحُ للقادة والفقهاء الحقوقُ، وتَبْقَى الحقوقُ التي كان يتمتَّعُ بها هؤلاء زمن أبي عبد الله الصغير؛ على حالِها، ويُعْتَرَفُ لهم بتلك الحقوق.

المادة الخامسة عشرة:

يجب أَنْ يَقْضِيَ في أَيِّ دَعْوَى، أو مشكلة تقعُ بين المسلمين؛ القُضَاةُ، وَفْقًا لأحكام الشريعة الإسلامية؛ كما جَرَتْ عليه العادة.

المادة السادسة عشرة:

يُصْدِرُ صَاحِبَا السُّمُوِّ أوامرَهُمَا للمسلمين؛ بعدمِ إيواء الضيوف من النَّصَارى، أو إخراج الثياب، أو الدَّوَاجِن، أو الدَّوَاب، ويشمل ذلك صَاحِبَي السُّمُوِّ، وجماعتَهُما؛ إذْ يُمْنَعُ على هؤلاء النَّصَارى دخولُ بيوتِ المسلمين واستعمال مَضَايِفِهِم لإقامة الحفلات.

المادة السابعة عشرة:

إذا دَخَلَ نصرانيٌّ منزلَ مُسْلِمٍ قَسْرًا؛ يَطْلُبُ صاحِبَي السُّمُوِّ من العدالة، إيقاعَ العقوبة عليه.

المادة الثامنة عشرة:

فيما يتعلق بقضايا التَّرِكَات عند المسلمين؛ يجب أَنْ يْنَظُرَ فيها القُضَاةُ المسلمون، وَفْقَ النُّظُمِ الإسلامية المُتَّبَعَة.

المادة التاسعة عشرة:

تشملُ هذه المعاهدةُ قاطِنِي الأحياء المُجاوِرة لمدينة غرناطة، وسُكَّان القرى والأرجاء التابعة للمدينة، والبشرات، وأماكن أخرى؛ بما في ذلك الأشخاص الذين قد يَقْبَلُونَ المعاهدة بعد مرور ثلاثين يومًا من تسليم غرناطة، ويتمتَّعُ هؤلاء بجميع الإعفاءات الممنوحة خلال السنوات الثلاث.

المادة العشرون:

يتولَّى الفقهاء [إدارة] إيراد الجوامع، والحلقات الدراسية فيها، وما يُرْصَدُ من أجل الصدقة، أو عَمَل الخير، بما في ذلك إيرادات المدارس التي تُنْفَقُ في تعليم الصبيان، ولا يَحِقُّ لِصَاحِبَي السُّمُوِّ؛ التَّدَخُّلَ بأَيِّ حالٍ من الأحوال، في شأنِ هذه الصدقات، أو الأمر بِمُصَادَرَتِها؛ في أَيِّ وقتٍ في الحاضر أم في المستقبل.

المادة الواحدة والعشرون:

لا يجوزُ لِمَنْ يتولَّى القضاءَ إصدارُ قراراتٍ ضِدَّ أَيِّ مُسلِمٍ بذنبٍ اقْتَرَفَهُ آخَرُ؛ فلا يُؤْخَذُ الأبُ بذنبِ ابْنِهِ، ولا الولدُ بذنبِ والدِهِ، ولا الأخُ بذنبِ أخيهِ، ولا القريبُ بذنبِ قرابتِهِ؛ بل تقعُ العقوبةُ على مَنْ يَقترِفُ الجُرْمَ.

المادة الثانية والعشرون:

يُقَرِّرُ صاحِبَا السُّمُوِّ العَفْوَ عن المسلمين من أَتْبَاعِ القائد حميد أبي علي الَّذِين كانوا يَذُودُونَ عن حُصُونِهِم؛ ضِدَّ هجمات النَّصَارى، ولا يُطْلَبُ أَيُّ تعويضٍ عَمَّنْ قُتِلَ من النَّصَارى أثناء اصطدامِهِم مع المُدَافِعِين من المسلمين، أو عَمَّا أَخَذَهُ المسلمون من المكاسب، في ذلك المكان؛ في الحاضر أم في المستقبل.

المادة الثالثة والعشرون:

يَغْفِرُ صاحِبَا السُّمُوِّ لِمُسْلِمِي مدينة الكابطي؛ هَجَمَاتِهِم واعتداءاتِهِم التي كانت تستهدِفُ حَرَسَ المَلِكَيْن، وتُمْنَحُ لهم حُرِّيَّةُ العيش كإخوانهم الآخرين الذين شَمِلَتْهُم هذه المعاهدة.

المادة الرابعة والعشرون:

يَعُدُّ صَاحِبَا السُّمُوِّ أسرى المسلمين جميعهم، أو الفَارِّين من الأَسْرِ إلى مدينة غرناطة، والبيازين وأرباضهما، أو إلى أَيِّ ناحية تابعة لمدينة غرناطة؛ أحرارًا، ولا تُصْدِرُ العدالةُ في حَقِّهِم أَيَّ حُكْمٍ كانَ؛ لكنَّ هذا الامتيازَ خاصٌّ بِمُسْلِمِي الأندلس، ولا يَشْمَلُ أَسْرَى الجُزُرِ، أو [كناريس].

المادة الخامسة والعشرون:

لا يَدْفَعُ المسلمون لِصَاحِبَي السُّمُوِّ أكثَرَ مِمَّا كانُوا يدفعونَهُ لِمُلُوكِهِم المسلمين من الإتاوات.

المادة السادسة والعشرون:

يُسْمَحُ لِمَنْ عَبَرُوا جميعهم إلى العدوة [المغرب] من سُكَّان غرناطة، والأرجاء التابعة لها، والبيازين، وأرباضهما، والبشرات، وغيرها بالعودة خلال ثلاثة أعوام من تاريخ إبرام الاتفاقية، والتَّمَتُّع بالامتيازات التي تَمْنَحُها لهم هذه الاتفاقية.

المادة السابعة والعشرون:

لا يُجْبَرُ أَيُّ مُسلِمٍ حَمَلَ معه بعضَ الأسرى النَّصارى إلى العدوة، وجَعَلَهُم في قبضةِ سُلْطَةٍ أخرى؛ على إرجاع هؤلاء الأسرى، أو إعادة الأَجْر الذي تَقَاضَاهُ لقاءَ تسليمِهِم.

المادة الثامنة والعشرون:

يَحِقُّ للمَلِكِ أبي عبد الله، أو أَيٍّ من قُوَّادِهِ أو سُكَّان القرى، والأرجاء المُجَاوِرَة: غرناطة، والبيازين، والبشرات، وغيرها، مِمَّنْ عَبَرُوا إلى العدوة [المغرب] ولم تَطِبْ لهم الإقامةُ هناك؛ أَنْ يَعُودُوا خلال الأعوام الثلاثة، ولهم الحقُّ أَنْ يتمتَّعُوا بنصوص الاتفاقية المُبْرَمَة جميعها.

المادة التاسعة والعشرون:

يَحِقُّ لِتُجَّارِ مدينة غرناطة، والبيازين وأرباضهما، والبشرات، وغيرها؛ أَنْ يَحْمِلُوا سِلَعَهُم إلى العدوة، ويَعُودُوا بها آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، كما يَحِقُّ لهم دُخُولُ سَائِرِ الأرجاء التي في حَوْزَةِ المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْنِ؛ من دُونِ أَنْ تترتَّبَ عليهم أَيُّ إتاوةٍ مُتَرَتِّبَةٍ على النَّصَارى.

المادة الثلاثون:

لا يجوزُ إرغامُ أَيِّ نصرانيَّةٍ تزوَّجت من أَحَدِ المسلمين، واعتنقتِ الدِّينَ الإسلاميَّ على العودة إلى النَّصرانيَّة؛ إلَّا طائعةً، وبعد أَنْ تُسْأَلَ في ذلك أمام جمعٍ من المسلمين والنَّصارى. وفيما يتعلق بأبناء الرُّوميَّات، وبناتِهِنَّ؛ فَلَهُمُ الحقوقُ نفسُها المنصوص عليها.

المادة الواحدة والثلاثون:

إذا سَبَقَ لنصرانيٍّ، ذِكَرًا أكان أم أُنثى، اعتناقُ الدِّيَانةَ الإسلاميَّةَ قبل إبرامِ هذه الاتفاقية؛ فلا يَحِقُّ لأحدٍ من النَّصَارى أَنْ يُهَدِّدَهُ، أو ينالَ منه بأَيِّ صورةٍ، ومَنْ يفعلْ ذلك يَلْقَ أَثَامًا.

المادة الثانية والثلاثون:

لا يجوزُ إرغامُ مُسلِمٍ أم مُسلِمَةٍ على اعتناق النَّصرانيَّة.

المادة الثالثة والثلاثون:

لا يُرْغِمُ صاحِبَا السُّمُوِّ، أو أَيُّ واحدٍ من عَقِبِهِمَا، حاضرًا أم مُستقبَلًا، أَبَا عبد الله الصغير، أو جماعته، أو حاشيته، أو أَيَّ أحدٍ من سُكَّان المملكة أم خارجها مُسلِمِين ونَصَارى، ومُدَجَّنِين؛ بِرَدِّ ما غَنِمُوهُ أثناء الوقائع التي جَرَتْ بينهم من الثياب، والمواشي، والأنعام، والفضة والذهب، وغيرها من الأشياء التي وَضَعَ المسلمون أيديهم عليها. ولا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُطَالِبَ بشيءٍ يكتشف أَنَّهُ كان له، وإذا طَالَبَ به؛ فَإِنَّهُ يُعَرِّضُ نفسَهُ لأقصى العُقُوبات.

المادة الخامسة والثلاثون:

إذا سَبَقَ لِمُسلِمٍ أَنْ أَهَانَ أَسِيرًا نصرانيًّا – ذَكَرًا أكان أم أُنْثَى – أو جَرَحَهُ، أو قَتَلَهُ أثناء احتفاظِهِ به؛ فَلا يُسْأَلُ عن شَيْءٍ مِمَّا كان.

المادة السادسة والثلاثون:

بعد انتهاء السنوات الثلاث المنصوص عليها في الاتفاقية؛ تُدْفَعُ ضريبةُ الأملاك والضِّيَاع الأميرية، وَفقًا لِقِيمَتِها الحقيقية؛ شأنَ سَائِرِ الأملاك والأراضي.

المادة السابعة والثلاثون:

تُعَامَلُ أملاكُ الفرسان والقادة المسلمين؛ المعاملةَ المنصوصَ عليها في البَنْدِ السابق: فَلا يَدْفَعُ عنها أكثر مِمَّا يَدْفَعُ عن الأملاك العادية.

المادة الثامنة والثلاثون:

تشمل هذه الاتفاقية أيضًا اليهودَ من مواليد مدينة غرناطة، والبيازين، وأرباضهما، والأراضي التابعة لهما، واليهود الذين كانوا من قَبْلُ نَصارَى، ويُسْمَحُ لهؤلاء اليهود بالعبور إلى العدوة خلال شهر من تاريخِهِ.

المادة التاسعة والثلاثون:

يُعَامَلُ الحُكَّامُ والقادةُ والقُضَاةُ الذين يُعَيِّنُهُم صَاحِبَا السُّمُوِّ على مدينة غرناطة والبيازين والكُور التابعة لها الناس بالحُسنى، ويُحَافِظُون على امتيازاتهم الممنوحة لهم في المعاهدة، وإذا أَخَلَّ أحدُهُم بذلك، أوِ ارتكبَ خطيئةً؛ يُصِدُرُ صَاحِبَا السُّمُوِّ أوامرَهُمَا بمعاقبتِهِ على قدرِ جُرْمِهِ، وعَزْلِهِ من مَنْصِبِهِ، وتوليةِ غيره مِمَّنْ يُحسِنُون معاملة المسلمين كما نَصَّتْ عليه الاتفاقية.

المادة الأربعون:

لا يَحِقُّ لِصَاحِبَي السُّمُوِّ، أو أَيٍّ من أبنائِهِمَا، وأحفادِهِمَا منذ الآن التَّعقب على شيءٍ ارْتَكَبَهُ الملك أبو عبد الله الصغير أو أحدٌ من رعايَاه؛ إلى حين تسليم الحمراء، أَيْ بعد مرور سِتِّين يومًا من توقيع هذه الاتفاقية.

المادة الواحدة والأربعون:

لا يُوَلَّى على جماعة أبي عبد الله الصغير واحدٌ من الفرسان، أو القادة، أو الخاصة الذين كانوا مُوَالِينَ لمولاي الزَّغل مَلِك وادي آش عَمِّ أبي عبد الله الصغير؛ الذي كانت بينه وأبي عبد الله عداوةٌ قديمةٌ.

المادة الثانية والأربعون:

يتولَّى النَّظَرَ في الخصومات التي قد تقعُ بين مُسلِمٍ ونصرانيٍّ، أو مُسلِمَة ونصرانية؛ مجلسٌ مُؤَلَّفٌ من حَكَمَيْنِ: أحدُهُمَا مُسْلِمٌ، والآخَرُ نصرانيٌّ؛ تَحَاشِيًا لِتَظَلُّمٍ من الأحكام القضائية.

المادة الثالثة والأربعون:

بالإضافة إلى ما نَصَّتْ عليه الاتفاقية جميعِهِ؛ يأمرُ صَاحِبَا السُّمُوِّ بِمَنْحِ أبي عبد الله الصغير الامتيازاتِ كُلَّها المنصوصَ عليها في الاتفاقيات المُوَثَّقَة بِخَاتَم الأمير (نَجْل صَاحِبَي السُّمُوِّ؛ المُوَقَّعَة من قِبَلِ كردينال إسبانيا، والكُهَّان والأساقفة، ورؤساء الأَدْيِرَة، والشُّرفاء، والدُّوقات والمركيزات والكونتات، وأصحاب المَرَاتِب الجليلة، وكُتَّاب العدليَّة في مدينة غرناطة، اعتبارًا من يوم تسليم الحمراء، والبيازين، وأبوابهما، وأبراجهما، وتُعَدُّ محتوياتُ هذه الاتفاقية جميعُها نافذةً وساريةَ المفعول في الحاضر وفي المستقبل.

المادة الرابعة والأربعون:

يُصْدِرُ صَاحِبَا السُّمُوِّ أوامرَهُمَا بالإفراج عن أَسْرَى المسلمين – ذكورًا وإناثًا – من أهالي غرناطة، والبيازين، وأرباضهما، والكُور التابعة للمملكة؛ إفراجًا غيرَ مشروطٍ بنفقةٍ، أو فِدْيَةً، أو غيرها. وذلك بُغْيَةَ إرضاء المَلِك أبي عبد الله الصغير، وأهالي غرناطة، والبيازين وأرباضهما، وضياعهما كافَّةً. ويتم الإفراج عن هؤلاء الأسرى على النَّحْوِ التَّالي:

يُفْرَجُ عن أسرى مدينة غرناطة جميعهم، والبيازين وأرباضهما، وضياعهما الموجودِين في الأندلس، خلال الأشهر الخمسة التي تَعْقُبُ إبرام المعاهدة، ويُفْرَجُ عن الأسرى الموجودين في قشتالة؛ خلال الأشهر الثمانية التَّالية، وبعد انقضاء يومين من

تسليم أسرى النَّصَارى لِصَاحِبَي السُّمُوّ؛ يتسلَّمُ المسلمون مِئَتَيْ أسيرٍ مُسلِمٍ: مئة من الرَّهائن، والمئة الثانية من غير الرَّهائن.

المادة الخامسة والأربعون:

يُصْدِرُ صَاحِبَا السُّمُوّ أوامرَهُمَا، بإخلاء سبيل ابن الترامي الأسير عند غونثالو فرناندث، وعثمان أسير الكونت تنديا وابن رضوان أسير الكونت قبرة، وإعادة ابن الفقيه محيي الدين وخمسة أشخاص من خاصَّةِ إبراهيم بن السراج الذين فَقَدُوا وعَرَفَ مكانَ وجودهم؛ وذلك في الوقت الذي يُسَلِّمُ فيه صَاحِبَا السُّمُوّ أسرى مدينة الحمراء والبيازين المِئَة، والرَّهائن المِئَة.

المادة السادسة والأربعون:

إذا خضعت أَيُّ ناحيةٍ من نَوَاحِي البشرات لِسُلْطَةِ صَاحِبَي السُّمُوّ؛ فَإِنَّهُ يتأتَّى على المسلمين تسليمُ الأسرى النَّصَارى جميعهم الموجودين لديهم، في مُدَّةٍ أقصاها خمسة عشر يومًا من تاريخ الانضمام؛ من دُونِ أَنْ يُؤَدِّيَ سُمُوُّهُمَا أَيَّ شيءٍ مقابل ذلك التَّسليم، كما أَنَّهُ يجب على هذه النَّوَاحِي؛ تسليمُ أَيِّ رهينةٍ من النَّصَارى لديهم خلال هذه المدة. ويقوم صَاحِبَا السُّمُوّ في مقابل ذلك؛ بإعادة أسرى المسلمين جميعهم المُحتَجَزِين لدى الإسبان.

المادة السابعة والأربعون:

يتعهَّدُ صَاحِبَا السُّمُوّ لِلسُّفُنِ جميعها التي تأتي من العدوة [المغرب] وتَرْسُو في موانئ مملكة غرناطة بِحُرِّيَّة التَّنقُّل جيئةً وإيابًا، وهي آمنةٌ، شَرْطَ أَلَّا تقومَ بنقلِ الأسرى من النَّصَارى، ويُصْدِرُ صَاحِبَا السُّمُوّ أوامرَهُمَا لِلنَّصَارى بعدم اعتراض هذه السفن، أم الإضرار بها، أم بأهلِها، أم بمصادرة شيء منها.

وفي حالِ مُخَالَفَةِ إحدى السفن لهذه التعليمات بنقلِها بعض الأسرى من النَّصَارى؛ فَإِنَّ حَقَّها في الحماية يُصْبِحُ مَلْغِيًّا، ويَحِقُّ لِسُمُوِّهِمَا إرسالَ مُفَتِّشٍ أو مُفَتِّشَيْن يَتَوَلَّيَانِ مَهَمَّةَ تفتيش السفن التي تَعْبُرُ إلى العدوة؛ لِلتَّحَقُّقِ من نَفَاذِ هذه التعليمات.

ملحق رقم (٣): المعاهدة السِرِّيَّة لتسليم غرناطة المعقودة بين أبي عبد الله الصغير، والمَلِكَيْنِ الكاثوليكيَّيْنِ؛ ضون فرديناند وضونيا إيزابيلا

في اليوم الذي وُقِّعَتْ فيه معاهدةُ تسليم غرناطة؛ يوم ٢١ محرم سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني ١٤٩١م. وفي المكانِ نفسِهِ، المعسكر المَلَكِي بمرج غرناطة؛ أُبْرِمَتْ معاهدةٌ أخرى في غايةٍ من السِرِّيَّة مُلْحَقًا لهذه المعاهدة، وقد تضمَّنتِ الحقوقَ والواجبات، والالتزامات والامتيازات التي أُعْطِيَتْ لأبي عبد الله الصغير مَلِك غرناطة، وأفراد أُسْرَتِهِ وحاشيتِهِ، وقد مَثَّلَ المسلمين – في هذه الاتفاقية – القائدُ أبو القاسم المليح وكيلًا لأبي عبد الله الصغير مَلِك غرناطة؛ وَقَّعَها بِاسْمِهِ وَمَهَرَهَا بخاتَمِهِ، وهي تَنْحَصِرُ في سِتَّ عشرةَ مادَّةً على النَّحْوِ التَّالي:

١. يتعهَّدُ مَلِكُ غرناطة، والقادة والفقهاء، والقُضَاة والحُجَّاب، والعلماء والمُفْتُون والشُّيُوخ ووُجَهَاء غرناطة والبيازين وأهاليهما وأرباضها كافَّةً صغارًا وكبارًا؛ أَنْ يُسَلِّمُوا إلى صَاحِبَي السُّمُوِّ، أو مَنْ يَنْتَدِبَانِهِ – في جَوٍّ من الوِفَاقِ والمُسَالَمَة، في مدة أقصاها سِتُّون يومًا، اعتبارًا من ٢٥ نوفمبر عام ١٤٩١م – الأماكنَ التَّالية: قلاع الحمراء، وحصونها، وأبوابها، وأبراجها، وأَيَّ أبواب أخرى في مدينة غرناطة، وكُورها، وكذلك الأبواب جميعها التي تُحَدِّدُها هذه المعاهدة، وأَنْ يُعْلِنُوا عن وَلَائِهِم وطاعتهم وإخلاصهم لِصَاحِبَي السُّمُوّ، وأَنْ يُؤَدُّوا واجبَهُم تِجَاهَ سَادَتِهِم الجُدُدِ شأنَ سَائِرِ رعايا البلاد المُخلِصِين، ولضمانِ سلامة تنفيذ هذه البنود؛ يُقَدِّمُ مَلِكُ غرناطة، وقادتُهُ، والأشخاصُ جميعهم المذكورون أعلاه خمسَ مِئَةِ شخصٍ من أبناء عِلْيَةِ القوم وإخوانِهِم في المدينة، والبيازين، لِصَاحِبَي السُّمُوِّ في المعسكر المَلَكِي بمرج غرناطة؛ وذلك قبل تسليم الحمراء بيومٍ واحدٍ، مُصْطَحِبِين معهم الحاجبَ يوسف بن قماشه ليكونُوا جميعُهم رهائنَ لدى صَاحِبَي السُّمُوِّ، لمدة عشرة أيام يتمُّ خلالها ترميمُ القلاع، وتزويدُها بالمُؤَنِ، شَرْطَ أَنْ يُعَامِلَ الرَّهائنَ إلى حين انتهاء هذه المدة؛ معاملةً حسنةً. وعند انتهاء الأجل؛ يَرُدُّ الرَّهائنَ إلى ذَوِيهِم. وتَسْرِي هذه الاتفاقيَّةُ على صَاحِبَي السُّمُوّ، وابْنِهِمَا الأمير ضون،

خُوان وعَقِبَهُم، وأَنْ يُعَامَلَ أبو عبد الله الصغير، وجماعتُهُ، وأشراف منطقة غرناطة جميعهم، والبيازين، وأَيِّ أماكن أخرى؛ بِعَدِّهِم رَعَايَا وأَتْبَاعًا لهم الحقوقُ نفسُهُ التي للرَّعايَا الأصليِّين، وأَنْ تَشْمَلَهُم حمايةُ صَاحِبَي السُّمُوِّ ورعايتهما، وأَنْ تُتْرَكَ لهم منازلهم، وأموالهم، وأملاكهم جميعها من الآن إلى أجلٍ غيرِ مُسَمًّى؛ من دُونِ أَنْ يَلْحَقَها أَيُّ أَذًى، أو يُصَادِرَ شيئًا منها. وفي مقدِّمة ذلك كُلِّهِ؛ يُعَامَلُ الجميعُ باحترام وتقدير، شأنَ سَائِرِ الرَّعِيَّة من الإسبان.

٢. في اليوم الذي يتم فيه تسليمُ الحمراء، والحصون والقلاع، والأبواب التي حَدَّدَتْها الاتفاقية؛ يقومُ صَاحِبَا السُّمُوِّ بإعادة ابن أبي عبد الله الصغير المحجوز لديهما، مع سَائِرِ الخدم والحَشَم الذين لم يُكْرَهُوا على التَّنَصُّر أثناء احتجازهم إلى الملك أبي عبد الله الصغير.

٣. بعد أَنْ يُنَفِّذَ أبو عبد الله الصغير البنودَ المذكورةَ كُلَّها في المعاهدة؛ يتعهَّدُ صَاحِبَا السُّمُوِّ بِمَنْحِ أبي عبد الله الصغير، وأولادِهِ وأحفادِهِ، وَوَرَثَتِهِ؛ حَقَّ الملكيَّة المُطْلَقة، على الأماكن التَّالية:

الأرجاء والكُوَر في برجة	Las Tahas de Berja
دلاية	Dalias
مرشانة	Marchena
بلذوذ	Boloduy
لوتشار	Luchar
اندرش	Andarax

شبيلش	Jubiles
اجيجر	Ugijar
ارجية	Orgiba
سويهل	Cueihel
بقيرة	Poqueira

على أَنْ يُؤَدِّيَ الضَّرائبَ والإتاوات والرُّسوم المُستحَقَّة جميعها إلى صَاحِبَي السُّمُوِّ، ويَحِقُّ لأبي عبد الله الصغير، وأولادِهِ، وأحفادِهِ، وَوَرَثَتِهِ بحكم الملكيَّة المُطْلَقَة؛ لهذه المناطق، وما يَلْحَقُ بها من الأرجاء المسكونة، وغير المسكونة، وتحصيل خراجها، وموروثاتها، وريعها، وعُشُورها، وحقوقها. كما يَحِقُّ لأيِّ واحدٍ من هؤلاء أَنْ يتولَّى القضاء في هذه الأرجاء والكُور المذكورة بِعَدِّهِ سَيِّدَها، ولكنَّهُ في الوقت نفسه؛ تَابِعٌ خاضِعٌ لِصَاحِبَي السُّمُوِّ. ولا يستطيع أَيُّ إنسانٍ السَّيطرةَ على أَيٍّ من هذه المناطق؛ لأنَّها تُعَدُّ من الناحية القانونية، مُلْكًا شَرْعِيًّا لعبدِ الله الصغير، وله حَقُّ التَّصَرُّف بها، وحُرِّيَّة بيعِها، أو رَهْنِها، متى شاءَ؛ شَرْطَ أَنْ تكون الأولويَّةُ عند البيع أم الرَّهن لِصَاحِبَيْ السُّمُوِّ. وإذا أرادَا شراءَها؛ فَيَتَّفِقَانِ مع أبي عبد الله على الثَّمَنِ الذي يَرْضَى به. ويستطيع صَاحِبَا السُّمُوِّ الاحتفاظَ بقلعة عذرة، وأراضيها، مع سَائِر القلاع، والأبراج المُمتَدَّة على الساحل إذا رَغِبَا بذلك، وإذا شاءَ صَاحِبَا السُّمُوِّ استغلالَ قلعة عذرة، بالإضافة إلى مياهِ شاطئ عذرة – إنْ أَمْكَنَ ذلك – وتبقى القلعة تابعة لأبي عبد الله الصغير؛ بعد أَنْ يُصْلِحَها ويُحَصِّنَها صَاحِبَا السُّمُوِّ، وفي مراحل الإصلاح والتحصين تكون تابعةً لِصَاحِبَي السُّمُوِّ، وبذلك لا يُطَالِبُ صَاحِبَي السُّمُوِّ بالفوائد المُستحَقَّة على القلاع

والأبراج المُمتَدَّة على ساحل البحر. أمَّا حراستُها، وحمايتُها؛ فهي من شأنِ أبي عبد الله الصغير. وأمَّا دَخْلُ هذه القلاع، والكُوَر، والأرجاء، وارداتُها في مراحل الإصلاح، والتقوية والاستغلال؛ فليس لأبي عبد الله شيءٌ منه باستثناء عائدات تأجيرها. لكنَّ هذه القلاع، والأرجاء والكُوَر؛ تبقى مُلْكًا لأبي عبد الله، ولا تُصَادَرُ منه. وإذا أَنْعَمَ صَاحِبَا السُّمُوِّ على شخصٍ ما بشيء من هذه المُمتلَكَات التي أُقْطِعَتْ لأبي عبد الله الصغير؛ فلا يجوزُ له بيعُها، وإذا رأى التَّخَلِّي عنها؛ يقوم صَاحِبَا السُّمُوِّ بتعويضِهِ عنها بالطريقة التي تُرْضِيهِ. أمَّا إذا تُرِكَتْ هذه الأملاكُ للمَلِك أبي عبد الله الصغير؛ فيبقى ريعُها ودَخْلُها من حَقِّ أبي عبد الله كما هو شأنُها الآن.

وفيما بعد من دُونِ أَنْ يتهدَّدَها أَيُّ خطرٍ أو حَجْزٍ، أوِ اعتراضات أخرى.

٤. يُقَدِّمُ صَاحِبَا السُّمُوِّ إلى المَلِك أبي عبد الله الصغير هِبَةً قدرُهَا ثلاثون ألف جنيهٍ قشتالي من الذهب؛ تُعَادِلُ (١٤) كوينتس و(٥٥٠ر٠٠٠) مرافيدي [١]، هكذا وَرَدَ في النَّصِّ. يبعثانِ بها إليه عَقِبَ تسليم الحمراء، والقلاع الأخرى في الوقت المُحَدَّد لها".

٥.يَمْنَحُ صَاحِبَا السُّمُوِّ للمَلِكِ أبي عبد الله الصغير ما وَرِثَهُ عن والدِهِ السُّلطان أبي الحسن كُلَّهُ، سواءٌ في غرناطة، أم في البشرات؛ لتكونَ ملكًا له ولأولادِهِ، وعَقِبِهِ وَوَرَثَتِهِ. وتتضمَّنُ هذه التَّرِكَةُ معاصرًا للزَّيت، وأراضٍ، ومزارع وحدائق "حواكير". وله الحقُّ في بيعها، أو رَهْنها، والتَّصرُّف بها كيفَما يشاءُ؛ كَسَائِرِ الكُوَر والأرجاء التي سَلَفَ ذكرُها،

[١] **مرافيدي (Maravedis) أو (Morabetino):** عُمْلَة إسبانية قديمة؛ تُشِيرُ إلى عصر المُرابِطين، ونفوذِهم السائد في الأندلس. فهي دينار الذهب المُرابِطي الذي أصبح – الصِحَّةُ وزنُهُ وعيارُهُ – النَّموذجَ المُحتَذَى في بلاد المغرب والأندلس. وقد تم سَكُّهُ في مُدُن مغربية وأندلسية معًا. بَيْدَ أَنَّ قيمة "المُرَابِطي" صارت تتأرجح، وصفاتها أصبحت تختلف باختلاف العصور، لدرجة أنَّها في العهود المسيحية المتأخرة بإسبانيا؛ اخْتُصِرَت وقُسِمَتْ إلى ما يُعْرَفُ فيون بالبليون Vellon الذي كان يَسُكُّ إمَّا من مزيج من الفضة والنحاس معًا، أم من النحاس وحدَهُ؛ للمزيد انظر: حتاملة، الأندلس، ص٦٥٦.

باستثناء الأملاك التي كانت بحوزة بني نصر ملوك غرناطة السابقين؛ فإنَّها تبقى ملكًا للدولة، ولا يجوز التَّصرُّف بها إلَّا بِأَمْرِ صَاحِبَي السُّمُوّ.

٦. يَمْنَحُ صَاحِبَا السُّمُوِّ لِمَلِكَاتِ غرناطة، خاصَّةً عائشة والدة أبي عبد الله الصغير وأُخته وزوجته مريمة، وثريا زوجة والدِهِ السُّلطان أبي الحسن علي المعروفة بايسابيل دي سوليس ما كُنَّ يَمْلِكْنَهُ في غرناطة كُلَّهُ، والبشرات من الحواكير والأراضي والأرجاء، والطواحين والحمَّامات؛ لتكونَ ملكًا لَهُنَّ ولِعَقِبِهِنَّ إلى الأبد، ولَهُنَّ الحَقُّ في بيعِها، ورَهْنها، والتَّصرُّف بها كيفَما شِئْنَ؛ مع ما يَلْحَقُ ذلك من الامتيازات الممنوحة لأبي عبد الله الصغير.

٧. تُعْفَى التَّرِكَات جميعها التي وَرِثَها أبو عبد الصغير، والمَلِكَات المذكورات وثريا زوجة مولاي أبي الحسن علي بن نصر؛ من الضرائب، والفوائد، اعتبارًا من الآن إلى الأبد.

٨. يُعْطَى للمَلِكِ المذكور أبو عبد الله (الصغير) وللمَلِكَات المذكورات؛ ما كان ملكًا لهم في مطريل، وتُعْطَى لِلْحَجَّة مريمه العقارات التي كانت لها في مطريل لتسلوي بالامتيازات الممنوحة سابقًا.

٩. إذا استسلمت لِصَاحِبَي السُّمُوِّ أَيُّ قُرًى أو مواقع تابعة للمملكة قبل تسليم الحمراء فعلى صَاحِبَي السُّمُوِّ؛ إعادةَ هذه المواقع جميعها للمَلِك أبي عبد الله الصغير بشكلٍ طَوْعِيٍّ وسوف تَحْظَى هذه الأماكن بعناية أبي عبد الله الحسنة.

١٠. أَلَّا يُطَالِبَ صَاحِبَا السُّمُوّ، أو أَيُّ واحدٍ من سُلَالَتِهِمَا، مَلِكَ غرناطة، أو أَيًّا من أَتْبَاعِهِ في أَيِّ وقتٍ بِتَبَادُلِ ما غَنِمَهُ الطَّرَفَان – المسلمون والنَّصارى – من الأموال والعقارات؛ باستثناء ما تَنُصُّ عليه بعض الاتفاقيات ومعاهدات التَّسليم الخاصة المعقودة بين صَاحِبَي السُّمُوِّ ومَلِك غرناطة، فَيَدْفَعُ صَاحِبَا السُّمُوِّ لِمَالِكِ العقارات ثَمَنًا لها فتنتقلُ ملكيَّتُها إليهما، ويَحْظُرُ على أَيِّ إنسانٍ – نصرانيًّا أكان أم – مُسْلِمًا –

المطالبةُ بأحقِّيَتِهِ بوضعِ يَدِهِ عليها لا بقليلٍ ولا كثيرٍ. ومَنْ يُخَالِفُ ذلك؛ تُتَّخَذُ في حَقِّهِ أَشَدُّ العقوبات الصارمة، ويُعَدُّ خارجًا عن القوانين الإسلامية والنَّصرانيَّة على السَّوَاءِ.

١١. عندما يرغب المَلِكُ أبو عبد الله الصغير، والمَلِكَات المذكورات آنِفًا، وزوجة مولاي أبي الحسن علي والدة أبي عبد الله الصغير، وأولادهم، وأحفادهم، وقادتهم، وأتباعهم، ونساؤُهم وفرسانهم، ورُمَاتُهم، وعِيَالُهم، العبورَ إلى العدوة (المغرب)؛ فَسَيُجَهِّزُ صَاحِبَا السُّمُوِّ سفينتَيْن كبيرتَيْن من مدينة جنوة، للجواز بهم في الوقت الذي يَشَاؤُون، وبحوزتهم أموالهم، وثيابهم، وذهبهم، وفضتهم، وجواهرهم ومواشيهم، وأسلحتهم؛ ما عَدَا ذخائر تلك الأسلحة، من دُونِ مقابل من نفقة، أم أجر، صعودهم السفن أم نزولهم منها؛ مع تأمين وصولهم بطمأنينة، وأمان، وحُسْن معاملة، لأيِّ مكان معروف سواءٌ في المغرب، أم الإسكندرية، أم تونُس، أم وهران، أم فاس، أم أَيِّ مكان يرغبون بالهبوط فيه.

١٢ . إذا لم يتمكَّنِ المَلِكُ المذكور، أو أَيُّ شخص من المذكورين أعلاه من بيعِ عقاراتِهِ المُشَار إليها؛ فَلَهُ الحَقُّ في تفويض مَنْ يَشَاءُ لِتَسَلُّمِ رَيْعِها، وإرسالِهِ له أينما كان دُونَمَا مُعَوِّقٍ أم قَيْدٍ أم غرامةٍ.

١٣. يُسْمَحُ للمَلِكِ أبي عبد الله الصغير – متى شاءَ – أَنْ يُرْسِلَ بعضَ أَتْبَاعِهِ، أو عُمَّالِهِ إلى أرض العدوة (المغرب) للاتِّجَار بالسِّلَع مُصَدِّرِين ومُستورِدِينَ، من دُونِ أَنْ يتوجَّبَ عليهم دَفْعُ أَيِّ نفقاتٍ، أم رَاتِبٍ، أم غراماتٍ مالية مقابل هذا الاتِّجَار في ذهابهم ومكوثهم هناك، ولا في إيابهم.

١٤. يُسْمَحُ للمَلِكِ أبي عبد الله أَنْ يبعثَ بِستِّ دَوَابَّ مُحَمَّلَةٍ بالسِّلَعِ؛ إلى أَيِّ ناحية من النَّواحِي التابعة لِصَاحِبَي السُّمُوِّ من أجل مقايضتِها بالزَّادِ والمؤُونة اللازمة، وتكون هذه الدَّوَابُّ مَعْفِيَّةً من الضَّرائب جميعها في الموانئ والمُدُن والقرى، والأماكن التي تجري فيها المقايضة؛ إعفاءً مُطْلَقًا من دُونِ قَيْدٍ أم نفقةٍ.

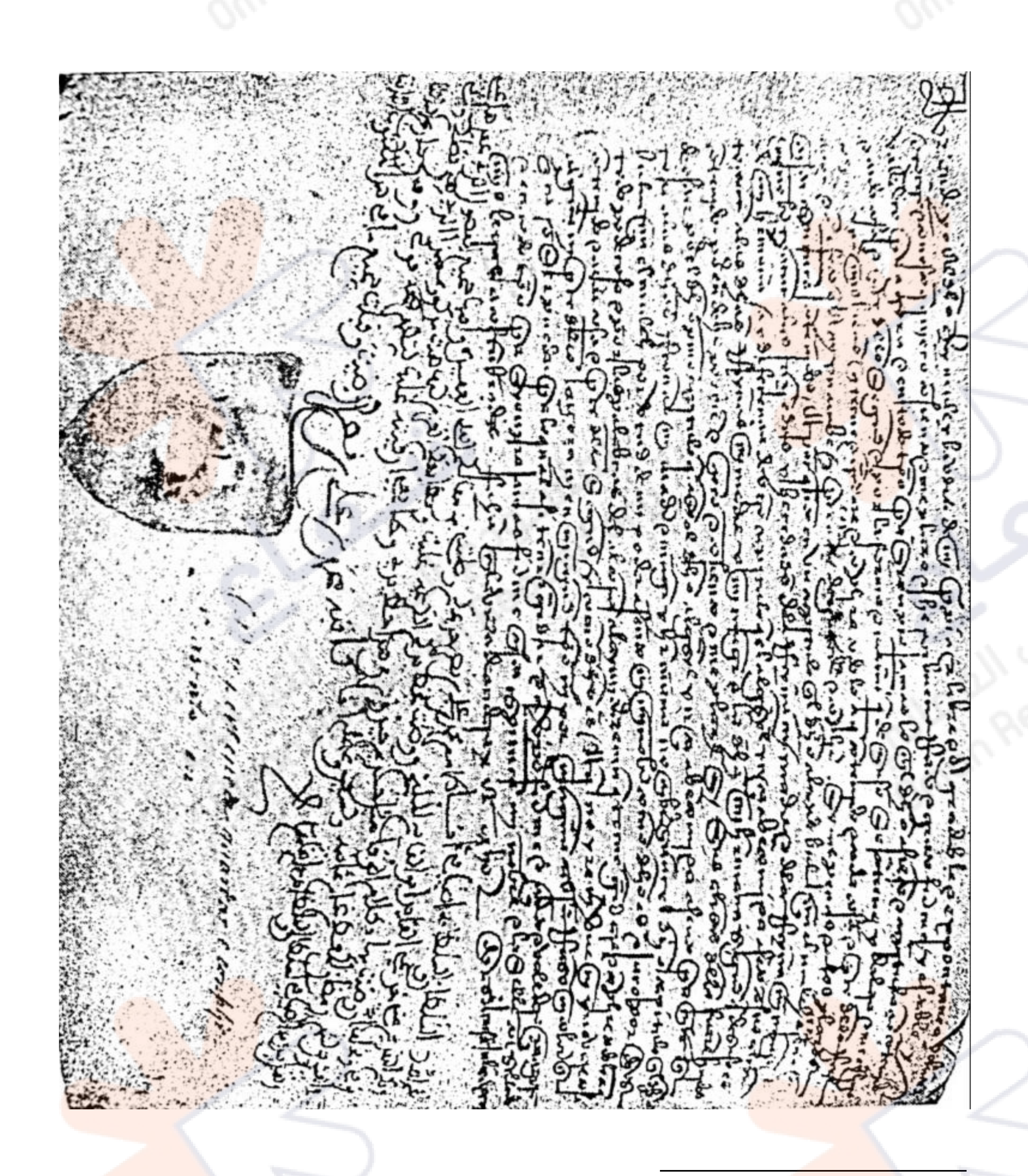
١٥. عندما يخرج الملك أبو عبد الله الصغير من مدينة غرناطة؛ تُمْنَحُ له حُرِّيَّةُ الإقامة والمَسْكَن في الوقت الذي يشاءُ، وفي الأراضي التي اقْتُطِعَتْ له حسب الاتفاقية. ويُسْمَحُ

له بالخروج مع مَنْ يشاء من حَشَمِهِ وقادتِهِ، وعُلَمَائِهِ، وقُضَاتِهِ، وفُرسانِهِ ومَنْ يرغبُ بالخروج معه كُلِّهم؛ بخيولهم، ودَوَابِّهِم، وأسلحتهم، وبرفقة زوجاتهم، وعبيدهم، ولا يُؤْخَذُ منهم سِوَى الذخائر التي سَيَضَعُ صَاحِبُ السُّمُوِّ عليها أَيْدِيَهُمَا. ولن يُفْرَضَ على أَيِّ من ذُرِّيَّتِهِم – في أَيِّ وقتٍ – وضعُ علامة مُمَيِّزَة لهم في ثيابهم، ولهم أَنْ يتمتَّعوا بِسَائِرِ الامتيازات المُتَّفَق عليها في وثيقة تسليم مدينة غرناطة.

١٦. يأمرُ صَاحِبَا السُّمُوِّ بإعطاءِ ما ذُكِرَ في الاتفاقية كُلِّهِ للمَلِكِ أبي عبد الله الصغير والمَلِكَات، ووالدتِهِ وزوجِهِ ووالدة مولاي أبي الحسن، وذلك في اليوم نفسه الذي يتسلَّم فيه صَاحِبَا السُّمُوِّ الحمراء، والقلاع جميعها التي أُدْرِجَتْ ضِمْنَ هذه المعاهدة [١].

[١] وثيقة سرية تتعلق بأسرة ابي عبدالله الصغير، وتأتي ضِمْنَ المجموعة الأولى، وتحمل رقم (Archivo General De Simancas, P.R.Leg.II.Fol.206)، وثيقة سرية تتعلق ببيع ممتلكات أبي عبدالله الصغير في البشرات (جنوب غرناطة)، وتحمل رقم (Archivo General De Simancas, P.R.Leg.II.Fol.203)، ويمكن للباحث أَنْ يَعْثُرَ على هذه الوثائق جميعها المحفوظة ضِمْنَ مجموعة: Capitulaciones Con Moros Y Caballeros de Castilla، نقلًا عن: حتاملة، الأندلس، ص ص: ٦٥٣-٦٥٨.

ذَيَّلَ المعاهدةَ النهائية التي عُقِدَتْ بين المَلِكَيْنِ الكاثوليكيَّيْن وأبي عبد الله بتاريخ ١٥ أبريل عام ١٤٩٣م؛ وفيها يتعهَّدُ ببيعِ أملاكِهِ ومغادرة إسبانيا. وقد ذَيَّلَ عليها أبو عبد الله بِخَطِّهِ بالقَبُولِ، وبَصَمَها بِخَاتَمِهِ وذلك بتاريخ ٢٣ رمضان ٨٩٨هـ/ ٧ أغسطس عام ١٤٩٣م [١].



---

[١]عنان، نهاية الأندلس، ص٢٧٩.

الملحق رقم (٤): رسالة الحجري إلى أربينوس عام (١٠٢٠هـ/ ١٦١١م).

(الحمد الله والسلام على مَن أتبع الهدى واستحمى مِن جبار الأرض السما سلام أرق من نسيم الأسحار وأفواح المسك الأدفار وأمَّا بعد فإنَّنا بلغني الأثير كتابكم وفرحنا به وعَلِمَنا خطابكم وعَجِبْنَا ما ذكرتُم في مدح العلم واعلم أَنَّ في كتب السُّنَّة وردت أحادث كثيرة عن نبيِّنا صلَّى الله عليه وسَلَّمَ أنَّهُ قال العلماء ورثة الأنبياء ولولا العلم والعلماء ما عُرِفَ الله وقال من عبدالله بلا علم مثله كمثل رجل يُكَيِّلُ البحرَ لا يدر ما زاد فيه ولا مَا نقص منه وقال مَنْ تَعَلَّمَ العلم وعلَّمه كان له أجرُهُ وأجرُ مَنْ عَمِلَ به إلى يوم القيامة هَدَانا الله واياكم لعمل الخير بفضله إنَّه على كل شيء قدير وما ذكرتُم أنَّكم مَولّعِين في لغة العربية هو لسان مختَصَر عجيب يظهر الأعراب في لفظ الكلمة والتثنِيث والتثنية مَا لا يظهر في لغات كثيرة واختصار الكلام مبني على فوائد وحكم قال الشاعر لو عَلِمَ الطَّيْرَ مَا في النحو من طرب لخرَّ ولا دق بالمناقير وَمَا ذكرتُم من تفسير بعض كلمات القرآن اعلم ان مَنْ أراد ان يعلم تفسيره ومَعَانيه ينبغ له علوم كثير مثل النحو والمنطق واللغة مثل كتاب الزبيد [ي] والجوهري وعلم البيان وتفسير ابن عطية والإمام الفخر، ومَنْ يقرَ هذا العلوم يقدر ان يفسر بعض القرآن وعُبَيْد الله كاتب هذا لا يدرِ من هذا العلوم إلَّا شيئًا قليلًا ومن البيان حتى حَرْف واعذر الحال في جوابي وَمَا ذكرتم من رسايل البروات فكانوا في زمان النبيَ يقولون في ابتداء البراة بسم الله الرحمن الرحيم صلَّى الله على محمد وآله، من فُلَان بن فُلَان إِلَى فُلَان بن فلان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد والآن يشتغلون بالكذب والرِيّاء يقولون للكبراء من الناس حَفِظَهُ الله نجبة السيد لأمضى الأرض لأنجم الأحب القايد فلان والسيد فلان ولا نعلم من هذا الفن شيء لأنَّه كذب والكذب حرم.

كتب عبيد الله تعالى ثم حبيبه أحمد بن قاسم الأندلسي).

صورة رسالة الحجري الأولى وهو بباريس إلى توماس أربينوس في سبتمبر ١٦١١م[١].

الحمد لله والسلام على من اتبع الهدى واستحى من جبار الارض والسما سلام
ارق من نسيم الاسحار وافوح من المسك الاذفر واما بعد فاننا بلغنا الاثير
كتابكم وفرحنا به وعلمنا كتابكم وعجبنا ما ذكرتم في مدح العلم
واعلم ان في كتب السنة وردت احاديث كثيرة عن نبينا صلى الله عليه
وسلم انه قال العلماء ورثة الانبياء ولولا العلم والعلما ما عرف الله وقال
من عبد الله بلا علم فمثله كمثل رجل يكيل البحر الابد ما زاد فيه ولا
نقص منه وقال من تعلم العلم وعلمه كان له اجره واجر من عمل به
الى يوم القيامة هدانا الله واياكم لعمل الخير بفضله انه على كل شي
قدير وما ذكرتموا انكم تولعتم في لغة العربية هو لسان مختصر
عجيب يظهر الاعراب في لفظ الكلمة والتانيث والتثنية ما
لا يظهر في لغات كثيرة واختصار الكلام مبني على فوايد ويكم
قال شاعر لو علم الكبير تابع النحو من طرب لخر وآذق بالمنافر
وما ذكرتم من تفسير بعض كلمات القران اعلم ان من اراد ان يعلم
تفسيره وكانه ينبغي له علوم كثير مثل النحو والمنطق واللغة
مثل كتاب الزبيدي والجوهري وعلم البيان وتفسير ابن عطية
ولامام الفخر ومن يعرف هذا العلوم يقدر ان يفسر بعض القران
وعبيد الله كاتب هذا لا يدري من هذا العلوم الا شيئا قليلا ومن
البيان حتى حرف واعذر الحال في جوابي وما ذكرتم من رسايل
البروات فكانوا في زمان النبي يقولون في ابتداء البراة بسم الله الرحمن
الرحيم صلى الله على محمد والمن من فلان بن فلان الى فلان بن فلان سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وبعد والان يشتغلون بالكذب والريا يقولون
للكبراء من الناس حفظك الله نجيب السيد لا حصى لا رضى لا نجيب لا حسب
القايد فلان والسيد فلان ولا نعلم من هذا الفن شيء الا الكذب والكذب

---

[١]محفوظة في بريطانيا، جامعة مانشستر مكتبة جون ريلاندس، تحت رقم [PersianMs. 913, 88] ، ونسخة إلكترونية مُصَوَّرَة عنها موجودة على الرابط:

http://www.Kent.ac.uk/ewto/Projects/arabsinthewest/chapters/chpter4.html#a-Wonderful-Language-8

نقلًا عن: الخطيب، أحمد بن قاسم الحجري، ص١٤٥.

الملحق رقم (٥): نَصُّ رسالة الحجري إلى الموريسكيِّين في القسطنطينية.

بسم الله الرحمن الرحيم [و] صلَّى اللهُ على سيِّدنا ومولانا محمَّد وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تسليمًا

نَسَخَ للرسالة التي كَتَبَها أحمد بن قاسم الحجري. مُفَسِّر أو تُرْجُمَان ملوك المغرب وهو الذي شَرَحَ الكتاب السابق الذي يتحدَّث عن عظمة معجزات نبيِّنا الكريم، والكتب الصحيحة والموثوقة المنقولة عن العلماء الكبار. والرسالة كانت قد كُتِبَتْ منذ سنوات عديدة؛ من بلاط الملك بباريس هذه إلى الأندلسيِّين الذين يعيشون أو يسكنون في القسطنطينية وتاريخ الرسالة يعود إلى واحد ربيع الأول من سنة واحد وعشرين وألف (١٠٢١هـ)، شهر مايو اثْنَيْ عَشَرَ وسِتِّ مئة وألف بالتاريخ المسيحي. وبعد تَسَلُّمِها ومطالعتها في القسطنطينية؛ نَقَلَها إلى تونُس الإمام محمد بن عبد الرفيع، وهو شريف أندلسي. عندما عُدْتُ من البيت الحرام بمكة إلى مدينة تونُس قُمْتُ بنسخِها وطَلَبَ مالكُ هذا الكتاب أَنْ أكتبَ له نسخة منها، وهو هذا الذي يلي. فأقول: إلى السيد الدكتور بيراث بولحاس والسيد بالديبيا وإلى الأندلسيِّين الآخرين الذين كانوا في إسبانيا، وإلى السيد تابيا، في القسطنطينية وداخلها[كذا].

بسم الله الرحمن الرحيم وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا محمَّد وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تسليمًا

لأنَّنَا لم نَلْتَقِ منذ أربع عشرة سنة، فسأسمح لنفسي بالإطناب في هذه الرسالة، فأنا متأكد أنَّكُم ستتفهَّمُون لماذا أكتب هكذا، وسأتحدَّثُ عن الأمور التي حصلت معي منذ وَدَّعْتُ حضرتَكم في إشبيلية .التي كنتُ فيها مستاءً جِدًّا من فياكاس وأخيهِ؛ فاضطررتُ لتركِهِم في القارب كَيْلَا تَحْدُثَ المزيد من الخسائر المُنتظَرة جِدًّا إذا اكْتُشِفَتْ أعمالنا . في الأخير تركتُهم ومعي الشاب القُرطبي؛ أَبْحَرْنَا من ميناء سانتا ماريا إلى مازاكان . التي هي على حدود شاطئ بربريا المكان الأكثر تحصينًا؛ أَيْنَ يجب أَنْ يكون منتصف العالم والمأهول من البرتغاليِّين . وهُمْ أشخاص مُوْلَعِين بالحرب؛ لأجل ذلك وأكثر

تَخَفَّيْنَا بالخدمة على الحدود، وقد كان الفرسان والرُّمَاة يترصَّدون أهلَ عقيدتِنا . وبعد شهرين خرجْنَا هاربين نحو أزمور، وهي مدينة خاضعة للمُور، على بعد ثلاثة فراسخ من مازكان، ومن هناك توجَّهنا إلى المغرب؛ فَوَجَدْنَا حَيًّا يسكنُهُ أهلُ أُمَّتِنَا، أين قابلتُ فياكاس وأخيه، اللَّذَيْنِ حَمَلَا عددًا من الموريسكيين في أحدِ القوارب الصغيرة وجَلَبُوهُم جميعًا إلى هناك . كذلك قابَلْنَا القائد بن تودة . ولم نكن سعداءَ من انتهازية الفياكس وأخيه؛ اللَّذَيْن ظَلَّا أعدائي في المغرب بعد سِتِّ سنوات، كان لدى الفياكس بندقية محشوَّة أعطاها لخادم، وأرادَهُ أَنْ يُطْلِقَ النار؛ فلم يشتعلِ الفتيل بسرعة، والجاهل يُثَبِّتُ ويُحَرِّكُ فَمَ الماسورة إلى سَيِّدِه . وفي هذه اللحظة أطلقَ النَّارَ نحوَهُ فماتَ.

أمَّا القائدُ بن تودا فقد كان من بين أعيان المملكة، وبعد ثلاث أو أربع سنوات تُوفِّيَ . وقَتَلَ مَلِكُ فاس ابْنَهُ الأكبر؛ الابْنَ الذي باعَ العرائش للمسيحيِّين من دُونِ أيِّ سببٍ سوى أنَّهُ كان سكرانًا فأَطلَقَ عليه [النَّارَ] من مُسَدَّسِهِ.

القائدُ بن تودة في تعبيرٍ منه عن صداقتِنا في إسبانيا سعى إلى إلحاقي بالمؤسسة المَلَكِيَّة؛ لكنَّنِي رفضتُ وبقيتُ مُحَافِظًا على حُرِّيَّتِي . مع ذلك كُلِّهِ حَدَّدَ لي المَلِكُ عطايا كريمة؛ فسببُ رَفْضِي كان حداثةَ المملكة والقلاقل التي كانت بها . وبعد أَنْ كُنتُ قد درستُ لبعض الوقت؛ تزوَّجتُ من ابنة البرطال، وَهُمْ أَصِيلُو مدينة غرناطة، ولديَّ ولدان وبنتان في المغرب، وعشتُ دائمًا في سلامٍ شخصيٍّ، لكنْ أَشْبَعَ الحزنُ قلبي وأنا أرى الحرب الأهلية والفُرْقَة التي حصلت بعد موت مولاي أحمد؛ الذي حَكَمَ منذ الحرب التي خَسِرَها سيباستيان مَلِكُ البرتغال التي كانت منذ خمس وعشرين سنة، تَرَكَ ثلاثةَ أبناء دَمَّرُوا المملكةَ تمامًا . دارت بينهم سِتَّ عشرةَ معركة في غضون سبعة أعوام . مات خلالَها أكثر من سِتِّين رجُلًا، وكانتِ الحروب الأهلية متعدِّدة ما جَعَلَ النَّاسَ غير قادرين على الاشتغال في حقولهم .فكانتِ النتيجة مجاعةً دامت سنوات عديدة؛ مات فيها من الجوع عددٌ كبير من الناس، ونحنُ في فرنسا، قيل لي .أَنَّهُم في المغرب انتهى كبارُ المملكة أَنْ يُنَصِّبُوا عليهم رَجُلًا عارِفًا بصِحَّة جيدة . الأندلسيُّون المساكين الذين

كانوا يسكنون المملكة منذ القديم وأولئك الذين أُمِرُوا بمغادرة إسبانيا؛ أغلبُهُم ماتوا، وبَقِيَ الحَيُّ مَحْشُوًّا بالأيتام والنساء.

فيما يتعلق برغبة حضرتكم معرفة الأحداث المتعلقة بهذه المأساة الجديدة وعملية التَّهجير وما يَحدُثُ في مملكة إسبانيا، التي تُسَمَّى هنا هكذا . أقول سادتي أَنَّ أَتْبَاعَكُم لن يكونوا سعداء حتى في أحسن بقعة في الموريسما؛ فالاعتقاد أنَّهُ ستمرُّ على الغرباء سنوات قبل أَنْ يُعَامَلُوا جيِّدًا، حتى لو كانوا في أفضل مكان.

فيما يتعلق بإفريقيا، من المغرب إلى تونُس؛ فهي حسب رأيي منطقة يُمكِنُ تسميتُها "مُطَهِّر الغُرباء لِمَنْ يبحث عن عالَمٍ صالِحٍ" ويُحزِنُنِي كثيرًا أَنَّ الذين خَرَجُوا إلى تونُس حسب ما كَتَبَ "مارمول "في كتابِهِ "وَصْف إفريقيا"؛ إِنَّهُ في هذا المكان لن يتوفَّر ما يكفي من المياه العذبة للفقراء، ولأَنَّهُ لديهم آفتَيْنِ: الأولى هي الأعراب، والأخرى هي عدم تسامُح العلوج والأتراك؛ الأمرُ نفسُهُ ينسحبُ على الجزائر وتلمسان . أمَّا فيما يتعلق بأولئك الذين في مملكة فاس ومراكش؛ فقد خَرَجَ إلى تطوان والموانئ المحيطة نحو سِتِّين ألف شخص وإلى مراكش . عانَوْا في هاتَيْنِ المملكتَيْن من نَهْبِ الأعراب والحروب الأهلية، وفي الأحوالِ كُلِّها حالُهُم أفضلُ لأنَّهُم لم يكونوا هدفًا لمحاكم التفتيش.

أمَّا الذين توجَّهُوا إلى القسطنطينية وأنحاء من بلاد الشام؛ فَسَيُعَامَلُون بعدلٍ أكبرَ، ويَلْقَوْنَ حُكْمًا أفضلَ، لأنَّ هناك سُلْطَاتِ إمبراطور الشرق، وستكون ظروف الناس أفضل وسيتمتَّعون بطقس أكثر برودة من طقس إفريقيا؛ الذي مع الحرارة يُحْرِقُ الدَّمَ، فلا ينقص الحسرة، ولا الأحزان.

بالنسبة لِلَّذِين قَدِمُوا إلى مراكش فقد جاؤُوا في أربعة قوارب وهُمْ من قرطبة وأورناتشوس وإستجة وسانت لوغار، وكان الفرنسيُّون الذين حَمَلُوهُم قاموا بسرقتهم، وتركوهم بإحدى الجُزُر غير المأهولة، على بُعْدِ مرحلة واحدة من بربريا، وبَقَوْا هناك سبعة أيام فمات منهم نحو أربعين شخصًا من الجوع والعطش . وسُرِقَ من السفن

الثلاث نحو ثلاثين ألف دوكادوس، ومن سفينة الأورناتشين ثلاثون ألف أخرى . أمَّا بالنسبة لجماعة إستيجة فقد كانوا على الجزيرة، وكان الآخَرُون يُقَرِّبُهم إلى البرّ الرَّئيس؛ في الأخير أنقذتْهُم سفينةٌ أنقليزية، وفي الحقول عَامَلَهُم الموروس معاملةً جيّدةً جِدًّا، وأعطَوْهُم العديدَ من الصدقات، كذلك وَهَبَهُم مَلِكُ المغرب ثلاثة آلاف دوكادوس، وأعطاهم تُجَّارَ المدينة وأَحسَنُوا إليهم، واسْتُقْبِلُوا على أحسن ما يكون.

ثم جاءَنا الخبر أَنَّ مَلِكَ فرنسا أَمَرَ بمُعاقبة اللصوص، وهكذا رَجَانِي كُلُّ القادمين، وأعطَوْنِي توكيلًا عامًّا في هذه المملكة. كما أعطانا مَلِكُ المغرب رسالةً، وترخيصًا لأحملَ معي خمسة رجال من المنهوبين.

مضت سنة ونحن هنا ولم نستطعِ استرجاع أَيِّ شيء؛ قالوا لي أَنْ أسعَى بالطَّرائق العادية (الرُّوتينية)؛ لكنَّنِي لم أُرِدْ فِعْلَ ذلك، وفي هذا الوقت قَرَّرْتُ أَنْ أعودَ أدراجي إلى فرنسا وعُدتُ لأُطلب من المَلِكِ أَنْ يُعطِيَنِي تفويضًا إلى قاضي يهتمُّ بشؤوني.

وفي هذا الوقت كَاتَبَنِي ألونسو دي كامبوس الذي كان في أرشيدونيا وفي مالقة بأنَّهُ قد تَعَرَّضَ للسَّرقة من الجنويين، وبأنَّ لديه معلومات عن سِتِّ سفن قام بِنَهْبِهَا الفرنسيُّون، وتَوَسَّلَنِي أَنْ أتلقَّى معلومات من هذا القبيل لِلتَّمِكّن من متابعة أمثال هذه الدَّعَاوَى القضائية.

كذلك كَاتَبَنَا خيرونيمو دي لا كويبا، أصيل باتخا، الذي قام بسرقتِهِ أحدُ الفرنسيِّين؛ الذي سَيُسْجَنُ قريبًا، إِنْ شاء الله، وقَدَّرَ المسروقات بأربعين ألف دو كادوس؛ ورَجَانِي كذلك أَنْ أتوكَّل عنه . كَاتَبْتُ الذين أرسلوا لي المعلومات؛ مع إِنَّ خيرونيمو دي لا كويبا قال بأنَّهُ سيأتي إلى هنا، وهكذا أدركتُ أَنَّ مجموع سَرِقَات البحَّارة الفرنسيّين سيكون أكثر من ثلاث مئة ألف دو كادوس؛ كُلُّها، أو أغلبُها ضاعت وأُكِلَتْ وقُسِمَتْ.

وفي الأخير طلبتُ من المَلِكِ أَنْ يُعطِيَنِي مرسومًا، وبمساعدة كبيرة من ثلاثة أشخاص تحصَّلتُ عليه: الأول هو السيد دي ليلو؛ الذي كان طبيبًا للمَلِكِ في المغرب

لسنوات عديدة . الآخَرُ هو سكرتير المَلِك ويُسَمَّى السيد مانها؛ وهو رجل رائع زارَ أنحاء إسبانيا جميعها؛ ثم السيد هوبارت، طبيب الملك، وأُستاذ عربية. زارَ كذلك المغرب بأمرٍ من مَلِكِ فرنسا في الوقت الذي كنتُ فيه في خدمة الملك.

عَيَّنَ لي المجلس الأعلى لِمَلِكِ فرنسا وسيطًا . يقُول في المرسوم أنَّها أرادت وأوامرُهُ أَنْ تُسَلِّمَ لي أغراض الموريسكيِّين جميعها، وفي رسائل المَلِك يقول ويأمرُ أَنَّ ما يُعْمَلُ كُلَّهُ هو على شرف السيد الكبير؛ الذي كَاتَبَهُ بشأن قضية الموريسكيّين وأرسلَ إليه الأغوات.

كان السيد تابيا هنا معي وهو مفاوض جيد، أدركتُ معرفتَهُ للسَّيِّدَيْن اللَّذَيْنِ قلتُ أنَّهُمَا دَعَمَانِي؛ أرجو بشدة أَنْ يُراعَى معروفُهم، فإذا كانوا في حاجة في أَيِّ يومٍ من الأيام للمساعدة فتجب مساعدتهم، لأنَّه بالإضافة إلى أنَّهُم رجال أصحاب شَرَفٍ كبير بمساعدتي؛ فقد دَعَمُوا أُمَّةً في خِضَمِّ العاصفة مسحوقةً في هذه الأزمان.

كذلك أرغبُ في أَنْ يتم تقديم الشكر لسفير فرنسا من أجل ما فَعَلَهُ كُلَّهُ لصالح الموريسكيِّين، وأَنْ يتمَّ إخبارُهُ بما كتبتُ؛ وأَنْ يتم نِيَابَتِي عند السيد الكبير . أعزَّهُ الله، الداعم لإنجاز هذه الأمور، وأَنْ يتم إعلامه أَنَّ دَعْمَهُ أعزَّنَا في هذه الأرض؛ ولهذا السبب عَمِلْنَا على أساس جيد.

سيكون من العظيم جِدًّا إذا أمكنَكم أَنْ تُحضِرُوا شيئًا وأَنْ تُسعِفُوهم ببعض القليل من الحاجيات الكثيرة التي يطلبون . وسيكون لحضرتكم جَزَاؤكُمُ من الثواب وعندما لا يكون مُمْكِنًا إرسال رسالة خاصة؛ على الأقل يتمُّ إعطاء الأمر أَنْ يَكتُبَ السيد السفير توصيةً تتعلق بشؤوني، وهو ما سَيْمَنُع [إطالة إقامتي] هنا؛ فالقضايا في فرنسا طويلة جِدًّا . وهو ما سَأُنَبِّهُ له دائمًا، وأَعْرِضُهُ هنا، وما كَاتَبُونِي به في رسالة للسيد هوبرت الذي يُرَاسِلُ السَّفيرَ دائمًا.

أردتُ أَنْ أَعْرِفَ بعض الأشياء من أجل تدوينها بشأن هذه العاصمة؛ كعدد السُّكَّان والنُّبَلاء والحروب مع مَنْ هُمْ في حالِ سِلْمٍ، مع الفرس الذين قدم سفرائهم إلى إسبانيا في الشهور الماضية.

مدينةُ باريس كبيرة جِدًّا، يقولون أَنَّ بها سبعَ مئة ألف شخص؛ في ازدهار متزايد؛ المنازل مَبْنِيَّة من الحجارة المصقولة وهي عالية جِدًّا وعجيبة؛ وفي كُلِّ فرنسا المعمارُ أجمل من ذلك الموجود في إسبانيا، كذلك رجال البلاط الفرنسيُّون أكثر نُبْلًا وحُبًّا للاطِّلاع من الإسبان وأكثر ذكاء.

يُدَرَّسُ في هذه المدينة كُلُّ أنواع العلوم بِلُغَاتٍ مختلفةٍ كاللاتينية، والعِبْرِيَّة، واليونانية، والعربية؛ في كُلِّ يوم تُطْبَعُ كُتُبٌ في عِلْمِ العربية؛ هكذا في روما، وهولندا، وألمانيا، وباريس؛ يُترجِمُون بعض الكتب ويُوَقِّفُون في الغالب.

كنتُ أرغب لو كان بالإمكان الذهاب إلى هناك لأرى إذا أمكنَني القيام ببعض المساعدة في هذا الحَدَثِ الكارثي القاسي الجسيم الذي يَحدُثُ في إسبانيا على حدود سبتة وطنجة؛ إِنَّ الأبناءَ كُلَّهم يَأْخُذُونَهم من آبائهم، حتى لو تَجَاوَزُوا السنوات العشر؛ كذلك في إشبيلية أخذوا أبناء الأشخاص الذين خرجوا في أربع عشرة سفينة، وكانتِ الأصواتُ التي تُصْدِرُها الأُمَّهَاتُ عاليةً جِدًّا؛ فكان الإشبيليُّون يقولون الحساب . البعضُ من هؤلاء الأشخاص قَدِمُوا إلى المغرب، فلم تستطعِ الأُمَّهَاتُ تمييزَهُم بأيِّ طريقة؛ فَفَقَدَت بعضُهُنَّ عقولَهُنَّ . كذلك قَدَّمُوا لي توكيلًا بشأن هذا الموضوع؛ فَقُمْتُ بمراسلة سفير إسبانيا في باريس، وقال لي أَنَّهُ من الضروري [تقديم] اسْمِ الأُمَّهَاتِ كُلِّهِنَّ وهُنَّ يُطَالِبْنَ، وهكذا طالَبُوا هناك ببعض الأمور بشأن هذا الموضوع، فلعلَّ السَّيِّدَ الكبير يُعطِي أَمْرًا، أو عبرَ طريق فرنسا هذا، وأَتْرُكُ كُلَّ شيء إلى حُسْنِ تقدير حضرتِكم.

فيما يتعلق بأولئك الحمقى الذين كانوا في إسبانيا، فقد وَقَعَت مقاضاتُهم كَيْلَا يُسَاءَ فَهْمُهُم؛ فأعطى الملكُ أَمْرًا إلى الكوندي دي سالاثار من أجل محاكمتهم، والاطِّلاع على الحُجَج . وبعد أَنْ أَنْفَقُوا أموالهم؛ أَمَرُوهُم بالخروج، أمَّا بالنسبة لِلَّذِين

عادُوا عبرَ فرنسا؛ فقد أَعْطَوْهُم خوبونس ولا يدفعون الألكابا عشر سنوات في السفن . ولا يجب فعلُ شيء لأولئك الناس الذين بَقَوْا في إسبانيا وفي أراضي المسيحيِّين.

أَبْحَرَ من سانت لوكار دي لوث خمسةُ قوارب نحو آسفي في المغرب، وخمسةٌ أخرى في شهر ديسمبر بينهم كان بلنسية مع قاربِهِ، الذي كان نصفُهُ مُحَمَّلًا بالقادمين من روشالا الذين كانوا هناك مسجونين قبل السيد محمد تابيا الأيادي، وأرسلَ لهم المُحَلَّفِين السَّادة آباءَ وإِخْوَةَ السيد پايثانثيادو بولهاس قَبَّلَ الأيادي؛ قَبَّلَ السيد بالدوبيا الأيادي . وهو ما عرفتُهُ من خلال السَّمَاع وقَبَّلَ كُلَّ شيء من الأُمَّة الموجودة هناك، وعندما جاء إلى هناك السيد الدكتور ساكوبيا وَكُلَ جماعتُهُ السِّيِّدَ طوليدانو فرنشيسكو، فارا والسرتيين خوان دي توراس، السيد سالثادو والسادة الآخرين، وبَقِيتُ على حذرٍ شديدٍ حتى عرفتُ أَنَّهُم وَصَلُوا في حالة جيدة، فليتقبَّلْ الَّذِينَ عرفتُهم كُلَّهُم في سان خوان دي لوث احترامي كُلَّهُ، وجميعُهم رَجَوْا أَنْ أَقْرأَ لهم صلاةً أجعلُها للهِ.

يُوْجَدُ في مراكش السيد بارشي بوانو؛ لديه أطفال، كذلك السيد ألكواثيل والسيد القلعي دي بايكا، وسيباستيان ابن فيليب دي توليدو أخوه الصغير؛ الذي كان أَبُوهُ وأخوهُ الكبيران قد تُوفِّيَا هناك، والعديد من المعارف الآخرين؛ الَّذِين لن أكتبَ عنهم كَيْلَا أُطيلَ، إذا كان هناك أحدٌ سيكتب بأمثال ذلك سأكون شاكرًا له في الصَّلوات.

في باريس، في شهر أبريل؛ تم تنظيم حفلات كُبرى: أين يُنْفِقُ الفرنسيُّون آخِرَ ما يبقى لديهم من جنيهات على شَرَفِ زِواجِ ملك فرنسا وأخته وَلِيَّة العهد، مع وَلِيِّ عهدٍ وابنة ملك إسبانيا . انزعج كثيرًا الكاثوليك البابويِّين، وكان الأمرُ ذَا وَطْأَةٍ ثقيلة على رجال الدين؛ الذين كانوا على وَشَكِ التقاتل.

الرَّدُّ يكونُ إلى السيد السفير أو إلى السيد بريثات في باريس، سكريتيرات السيد السفير كَيْ تُرْسلَ إلى السيد أوبارت؛ أحد أطباء الملك الدَّائِمِين، وما زِلْتُ أطلبُ رسالة من السيد الكبير، الذي يُسَمُّونَهُ هكذا هنا، مُخَصَّصَة لمعاملاتي . ولا تَمَلُّوا من طلبِ الدَّعم إلى الأُمَّة؛ فالموريسكيُّون كانوا مَعْدُومِين في خِضَمِّ العاصفة، والآن أصبح لهم

شأنٌ لأنَّ لديهم مَلِكًا؛ أعظمَ إمبراطور في العالم، كانوا كالخِرْفَانِ من دُونِ راعٍ واليوم أصبح لديهم.

كاتبتُ مُلوكَ إفريقيا كما فَعَلَ السيد الكبير الذي كَتَبَ قبل الآن رسائل لصالح الموريسكيّين، وهو ما أَسْعَدَهُم بشدة. سيأتي اسْمِي مع الرسالة ليكون أكثرَ وضوحًا، وإذا أعطيتُمُوها إلى مُترجِم أَرْسِلُوا لي النسخة الفرنسية . وبهذا تنتهي الرسالة .

أحمد بن قاسم بخارنو، الأندلسي

وصلتِ الرسالةُ إلى القُسطنطينيَّة وحصلتُ على الرَّدِّ في باريس؛ واحدة مُرْسَلَة من محمد بولحاس وأخرى من الفقيه الإمام محمد بن عبد الرفيع . وقالوا لي أنَّهُ وَقَعَ الإجماعُ على أَحَدِ الأسماء لِيُطالِبَ بِاسْمِ أولياء الأطفال الذين أَخَذَهُم المسيحيُّون. كان للرسالة التي كَتَبَها السفير إلى المجلس الأعلى بباريس تأثيرٌ ؛ فأخيرًا تَمَكَّنَّا من استرجاع بعض الأمتعة وحَمَلْنَاها إلى الذين أَعْطَوْنَا التوكيل.

وما تركتُ كتابتَهُ في الرسالة التي كتبتُها إلى القسطنطينية؛ لأنَّها كانت بأيدي الفرنسيّين وما دُوِّنَ بها هو من مسائل الدولة . كما كان بسبب التحالف بين الملوك الأقوياء، اللَّذان هُمَا مَلِكُ إسبانيا ومَلِكُ فرنسا، بَدَا لهم أَنَّ إمبراطور المؤمنين الذي هو من المنزل العثماني، يُغَيِّرُون الصفة واللَّقَب الذي يُعطُونَه إلى السيد الكبير؛ لأنَّهُ لا يُوجَدُ مَلِكٌ في العالم يُعطُونَهُ كهذا اللقب؛ وعملوا يقولون [كذا] بأنَّهُ يُسَمُّونَهُ هناك أمام إمبراطور المسلمين.

كما أنَّهُم صَنَعُوا قَالَبًا لِصُوَرِ المَلِكَيْن؛ كُلُّ واحدٍ مع خطيبتِهِ، وأبياتَ شعرٍ بالفرنسية؛ التي تَمَّت قراءتُها، وتقول أنَّ التُّرْكِيَّ الكبير ارتعدَ خوفًا من هذه الزِّيجَات؛ وهذا التَّحالُف؛ ثم حَظَرُوها جميعًا، أمثالُ هذا يكون سببًا في الغُرور والتَّعجرف . وسَحَقَ سيِّدُنا المتعجرفين وأتاح أَنْ يكون هناك بين هذَيْنِ المَلِكَيْن حروبٌ داميةٌ جِدًّا،

لكنْ من خلال التَّزاوُج تقلَّصت وتضاءَلت . وَوَعَدَ الرسولُ الكريم في أحاديثِهِ الشريفة، إِنَّ عقيدتَهُ المقدَّسة الإلهية؛ ستبقى وتدوم حتى نهاية العالم [١].

---

[1]Biblioteca de la Universita di Bologna, Ms. 565؛ Wiegers (Gerard), A learned Muslim acquaintance of Erpenius and Golius: Ahmad b. Kasim al Andalusi and Arabic studies in The Netherlands, Leiden, Documentatiebureau Islam-Christendom, Faculteit der Godgeleerdheid, Rijksuniversiteit, 1988, pp:33-44.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص ص: ١٥٤-١٦٤.

صورة الورقة الأولى من رسالة الحجري إلى الجماعة الموريسكية في القسطنطينية [١].

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا 152
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

tras lado de una carta que escrivio Elsmed
benecacim bejarano ynterprete otrezmu
men delos reyes de marruecos per el que
ynterpreto el libro pasado que contiene
la grandeza delos milagros de nuestro san
to propheta delos libros verdaderos y cier
tos y recebidos delos grandes savios —
y la carta la abia escripto muchos años
antes de la corte de paris a los andaluzes q
asistian o biuian en costantinopla la
fecha della fue a los primeros de rabe el
primero de mill y beinte y uno de la
quenta delos cristianos de mill y seis cien
tos y doze por el mes de mayo y despues

[1]Bologna U.B.ms.565, f152r, en Wiegers (Gerard), A learned Muslim Acquaintance,op cit,p69.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٦٧.

صورة الورقة رقم ١٥٥ من الرسالة، وفي الهامش التعليق الذي أضافَهُ بشأن استقرار الموريسكيِّين في تونُس [١].

lomas desgraciados alos que fueron atunez que
segun Escrive marmol En su libro discrepcion deafrica
Es lugar donde no se abian sentado los pobres de
agua dulce y por que tienen dos plagas la una de
alarves y la otra de intolerables renegados
y turcos y lo mismo En argel y tremecen. —
y lo que toca alos del rreyno de fez y marruecos
salieron en tetuan cerca de sesenta mill per
sonas fuera de los otros puertos circunbezi
nos y en marrocos. En estos dos rreynos pade
cen platja de alarves y de guerras ceviles y en
qual quiera parte que esten estan mejor que
no subjetos ayn quisicion — — —
lo que toca a constantinopla y partes del lebante
abra mas justicia y mejor govierno por
Estar ay la fuerça del ymperio del oriente
y la gente tendran mejores condiciones por
gozar de cielo mas frio que El dela africa
que con el calor se rrequema. a la ngre a

en aquella
tierra
en aquella
manera
Ellos
y turcos
Es mejor
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

[١] Bologna U.B.ms.565, f152r, en Wiegers (Gerard), A learned Muslim Acquaintance,op cit,p73.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٦٨.

صورة الورقة رقم١٦٢من رسالة الحجري التي يَظْهَرُ فيها توقيعُهُ [١].

agora sotienen y ohe Sescripto alos reynos de 162
africa como El gran señor ha Sescrito cartas
antes de aora en fauor de los moriscos y sean gol
zado En estremo mi nombre vendra en la carta
para mas Efecto y si la dieren a ynterpretar me
ymbiaran vn tras lado entances y con esto
damos fin a la carta. Efmed ben cacim
Bejarano andaluz

llego la carta a costantino pla y tube respues
ta della en paris vna de Ille muffamed bulhac
y otra del alfaqui ymem muffamed ben heb
dussafeh y me dixeron que conbenia que fuera
vn ombre a pedir En nombre de los padres delos
muchachos que tomaron los cristianos y fue
de Efecto El Escreuir la carta que El Embaza
dor vicio de Escreuir al gran consejo de paris
y al fin cobramos algunos bienes y lla
uamos alos que nos dieron poder y lo que
165

[(1)]Bologna U.B.ms.565, f152r, en Wiegers (Gerard), A learned Muslim Acquaintance,op cit,p79.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٦٩.

الملحق رقم (٦): رسالة الحجري الثانية إلى توماس أربينوس بتاريخ ١٦/ ١/ ١٦١٣م:

(الحمد الله وكَفَى والسلام على عباده الذين اصطفى والتَّبَعَ طريق الهدى الكتاب من عند صاحبك الذي عرفتُ في بريش من أجل صاحبنا الطبيب المعظم مُنْشَر هُبَرْت هو حفظكم الله المسليم الذي جاء من مراكش المحروسة في شأن الخصومات فإنْ أردتُم أَنْ تَعْلَمُوا ما كان من أمرِنا فنذكوره لكم مُختَصَرًا فإجْنَا مَشَيْنَا من بريش إلى مدينة بُرْدوُش وقَعَدْنَا فيها نحو العام نطلبُ الشَّرعَ وفتحَ الله سبحانه أَنْ أَصَبْنَا شيئًا مِمَّا كان قد أُخِذَ على وجهِ النَّهبِ والتَّعدِّية للأندلس الذين وَكَّلُوني على مسائلهم فاستنفعْنَا من شيءٍ قَدْرَ ما يكفينا مِمَّا نحتاج إليه من النفقة واللِّبَاس وما نحتاج للطريق حتى نبلغَ إنْ شاء الله لبلادِنا وجِينَا إلى بريش وسألتُ عليكم وقالوا إنَّكُم بلغتُم إلى بَنَسِيَه ثم جئتُ إلى مدينة روان وركِبتُ البحرَ وجيتُ لهذه المدينة الضريفة المعَروفة بُمشْتَرظَم فلقيتُ هنا أصحابنا تُجَّارًا نعرفُهم من مراكش وكذلك في ألهاية وأيضًا لقيتُ رجلَيْن وذَكَرَا لي أَنَّكُم في ليدا مشتهد في القِرَايَةِ العربية وفرحتُ والذي نُعْلِمُكَ به أَنَّ الاشتغال بتلك العلم العربي له بركةٌ مشهورة ولا تَرَ مَنْ يُكْرِمْ تلك الحروفَ إلَّا مكرومًا عزيزًا وإنْ سألتُم فنحنُ بخير لله الحمد وله المِنَّة ننتظر هنا سفينة مِنْ تِمْشِي لبلادنا إنْ شاء الله ونِمْشُو فيها بعونِهِ وبركةَ الصالحين وكتبْنَا في اليوم الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنين وعشرين وألف الموافق سنة عشر من شهر يني سنة ثلاث عشرة وست ماية وألف وكَتَبَ عُبَيْدُ الله المُعترِفُ بِذَنْبِهِ.

أحمد بن قاسم فقير الأندلسي

لَطَفَ اللهُ بِهِ).

صورة رسالة الحجري الثانية إلى توماس أربينوس بتاريخ ١٦/ ١/ ١٦١٣م[١].

[١]بنمنصور، أحمد بن قاسم الفقاي الحجري، ص٢٩.

الملحق رقم (٧): رسالة الحجري إلى ياكوب خوليوس الأولى عام ٢ فبراير ١٦٢٤م:

(الحمدُ الله والصلاة والسلام على رُسُلِهِ الأكرمين وعلى مَنْ تَبِعَهُم إلى يوم الدين

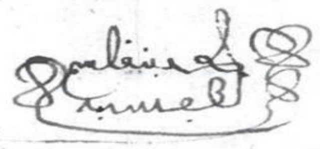
الكتاب إلى صاحبنا المُكَرَّم النَّبِيه الكايس الفقيه النَّصراني الإفلمنك يعقوب جُولْ وبعد فإنَّ كتابَكَ العزيز بَلَغَنَا وفَرِحْنَا به غايةً وفَهِمْنَا خطابَكم وما تَضَمَّنَهُ أمَّا ما ذكرتَ عن النسخة التي انسخناها من الكتاب المُسَمَّى بالمُستعِيني فإنِّي ابْذَلْتُ جُهْدي في إتْقَانِهَا كما سَيَظْهَرُ لكَ من تَراجِمِها إذْ ترجمتُ أكثرَ أسْماءِ مُفْرداتها بالأعجمية لَيسْهّل عليك فهمُها وفتَّشْتُ نسخة أخرى زائدة على نسخة صاحبِنا الطبيب ومنهما صَحَّحْنا نسختَكَ وحَمَلَنِي على ذلك مَسْئلتَانِ الأولى قول نبيُّنا عليه السلام رَحِمَ الله مَنْ عَمِلَ صَنْعَةً فأَتْقَنَها، والثانية ظنَنْتُ أنَّكُم تُدخِلُونها في القالَب ولا ينبغي أَنْ يُصْنَعَ فيه إلَّا ما هو صحيح وأمَّا ما ذكرْتَ عن معرفة بلاد المُؤَلِّف أظنُّها بلادَ الأندلس ولا تحقَّقتُ في أَيِّ زمان كان ورُبَّمَا يَظهَرُ ذلك من كتاب مُروج الذهب لأنَّه ذَكَرَ في أوَّل كتاب الطبيبِ أنَّهُ هَدَاهُ لفلان بن فلان، وفي تلك التاريخ يَظْهَرُ في أَيِّ زمان كان المُهْدَى له وفي غير هذا اليوم نكتبُ لكَ الجوابَ إلى شيخِكَ العالِمِ اَلْمُدَّرس اَرْبَّنِيُوشْ إِنْ شاءَ الله نَسْئَلُهُ أَنْ يزيدكَ نعمةً ويَرُدَّك سالمًا إلى بلادِكَ وكتبْنَا في مراكش حَرَسَها اللهُ في الثاني عشر من ربيع الثاني عام ثلاث وثلاثين وألف سنة ومن الحساب العجمي في الثاني من شهر فبراير أربع وعشرين وست مائة وألف سنة وكَتَبَ مملوكُ المقام العَلِي وأسيرُ ذَنْبِهِ.

أحمد بن قاسم لَطَفَ اللهُ بِهِ).

صورة رسالة الحجري من مراكش إلى ياكوب خوليوس الموجودة في آسفي ٦ فبراير ١٦٢٤م[1].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسله الكرامين وعلى من تبعهم الى يوم الدين

الكتاب الى صاحبنا المكرم النبيه الكاتب الفقيه النصراني الالمنك
يعقوب جول وبعد فان كتابك العربي بلغنا وفرحنا به غاية
وفهمنا خطابكم وما تضمنه اما ما ذكرت عن النسخة التي انسخنا لها
من الكتاب المسمى بالمستعيني فاني ابذلت جهدي في اتقانها كما سيظهر لك
من تراجمها اذ ترجمت اكثر اسماء مفرداتها بالاعجمية ليسهل عليك فهمها
وفتشت نسخة اخرى زايدة على نسخة صاحبنا الطبيب ومنهما صححنا
نسختك وحملني على ذلك مسالتان الاولى قول نبينا عليه السلام رحم الله من
عمل صنعة فاتقنها والثانية ظننت انكم تدخلونها في القالب ولا ينبغي ان
يصنع فيه الا ما هو صحيح واما ما ذكرت عن معرفة بلاد المولف اظنها بلاد الاندلس
ولا تحققت في اي زمان كان وربما يظهر ذلك من كتاب مروج الذهب لانه
ذكر في اول كتاب الطب انه هداه لفلان بن فلان وفي تلك التاريخ يظهر في
اي زمان كان المهدي له وفي غير هذا اليوم نكتب لك الجواب الى شيخك العالم
المدرس اربنيوش ان شا الله نسئله ان يزيد لك نعمة ويردك سالما الى بلادك
وكتبنا في مراكش حرسها الله في الثالث عشر من ربيع الثاني عام ثلث وثلاثين
والف سنة ومن الحساب العجمي في الثاني من شهر فبراير اربع وعشرين وستماية
والف سنة وكتب مملوك المقام العلي واسير ذنبه



[1] MS Manchester, John Rylands Library, Persian913, f.159en Witkam(Jan Just), "The Leiden manuscript of Kitab al-Musta,ini"op cit,p77.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص١٧٥.

الملحق رقم (٨): رسالة الحجري إلى ياكوب خوليوس الثانية عام فبراير ١٦٢٤م:

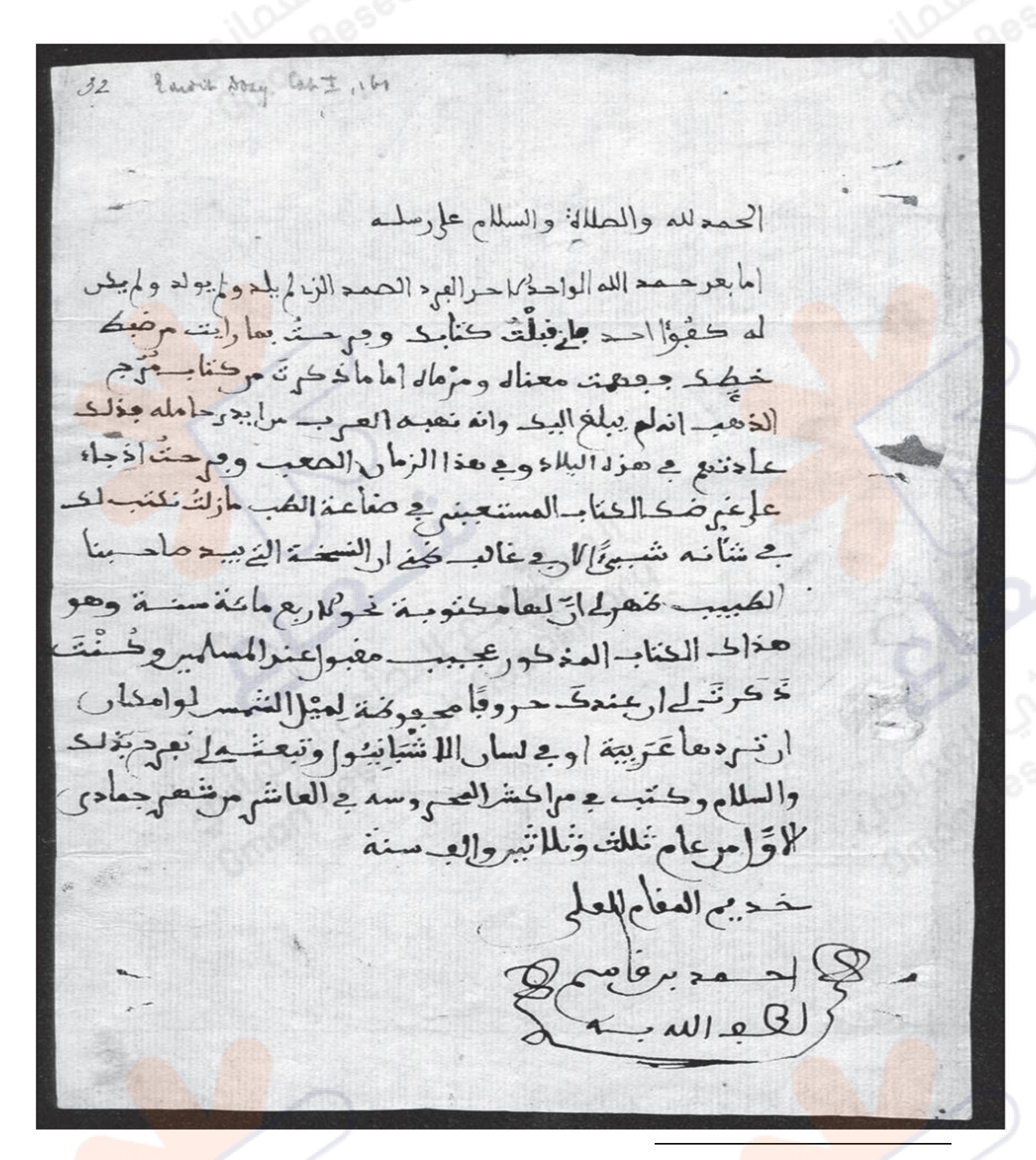
(الحمدُ الله والصلاة والسلام على رُسُلهِ

أمَّا بعد حمدِ الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يَلِدْ ولم يُوْلَدْ ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ فإنِّي قَبَّلْتُ كتابَكَ وفرحتُ بما رأيتُ من ضَبْطِ خَطِّكَ ففهمتُ معناهُ ومَرْمَاهُ، أمَّا ما ذكرتَ من كتاب مُرُج الذهب أنَّهُ لم يَبْلُغْ إليكَ وأنَّهُ نَهَبَهُ العربُ من أيدي حامِلِهِ فذلك عادتُهُم في هذه البلاد وفي هذا الزمان الصَّعبِ، وفرحتُ إذْ جاءَ على غَرَضِكِ الكتابُ المُستعِيني في صناعة الطِّبِّ ما زِلْتُ نكتبُ لكَ في شأْنِهِ شيئًا الآنَ في غالبِ ظَنِّي أَنَّ النُّسخةَ التي بِيَدِ صاحبِنا الطبيب ظَهَرَ لي أَنَّ لها مكتوبةٌ نحو لأربع مائة سنة وهو هذاك الكتابُ المذكور عجيبٌ مقبول عند المسلمين وكُنْتَ ذَكَرتَ لي أَنَّ عندكَ حروفًا محفوظةً لِمَيْلِ الشمس، لو امكان أَنْ تَرُدَّها عَرَبِيَّةً أو في لسان الاشْبَانيُول وتَبعثُهُ لي نفرحُ بذلك والسَّلام وكَتَبَ في مراكش المحروسة في العاشر من شهر جمادي الأَوَّل عام ثلاث وثلاثين وألف سنة.

خَدِيم المَقَام العَلِي

أحمد بن قاسم لَطَفَ اللهُ بِهِ).

صورة رسالة الحجري من مراكش إلى ياكوباس خوليوس الموجودة في آسفي ٢٩ فبراير ١٦٢٤م[1].



32 Reinhart Dozy Cat. I, 161

الحمد لله والصلاة والسلام على رسله

اما بعد حمد الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد جاني فبلغت كتابك وفرحت بما رايت من ضبط
خطك وفهمت معناه ومن ماله اما ما ذكرت من كتاب مروج
الذهب انه لم يبلغ اليك وانه نهبه العرب من ايدي حامله فذلك
عادتهم في هذه البلاد وفي هذا الزمان الصعب وفرحت اذ جاء
على غير ضك الكتاب المستعينين في صناعة الطب مازلت نكتب لك
في شانه شيئا الا في غالب ظني ان النسخة التي بيد صاحبنا
الطبيب ظهر لي ان لها مكتوبة نحو لاربع مائة سنة وهو
هذاك الكتاب المذكور عجيب مقبول عند المسلمين وكنت
ذكرت لي ان عندك حروفا محفوظة لميل الشمس لو امكن
ان تردها عربية او في لسان الاشبانيول وتبعثها لي نعم بذلك
والسلام وكتب في مراكش المحروسة في العاشر من شهر جمادى
الاول من عام ثلث وثلاثين والف سنة

خديم المقام العلي
احمد بن قاسم
لطف الله به

---

[1] MS Manchester, John Rylands Library, Persian913, f.159en Witkam(Jan Just), "The Leiden manuscript of Kitab al-Musta,ini"op cit,p81.

نقلًا عن: الحجري، ناصر الدين (النسخة المصرية)، ص ١٧٩

الملحق رقم (٩): رسالة من الفارس الموريسكي فرانثيسكو نونيث موالي؛ التي كُتِبَتْ في الأول من يناير عام ١٥٦٧م بدافعِ الرَّدِّ على تطبيق المرسوم المَلَكِي الصادر في نوفمبر عام 1566م ضِدَّ المُتَنَصِّرين الجُدُد.

Memorial del caballero morisco Francisco Núñez Muley redactado con motivo de la puesta en práctica, el 1 de enero de 1567, del edicto promulgado en noviembre de 1566 contra neoconversos.

ترجمة النَّصِّ إلى العربية :[١]

عندما تَنَصَّرَ السُّكَّانُ الأصليُّون في هذه المملكة [غرناطة] وآمَنُوا بيسوعَ المسيح؛ لم تكن ثمَّةَ شروطٌ موجودة في معاهدة تسليم غرناطة ثم تُشِيرُ إلى إجبارٍ، أم تَرْكٍ لعادتِنا، أم لُغَتِنَا، أم حتَّى لبعض التقاليد الَّتي تَجلبُ لنا البهجة في الأعياد والتَّرفيه ورقصات السمبرا، وفي الحقيقة؛ إنَّ عمليَّةَ التَّنصير قد تمَّت بالقوَّةِ وضِدَّ ما اشْتُرِطَ على المَلِكَيْنِ الكاثوليكيَّيْن [فيرناندو وإيزابيلا] عندما سَلَّمَ لَهُمَا المَلِكُ أبو عبد الله هذه المدينة.

وفي أثناءِ حياة جلالتِهما لم أَرَ بنفسي وعلى امتداد سنوات حياتي أيَّ محاولة منهما لِنَزْعِ عَاداتِنَا، وبعدَهُما تُوِّجَتِ ابنتُهُمَا المَلِكَة خُوانا، وبَدَا لنا اتِّفاقٌ – لا أعرف بالتحديد مَنْ كان وراؤهُ – فقد فُرِضَ علينا تَرْكُ الزِّيِّ الإسلاميّ؛ ولكنْ بسبب المضايقات التي مَثَّلَها تنفيذُ القرار تمَّ تعليقُ الأمر، والشَّيءُ نفسُهُ تَكَرَّرَ ورأيتُهُ في عهدِ الإمبراطور الكاثوليكي الوَرِع المَلِك كارلوس.

وفيما بعدُ، حَدَثَ أَنَّ رَجُلًا وَضِيعًا من أُمَّتِنَا [ينتمي إلى الموريسكيّين] حَازَ على الثِّقة [من قِبَلِ السُّلُطَات] لإجَازتِه مِنَ السَّيِّد بولانكو [٢] القاضي في المحكمة المَلَكِيَّة؛ فقد تَجَرَّأَ عَلى كتابةِ شَكَاوَى ضِدَّ رجال الدِّين ومَنْ يَظُنُّهم مُنتَفِعِين، وذلك من دُونِ مشورة رجال الدولة الَّذين يَعْلَمُون أنَّهُ من الأفضل عدم التَّطَرُّق لأمثال هذه الأشياء، وقد دَعَّمَ كتاباتِهِ بإمضاءات لبعضِ أصدقائِهِ، وتَمَّ إرسالُها إلى جلالة المَلِك لاحقًا.

---

[١]زللو، رسالة من موريسكي غرناطة إلى ملك إسبانيا، ص ص: ٢١٦-٢٢٩.

[٢]**بولاكو:** هو لويس جونثالث بولانكوLuis Gonzalez de Polanco، عضو في محاكم التحقيق وقاضٍ في المحاكم العليا في بلد الوليد وقاضٍ في المحاكم الملكية، توفي عام ١٥٤٣م.

تم تأكيد تلك الكتابات بعد مدة من رجال الدين بإجازة من السيد بيدرو [١] مطران كنيسة سان سلبادور في حَيّ البيازين؛ وبِصِفَتِهِ رئيس الأساقفة فقد أخبرَ جلالتَهُ: إنَّ المُتَنَصِّرينَ مِنَ المسلمين لا يزالُون يعيشون مسلمين، ومِنَ المُلَائِمِ أَنْ يُعْطَى الأمرُ لإجبارِهِم على تَرْكِ العادات الإسلاميَّة القديمة التي تمنعُهم من أَنْ يُصْبِحُوا نَصارَى.

وقد أرسَلَ الإمبراطور بِصِفَتِهِ الأمير النصراني الوَرِع زائرين في أرجاءِ المَمْلَكَةِ جميعِها؛ حتَّى يَعرِفُوا كيف يعيش رعاياهُ من السُّكَّان الأصليّين [أهل غرناطة]، وقد تمَّتِ الزيارة من خلال رجالِ الّدين أنفسهم، وَهُمْ مَنْ كَانُوا ينتقدون أنفسهم بأنفسهم، كأَنَّهُم أشخاص يعرفون جيّدًا الحبوب السَّوداء الموجودة في قمْحِنَا، كَهَذِهِ الزيارة التي تمَّت في وقتٍ قصيرٍ من المستحيل أَنْ تكون أحكامُها صحيحةً، وبِنَاءً عليه أَفْتَى المَجْمَعُ الدِّيني للمُصَلَّى المَلَكِي: إنَّهُ يجبُ اتخاذ إجراءات عديدة ضِدَّ ما نأخذُهُ [الموريسكيّين] من إعفاءات، ومع ذلك–أيضًا–تَمَّ تعليقُ القرار.

ومنذُ سنواتٍ عِدَّةٍ أرادَ السَّيِّدُ جاسبار دي أبالوس[٢] أَسْقُفُ غرناطة إصدارَ قرارات بمنعِ عادَتِنا، وقد بَدَأَها بِمَنْ يعيشُون في القُرَى، وجَلَبَ لذلك بعضَ [رجال الدِّين] من منطقة جيوخار لأجلِ هذا الغرض، الآن، بتلك القرارات؛ تمَّ نَقْضُ ما اعتمدَهُ المَلِكُ الراحل [المَلِك كارلوس] الذي تَبَوَّأَتْمْ مكانَهُ، مع القضاة في المحاكم المَلَكِيَّة، والماركيز دي مدخار[٣] والعُمْدَة المُعَيَّن للأسبابِ القديمة نَفْسِهَا؛ إنَّ التَّوقُّفَ عن التَّفاوض بشأنِ عاداتِنا تم منذُ عام١٥٤٠ ولكنَّ رجال الدين أنفسهم هُمْ مَنْ أعادُوا الموضوعَ نَفْسَه بِطَرَائقَ عِدَّةٍ–في هذا الوقت–بهدفِ إزعاجِنا. إنَّ مَنْ سينظر إلى القرارات الجديدة في المرسوم البَرْجَمَاتِي من خارجِ أُمَّتِنا الموريسكيَّة ستبدُو له كأنَّها سهلةُ التنفيذ؛ ولكنَّ الحقيقة أنَّ المشكلات التي جَلَبَها ذلك المرسوم كبيرة جِدًّا وما سأقولُهُ لسيادتكم عن تلك المشكلات سَيَطُولُ عَرْضُهُ: إنَّ هذا الشَّعبَ الموريسكيَّ التَّعيسَ يحتاجُ إلى الشَّفقة والحُبِّ والعطف والتَّكَرُّم من جلالتكم كما فَعَلَ من قَبْلُ المُلُوكُ السَّابقون.

أمَّا بالنسبة لعاداتِنا فيما يَخُصُّ لِبْسَ النساء فليست إسلاميَّةً [دينيًّا]؛ بل إِنَّه زِيٌّ مَحَلِّيٌّ كالموجود في مقاطعة قشتالة وكثيرٍ من المقاطعات الأخرى، فَتَلْبِسُ فيها النِّساءُ طرحاتِ الرأس،

---

[١] **بيدرو:** هو الأسقف بيدرو دي داثا Pedro de Daza(١٥٢٠–١٦٠٠م)، رئيس المصلى الملكي في غرناطة والقائد العام من قبل الملك علي مملكة غرناطة.

[٢] **جاسبار دي أبالوس Gaspar de Avalos (١٤٨٥–١٥٤٥م):** ولد في أسرة متدينة، حصل على الدكتوراه في اللاهوت من جامعة سلامنكا وتدرج في الوظائف الكنسية إلى أسقف وادي أش ثم كبير أساقفة غرناطة.

[٣] **الماركيز دي مدخار (Marques de Mondejar):** هو القائد العام لمملكة غرناطة من قبل الملك الإسباني.

والتَّنُورَات المُمْتَدَّة من الخصر إلى القدم، والأحذية الطويلة، وفيما يَخُصُّ لِبَاسَ المسلمين والأتراك، فمَنْ سَيُنْكِرُ الاختلافَ الشَّديد في هذا الزِّيِّ الذي يرتدُونَهُ؟ فَهُمْ بين أنفسهم مختلفون؛ لأنَّ الزّيَّ في مدينة فاس ليس كَمَا في تلمسان، وما في تونُس ليس كالذي في المغرب، الشَّيْءُ نفسُهُ في تركيا وبعض الممالك الإسلاميَّة الأخرى ولو كان للطائفة المُحَمَّدِيَّة زِيٌّ مُعَيَّنٌ؛ لَرَأَيْنَاهُ زِيًّا واحدًا في البقاعِ كُلِّها، ولكنْ كما يُقَالُ: العادةُ لا تَصنَعُ الرَّاهِب، وفي سوريا ومصر نَرَى النَّصارى ورجالَ الدين وغير المُتَدَيِّنين يرتدُون اللِّبَاسَ الإسلامي من أغطية الرأس والقفاطين التي تَصِلُ إلى الأقدام، ويتكلَّمون العربيَّة والتركية ولا يعرِفُون اللاتينية أو أيَّ لُغَةٍ من الرَّومانث[1] ومع ذلك كُلِّهِ فَهُمْ نَصَارى.

أَتَذَكَّرُ وسيتذكَّرُ كثيرٌ مِمَّنْ كانُوا على أيَّامِي، إنَّ هذه المملكة قد تغيَّرت عاداتُها بشكلٍ كبيرٍ عَمَّا كانت عليه من قبل؛ فقد أصبحَ النَّاسُ –الآن– يبحثُون عن زِيٍّ نظيفٍ قصيرٍ قليلِ التكلفة، مصبوغ الصوف يَسْهُلُ لِبْسُهُ، وتستطيع النساء أَنْ يَلْبَسْنَ بدوكية [2] واحدةٍ؛ فيحتفظْنَ بالملابس الخاصة بالأعراس والمناسبات، ويتوارثْنَها لثلاثة أم أربعة أجيال، وإذا كانت الأمورُ بهذا الشكل، ما الفائدة التي ستعود على مَنْ حَظَرَ عاداتِنا؟ من الجيِّد التَّأمُّل، فلدينا مشتريات تُعَدُّ بكثير مَنْ الدوكيات تَفِي احتياجاتنا منذ عهد الملوك الغابرين؟ فلماذا تريدون أَنْ يَضِيعَ علينا أكثرُ من ثلاثة ملايين من الذهب نمتلكُها باستعمالِنا لتلك الملابس؟ وأَنْ نُدَمِّرَ حياة التُّجَّار وصُنَّاع الحُلِيِّ والأعمال الحِرْفِيَّة التي يعيش عليها آخرون، وترهيب مَنْ يصنعون الثياب والأحذية والحُلِيِّ للمرأة الموريسكية؟

لوِ افترضْنَا أَنَّ مِئَتَيْ ألف من النساء الموريسكيَّات هُنَّ اللَّائِي يُوْجَدْنَ في هذه المملكة فعلًا، ورُبَّمَا يكون التَّعداد أكثرَ؛ سيتمُّ إلباسُهُنَّ من جديد من القَدَمِ حتَّى الرأس، كَمْ مِنَ النُّقود ستكفي لذلك؟ وكَمْ سيضيعُ من ملابسَ وحُلِيٍّ إسلامية مقابل هذا الاستبدال؟ ولأنَّ الملابسَ النصرانية تبدُو قصيرةً على غرار أهل جرندة [3] ومُطَرَّزَة؛ فلن تستطيع النساء الموريسكيَّات استخدامَها كالنَّصرانيَّات القُدَامَى اللَّائِي اعتدْنَ على ذلك اللِّبَاس، وَلْنَتَمَعَّنْ في حالِ امرأةٍ موريسكيَّةٍ فقيرةٍ ليس لديها ما تشتري به

---

[1] **الرومانث (Romances)**: هو الشكل الأوَّلِي الذي انبثقت منه اللُّغَات الأوروبية، ويرى علماء اللغة أنَّها جاءت نتيجةً لِتَطَوُّر ما يُسَمَّى (اللاتينيَّة المُبْتَذَلَة el latin vulgar).

[2] **دوكية**: عملة إسبانية في القرن ١٦.

[3] **جرندة: خيرونا (Girona)**: مدينة تاريخية مُهِمَّة، تُسَمَّى المراجع الأندلسية جرندة وهي تقع في شمال شرق إسبانيا، تابعة للكتالونيا.

تنُّورةً طويلةً إلى خصر، وعباءة، وقُبَّعَة، والأحذية السميكة، وارتداء السَّروايل الواسعة، وكندروة (١) من الكَتَّان المُلَوَّن بالإضافة إلى السترة البيضاء؛ فماذا ستفعل المرأة الموريسكية؟ ماذا ستلبسُ؟ من أين ستحصل على النقود لهذا اللِّباس كُلِّه؟ إنَّ الدخول الفعلية تكفي بالكاد الأشياء الموريسكية (مَلْبَس/ حُلِيّ)؛ فمن أين سَتُنْفِقُ لشراء هذا القَدْرِ الذي لا يُحْصَى من الحرير والذهب واللؤلؤ؟ ولماذا نفقد ما نمتلكُهُ بالفعل؟!

أمَّا بالنسبة للرجال فقدِ اعتادُوا على اللِّبَاس القشتالي [النَّصراني]، مع إنَّهُ بالنسبة للأغلبية عادةٌ قديمةٌ: ولو كان الزِّيُّ مصنوعًا لطائفة بعينِها لَظَهَرَ أَنَّ الذكور يمتلكُون عادةً ارتداءَ اللِّبَاس القشتالي [النَّصراني] أكثر من النِّساءِ، ولكنَّ هذا الزِّيَّ وَصَلَ إليهم من خلال شيوخهم وعجائزهم وحُكَمَائِهم.

انتفاضة البازين والاحتراز من تكرارها:

قديمًا عندما انتفضتِ البيازين، لم تكن مُوَجَّهَة ضِدَّ الملك [فيرناندو]؛ إنَّمَا كانت ضِدَّ قرارتِهِ، التي نُكِنُّ لها التَّبجيل كأنَّها شيءٌ مقدَّسٌ، ولم يَجِفَّ حِبْرُ الهُدْنَة [بعد انتفاضة البيازين] حتَّى تمَّ نقضُ الشُّروطِ كُلِّها المتعلّقة بالسِّلْمِ والعدالة، فتَمَّ التَّربُّص بالنِّساء الموريسكيَّات اللَّائِي يعودُ نسبهُنَّ إلى أصولٍ نصرانية؛ لإجبارِهِنَّ على التَّنَصُّر بالقوَّة، ولنتأمَّلْ سيِّدي: في المقاطعات التي ثَارَت في هذه المملكة؟ وبالمناسبة، فالانتصارُ الَّذي تَمَّ لجلالتِهِ [يَقْصِدُ المَلِكَ كارلوس] كان بفضل مساعدة الماركيز دي مدخار والسيد أنطونيو والسيد برناردينو دي مِيندوثا وإخوتِهِ السيد إرناندو دي قورطبا وديجول وبث ابن عاشر وديجول وبث أثيرا مع أكثر من أربعِ مئة رَجُلٍ مُحَارِبٍ من أُمَّتِنَا [الموريسكيَّة] ضِدَّ المُتَمَرِّدَين في حرب مقاطعات قشتالة؛ فقد كانوا من أوائل مَنْ حَمَلُوا السلاح في إسبانيا كُلِّها، كما كان–أيضًا–السيد خوان دي جرنادا[٢]، أخو المَلِك المسلم أبي عبد الله بن الأحمر قائدًا في قشتالة ضِمِنَ الجيوش المَلَكِيَّة، وقد حَارَبَ وأبلى بلاءً حسنًا بقدر استطاعتِهِ، وأدَّى واجبَهُ كما ينبغي كونُهُ تابعًا مُخْلِصًا لجلالتِهِ؛ ونظرًا لهذا الولاء الكبير الذي تَحَلَّوْا به [الموريسكيُّون] فمِنَ العدل أَنْ يكونُوا مُكَرَّمين ومُشَرَّفِين، وأَنْ يُستفادَ من إدارتِهم عند تحمُّل المسؤولية، وأَنْ يكونُوا مُقَرَّبِين لجلالتِكَ كما فَعَلَ الأسلافُ من الملوك أَنْ سَيَّدُوهُم في هذا المكان [يَقصِدُ غرناطة].

---

[١] **كندورة:** أو القندورة لباس خاص بالنساء ذُو أكمام قصيرة، وتكون فضفاضة وطويلة.

[٢] **خوان دي جرنادا (Juan de Granada):** هو نصر بن مولاي أبي الحسن ملك غرناطة، وأخو آخِر ملوك غرناطة أبو عبدالله.

الدفاع عن رقصة السمبرا الموريسكيَّة:

إنَّ أعراسَنَا ورقصاتِنا للسمبرا وترفيهَنا ووسائل مُتْعَتِنا الَّتي نُمَارِسُها لا تَمْنَعُ مِنْ أَنْ نكون نَصَارَى، ولا أعرفُ كيف يمكن القول: إنَّها احتفالات خاصَّة بالمسلمين؛ إنَّ المسلم الصَّالح لا يُوَافِق أبدًا على تلك الأشياء، حتى إنَّ الفُقهاءَ من قَبْلُ كانُوا يُغادِرُون عندما تبدأ رقصاتُ السمبرا أو العَزْف أو الغناء، وقديمًا اعتادَ المَلِكُ المسلمُ عندما يكون خارج المدينة [غرناطة] أَنْ يجتازَها عند عودتِهِ إليها من البيازين؛ فهناك يُوْجَدُ القضاة والفقهاء المسلمون الذين يُفترَضُ أنَّهُم مسلمون صالحون، فكان [المَلِكُ المسلم] يأمرُ بإيقاف الآلات الموسيقية عن العزفِ حتَّى خروجِهِ من بابِ البيرة، وكانُوا يُنفِّذُون له ذلك، وللعلم فلا تُوْجَدُ تلك الرَّقصات من السمبرا في إفريقيا ولا في تركيا؛ فهي عادات محلية، ولوِ افْتُرِضَ جدلًا أنهَّا احتفالات دينية لتلك الطائفة [الإسلامية]؛ فمن المُؤَكَّدِ أنَّها ستكون موجودة هنالك بالطريقة بنفسها.

كَانَ لدى الأَسْقُف القِدِّيس [ارنادو دي تالابيرا] أصدقاءُ كثيرون مِنَ الفُقَهَاءَ والمُفْتِين، وظلَّ يَستمِيلُهُم مادِّيًّا من أجلِ أَنْ يُعَرِّفُوهُ الشَّعائر الإسلاميَّة؛ رقصةَ السمبرا من الشَّعائر الإسلامية لمنعها-بالتأكيد-أو على الأقل لن يكونَ مُرَحِّبًا بها، بالإضافةِ إلى سُرُورِهِ عند مرافقةِ تلك الرَّقصات للقربان المقَدَّس في مسرَّات عيد جَسَدِ المسيح، وفي احتفالات دينية أخرى لتتنافسَ القُرَى كُلُّها مع بعضها على تقديمِ رقصة السمبرا الفُضْلَى، وفي البشرات اعْتِيدَ على رُؤْيَةِ السمبرا عند بَدْءِ الإنشاد الديني في الصَّلاة، وكذلك عند عدم وجود المعازف الكنائسية فَيُستعَاضُ عنها بتلك الرَّقصات، ويتمُّ اصطحابهم [الموريسكيّين] من مكانِ تجمُّعهم إلى مَقَرِّ الكنيسة.

أتذكَّرُ عندما كنتُ أرتادُ كنيسةَ القرية للصَّلاة؛ كان نشيدُ الرَّبِّ يكون معك، يُقَالُ بالعربيَّة، وكذلك نشيد الرَّبِّ يُبَارِكُ، ثم بعد ذلك نُنْهِي برَقصات السمبرا.

الدفاع عن استخدام النساء الموريسكيَّات الحِنَّاء:

إنَّ تخضيبَ النِّساءِ بِالحِنَّاء علاوةً على أنَّهُ طقسٌ مأخوذٌ مِنَ المسلمينَ، فهو-أيضًا-عادةٌ صِحِّيَّةٌ لتنظيفِ الرَّأسِ؛ في تُزِيلُ أَيَّ أوساخٍ من شُعُورِهِنَّ، وإنْ كُنَّ يَضَعْنَ أصباغًا طبيعيَّةً فمِنْ أجلِ صبغِ شُعُورِهِنَّ وَعَمَل أشياء تبدو جميلة، وهذا العملُ لا يُنَاقِضُ النصرانيَّة؛ فضلًا عن آثارِهِ في تطبيبِ الأجساد وتقويةِ الأبدان ومعالجةِ الأمراضِ.

ومن قَبْلُ أرادَ السَّيِّدُ القِسِّيس أنطونيو دي جوبارا [١]، الَّذي أصبحَ فيما بعد مطران وادي اش جَذَّ شُعُورَ النِّساءِ المُوريسكيَّات في منطقةِ قُرَى زناته [٢]، بسببِ الحِنَّاء وإزالتها مِنْ على أيادِيهِنَّ، فَتَقَدَّمْنَ بشكوى إلى الحاكم، والقضاة في المحاكم المَلَكِيَّة، وماركيز دي مودخار، وفيما بعدُ اجتمعُوا وأرسَلُوا رسولًا ليخبروهُ بعدم القيام بذلك العمل؛ لكونِهِنَّ لم يفعلْنَ شيئًا يُعَارِضُ النَّصرانيَّة.

نَقْدُ قرار إجبار الموريسكيّين على فتحِ منازلهم أيام الجُمَع والأعياد:

ولنتأمَّلْ سيدي في أَنْ نُؤْمَرَ بِتَرْكِ أبواب البيوتِ مفتوحةً؛ فَمَا الفائدةُ من ذلك؟ سِوَى إعطاء اللُّصُوص الحُرِّيَّةَ في الهرب! والأوغاد في أَنْ يَتَعَدَّوْا على النِّساءِ! ومن جهةٍ أُخرى إعطاء الفرصة [المحاكم] من حُرَّاسٍ وكَتَبَةِ عَدْلٍ لِأَنْ يَكِيلُوا الاتِّهامات إلى هؤلاء النَّاس الفقراء، ولو أراد شخصٌ أَنْ يكون مُسلِمًا واستخدمَ في ذلك الألاعيبَ ومَارَسَ شعائرَ المسلمين [في بيتِهِ]؛ فهل لا يستطيع أَنْ يفعلَها ليلًا؟ نعم، بالمناسبة، العقيدةُ المُحَمَّديَّةُ تتطلَّبُ الوحدةَ والعُزْلَةَ عن التَّجَمُّع؛ ليس هناك فَرْقٌ يُذْكَرُ بين فتحِ أم غَلْقِ باب البيت لِمَنْ لديه نِيَّةٌ سيِّئةٌ، ومَنْ يفعلْ ما لا ينبغي فعلُهُ استوجبَ العقابَ؛ واللهُ لا يَخْفَى عليه شيءٌ.

الدفاع عن وجود الحمَّامات العربية بغرناطة:

هل يمكن أَنْ تُقَامَ في الحمَّامات العربيَّة احتفالاتٌ دينيةٌ [إسلاميَّة] الإجابةُ بالتأكيد: لا؛ الحمَّاماتُ مكانٌ لتجمُّع النَّاس، والأغلبية مِنَ العاملينَ فيها من النَّصَارى. كما أنَّها مناجم للنَّجَاسَات، والاحتفال الديني أو شعيرة المُسلِم تتطلَّبُ النظافة وعدم الاختلاط، فكيفَ سيذهبون لإقامتِها في مكانٍ مشكوكٍ فيه؟ لقد أُنشِئَتِ الحمَّاماتُ مِنْ أَجلِ نظافةِ الأجسادِ، أمَّا الادِّعَاءُ باجتماعِ النِّساء مَعَ الرِّجال في تلك الحمَّامات؛ فهذا أمرٌ لا يُعْقَلُ وإنْ فُعِلَ فلنْ يكونَ سِرًّا، فهنالك مناسباتٌ وأماكن أخرى يمكنُ أَنْ تتمَّ فيها الخَلْوَة (إنْ أرادُوا)؛ فلا يُوْجَدُ كثيرٌ من النَّاس عند وجودِهِنَّ.

تَوْجَدُ الحمَّاماتُ في كلِّ مكانٍ في المقاطعاتِ كُلِّها، وإنْ تَمَّ من هَدْمِها في وقتٍ مَا سابق في مملكة قشتالة [مدة سقوط غرناطة]؛ فَذلك لِمَا تُسَبِّبُهُ الحمَّاماتُ من الضَّعفِ في القُوى والحماس لدى الرِّجالِ في الحربِ، بخلافِ حالِ السُّكَّان الأصليّين في مملكة غرناطة؛ فالرِّجالُ لم يكن عندهم قتال، والنساء لم يَحْتَجْنَ جسديًّا إلى هذه القوة؛ إنَّمَا فقط يُرِدْنَ أَنْ يَكُنَّ نظيفاتٍ.

---

[١] **أنطونيو دي جوبارا (Antonio de Guevara)**: كاتب ومُؤَرِّخ إسباني في القرن السادس عشر الميلادي، وعَمِلَ في مَنْصِبِ مطران في وادي آش.

[٢] **زناته**: منطقة تقع جنوب وادي آش؛ تحوَّلَ اسْمُها بعد سقوط غرناطة إلى (Marquesado).

ونتساءَلُ مَنْ سَيدفَعُ عنهم الضَّرَرَ إنْ لم يغتَسِلُوا في تلك الحمَّامات أو الجنادل، أو النافورات أو الأنهار، أو في منازلهم، وإلى أين سيذهبون للاغتسال؟ إنَّ ذهابَ الموريسكيّين إلى حمَّامات صِحّيَّة من أجل الاستشفاء من أمراضهم أَمْرٌ صعبٌ يُكَلّفُهُم الكثيرَ من العمل والنقود، ومن أجلِ استخراج رخصة لبنائِهِ [حمَّام جديد] سيكون الوقت ضائِعًا [باستحالة الأمر].

الدفاع عن حجاب المرأة الموريسكيَّة:

الرغبةُ في عَدَمِ تغطيةِ النِّساء لِوُجُوهِهِنَّ؛ هل هو إعطاء فرصة للرجال للإقدام على الخطيئة، وجَعْل أَيَّ شخص مُغْرَمٍ بِرُؤيَة امرأةٍ حسناءَ؟ ومِنْ ثَمَّ فإنَّ القبيحات [أقلَّ جمالًا] لن يَجِدْنَ مَنْ يريدُ الزّواج بِهِنَّ، فإنَّ تَسَتُّرَ النساء الموريسكيَّات يرجعُ إلى رغبتِهِنَّ في أَلَّا يُعْرَفْنَ، والرَّدُّ على أَنْ يَكُنَّ كالنساء النَّصرانيَّات: هو حَقٌّ يُرَادُ به إيجاد ذريعة لإزعاجِهِنَّ، ولهذا تَعَهَّدَ المَلِكُ الكاثوليكي [فيرناندو] أَنَّ أَيَّ نصرانيٍّ يَكْشِفُ وَجْهَ امرأةٍ موريسكيَّةٍ في حالِ نُزُولِها للطريق استوجبَ العقوبات الشديدة؛ فالأمرُ بهذا الشكل ليسَ فيه إهانة لأيّ شيءٍ يتعلق بالنصرانيَّة، ومِنْ ثَمَّ لماذا نُثِيرُ استياءَ السُّكَّان الأصليّين لغرناطة بسبب تغطيةِ أم كَشْفِ وُجُوهِ نِسَائِهِم؟!

الدِّفاع عن الأسماء والألقاب العربية:

إنَّ استعمالَ الألقاب القديمة [العربية] التي تَوَارَثْنَاها تُسَهِّلُ للنَّاسِ أَنْ يَعرِفَ بعضُهم بعضًا، ومِنْ دُونِها لن نستطيعَ تمييزَ الأشخاص أم الأنساب؛ فما وَجْهُ الاستفادة من أَنْ تَضِيعَ ذَوَاتُنَا؟ وبِتَأَمُّلِ الجيّد لِمَا فَعَلَهُ المَلِكَانِ الكاثوليكيَّان عندما فَتَحَا تلك المملكة [غرناطة] سنزداد مَجْدًا وعَظَمَةً، فالنِّيَّةُ الحسنةُ والإرادة التي امتلكَها المَلِكَان ومِنْ بعدِهِما الإمبراطور كارلوس وصلتْ بهم إلى المَجْدِ؛ بسببِ حفاظهم على القصور العربية الثرية في الحمراء، والقصور الأخرى الأقل منها ثراءً؛ لأنَّها ستكون في الذاكرة للأبد، ومَصْدَرَ احتفاءٍ لِسُلْطَتِهِم، وفَوْزًا للفاتحين.

الدفاع عن اندماج فئات من المُطَارَدِين مع الموريسكيّين:

لا شَكَّ أنَّ مَلَاحَقِي المُطَارَدِين من هذه المملكة شَيءٌ عادلٌ مُقدَّسٌ، ولا فائدةَ تأتي من تواصُلهم مع السُّكَّانِ الأصليّين، علاوةً على ذلك فقد مَنَعَتِ السُّلُطَاتُ التَّواصُلَ معهم مَرَّاتٍ عديدةً، ولم يكتملْ ذلك التَّواصُلُ أبدًا، ولكنَّ تنفيذَ الطَّرْدِ الآن لن يتركَنا من دُونِ جَلْبِ المتاعب؛ لأنَّ الأغلبيَّةَ منهم قد أصبحوا بالفعل غرناطيّين فقد تزوَّجُوا ووُلِدَ لهم أبناء وأحفاد متزوّجون أيضًا، وهذا كُلُّهُ سيكون مسؤوليَّةً في الضمير في حالِ طَرْدِهِم من هذه الأرض.

الدفاع عن حقِ تَمَلُّك الموريسكيِّين للعبيد:

لا يُوْجَدُ مُعَوِّقٌ في أَنْ يمتلكَ السُّكَّانُ الأصليُّون عبيدًا، أليسَ لَدَى هؤلاء النَّاس [الموريسكيِّين] مصالحُ تحتاج إلى عبيد؟ أليسَ الجميعُ مُتَسَاوِين داخل المملكة في هذا الحَقِّ؟ إنَّ القولَ أَنَّ الأُمَّةَ الموريسكيَّةَ تتقوَّى بهؤلاء العبيد هو شَغَفٌ لِمَنْ لا يريدُ معرفةَ الحقيقة.

وقد بلغ جلالتكُم من خلال محاكم طليطلة أَنَّ في هذه المملكة [غرناطة] عشرين ألفًا من العبيد الزُّنوج تحت إِمْرَةِ السُّكَّان الأصليّين وما زالُوا يتناقَصُون حتَّى وصلوا إلى أقلِّ من أربعِ مِئَةٍ من العبيد، وفي الوقت الرَّاهِنِ لا يُوْجَدُ لدينا أكثر من مِئَةٍ لِتَمَلُّكِهِم، وهذه الإحصاءاتُ خرجت-كذلك-بتأكيد من رجال الدين.

الدفاع عن اللُّغَة العربية:

وَلْنَنْتَقِلْ إلى الحديث عن اللُّغَةِ العربيَّة، فأكبر ما في القرارات السَّابقة مِنْ مُعَوِّقَات: كيف يُمكِنُ مَحْو اللُّغَة الأصلية للنَّاس، وهي التي وُلِدُوا ونَشَؤُوا عليها؟ المصريُّون والسّرياليُّون والملطيُّون وأناس آخرون منهم نَصَارى يكتبون ويقرؤُون ويتكلَّمون باللُّغَة العربيَّة ومع ذلك هم نَصَارى مثلَنا، وحتَّى الآن لم يُعْثَرْ في هذه المملكة [غرناطة] على أيِّ وثيقةٍ مكتوبة باللُّغَة العربية سواءٌ في البُيُوع أمِ العقود؛ منذُ أنْ تمَّ التَّنصيرُ.

إنَّ تعَلُّمَ اللُّغَةَ القشتالية أَمْرٌ يتمنَّاهُ كُلٌّ مِنَّا، ولكنَّهُ شَيْءٌ ليس بأيدي النَّاس، فكم عددُ الأشخاص في الضِّيَاع والأحياء-خارج وداخل تلك المدينة- الذين ما زالُوا يتكلَّمون لُغَتَهُم العربية الفُصْحَى؟ لا يعرف الجميع التَّواصُلَ بها، بالإضافة إلى أنَّهُم مختلفون في نُطْقِ لُغَتِهِم بعضهم عن بعض، وتشكَّلت لهم لهجات كثيرة متباينة؛ فيكفي أَنْ تسمعَ رجلًا من البشرات لتعرفَ مدى شدَّةِ هذا التَّبَايُنِ؟! لقد وُلِدَ بعضُ الموريسكيّين ونَشَأَ في أماكنَ متطرفةٍ، فلم يتكلمْ أَحَدٌ أبدًا فيها الأعجمية أم حتَّى فهِمَهَا، غير جوقة الكنيسة أو جامع الضَّرائب أو الشماس، وهؤلاءِ كُلُّهُم دائمًا يتكلَّمونَ معهم بالعربيَّةِ، سيكونُ أمرًا عسيرًا جدًّا؛ بل شِبْهُ مستحيلٍ أَنْ يتعلَّمَ كبار السِّنِّ اللُّغَةَ القشتالية فيما تبقَّى لهم من العُمُر في هذه الحياة، والاختصار الشديد في مُدَّة التَّعلُّم لثلاث سنوات؛ لن يُمَكِّنَهم من فِعْلِ أَيِّ شيء سوى الذهاب والعودة إلى المدرسةِ.

إنَّ هذا القانونَ إنَّمَا اسْتُحْدِثَ لتدميرنا بالتأكيد؛ لأنَّه لا يُوْجَدُ مَنْ يستطيع أَنْ يُعَلِّمَ اللغة الأعجمية، تُرِيدُون من النَّاس أَنْ يتعلَّمُوها بالقوة، وأَنْ يتركُوا اللُّغَةَ التي تكوَّنت عليها معرفتُهُم، وإجبارِهِم على دَفْعِ ضرائبَ باهظة لا يتحمَّلُونها، وإعطاء [محاكم التفتيش] فرصةً لِفَرْضِ الاتِّهامات

والعقوبات عليهم. والخوف من العُقُوبات سيجعلُهُم يتركُون أرضَهُم ويَفِرُّون إلى أماكنَ أُخْرَى؛ أو أَنْ يُصبِحُوا من المُطَارَدِين وقُطَّاع الطُّرُق.

في النِّهاية أَتَفَهَّمُ أَنَّ تنفيذَ القرار من أجلِ الاستفادة والعلاج وخلاصِ الأرواح؛ ولكنْ يجبُ تَفَهُّمُ الضَّرَرِ الجسيم الذي سَيَبْقَى، وسيكون سببًا في إدانة الأغلبية؛ إنْ لم يكن رُؤساء تلك المحاكم في حمايةِ ومصلحة هذا الشَّعْبِ المنكوب [الموريسكي]، فإذا شَعَرُوا بالإهانةِ مِنْ شيءٍ ما؛ ذَهَبُوا إليهم فأَنْصَفُوهم كأنَّهُم مُوَاطِنُون أصليُّون، وفَعَلُوا الخيرَ إلى رَعِيَّتِهِم، وهو الشَّيْءُ نفسُهُ الذي ينتظرُهُ الجميع من فخامتِكُم. وهل يُوْجَدُ أناسٌ أكثر شرورًا ووضاعةً من الزُّنوج العبيد من غينيا؟ ومع ذلك فَهُمْ مسموح لهم بالغناء والرقص والتَّكَلُّم بِلُغَتِهِم.

حاشا لله أَنْ يكونَ ما قُلْتُهُ هنا قولًا خَبيثًا، فَنِيَّتِي فطريَّةٌ طَيِّبَةٌ، ودَائِمًا أنا خادمُ الرَّبِّ إلَهِنَا، والتَّاج المَلَكِي، والسُّكَّانِ الأصليِّين كُلِّهِم في تلك المملكة؛ أسعى إلى ما فيه الخيرُ لهم، هذا الواجب في دَمِي، ولا يمكنُنِي إنكارُهُ، ولِمُدَّةٍ تَرْبُو على السَّبعين عامًا أُشَارِكُ في تلك المفاوضات، وفي المناسباتِ كُلِّها كنتُ أَحَدَ المُفَاوِضِين. سَيِّدي؛ انْظُرْ إلى هذا كُلِّهِ بعينِ الرحمة، لا تَتَخَلَّ –فخامتُكَ– عن القِلَّةِ الضُّعفاء الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم في مقابل مَنْ عندَهم القوَّةُ الدِّينيَّةُ كُلُّها، أُعَبِّرُ عن إحباطي لجلالتِكُم، وأحاول معالجةَ كثيرٍ من الشرور التي نتوقَّعُها، وسأفعلُ ما هو واجبٌ كُلَّهُ كونِي فارسًا نصرانيًّا؛ سنكون في خدمةِ الرَّبِّ وجلالتِكَ دائمًا، وهذه المملكةُ ستظلُّ وَفِيَّةً في تنفيذِ الواجب [١].

---

[١] كربخال، وقائع ثورة الموريسكيّين، ج١، ص ص: ١٩٧-٢٠٦.

الملحق رقم (١٠): وثيقة طَرْد الموريسكيّين في بلنسية ٢٢ سبتمبر عام ١٦٠٩م.

سرقسطة ١٦٠٩م

رسالةٌ من المَلِك دُون فيليب الثالث

القاضية بإجلاء الموريسكيِّين من مملكة بلنسية

المنشورة في ٢٢ من شهر سبتمبر عام ١٦٠٩م

من سُمُوِّ المَلِك الكاثوليكي؛ سيّدنا دُون فيليب الثالث، إلى دُون لويس كرّليو الطُّليطلي؛ مُلَازِمَهُ والقبطان العام بمملكة بلنسية:

المُتعلّق بإجلاءِ الموريسكيّين من تلك المملكة، وكذلك إعلانِ تنفيذِهِ المنشور في ٢٢ سبتمبر عام ١٦٠٩م. مطبوع بسرقسطة؛ من طَرَفِ لُزنسو وبيدرو دي روبلاس، ١٦٠٩م.

دُون لويس كرّليو الطُّليطلي ماركيز Carazena، سَيِّد مدينة Pintoو Ynes، حاكم Montizon، نائب المَلِك، والمُلَازِم والقبطان العام لمدينة بلنسية وممتلكاتها، من قِبَلِ سيِّدنا المَلِك إلى كُبَراءِ الكنيسة جميعهم، إلى الفقهاء جميعهم، إلى البارونات جميعهم، إلى الفرسان جميعهم، إلى ضُبَّاط العدل جميعهم، إلى أعضاء اللِّجَان بالمُدُن والقُرَى والمداشر جميعهم، إلى الحُكَّام العامّين جميعهم، إلى الأمراء جميعهم، إلى الوزراء الآخرين ومُمَثِّلِي سُمُوِّ الملك جميعهم، إلى المواطنين جميعهم، إلى السُّكَّان وجميع الأشخاص بهذه المملكة جميعهم.

في إحدى رسائلِهِ المَلَكِيَّة، المُؤَرَّخَة في ٤ أغسطس من العام الحالي؛ مَمْضِيَّةً بِيَدِهِ المَلَكِيَّة، المُوَثَّقَة من طَرَفِ أندريس دي برادا؛ أمينِ دولتِهِ، كَتَبَ إلينا التَّالي:

المَلِك ماركيز كرزينة، ابن عَمّي ومُلَازِمي، والقبطان العام لمملكة بلنسية. تُوَافِقُنِي أَنَّنَا، بعد محاولتِنا طوال سنين عديدة لتنصير الموريسكيّين بهذه المملكة وبقسطيلية، وبعد مراسمِ العفوِ التي مَنَنَّا بها عليهم؛ إجابةً لطلباتهم الشرعية بشأنِ تعليمِهِم شعائرَنا الدينية، وقلَّة النتائج بعد تلك الجهودِ كُلِّها. فَإِنَّنَا لم نَرَ أحدًا تَنَصَّرَ، بلِ العكس؛ فَإِنَّ عنادَهُم لم يَزْدَدْ إِلَّا تَفَاقُمًا –مع أخطارِهم وأضرارِهم التي لا تَتَلافَى، التي قد تَحْدُثُ من جَرَّاءِ اختفائِهِم؛ فَإِنَّ العديد من العلماء والقِدّيسين قد طَلَبُوا مِنّي إيجادَ العلاجات الواجب اتِّخَاذُها. تَبَعًا لذلك، لِمَا يَحْمِلُنِي عليه ضميري كَيْ يهدأَ غَضَبُ رَبِّنَا الذي انْتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ من قِبَلِ هؤلاء القوم. وأَنَا واثِقٌ أَنَّ بإمكاني معاقبتُهُم بغيرِ أَدْنَى وَرَعٍ بالقتل، ومصادرة

مُمْتَلكَاتِهِم، وذلك لتكرارِهِم الجرائمَ؛ فَإنَّنِي لم أَزَلْ أطمعُ في استجلابِهِم باللّين والرَّأفَة، وذلك لأمري على أَنْ تجتمعَ بهذه المدينة نفسِها الجماعة "Junta" التي تَعْرِفُها، والتي شاركتَ فيها بجانب البطريرك وكبار رجال الكنيسة والعلماء؛ للدراسة، مرَّة أخرى؛ للوسائل الكفيلة بإيجادِ عُذْرٍ يَحُولُ دُونَ إجلائِهِم من المملكة. إلَّا أنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الموريسكيّين بهذه المملكة وكذلك بقسطيلية؛ قد تَعَدَّوْا حَدَّ الشَّناعة باتِّبَاعِهِم مُخَطَّطَهُم المُضِرَّ. وبفضل معلومات من مصادر موثوقة وجديرة بالتصديق؛ فَإنَّنِي قد عَلِمْتُ أَنَّهُم كَرَّرُوا مظاهراتِهِم بالرِّدَّة والمَسَاسِ بالسُّلْطَةِ.

وحتَّى يَدْخُلَ ما أَمَرَ به جنابُهُ حَيّزَ التطبيق بالفعل؛ فَإنَّنَا نأمرُ بنشرِ القرار التَّالي:

أَوَّلًا: في الأيام الثلاثة التي تَلِي نَشْرَ هذا القرار؛ فَإنَّهُ يجب على الموريسكيّين جميعِهِم، رجالًا ونساءً وأطفالًا، الموجودين بهذه المملكة؛ أَنْ يُغَادِرُوا مَقَرَّات سُكْنَاهُم، التي يمتلكون فيها منازل، وليتوجَّهُوا للمكان الذي يأمرُهُم المُفَوَّضُ المُكَلَّف بهذه العملية؛ الذي سيأمرُهُم بالذهاب إلى مواضِعَ مُحَدَّدَة للرُّكوب على مُتُونِ سُفُنٍ. وذلك مع سَهَرِهِم على اتِّبَاعِ التعليمات بِدِقَّةٍ؛ فلن يأخذُوا من متاعِهِم وأموالهم إلَّا ما يستطيعون حَمْلَهُ عند امتطائِهِم الفَلَكَاتِ والسُّفُن التي ستحملُهُم إلى بلاد البربر؛ فهناك مَرْسَاهُم.

ثم إنَّهُ من الواجب أَلَّا يتعرَّضُوا إلى أدنى تَعَدٍّ أم شَغَبٍ؛ لا في أنفسهم ولا في أمتعتِهِم وأموالهم، لا بالفعل ولا الكلام.

ولَنَذْكُرْ أنَّهُ يجبُ تزويدُهُم بالغذاء اللازم طوال الرحلة؛ زيادةً على ما يحملونَهُ معهم.

فَكُلُّ مَنْ لم يُطَبِّقْ هذه التعاليم أو يتعدَّى أَيًّا من النقاط التي يَحْوِيها هذا القرار؛ فَإنَّهُ سيستوجِبُ الحكمَ النهائي بالإعدام من دُونِ استطاعة اللُّجُوءِ إلى أيّ طَعْنٍ فيه.

ثانيًا: إذا مَضَتِ الأيَّامُ الثلاثة من إعلان هذا القرار فَإنَّ كُلَّ موريسكيٍّ، أيًّا كان، سَيُعَدُّ خارجًا على القانون؛ إذا عُثِرَ عليه في الطريق خارجَ مَحلِّ سُكْنَاهُ، أم في أَيِّ مَوْضِعٍ آخَرَ، قبل أَنْ تُبْحِرَ السَّفينةُ الأولى.

وعليه، فبإمكانِ كُلِّ مَنْ عَثَرَ عليه أَنْ يُلْقِيَ عليه القبضَ، وأَنْ يَسْلبَهُ مالَهُ وأمتعتَهُ، وأَنْ يُسَلِّمَهُ لأقربَ ضابطِ عدالةٍ – من دُونِ أَنْ يتعرَّضَ القابِضُ لأيِّ معاقبةٍ، وإنْ دَافَعَ الموريسكيُّ عن نفسِهِ؛ فَلِلْقَابِضِ أَنْ يَقْتُلَهُ.

ثالثًا: كُلُّ موريسكيٍّ يتعرَّضُ لنفسِهِ بالعقوبة، كَمَا صُرِّحَ به؛ إلَّا أَنْ يَمْكُثَ في مَوْضِعِ سُكْنَاهُ من دُونِ مغادرتِهِ، فعليه أَنْ يَمْكثَ هنالك رَيْثَمَا يأتي المُفَوَّض الذي يسوقُهُ إلى موضعِ الرُّكوب للإبحار.

رابعًا: كُلُّ موريسكيٍّ يقوم بإخفاءِ أم دَفْنِ أموالِهِ التي لا يستطيع حَمْلَها، أم بإحراقِ بيتِهِ، أم مزارعِهِ، أم حدائقِهِ، أم غاباتِهِ؛ فَإِنَّ مصيرَهُ القتلُ، وكذلك الَّذِين يسكنُونَ المَحَلَّةَ التي ارْتَكَبَ فيها ذلك. إِنَّنَا نأمرُ أَنْ تُنَفَّذَ فيهم تلك العقوبة؛ ذلك جلالةُ المَلِك قد قَرَّرَ أَنْ تعودَ تلك المُمْتَلَكَاتُ والعقارات والأثاث الذي لم يَستطِعِ الموريسكيُّون حَمْلَهُ إلى السادة الذين كانوا خُدَّامًا لهم.

خامسًا: قَصْدَ ضمانِ مواصلةِ عملِ مطاحنِ السُّكَّرِ، وحصادِ الأُرْزِ، ولِتَبْقَى الأراضي الفِلَاحِيَّة تحت السَّقْيِ، وَلِيَطْمَئِنَّ السُّكَّانُ الجُدُدُ، الذين يأتُون لاستغلال ذلك؛ فَإِنَّ جلالةَ المَلِك، بعد إِطْلَاعِنَا إِيَّاهُ على ذلك كُلِّهِ؛ قَرَّرَ أَنْ يُبْقِيَ لكلِّ مِئَةِ مسكنٍ ستَّةً من الموريسكيِّين بِنِسَائِهِم وأبنائِهِم، شَرْطَ أَلَّا يكونَ الأبناءُ مُتَزَوِّجِين أو قد تَزَوَّجُوا من قَبْلُ، وأَنْ يكونُوا تحت ولاية آبائِهِم، هكذا تقريبًا يكون الشأن؛ حسب استيعاب كُلِّ منطقة من غير زيادة.

يعودُ اختيار العائلات الموريسكيَّة التي ستبقى إلى أسيادِهِم المَحَلِّيِّين، ثم يجب عليهم أَنْ يُخبِرُونا، فيما بعد؛ بعددِ النَّفَرِ الذين قَرَّرُوا أَنْ يُبْقُوهُم معهم. أمَّا أولئك الذين سَيَبْقُونَ في أراضي جلالة المَلِك؛ فَإِنَّ اختيارَهُم يعود إلينا.

وَنُنَبِّهُ هؤلاءِ وأولئكَ أَنَّ الأفضلَ اختيارُ المُسَنِّينَ، الذين لا شُغْلَ لهم سِوَى الفِلَاحَةِ، وإِنَّهُ يجبُ اختيارُهُم من بين الذين أَبْدَوْا الصِّدْقَ تِجَاهَ المسيحيَّة، وأعطَوْا أكثرَ إرضاءً مِمَّا يَجِبُ للبُرْهَان على اعتناقهم الخالص لإيمانِنَا الكاثوليكي المُقَدَّس.

سادسًا: ممنوعٌ على أَيِّ مسيحيٍّ قديمٍ، أم جنديٍّ طبيعيٍّ بهذه المملكة؛ أَنْ يتعدَّى على أَحَدٍ من الموريسكيِّين، لا باللَّفْظِ ولا الفعل، وكذلك اغتصاب أموالهم، أم أموال أزواجِهِم، أم أبنائِهِم، أم قومِهِم.

سابعًا: يُمْنَعُ عليهم أَنْ يُخْفُوهُم في ديارِهِم، وكذلك المُدَافَعَة عنهم، أم مساعدتهم في ذلك، أم عَوْنِهِم في الفرار. وعقوبةُ ذلك تكون بإجلائِهِم لمدة سِتِّ سنوات في البحر مع التنفيذ الفوري؛ زيادةً على عُقُوباتٍ أخرى يعود تحديدُها إلى ما نراهُ نحنُ.

ثامنًا: كَيْ يَفْهَمُ الموريسكيُّون أَلَّا قَصْدَ لجلالةِ المَلِك سِوَى إجلائِهِم من مَمَالِكِهِ؛ من دُونِ أَنْ يتعرَّضُوا لأدنى انتهاكٍ في حُقُوقِهِم، وذلك طوال الرحلة، وإلى أَنْ ينزِلُوا على سواحل أرض البربر، لِذَا فإنَّنَا نسمحُ لعشرةٍ من الموريسكيِّين، من بين الذين يركبون الرحلة الأولى؛ أَنْ يَرْجِعُوا مع السفينة، حتى يُخْبِرُوا الآخرينَ بحالِ السفر. وهكذا، لِيَكُنِ الشَّأنُ مع كُلِّ سفينة تُبْحِرُ. وفي الصَّدَدِ نفسِهِ سنكتبُ لِقَبَاطِنَةِ المراكب ورَبَابِنَة سُفُنِ الأرامادا؛ حتَّى يَعْلَمُوا أَنَّهُ لا يُسْمَحُ لأيِّ من جنودهم ولا بَحَّارَتِهِم أَنْ يَنْتَهِكُوا حُرْمَةَ أَيٍّ من الموريسكيِّين، لا باللَّفْظِ ولا الفعل.

تاسعًا: بإمكان البنين والبنات، الذين لا تتجاوزُ أعمارُهُم سِنَّ الأربعة أعوام؛ أَنْ يَبْقَوْا مع أهلِهِم أم مُرَبِّيهِم إِنْ كانوا يَتَامَى، فَإِنَّهُم لن يُجْلَوْا.

عاشرًا: يجبُ على البنين والبنات، الذين آباؤُهُم مسيحيُّون قُدَامَى، وبَلَغُوا السِّتَّ سنوات؛ أَنْ يَبْقَوْا مع أُمَّهَاتِهِم، وإِنْ كُنَّ موريسكيَّاتٍ. أمَّا إذا كان الأبُ موريسكيًّا والأُمُّ مسيحيَّةً قديمة؛ فالواجبُ أَنْ يُجْلَى الوالدُ، وَلْيَبْقَ الأطفال؛ الذين لا تتجاوزُ أعمارُهُم السِّتَّ سنين مع أُمَّهَاتِهِم.

حادي عَشَرَ: أولئكَ الذين قَضَوْا مدة طويلة، نحوَ السَّنَتَيْن مع المسيحيِّين؛ من دُونِ أَنْ يُخَالِطُوا الجماعاتِ.

ثاني عَشَرَ: أولئكَ الذين حَظَوْا بالقربان المُقَدَّس مع إجازة الأَسْقُف المَحَلِّي؛ الذي يجبُ أَنْ يكونَ هو بِدَوْرِهِ حائزًا على تثبيتِ المُوَجِّهِ القائِمِ على تلك المنطقة.

ثَالِثَ عَشَرَ: لا يَخْفَى على جلالةِ المَلِك المُطَّلِع عن كَثَبٍ على الأمور، وإِنَّ جلالتَهُ يَنْظُرُ بعينِ الرِّضَا لكونِ بعض الموريسكيِّين يُفَضِّلُون الذهاب إلى ممالك أخرى؛ فَإِنَّهُم أحرارٌ في اختيار المواضِع التي يُرِيدُون قَصْدَها، إِلَّا أَنَّهُ يُمْنَعُ عليهم النُّزُولُ في أَيٍّ من الأصقاع التي تنتمي إلى التَّاج الإسباني؛ مع العلم أنَّهُ يجبُ عليهم مغادرةُ مَسَاكِنِهِم في الآجال المُحَدَّدَة فيما سبق.

هذه هي الإرادةُ المَلَكِيَّةُ الحازمةُ، ولَتُنَفَّذِ العُقُوباتُ المنشورةُ في هذا القرار بصفةٍ صارمةٍ؛ من دُونِ قَبُولِ أَيِ طَعْنٍ.

وكَيْ يُطَاعَ الجميعُ على هذا الخبرِ؛ فقد تَوَجَّهَ الأمرُ بِنَشْرِ هذا القرار عبرَ القنوات المعتادة.

مُؤَرَّخٌ بالمَلَكِيَّة ببلنسية، في ٢٢ من شهر سبتمبر عام ١٦٠٩م.

"الماركيز دي كرزينه"، بتفويضٍ من فخامتِهِ، "منوال دي إسبنوسا". [١]

---

[١] القاسمي، سلطان بن محمد، **إِنِّي أُدِينُ**، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠١٧م، ص ص: ١٢٥–١٣٣، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: القاسمي، إِنِّي أُدِينُ).

صورة الوثيقة من نُسْخَة الأصل باللُّغَة الإسبانية[1]

Zaragoza - 1609 -

[1] القاسمي، إنّي أُدِينُ، ص ص: ١٣٦-١٤٠.



COPIA DE LA CARTA QVE LA MAGESTAD CATOLICA DEL REY

Don Felipe III. nuestro Señor embio a Don Luys Carrillo de Toledo, su Lugartiniente, y Capitan General en el Reyno de Valencia, para echar los Moriscos de aquel Reyno. Y del Pregon que en execucion della se publicò en veynte y dos de Setiembre, deste Año de 1609.



Con licencia del Illustrissimo Señor Gouernador de Aragon, y del Ordinario deste Arçobispado.

Impressa en çaragoça, por Lorenço, y Pedro de Robles padre y hijo. 1609.

Vendense al ARCO de la NAV, en la misma Imprenta.

POR SV MAGESTAD.

DON Luys Carrillo de Toledo, Marques de Carazena, Señor de las villas de Pinto, y Ynes, Comẽdador de Chiclana, y Montizon, Virrey, Lugartiniente, y Capitan General en eſta Ciudad y Reyno de Valẽcia por el Rey nueſtro Señor. A los Grandes, Prelados, Titulados, Barones, Caualleros, Iuſticias, Iurados de las ciudades, villas, y lugares, Bayles Generales, Gouernadores, y otros qualeſquier miniſtros de ſu Mageſtad, Ciudadanos, vezinos, y particulares de eſte dicho Reyno. Su Mageſtad en vna ſu Real Carta, de quatro de Agoſto paſſado deſte preſente Año, firmada de ſu Real mano, y refrendada de Andres de Prada ſu Secretario de Eſtado, nos eſcriue lo ſiguiente.

EL REY.


Arques de Carazena, Primo, mi Lugartiniente y Capitan General del mi Reyno de Valencia. Entẽdido teneys lo que por tan largo diſcurſo de años he procurado la conuerſiõ delos Moriſcos deſſe Reyno, y del de Caſtilla, y los Editos de gracia q̃ ſe les concedieron, y las diligencias que ſe han hecho para inſtruyllos en nueſtra Fê, y lo poco que todo ello ha aprouechado, pues ſe ha viſto, que ninguno ſe aya conuertido, antes ha crecido ſu obſtinacion. Y aunque el peligro, y irreparables daños que de diſsimular con ellos, podia ſuceder, ſe me repreſento dias ha, por muchos y muy doctos y ſantos hombres, exortandome al breue remedio, a que en conciencia eſtaua obligado, para aplacar a nueſtro Señor, que tã ofendido eſta deſta gente: aſſegurandome, que podia ſin ningun eſcrupulo caſtigarlos en las vidas y haziendas, porque la continuacion de ſus delitos los tenia conuencidos de hereges apoſtatas, y proditores de læſa Mageſtad, diuina y humana. Y aunq̃ pudiera proceder contra ellos, con el rigor q̃ ſus culpas merecian, todavia deſſeando reduzirlos por medios ſuaues y blandos, mande hazer en eſſa Ciudad la junta que ſabeys, en que concurriſtes vos, el Patriarca, y otros Prelados, y perſonas doctas, para ver ſi ſe podia eſcuſar el ſacallos deſtos Reynos. Pero auiendoſe ſabido, que los deſſe, y los deſte de Caſtilla, paſſauan adelante con ſu dañado intẽto: y he entendido por auiſos ciertos y verdaderos, que continuãdo ſu apoſtaſia y prodicion, han procurado y procurã por medio de ſus embaxadores, y por otros caminos, el daño y perturbacion de nueſtros Reynos. Y deſſeando cumplir con la obligacion que tengo de ſu conſeruacion y ſeguridad, y en particular la de eſſe de Valencia, y de los buenos y fieles ſubditos del, por ſer mas euidente ſu peligro, y q̃ ceſſe la heregia y apoſtaſia. Y auiendolo hecho encomendar a nueſtro Señor, y confiado en ſu diuino fauor: por lo que toca a ſu honra y gloria, he reſuelto, que ſe ſaquen todos los moriſcos de eſſe Reyno, y que ſe echen en Berberia.

Y para que ſe execute, y tenga deuido efecto lo q̃ ſu Mageſtad manda, hemos mandado publicar el vando ſiguiente.

Prime-

1 PRimeramente, que todos los Moriscos deste Reyno, assi hõbres, como mugeres, con sus hijos, dentro de tres dias de como fuere publicado este vando, en los lugares donde cada vno biue, y tiene su casa, salgan del, y vayan a embarcarse a la parte donde el Comissario q̃ fuere a tatar desto les ordenare, siguiendole, y sus ordenes, lleuãdo cõsigo de sus haziẽdas muebles lo que pudieren en sus personas, para embarcarse en las galeras, y nauios que estan aprestados para passarlos a Berberia, adonde los desembarcaran, sin que reciban mal tratamiẽto, ni molestia en sus personas, ni lo que lleuaren, de obra, ni de palabra. Aduirtiendo, que se les proueera en ellos del bastimento que necessario fuere para su sustento, durante la embarcacion: y ellos de por si lleuen tambien el que pudieren. Y el que no lo cumpliere, y excediere en vn punto de lo contenido en este vando, incurra en pena de la vida, que se executara irremissiblemente.

2 Que qualquiera de los dichos Moriscos, que publicado este vando, y cumplidos los tres dias, fuere hallado desmandado fuera de su proprio lugar, por caminos, o otros lugares, hasta que sea hecha la primera embarcacion, pueda qualquier persona, sin incurrir en pena alguna, prenderle, y desbalijarle, entregandole al justicia del lugar mas cercano: y si se defendiere, le pueda matar.

3 Que so la misma pena, ningun Morisco, auiendose publicado este dicho vando, como dicho es, salga de su lugar a otro ninguno, sino que se esten quedos hasta que el Comissario que los ha de conduzir a la embarcacion, llegue por ellos.

4 ITEM, que qualquiera de los dichos Moriscos, que escondiere, o enterrare ninguna de la hazienda que tuuiere, por no la poder lleuar consigo, o la pusiere fuego, y a las casas, sembrados, huertas, o arboledas, incurran en la dicha pena de muerte, los vezinos del lugar donde esto sucediere. Y mandamos se execute en ellos, por quanto su Magestad ha tenido por bien de hazer merced de estas haziendas, rayzes, y muebles, que no pueden lleuar consigo, a los Señores cuyos vassallos fueren.

5 Y para que se conseruen las casas, ingenios de açucar, cosechas de arroz, y los regadios, y puedã dar noticia a los nueuos pobladores que vinieren, ha sido su Magestad seruido, a peticion nuestra, que en cada lugar de cien casas, queden seys con los hijos y muger que tuuieren, como los hijos no sean casados, ni lo ayan sido, sino que esto se entienda con los que son por casar, y estuuieren debaxo del dominio y proteccion de sus padres: y en esta cõformidad, mas o menos, segun los q̃ cada lugar tuuiere, sin exceder. Y que el nombrar las casas que han de quedar en los tales lugares, como queda dicho, este a eleccion de los Señores dellos, los quales tengan obligaciõ despues a darnos quenta de las personas que huuieren nombrado. Y en quanto a los que huuieren de quedar en lugares de su Magestad, a la nuestra. Aduirtiẽdo, q̃ los vnos y los otros hã de ser preferidos los mas viejos, y q̃ solo tienen por oficio cultiuar la tierra, y q̃ sean de los q̃ mas muestras huuierẽ dado de Christianos, y mas

mas satisfaciõ se tenga, de q̃ se reduzirã a nuestra S. Fe Catholica.

6 QVE ningũ Christiano viejo, ni Soldado, assi natural deste Reyno, como de fuera del, sea osado a tratar mal de obra, ni de palabra, ni llegar a sus haziendas, a ninguno de los dichos Moriscos, a sus mugeres, y hijos, ni a persona dellos.

7 QVE assi mismo no los oculten en sus casas, encubran, ni den ayuda *para* ello, ni para que se ausenten, so pena de seys años de galeras, que se executaran en los tales irremissiblemente, y otras que reseruamos a nuestro arbitrio.

8 Y para que entiendan los Moriscos, que la intencion de su Magestad es solo echallos de sus Reynos, y que no se les haze vexacion en el viaje, y que se les pone en tierra en la costa de Berberia, permitimos, que diez de los dichos Moriscos, que se embarcaren en el primero viaje, bueluan, para que den noticia dello a los demas. Y que en cada embarcacion se haga lo mismo: que se escriuira a los Capitanes Generales de las galeras, y armada de nauios, lo ordenen assi, y que no permitan, que ningun Soldado, ni Marinero, los trate mal de obra, ni de palabra.

9 QVE los muchachos y muchachas menores de quatro años de edad, que quisieren quedarse, y sus padres, o curadores (siẽdo huerfanos) lo tuuieren por bien, no seran expelidos.

10 ITEM, los muchachos, y muchachas menores de seys años, que fueren hijos de Christiano viejo, se han de quedar, y su madre cõ ellos, auuq̃ sea Morisca. Pero si el padre fuere Morisco, y ella Christiana vieja, el sera expelido, y los hijos menores de seys años quedaran con la madre.

11 ITEM, los q̃ de tiempo atras cõsiderable, como seria de dos años, biuieren entre Christianos, sin acudir a las juntas de las aljamas.

12 ITEM, los que recibieren el Santissimo Sacramento con licencia de sus Prelados, lo qual se entendera de los Retores de los lugares donde tienen su habitacion.

13 ITEM, su Magestad es seruido, y tiene por bien, que si algunos de los dichos Moriscos quisieren passarse a otros Reynos, lo puedan hazer, sin entrar por ninguno de los de España, saliendo para ello de sus lugares dentro del mismo termino que les es dado. Que tal es la Real y determinada voluntad de su Magestad, y q̃ las penas deste dicho Vando se executen, como se executaran irremissiblemente. Y para que venga a noticia de todos, se manda publicar en la forma acostumbrada. Datis enel Real de Valencia a 22. dias del mes de Setiembre 1609.

El Marques de Carazena.

Por mandado de su Excelencia.
Manuel de Espinosa.

الملحق رقم (١١): وثيقة طَرْد الموريسكيّين من المَمالِك الإسبانيَّة كافَّةً عام ١٦٠٩م.

"دُون خُوان دي ماندوزا"؛ ماركيز القِدِّيس جرجيس

العضوَ المحترمَ بالغرفة المَلَكِيَّة، ومجلس الحرب،

والقبطان العام للمدفعية،

طَلَبًا من جلالة المَلِك، الذي شَرَّفَنِي بتحرير رسالة لمجلس

دولتِهِ؛ المُصَادَقَة من طَرَفِ أَمِينِهِ أندريس برادا،

بشأنِ نَشْرِ المرسوم القاضي بِطَرْدِ الموريسكيّين من إقليم الأندلس

ومملكة غرناطة،

فإنَّنِي أُعطِيكَ مضمونَهُ:

من المَلِكِ

إلى مركيز القِدِّيس جرجيس، العضو المحترم بالغرفة المَلَكِيَّة ومجلِس الحرب، والقبطان العام للمدفعية.

لقد فَهِمْنَا مضمونَ رسائلكم، والتَّحفُّظات التي أَدْلَيْتُم بها بشأنِ طَرْدِ الموريسكيّين الذي كَلَّفْتُكُم بتنفيذِهِ.

ها أنا أُخبرُكم بالقرارات التي اتَّخَذْتُها، بعد مشاورة اللّاهوتيِّين والفقهاء بشأن أشياء قد تَصْدِمُ الضمير، وقد طالبتُ قبل ذلك مجلسَ دَوْلَتِي بالنَّظَرِ في الأمر:

نساء وأبناء المسيحيّين القُدَامَى الذين تَزَوَّجُوا موريسكيَّات لا يُطْرَدُون؛ لأنَّهُ يَظْهَرُ أَلَّا شَكَّ في صِدْقِهِم في اعتناق الديانة المسيحية.

كُلُّ مَنْ أَبُوهُ مسيحيٌّ قديمٌ؛ فإنَّهُ كذلك، وإن كانت أُمُّهُ موريسكيَّةً.

الموريسكيُّون المُتزوِّجون بمسيحيَّات قُدَامَى يُطْرَدُونَ، إلَّا أنَّهُ لا يجوزُ تَرْكُ أبنائِهم يذهبون إلى دار الكفر؛ بل نِسَاؤُهم هُنَّ اللَّاتِي يذهبْنَ مع الأولاد. وإنْ أَحَدُ الموريسكيِّين أرادَ أَخْذَ امرأتِهِ (وإنْ كانت مسيحيَّةً قديمة) إلى دار الكفر، مع اعتراضِها؛ فلها الحقُّ أَنْ تَرْفُضَ، أمَّا إنْ كانت ترغبُ في مرافقة زوجِها؛ فلا شَيْءَ يمنعُها من ذلك.

أمَّا أبناءُ الموريسكيِّين البرابرة والأتراك الذين فَرُّوا لِيعتنِقُوا دينَنَا؛ فإنَّهُم غيرُ مَعنِيِّينَ بمرسوم الطَّرْدِ هذا، ولكنَّه سيظلُّ، وفقًا للقانون؛ مُمْكِنُ التطبيق عليهم، وعلى أيِّ مسيحيٍّ قديمٍ بشأن الخروج من الدِّين؛ طَرْدُ هذا النَّمَطِ من الناس، يعني: غَلْقَ الباب أمام الذين يُرِيدُون الدخول في ديانة المسيح بَدَلَ أَنْ يَبْقَوْا كُفَّارًا.

يُطْرَدُ الموريسكيُّون الأصليُّون والموريسكيَّاتُ الأصليَّاتُ كُلُّهُم، مَهْمَا كانت أعمارُهُم؛ الَّذِين لا يَعُوقُهُم مَرَضٌ، أو عدمُ قدرة على السفر، وذلك لأنَّنَا نعلمُ بالبُرْهَان أَنَّ قوَّةَ تَشَبُّثِهِم بِمِلَّتِهِم الملعونةِ؛ تُمَثِّلُ إمكانَ انتشار عدوى طريقتهم البائسة في الصغار الذين بَقَوْا. وحتَّى لا يكون هناك مُغَالَطَات فيما يَخُصُّ الأعذارَ المذكورة؛ فَإنَّهُ يجب التَّأكُّد من ذلك بالمعاينة، ولا يُكْتَفَى بأقوال الشهود. أَمَّا أولئك الذين لا يُمْكِنُكم فَحْصُهُم؛ فَوَكِّلُوا أناسًا أمناءَ جِدًّا تَثِقُونَ فيهم تمامًا حتَّى يَكْشِفُوا عنهم، ومَهْمَا كان السَّببُ؛ فإنَّهُم لا يَسْتَثْنُونَ أحَدًا لا يدخلُ في الموانعِ المذكورة.

أمَّا عن مسألة ما يجبُ فِعْلُهُ من الموريسكيِّين الذين دَخَلَ آباؤُهُم في ديانَتِنَا رغبةً فيها قبل استسلامِهِم العامِّ، خاصَّةً منهم أولئك الذين عاشُوا مسيحيَّتَهُم بصفةٍ مثاليَّةٍ جِدًّا، الذين يَعُدُّونَ أنفسَهُم مسيحيِّين قُدَامَى منذ الأَبَدِ؛ فَإنَّنِي اتَّخَذْتُ القرارَ التَّالي:

بإمكان الذين يَبْدُونَ أهلًا لهذا العفوِ، والذين مُنِحُوا موافقاتٍ من طَرَفِ البطارقة؛ أَنْ يَبْقَوْا.

أَخْبِرُوهُم بمضمون هذه الرسالة حتَّى تَعْلَمُوا ما يَلْزَمُ فِعْلَهُ وفق ما جاء فيها.

أولئك الذين حَظَوا بِرُخَصٍ، أوِ امتيازات مَنَحَهُم إيَّاها والدي، والذين لديهم قضايا تجري منذ سنين في المحاكم المختلفة في هذه الأقاليم؛ فَإنَّنِي أعطيتُ أمرًا بالنَّظَرِ في مطالبهم لدى العدالة. وسَيُكَلَّفُ بعضُ رجال القانون بمتابعة قضاياهم. اسْتَشِيرُونِي بشأن الأحكام القضائية التي يجب اِتِّخَاذُها؛ وسأُخبِرُكم بالقرار الذي سَيُتَّخَذُ.

فيما يَخُصُّ موقِفَنا بشأن أبناء الموريسكيِّين، فقد ظَهَرَ لنا أنَّهُ بصفة عامَّة؛ من الحَسَنَ أَنْ نسمحَ للموريسكيِّين الذين صَرَّحُوا بالذهاب عبرَ البحر، أو البَرّ إلى البلدان المسيحية الخاضعة لِسُلْطَة البابا؛ أَنْ يأخُذُوا معهم أبناءَهُم كُلَّهُم مَهْمَا كانت أعمارُهُم.

أمَّا الذين اختارُوا بلادَ البربر أو غيرها من بلاد الكفر؛ فالواجبُ فَصْلُهُم عن أولادهم الذين لم يَبْلُغوا السابعة من العُمُر، ولِتُحَرَّرْ لائحةً بأسمائِهِم، وَلْتُقَرَّرْ كيفيَّةُ تربيتِهِم. انْشُروا هذا الأمر، واسْهَرُوا على حُسْنِ تطبيقِهِ. إذا حانَ الوقت فَاشْرَعُوا في الإجراءات اللازمة لتوفير مَصاريف مَعيشَتِهِم. الأحسنُ أَنْ يتكفَّلَ بهم الأساقفةُ ورجال الكنيسة والأتقياء من الناس. حَرِّرُوا تذكرةً تَصِفُ كيفية توزيعهم، وكذلك لائحةً بأسماء الذين رُشِّحُوا لتربيتِهِم.

أمَّا أبناءُ المسيحيّين القُدَامَى المُتزَوِّجين بِإِمَاءٍ مُعْتَقَاتٍ، إمَّا برغبتهم الخاصَّة، أم بشراء أسيادِهِم، وكذلك بنات المسيحيَّات القُدُم المُزَوَّجَات لِعَبِيد؛ فالواجبُ أَنْ يبقَى هؤلاء وأولئك.

الأطفالُ اليَتَامَى من الجِهَتَيْن، والصغار الذين تَرَبَّوْا في الديانة المسيحية، الذين لا يتمتَّعون بالكفالة العائلية بسبب فقرِهم؛ فَلْيَبْقَوْا، ولْتُحَرَّرْ قائمة بأسمائِهِم.

لِيُنْظَرْ في مُمْتَلَكَات الأزواج الموريسكيّين مع المسيحيَّات القُدُم، إنْ كانت وَقَعَتْ إبَّانَ حيواتهم الزوجية، وإلَّا فَمُمْتَلَكَاتُهُم ترجع إِلَيَّ بالأَحَقِّيَّةِ كُلِّها، وكذلك الحقول المزروعة؛ فَلْيُنَظَرْ ما إنْ تَظَلُّ وقفًا، أم مُمْتَلَكات يجوزُ للموريسكيِّين التَّمَتُّع بها كما يبدُو لهم، وهل يجب عليهم دَفْعُ حَقِّ الاستغلال بكاملِهِ لأصحاب الأراضي، أم ما يُعَادِلُ مُدَّة استغلالهم للمُمْتَلَكَات. مع العلم أنَّهَا سوف لن تبقى لهم بل عليهم فقط استثمارها. سوف تُدْرَسُ هذه المسائل من طَرَفِ المجلس المَلَكِي؛ الذي سِأُعَيِّنُهُ خِصِّيصًا لهذا الغرَض، وسَنُخبرُكُم بالإجراءات الواجبِ اتِّخاذُها.

لقد أمرتُ أيضًا أَنْ تُعْطَى العدالةُ أسماءَ الذين سُجِّلُوا في ديوان الفَرْضَة [1]، الذين ما زالت قضاياهُم رَهْنَ التحقيق منذ زمَن، ولَم تُقَدَّمْ رسميًّا للعدالة مخافةَ الإجلاء، والمُحَامُون فيها من المسيحيّين القُدَامَى؛ فإنَّهَا جاريةٌ أمام المجلس المَلَكِي، وسَنُخبِرُكُم في حينِهِ عن الإجراءات التي سَنَتَّخِذُها بشأنِهِم.

أولئك الذين لم تُسَجَّلْ أسماؤُهُم في ديوان الفَرْضَة المذكور أعلاه، المتعلِّقة بمعلومات المسيحيّين القُدَامَى، وغير ذلك من الحالات؛ فَإِنَّهُم لن يُحَالُوا على العدالة، ولن يُعْفَى عنهم؛ بل

[1] **الفرضة:** ضريبة، أو غرامة، أو حَقٌّ واجبٌ دَفْعُهُ على الموريسكيّين للمَسيحيّين القدامى.

سَيُنْفَوْنَ، ولكنْ باستثناء الذين بِحَوْزَتِهم رُخَصٌ، أوِ الْمُتَقاضِينَ الذين هُمْ بانتظار ما يَصْدُرُ عن قضايا قديمة لم تُقَدَّمْ في آونةٍ أخيرة. ثم قَصْدَ العمل بإيجاز في أسرَعِ الآجال، بهذا الصَّدَدِ وغيرِهِ مِمَّا يَمُسُّ بالقضاء؛ سَنُعَيِّنُ بعضَ أعضاء مَجْلِسِي المَلَكِي للنَّظَر، من دُونِ أَيِّ مُفاضَلَة، في الطُّعُونِ المُقَدَّمَة من طرفِ بعض الأشخاص. اسْتَشيرُونِي في أقربِ الآجال فيما تَرَوْنَهُ الأَلْيَقَ تقريرُ في المجال القانوني. إِلَّا أَنَّ إجلاءَ المَعْنِيِّينَ بالمادَّتَيْن السَّابقتَيْن يَظَلُّ في آخِرِ المَطَافِ ساريَ المفعول.

أمَّا فيما يعني الموريسكيِّين من الجِنْسَيْن، عبيدَ المسيحيِّين القُدَامَى، والأطفال الأحرار لهؤلاء وأولئك؛ فَإِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ يُرْجَعَ إلى التراتيب الموجودة في المرسوم، صَرْفًا بالنَّظَرِ؛ مُرُوا أَنْ تُحَرَّرَ لوائحَ بأسمائِهِم الهيئاتُ القضائيَّةُ كُلُّها، والأشخاص المَعْنِيِّينَ كُلِّهِم بوجود هذا القرار حتى يحترمُوا حَرْفًا ما ذُكِرَ آنِفًا كُلَّهُ؛ هذه إرادتي.

من مدريد، في التاسع من شهر فبراير من عامِ ألفٍ وسِتِّ مِئَةٍ وعشرةَ ميلادية.

أنَا المَلِكُ. "أندريس دي برادا".

بِمُقْتَضَى هذا، حتى يَبْلُغَ هذا الخبرُ آذانَ الجميع؛ فَإِنَّنِي آمُرُ أَنْ يُنْشَرَ هذا المرسوم في القُرَى والأماكن جميعها التابعة لعَمَالة هذه المدينة عبرَ الطَّرائق المُعتادة، وأَنْ يُطَبَّقَ حَرْفًا ما يَأْمُرُ به جلالتُهُ.

حُرِّرَ بإشبيلية، في الثالث عشر من فبراير عامِ ألفٍ وسِتِّ مِئَةٍ وعشرةَ ميلادية.

"دُون خوان دي ماندوزا"

"بيدرو دي أرزي"

بتصريحِ جلالتِهِ، بإشبيلية، من "ألونسو روديجس قَمرّة"

يا ع ببيت"أنتونيو دي المنارا"، قُبَالَة سجن الحُكَّام. [1]

---

[1] القاسمي، إِنِّي أُدِينُ، ص ص: ١٥٧-١٦٤.

صورة الوثيقة من نُسْخَةِ الأصل باللُغَة الإسبانية[١]

63

DON IVAN DE MENDOÇA MARQVES DE SAN GERMAN, GENTILHOMBRE

de la Camara de su Mageftad, de fu Real Confejo de la Guerra, y Capitan General del Artilleria de Efpaña.

POR QVANTO SV MAGESTAD A fido feruido de mandar defpachar por fu Confejo de Eftado, vna Cedula refe rêdada de Andres de Prada fu Secretario del, fobre la expulfion de los Morifcos defta Prouincia del Andaluzia, Reyno de Granada, y villa de Hornachos, la qual es del tenor figuiente. EL REY. Por quanto la razon de bueno y Chriftiano gouierno obliga en conciencia a expeler de los Reynos y Republicas las cofas que caufan efcâdalo, daño a los buenos fubditos, y peligro al Eftado, y fobre todo ofenfa y deferuicio a Dios nueftro Señor. Auiendo la experiécia moftrado, q todos eftos inconuenientes a caufado la refidencia de los Chriftianos nueuos Morifcos en los Reynos de Granada, y Murcia, y Andaluzia, porque de mas de fer, y proceder de los que concurrieron en el leuantamiento del dicho Reyno de Granada, cuyo principio fue, matar con atrozes muertes y martyrios a todos los Sacerdotes, y Chriftianos viejos que pudieron de los que entre ellos biuian llamando al Turco, que viniefle en fu fauor y ayuda Y auiendolos facado del dicho Reyno con fin de que arrepentidos de fu delito, biuieflen Chriftiana y fielmente, dãdoles juftas y conuenientes ordenes y preceptos, de lo q deuian hazer, no folo no los an guardado, ni cumplido con las obligaciones de nueftra fanta Fe, pero moftrado fiempre aduerfion a ella, en grande menofprecio y ofenfa de Dios nueftro Señor, como fe a vifto por la multitud dellos que fe an caftigado por el Santo Oficio de la Inquificion. De mas de lo qual, an cometido muchos robos, y muertes contra los Chriftianos viejos, y no contentos con efto, an tratado de confpirar contra mi Corona Real, y eftos Reynos, procurando el focorro y ayuda del Turco, yendo y viniendo perfonas embiadas por ellos a efte efeto. Y efta mifma diligencia hizieron con otros Principes, de quien fe prometian ayuda, ofreciendoles fus perfonas y haziendas y milita contra ellos la vehemente prefumpcion y fofpecha de todos los dichos delitos pues no fe halla ninguno de los fufodichos aya venido a reuelar en tantos años ninguna cofa de fus machinas y cõfpiraciones, antes las an fiempre encubierto, y negado: que es clara feñal de que todos an fido de vna mifma opinion y voluntad contra el feruicio de Dios y mio, y bien deftos Reynos pudiendo imitar a muchos Caualleros de los fuyos de efclarecida fangre, que an feruido y firuen a Dios, y a los feñores Reyes mis progenitores y ami, como buenos Chriftianos y leales vaffallos. Confiderado pues todo lo fufodicho, y la obligaciõ precifa que yo tengo de poner remedio en ello, y procurar la conferuacion y aumẽto de mis Reynos y fubditos. Y deffeando cumplir con ella me e refuelto, con parecer y cõcejo de muchos Doctos hõbres, y de otras perfonas muy Chriftianas y prudentes, zelofas del feruicio de Dios y mio, de expeler de los dichos Reynos de Granada, y Murcia, y Andaluzia, y de la villa de Hornachos, aunq efte fuera de los limites de los dichos Reynos, todos los dichos Chriftianos nueuos Morifcos que en ellos ay, afsi hõbres, como mugeres, y niños. Como quiera q quando algun graue,

A y defta-

---

[١] القاسمي، إنّي أُدِينُ، ص ص: ١٦٦-١٧٠.

y detestable crimē se comete por algunos de algun Colegio, o Vniuersidad, es rā
zon que el tal Colegio, o Vniuersidad sea disuelto y aniquilado, y los menores por
los mayores, los vnos y los otros sean punidos y aquellos que peruierten el buen
y onesto biuir de las Republicas y de sus Ciudades y villas, sean expelidos de los
pueblos porque su contagion no se pegue a los otros. Por tanto en virtud de la
presente ordeno y mando, que todos los Christianos nueuos Moriscos, sin excep
cion ninguno, que biuen y residen en los dichos Reynos de Granada, y Murcia, y An
daluzia, y la dicha villa de Hornachos, assi hōbres, como mugeres de qualquier e
dad q̄ sea, tāto los naturales dellos, como no naturales q̄ en qualquier manera, o por
qualquier causa ayā venido y estē en los dichos Reynos, ecepto los q̄ fuerē esclauos,
salgā dētro de treynta dias primeros siguiētes, q̄ se cuētē desde el dia de la publica
cion desta mi Cedula, de todos estos mis Reynos y señorios de España, con sus hi
jos, y hijas, y criados y criadas y familiares de su nacion, assi grandes, como pe
queños y que no sean osados de tornar a ellos, ni estar en ellos, ni en parte al
guna dellos de viuienda ni de passo ni en otra manera alguna: y les prohibo,
que no puedā salir por los dichos Reynos de Valēcia, ni Aragon, ni entrar en ellos
so pena, que si no lo hizieren y cumplieren assi, y fuerē hallados en los dichos mis
Reynos, y señorios de qualquier manera que sea passado el dicho termino, incurrā
en pena de muerte, y confiscacion de todos sus bienes para el efeto que yo los mā
dare aplicar, en las quales penas incurran por el mismo hecho sin otro processo, sen
tencia ni declaracion. Y mando y prohibo que ninguna persona de todos mis Rey
nos y señorios estantes y auitantes, de qualquier calidad, estado, preheminencia y
condicion que sean, no sean osados de recebir ni receptar, ni acoger, ni defender,
publica, ni secretamente morisco, ni morisca passado el dicho termino para siem
pre jamas en sus tierras ni en sus casas ni en otra parte alguna so pena de perdimiē
to de todos sus bienes vassallos, y fortalezas, y otros heredamientos. Y que otro si
pierdan qualesquier mercedes que de mi tengan, aplicados para mi camara y fisco.
Y aunq̄ pudiera justamente mandar confiscar, y aplicar a mi haziēda todos los bie
nes muebles, y rayzes de los dichos moriscos como bienes de proditores de cri
men de lesa Magestad Diuina y Humana, toda via vsando de clemēcia con ellos
tengo por bien que puedā durante el dicho tiempo de treynta dias disponer de sus
bienes muebles y semouientes, y lleuarlos, no en moneda, oro plata, ni joyas ni le
tras de cambio, sino en mercaderias no prohibidas, compradas de los naturales de
stos Reynos y no de otros, y en frutos dellos, y para q̄ los dichos moriscos y mo
riscas puedan durante el dicho tiempo de treynta dias disponer de si y de sus bie
nes muebles y semouiētes, y hazer empleo dellos en las dichas mercadurias y fru
tos de la tierra, y lleuar los que assi cōpraren, porque los rayzes hā de quedar por
hazienda mia para aplicarlos a la obra del seruicio de Dios y bien publico q̄ mas
me pareciere combenir, declaro que los tomo y recibo debaxo de mi proteccion y
amparo, y siguro Real, y los asseguro a ellos y a sus bienes para que durante el di
cho tiempo puedan andar y estar seguros, vender, trocar, y enagenar todos los di
chos sus bienes muebles y semouiētes, y emplear la moneda, oro, plata y joyas (co
mo queda dicho) en mercadurias compradas de naturales destos Reynos y frutos
dellos, y lleuar consigo las dichas mercaderias, y frutos libremente, y a su volūtad,
sin que en el dicho tiempo les sea hecho mal ni daño, en sus personas ni bienes cō
tra justicia, so las penas en que caen y incurren los que quebrantan el seguro Real.
Y assi mismo doy licencia y facultad a los dichos moriscos y moriscas para q̄ pue
dan sacar fuera destos dichos mis Reynos y señorios las dichas mercaderias, y fru
tos por mar y por tierra, pagando los derechos acostumbrados, con tanto que co
mo arriba se dize, no saquen oro ni plata, moneda amonedada, ni las otras cosas ve
dadas por las leyes destos mis Reynos, en especie, ni por cambio, saluo en las dichas
mercadurias, y frutos q̄ no sean cosas vedadas, pero bien permito q̄ puedā lleuar el
dinero q̄ huuieren menester, assi para el transito que han de hazer por tierra como
para su enbarcasion por mar. Y mando a todas las justicias destos dichos Reynos
y a

y à los mis Capitanes Generales de mis galeras y armadas de alto vordo, que ha
gan guardar y cumplir todo lo suso dicho, y no solo no vayan contra ello, pero
den para su buena y breue execucion todo el fauor y ayuda que fuere menester,
sopena de priuacion de sus oficios, y confiscacion de todos sus bienes, y mando
que esta mi cedula y lo en ella contenido se pregone publicamente, para que ven
ga a noticia de todos, y ninguno pueda pretender inorácia, dada en Madrid a nue
ue de Diziembre de mil y seyscientos y nueue. Yo el Rey. Andres de Prada.
Por tanto para que venga a noticia de todos ordeno, que se publique este vando
en la forma acostumbrada en todas las villas y lugares de la juridicion desta ciu
dad de Seuilla, y porque estando como estan tan cerca, y auiendo de ser en ella
las embarcaciones de los dichos Moriscos, y por algunas otras causas justas del ser
uicio de su Magestad, y otras consideraciones que a ello me mueuen, en virtud de
las ordenes que suyas tengo para hazer lo que mas conuiniere en el tiempo que
se les señala para salir no concedo a los dichos Moriscos de las villas y lugares de-
sta ciudad mas de veynte dias para que salgan de ellas, sin embargo de que el van
do les concede treynta, los quales han de enpeçar a correr desde el de la publica-
cion del dicho vando, y durante este tiempo no han de poder salir de las dichas vi
llas y lugares donde tuuieren su abitacion y casa, sopena de la vida, sin que para
ello tengan licēcia de los Alcaldes Mayores, y justicias que el señor Marques del
Carpio Asistente desta dicha ciudad, nombra en cada villa o lugar, y adonde no
las nombra de las justicias ordinarias de ellos, y conduzidos por las personas que
los han de guiar al embarcadero, y esta pena se ha de executar, yrremissiblemente
en la qual desde luego doy por condenados lo contrario haziendo, Dado en Se-
uilla a doze de Enero de. 1610. años.

DON Luys Mendez de Haro y Sotomayor, Marques del Carpio, Señor de las villas de Sorbas y Lubrin, y del Castillo y Playa de san Andres de la Carbonera, Alcayde de la Ciudad de Mojacar, Assistēte desta Ciudad de Seuilla y su tierra, y Capitan General de la gente de guerra de la Milicia della, por el Rey nuestro Señor. &c.

Primeramente con mucho cuydado y diligencia, como de la vuestra se confia
procurareys saber y entēder si los dichos Christianos nueuos Moriscos al tiempo
que salieren de essa dicha villa para su viaje, dexan en ella ocultados, encomenda-
dos, o en otra manera qualesquier bienes, assi muebles, semouientes, como dine-
ros y joyas, y hallandolos por ante escriuano hareys inuentario dellos y los pon-
dreys en deposito en poder del depositario General de essa dicha villa, y no lo a-
uiendo, en persona abonada a vuestra satisfacion y riesgo,
Item, atento a que los bienes rayzes de los dichos Moriscos quedan por haziē
da de su Magestad, hareys inuentario ante escriuano de todos ellos, haziendo que
se recojan las escripturas, titulos, y demas papeles que tienen por donde les perte
nezcan y toquen. En lo qual pondreys muy particular cuydado, de forma que se
escusen los fraudes y engaños que puede auer, y las escrituras supuestas que se po
drian fingir. Iten, luego que se aya publicado el dicho vando, hareys particular
diligencia en saber el numero de Moriscos que ay en essa dicha villa quantos hō-
bres, quantas mugeres, y quantos niños, alistandolos por vuestras propias perso-
nas ante el dicho escriuano. Item, atento a que su Magestad les concede licēcia
a los dichos Moriscos, para que se puedan yr a las tierras que quisieren, sabreys de
llos a las partes que quieren yr, para tenerles preuenidas las embarcaciones y bas-
timientos necessarios, aduirtiendoles, que las dichas embarcaciones hā de ser por
el rio desta ciudad. Item, con muy gran cuydado hareys diligēcia para saber que
armas tienen los dichos Moriscos, y todas las que se les hallaren, las pondreys por
inuentario, y depositareys en poder de Christianos viejos abonados y de mucha
satisfacion, de manera que nō traygan armas ningunas los dichos Moriscos.

Item, estareys aduertidos en que si los dichos Moriscos quisieren traer quiẽ los guie, quando se vinieren a embarcar, para que tenga cuydado, que no se les haga mal ni daño, nombrareys tres o quatro Christianos viejos, personas confidentes y honradas, y de quien los mismos moriscos tengan satisfacion, y a los que nombraredes compelereys a lo suso dicho, encargandoles mucho les hagan buen tratamiento, y tengan particular cuydado dellos y que no les prohiban que hablen con quien quisieren. Item no dareys lugar a que a los dichos moriscos se les haga mal tratamiento de obra, ni de palabra a ellos, ni a sus mugeres, y hijos, y que se les de buen passaje, de suerte que no reciban daño alguno. Item, que si en razõ de lo suso dicho, o en quebrantamiento y contrauencion del dicho vando algunos excessos, o delitos se cometieren por qualesquier personas, assi de los dichos moriscos como de los Christianos viejos de essa dicha villa, hareys informacion, y prendereys culpados, y sustanciadas, las causas y conclusas para sentencia las remitireys originalmente al dicho señor Marques de san German para que prouea justicia. Item, se os aduierte que todos los autos y diligencias que hizieredes tocantes a la expulciõ de los dichos Moriscos, las aueys de hazer en virtud de la comission que el dicho señor Marques de san German tiene de su Magestad para conocer priuatiuamente dellas, la qual su Señoria tiene dada en forma a vos los dichos Alcaldes para todo lo dicho y referido. Y porque como en el dicho vando se declara, los bienes muebles y semouientes de qualquier calidad que sean, su Magestad les concede que puedan hazer dellos lo que quisieren, no les impedireys que lo hagan, ni que los empleen en mercaderias no prohibidas, y compradas de naturales destos Reynos, y en frutos de la tierra en conformidad del dicho vando y sin exceder del tenor del, aduirtiendo que los gastos de las embarcaciones y bastimentos han de ser a su costa y si vosotros hizieredes algunos ha de ser por la misma cuenta, y de las que hizieredes, y dinero que tomaredes de los dichos Moriscos para este efeto tomarereys certificaciõ y me la embiareys, y si huuiere algunos Moriscos tan pobres que no puedan salir del lugar ni proueerse de los bastimentos, y demas cosas necessarias para su embarcaciõ y viaje, se les ha de cargar lo que fuere necessario para salir de ay a los mas ricos, y auisarme de los que lo fueren para que haga lo mismo en las embarcaciones.

Y todas las deligencias, inuentarios, listas y autos que en cumplimiento de lo q̃ se os manda hizieredes originales las embiareys al dicho Señor Marques de Sã German, y le yreys dando cuenta para prouea y mande lo q̃ mas conuenga al seruicio de su Magestad, y a mi me embiareys testimonio el mesmo dia de san Anton, de como se ha publicado el dicho vando, haziendo proprio para ello. Lo qual hazed y cumplid so pena de priuacion perpetua de oficio de justicia, y de perdimiento de todos vuestros bienes aplicados para la Camara y Fisco de su Magestad, en que luego os doy por condenados lo contrario haziendo. Dado en Seuilla a treze dias del mes de Enero de mil y seyscientos y diez años.

El Marques del Carpio. *Don Iuan de Mendoça.*

Con Licencia. En Seuilla en la Imprenta de la Biuda de Alonso de Barrera, junto a las casas de Don Pedro de Pineda, Año de 1610.

الملحق رقم (١٢): رسالة السُّلطان أحمد الأول إلى والي تونُس يأمرُهُ بإعفاء فقراء الموريسكيّين من الضرائب:

هذا مرسومُنَا الشريف العالي السُّلطاني ومثالُنا المُنِيفُ السَّامي الخاقاني مُبَارَك أرسلناهُ إلى الجناب الأميري الكبيري الأرشدي الأفخمي الأمير أحمد حاكم زوارة دَامَ مَجْدُهُ ينهي إليه: إنَّا قد صَمَّمْنَا الجهادَ مع الكَفَرَة ودَفْعَ مَضَرَّاتِ أرباب البَغْيِ والعناد، وتوكَّلنا على عونِ الله تعالى وحُسْنِ توفيقِهِ وعناياتِهِ وتوسَّلْنَا بكرامات سَيِّدِ الأنبياء ومعجزات عليه السلام وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أفضل الصلوات وأكمل التَّحِيَّات، وجَهَّزَنَا السَّفَائِنَ المملوءةَ بأنواع آلات الحرب والقتال وأصناف أدوات الضرب والنِّزال، وأَمْلَيْنَا كُلَّهَا بأبطال الرجال المُبارِزِين لإعلاء كلمة الدين المُبِين، ثم أرسلناهُ إليكم مع مملوك عَتَبَتِنَا عاليةِ الشأن القائد سليمان زيد قَدْرُهُ الخِلْعَةُ الفاخرة، فإذا وَصَلَ إليكم كتابُنَا الشريف وحُكْمنا المُنِيف؛ فعليكم أَنْ تلقَّاها بالتعظيم والإجلال وتَلَبَّها شاكرًا على نعماء الله المُتَعَالي، وأَنْ تُظْهِرَ ما أُضْمِرَ فيكم من الشجاعة والجلالة في المحاربة لدفعِ المَضَرَّة، وأَنْ تُحْضِرَ الذخائر الوافرة والزَّوائد المتكاثرة لعساكرنا المنصورة بألطاف الله المَبْرُورة الواردين على تلك الديار لدفع شرور أشرار الكفار، فإذا وَرَدَ عليكم أَمْرُنَا الشريف وحُكْمُنا المُنِيف بعد هذا وطُلِبَ منكم الذَّخائر للعساكر جليلة المآثِر ادفعُوها إلى مَنْ طَلَبَ منكم بِأَمْرِنا الشريف وتَعَاوَنُوا بالعساكر وأدوات القتال. وُجِّهَتْ نسخةٌ من هذا الفَرَمَان إلى: جناب حاكم ولاية [كذا] عباس في ١٥ ذِي القعدة عام ٩٨١هـ [١].

---

[١] الحسيني، الموريسكيُّون والعالم الإسلامي، ص ص: ٢٩٥-٢٩٦.

نَصُّ الوثيقة باللغة التركية [١]

١٢

٦٩١

١١٢

مسـ أمر سومنا الشريف العالي السلطانية ومثالنا المنيف السامي الخاقانية مبارك ارسلناه الى الجناب الارفع

الكبير الارشد الاقدم للامير احمد حاكم زواوه ولما صح بين الله انا قد صممنا الجهاد و[illegible] الكفرة

ودفع مضرات ارباب البغي والعناد وتوكلنا على عون الله تعالى وحسن توفيقه وعناياته وتوسلنا

بكرامات سيد الانبياء صلوات عليه وعلى اله وصحبه افضل الصلوات واكمل التحيات وجهزنا

السفائن الكاملة بالوزراء للات الحرب والقتال واصناف ادوات للغزو والنزال واملينا كلها

بابطال الرجال المبارزين لاعلاء كلمة الدين المبين ثم ارسلناه اليكم مع مملوكنا عتيقنا العالي شانه

الحاج سليمان زيد قدره الحامل [illegible] فاذا وصل اليكم كتابنا الشريف وحكمنا المنيف فعليكم

ان تلقوها بالتعظيم والاجلال وتلهجوا شكرا على نعماء الله المتعال وان تظهروا ما اضمر فيكم من السعي عن

والجلادة حتى المرتبة لدفع المضرة وتكميل المعونة ولنا كفر الكفار الوافر والذوادة المتكاثرة

لعساكرنا المنصورة بالطاف الله المعروفة الواردين على تلك الديار لدفع شرور اشرار الكفار

فاذا ورد عليكم امرنا الشريف وحكمنا المنيف بعد هذا وطلب منكم الرفاقة العساكر الجليلة الماثر

ان تدفعوها الى من طلب منكم بامرنا الشريف وتعاونوا بالعساكر وادوات القتال

مسعود

الى جناب حاكم [illegible] عباس

---

[١] عبد الحميد، عبد اللطيف بن محمد، **موقف الدولة العثمانية تِجَاهَ مأساة المسلمين في الأندلس ٨٩١–١٠١٨هـ/١٤٨٦–١٦٠٩م**، شركة العبيكان، الرياض، ١٩٩٣م، ص١٨٧، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: عبد الحميد، موقف الدولة العثمانية تِجَاهَ مأساة المسلمين في الأندلس).

الملحق رقم (١٣): رسالة السُّلطان العثماني أحمد الأول إلى والي تونُس بلير باي وقاضيها يأمرُهُمَا بتقديم كافَّة التسهيلات للموريسكيّين وإعفائِهم من دَفْعِ الضرائب لمدة خمس سنوات.

أَمْرٌ إلى أمير أمراء تونُس وإلى قاضيها

تقضي الغيرةُ الدينية والحَمِيَّةُ أَنْ نعتنيَ بطائفة المدجر [مُدَجَّنُو الأندلس] التي خرجت من بلاد إسبانيا وجاءت إلى ممالكِنا المحروسة، ولأنَّ أكثرَهُم جاء مُنفرِدًا بلا أهل ولا عِيَال، ولأنَّهُم يعيشون بلا زراعة أو أَيِّ سببٍ من أسباب المعيشة فَهُمْ يحتاجون للمساعدة؛ فقد أَمَرْنَا بتوطينِهم في سناجق أطنه وعزيز وسيس وطرسوس وقارص، وقد أَمَرْنَا أَلَّا يَلْحَقَهُم أَيُّ ضَرَرٍ من أمير الأمراء أو من السَّناجق أو رجالهم أو عُمَّالهم أو أُمَنَائِهم، كما أَمَرْنَا بإعفائِهم تمامًا من التَّكاليف كُلِّها لمدة سنواتٍ خمسٍ، وأَلَّا يُطَالَبُوا بالأعشار ورسوم التَّرِكَة والوفاة، وبعد خمسِ سنواتٍ إِنْ شاء الله تعالى تُحَصَّلُ منهم الأعشار وتُلْحَقُ إلى أوقاف الجامع السُّلطاني الجاري بِنَاؤُهُ الآن في إستانبول، وقد أَمَرْنَا أيضًا بتعيين علي أغا وهو من جنود المتفرّقة وقدوة الأماجد والأقران [زادَ اللهُ مَحَبَّتَهُ] سنجقًا على الطائفة المذكورة لإحكام الضَّبْطِ والرَّبْطِ عليها؛ وهذا من قَبِيلِ المزيد من العناية بها، كذلك مَنَحْنَاهُ وِسَامًا سُلطانيًّا، ولكنَّ بعض أفراد الطائفة المذكورة عَرَّجُوا إلى تونُس بعد خروجهم من أرض إسبانيا ولهم شُيوخهم، وأيضًا الوُعَّاظَ والنَّاصِحِين الذين جاؤُوا من تلك الديار لم يهتمُّوا بهم؛ ولذا قد صَدَرَ الأمرُ السُّلطاني عالِي الشأن أَنْ يهتمَّ شُيوخُهُم برعايتهم وَوَعْظِهِم، وهذا مُوَجَّهٌ إلى الأمراء البَكَوَاتِ الذين في نَوَاحِيهِم؛ وعليكم عند وصول هذا الأمر الالتزام بتنفيذِهِ والتَّقَيُّد به[1].

---

[1]الحسيني، الموريسكيُّون والعالم الإسلامي، ص ص: ٢٩٧-٢٩٨.

نَصُّ الوثيقة باللُّغَة التُّركية [١]

[١] عبد الحميد، موقف الدولة العثمانية تِجَاهَ مأساة المسلمين في الأندلس، ص٢٧١.

الملحق رقم (١٤): رسالة السُّلطان أحمد الأول إلى والي تونُس يأمرُهُ بمعاملة الموريسكيِّين معاملة حسنة.

أَمْرٌ إلى أميرِ أمراء تونُس إنَّ طائفةَ المُدَجَّنِين الذين سقطُوا في يَدِ الكفار من قبل هُمْ من أهل الإسلام وعلى هَدْيٍ من الدين المُبِين والصراط المستقيم؛ فإِنَّهُ بأمرٍ من الله تعالى يجب أَنْ نُخَلِّصَهُم من يَدِ المشركين، وعلى أمل أَنْ يعودوا إلى ديارهم آمنين سالمين جاؤُوا إلى تونُس [وهي بلادي المحروسة] ودَخَلُوا ضِمْنَ أهل الإسلام وشاركوهم أرزاقهم وقد عَلِمْتُ أنَّهُ مع أنَّهم قَبِلُوا دفعَ ما عليهم كالرعايا الآخرين وتَصَرَّفُوا تَصَرُّفَ الرعايا فإنَّ البعض منهم لم يقتنع بذلك وأصبحوا يُكَلَّفُون بتكاليف زيادة عن غيرهم من الرعايا والبَرَايَا وارتكبوا في حَقِّهِم أنواعَ الظُّلم والتَّعدي كُلَّها. إِنَّ ما تقتضيهِ قواعدُ العدالة أَنَّ مَنْ يتعدَّى أو يَظلِم أحدًا من رعيَّتِي سوف يكون محرومًا من رِضَايَ السُّلطاني، وإِنَّ المذكورين [الأندلسيّين] سيكونون في حمايتي ويُستظِلُّون بِعَدْلِي إلى أَنْ يتخلَّصُوا من يَدِ الكفار وقد جاؤُوا بهذا الأمل ومع ذلك نُلاقِيهم بالتَّعدِّي والظُّلم بما يُخَالِفُ الشَّرعَ الشريف؛ ومَنْ يفعلْ ذلك فسينالُهُ عقابي، كما أَنَّنِي أصدرتُ أمري السُّلطاني بإعفائهم من الرسوم والتكاليف [١].

[١] الحسيني، الموريسكيُّون والعالم الإسلامي، ص ص: ٢٩٩-٣٠٠.

نَصُّ الوثيقة باللُّغَة التُّركية [١]

---

[١]عبد الحميد، موقف الدولة العثمانية تِجَاهَ مأساة المسلمين في الأندلس، ص ٢٧٥.

الملحق رقم (١٥): رسالةٌ من السُلطان العثماني أحمد الأول إلى دُوق البندقية عام ١٦١٤م بشأن الموريسكيّين.

افتخارُ الأمراء العظام الميساوية مختار الكبراء الفِخَام في المِلَّة المسيحية، مُصْلِح مصالح جماهير النصرانية، سَاحِب أذيال الحِشْمَة والوقار، وصاحِب دلائل المَجْد والافتخار دُوج البندقية؛ خُتِمَتْ عواقبُهُ بالخير، وأصلحَ اللهُ تعالى شأنَهُ،

نُحِيطُكُم عِلْمًا بهذا التوقيع الرفيع الهمايوني أَنَّ سليمانَ وعَلِيًّا، اللَّذَيْن هُمَا من طائفة المُدَجَّلين [المُدَجَّنِين] القاطنين في الأندلس؛ قد رَفَعَا إلى أبوابنا العالية عَرْضًا أَعْلَمَا فيه أنَّه قد وَرَدَ سابقًا إلى الممالك لمحروسة طائفة من المُدَجَّلِين المسلمين كانوا قد غادَرُوا بلادَهم، وإِنَّهُ لا يزالُ منهم هناك أناس يريدون القدوم علينا عن طريقِ البَرّ لِيَدْخُلوا الممالكَ المحروسة وَهُمْ يَرْجُونَ أَلَّا يَتعرَّضَ لهم ولا يَتَدَخَّلَ في شأنِهِم أحدٌ؛ إذا وَرَدَ هؤلاء المسلمون عن طريق البندقية إلى الممالك المحروسة، فَلْتَسْمَحْ بِمُرورِهِم وعُبُورِهِم بالأمن والسلامة.

ونظرًا إلى أَنَّكم مِمَّنْ يريد الخيرَ لِدَوْلَتِنا العَلِيَّة، وما زِلْتُم تُظهِرُون الإخلاصَ والولاءَ من قديم الأيام إلى سُدَّة سعادتنا وعَتَبَتْنَا العالية، عُلُوَّ الإفلاك، عن نِيَّةٍ خالصة وطويلة حسنةٍ؛ فَإِنَّهُ واضحٌ جَلِيٌّ لدى حضرتِنَا العزيزة فائضة الأنوار، إِنَّكُم كُنتُم وما زِلْتُم تقومون هذه بأمثال هذه الخِدْمَات وتقديم المعونة لِسُدَّة سعادتِنَا السَّنِيَّة، ونظرًا لهذا كُلِّهِ؛ فقد حَرَّرنا وأرسلْنَا إليكم هذا الكتابَ الميمونَ الهمايونيَّ لِتُجِيزوا مَنْ هو الآن في بلادِكِم من طائفة المسلمين أَنْ يَعْبُرُوا عن طريقِ البَرِّ إلى مَمَالِكِنَا آمِنِينَ سَالِمِينَ.

وبناءً على خُلُوصِ مَحَبَّتِكُم وَوُدَادِكُم وصفاءِ عقيدتِكُم لهذه الأبواب السعيدة مُشَيَّدَةِ الأركان من سابقِ الأيام والأزمان، إذا ما وَرَدَ هذا الكتاب إليكم؛ أَنْ تُوَصِلُوا إلى مَمَالِكِنا المحروسة كُلَّ مَنْ يريد القدومَ عليها من طائفة المُدَجَّنِين المسلمين الذين خَرَجُوا من إسبانيا وحَلُّوا بولاية البندقية، فلا تسمحُوا لأحدٍ أَنْ يتدخَّلَ في أمورهم أو يتعرَّضَ لهم ولا أرزاقهمَ وأموالَهم ودوابِّهم، خلافًا للعهد والأمان [بيننا]؛ وذلك أثناء مُرُورِهم بالمنازل والمراحل والمَعَابِر لِيَصِلُوها آمِنِينَ سَالِمِينَ، وقد سَبَقَ واتَّضَحَ لنا حتَّى الآن حُسْنُ اهتمامِكم وتيَقَّنُوا أَنَّ مساعدتَكُم لهؤلاء المساكين بدخولهم بلادَنا التي هي دارُ الأمان وسيلةٌ لتحصيل رِضَانا الميمونِ، وسببٌ لتحكيم بُنْيَانِ المصالحة وتمديدِ المعاهدة، فَاهْتَمُّوا وَاسْعَوْا بناءً على هذا؛ أَنْ يَمُرُّوا ويَعْبُرُوا أراضِينا عن حالِهِم، مُرَفَّهِي البالِ.

تحريرًا في أواسط شهر جُمَادَى الأُولى سنة ١٠٢٣م.

بمقام قسطنطينية المحروسة [١]

---

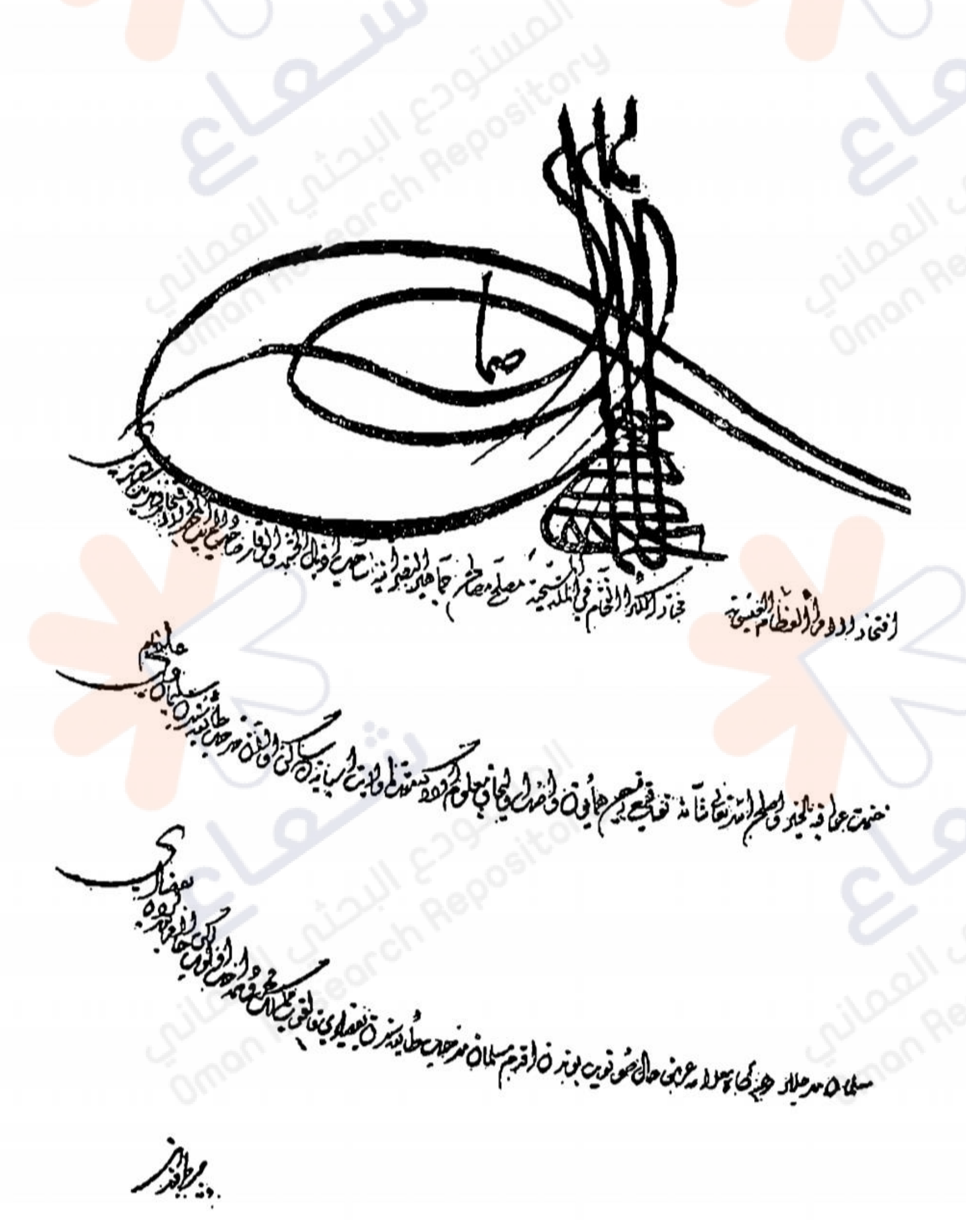
[١] التميمي، عبد الجليل، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيّين الأندلسيّين**، مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٨٩م، ص ص: ٤٧-٤٨، (سَيُشَارُ إليه لاحقًا: التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيّين الأندلسيّين).

النص التركي للرسالة

افتخار الامراء العظام العيسويه مختار كبراء الفخام في الملة المسيحية مصلح مصالح جماهير النصرانية ساحب اذيال الحشمة والوقار صاحب دلائل المجد والافتخار وندیك دوزی ختمت عواقبه بالخير واصلح الله تعالى شانه توقيع رفيع همايون واصل اوليجاق معلوم اولاكه مقدما ولايت اسبانية ده ساكن اولان مدجل طايفه سندن سليمان وعلى نام مسلمان مدجللر دركاه معلمامه عرض حال صونوب بوندن اقدم مسلمان مدجل طائفه سندن بعضيلرى قالقوب ممالك محروسمه داخل اولوب لكن حالا مز بورلردن بعضيلرى ايله اولوب دریادن كلمكه خوف ايدوب واقتدارلرى داخی اولمغه قره ایله وندیك طرفندن ممالك محروسمه كلوب داخل اولمق مرادلرى اولوب وندیك طرفندن ممالك محروسمه كلمك اوزره اولان مسلمانره دخل وتعرض اولنميوب امين وسالم مرور وعبور ایندرمكز رجا ایلدیلر ایمدی سز قدیم الایامدن سدة ء سنية ، سعادت مدار وعتبه علية ء كردون اقتدار مزه خلوص قلب وحسن اعتقاد ايله عرض اخلاص واختصاص ايله كلمش دولت عليه مزك خير خواهی اولوب بومقوله استانه ، سعادت اشيانه مزه متعلق خدمتلرده معاونت ومظاهرت ايده كلدكلز عمز حضور فائض النورمزده محقق وظاهر اولدوغى اجلدن طائفه مزبوردن حاليا سزك ولا يتكز ده اولان مسلمانلره اجازت ويربلوب قره طرفندن آمين وسالم بروجانبه ارسال وايصال ايتمكنز بابنده نامة ء همايون سعادت مقرونمز يازيلوب ارسال اولنمشدر كركدركه :

وصول بولدقده قديم الايامدن استانه ء سعادت اشيان ودودمان مخلد الاركانمزه اولان خلوص محبت وداد وصفای عقیدت اعتقادكوز موجبنجه ذكر اولنان مسلمان مدجل طائفه سى اسبانيه‌دن قالقوب ممالك محروسه مزه كلوركن ونديك ولايتنه اوغرادقلرنده منازل ومراحلده ومعبرلرده كندولرينه وطوارلرينه واسباب وارزاقلرينه عهد وامانه مخالف برفردى دخل وتعرض اتلرميوب امين وسالم ممالك محروسه مزه ايصال‌ايليه سز شمديه دكين حسن اهتمامكز ظهوره كتورلدوك اجلدن بوفقرانـك دخی سهولت ايله دار الامان اولان ممالك محروسه مزه كلمه لرينه مساعدة كوز ظهورى وتحصيل رضاى اقتضامزه بادى واساس مصالحه ومعاهده نك استحكام وامتدادى اولاجغنده اشتباه يوقدر اكا كوزه تقيد كوستروب مرضى الحال ومرفه البال روانه قلمرينه سعى واهتمام ايليـه سز تحريرا فى اواسط جمادى الاولى سنة ثلث (كذا) وعشرين والف

مقام قسطنطينية المحروسة (21)



(١)

---

(١)التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيّين الأندلسيِّين، ص ص: ٤٥-٤٦.

قائمة المصادر والمراجع

أَوَّلًا: المخطوطات

١. الرياش، إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي (ت: ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، **العِزُّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالآت الحروب والمَدَافِعِ**، نَسَخَهُ وتَرْجَمَهُ: أحمد بن قاسم الحجري، ١٦ ذِي القعدة ١٠٥٠هـ، المكتبة الوطنية، رقم المخطوط ١٥١١، الجزائر، ٢٠٠١م.

ثانيًا: المصادر العربية والمُعَرَّبَة

١. الحجري، أحمد بن قاسم (تُوفِّيَ بعد ١٠٥٠هـ/ ١٦٤١م)، **رحلة أفوقاي الأندلسي: مُختَصَر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب ١٦١١-١٦١٣م**، حَقَّقَها وقَدَّمَ لها: محمد رزُّوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

٢. الحجري، أحمد بن قاسم (تُوفِّيَ بعد ١٠٥٠هـ/ ١٦٤١م)، **ناصر الدين على القوم الكافرين**، تحقيق: اشورد فان كوننكرفلد، قاسم السمرائي، خيرارد فيخرز، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٩م.

٣. ـــــــــــــــــ، تحقيق: حسام الدين شاشيّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥م.

٤. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، ٧مج، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.

٥. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: ١٤٩٥م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٦. ابن خطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السَّلماني (ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٨م.

٧. ـــــــــــــ، **معيار الاختيار في ذكرِ المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٨. دي إيتا، خينيس بيريث (ت: ١٦١٩م)، **الحرب ضِدَّ الموريسكيّين: الجزء الثاني من الحرب الأهلية في غرناطة**، ترجمة: عائشة محمود سويلم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٩. دي مندوثا، لدييغو أورتادو (ت: ١٥٧٥م)، **حرب غرناطة**، ترجمة: إيمان عبد الحليم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٠. ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت: ١٦٩٠م)، **المُؤنِس في أخبار إفريقية وتونُس**، مطبعة الدولة التونُسية، تونُس، ١٨٦٩م.

١١. الرياش، إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي (ت: ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، **العِزُّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمَدَافِع**، تحقيق: إحسان الهندي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٣م.

١٢. رنخيفو، خوان بثكيث (ت: ١٦١٧م)، **عظائم أمور مدينة بلش وجلائل أعمال أهلها**، ترجمة: جعفر ابن الحاج السلمي، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠٢١م.

١٣. الغزال، أبو العباس أحمد بن المهدي الحميري الأندلسي المالقي الفاسي (ت: ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م)، **"نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد"**، تقديم وتعليق: ألفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للأبحاث العربية–الإسبانية، طنجة، ١٩٤١م.

١٤. الغساني، محمد بن عبد الوهاب الأندلسي (ت: ١٧٠٧م)، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، حَرَّرَها وقَدَّمَ لها: نوري الجراح، دار السويدي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

١٥. الفشتالي، عبد العزيز بن محمد (ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م)، **مناهل الصَّفَا في مآثِرِ مَوَالِينا الشُّرَفَا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، ١٩٧٢م.

١٦. كربخال، مارمول (ت: ١٦٠٠م)، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ٣ج، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٨٤م.

١٧. ـــــــــــــــ، **وقائع ثورة الموريسكيّين**، ترجمة: وسام محمد جزر، ٢ج، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٨. مجهول (١٠-١١هـ/ ١٦-١٧م)، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ١٩٩٤م.

١٩.مجهول (٦هـ/١٢م)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نَشْرُ وتعليقُ: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر العربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

٢٠.مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونُزُوح الأندلسيِّين إلى المغرب**، ضَبَطَهُ وعَلَّقَ عليه: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢١.المحامي، محمد فريد بك (ت: ١٩١٩م)، **تاريخ الدولة العَلِيَّة العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م.

٢٢.المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد الدمشقي (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩ م)، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ٤مج، تحقيق: مصطفى وهبي، المطبعة الوهبية، ٢٠١٢م.

٢٣.المغراوي، أحمد بن أبي جمعة (ت:٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يَعرِضُ للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق: أحمد جلولي، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥م.

٢٤.المقري، أحمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ٥ج، تحقيق: سعيد أحمد أعراب؛ عبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، ١٩٨٠م.

٢٥.__________، **روضة الآس العاطرةِ الأنفاس في ذكرِ مَنْ لَقِيتُهُ من أعلام الحضرَتَيْن مراكش وفاس**، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٣م.

٢٦.__________، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٨م.

٢٧.__________، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، ٨مج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٨.الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (ت:١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ٩ج، تحقيق: جعفر الناصري؛ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

٢٩.الوفراني، محمد الصغير (ت:١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م)، **نُزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

٣٠.الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني (ت: ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، **أَسْنَى المتاجر في بيان أحكام مَنْ غَلَبَ على وطنِهِ النصارى ولم يهاجر وما يترتب من**

العقوبات والزواجر (٨٣٤-٩١٤هـ/ ١٤٣٠-١٥٠٨م)، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٩٩٦م.

ثالثًا: الكتب العربية والمُعَرَّبَة

١. أرينال، مرثيديس غارثيا، **شتات أهل الأندلس**، ترجمة: محمد فكري عبد السميع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢. ـــــــــــــ، **محاكم التفتيش والموريسكيُّون**، ترجمة: خالد عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣. ـــــــــــــ، **الموريسكيُّون الأندلسيُّون**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤. أورتيث، أنطونيو دومينغيث؛ بيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيّين: حياةُ ومأساةُ أَقَلِّيَّة**، ترجمة: محمد بنياية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٣م.

٥. آصاف، عزتلو يوسف بك، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أوَّل نشأتهم حتى الآن**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٧م.

٦. إيبارا، ميغيل أنخيل بونيس، **الموريسكيُّون في الفكر التاريخي**، ترجمة: وسام محمد جزر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٧. إي براتشينا، دُون باسكوال بورونات، **الموريسكيُّون الإسبان ووقائع طَرْدِهم**، ترجمة: كنزة الغالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م.

٨. ايرفنغ، واشنطن، **أخبار سقوط غرناطة**، ترجمة: هلاني يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٩. إي غفيريا، خوسي مونيوث، **تاريخ ثورة الموريسكيّين وطَرْدِهم من إسبانيا وعواقبُهُ على سائر أقاليم المملكة**، ترجمة: عبد العزيز السعود، منشورات ليتوغراف، طنجة، ٢٠١٠م.

١٠. باروخا، خوليو كارو، **مُسْلِمُو مملكة غرناطة بعد عام ١٤٩٢م**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١١. بالكاهية، ثريا، وآخرون، **مُساءَلة الانتماء من منظور المباحث التاريخية التونُسية**، الكلمة للنشر والتوزيع، تونُس، ٢٠٢١م.

١٢. بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المُستشرِقين**، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

بروديل، فرنان، **المتوسط والعالم المتوسِّطي**، ترجمة: مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.

١٣. بشتاوي، عادل سعيد، **الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)**، مكتبة المهتدين، الجزائر، ٢٠٠٠م.

١٤. ـــــــــــــ، **الأندلسيُّون المُوَاركة**، مطابع إنترناشيونال برس، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٥. بوستو،غيرمو غونالبيس، **الموريسكيُّون في المغرب**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٦. بوغلا، أحمد، **الرحلة الأندلسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨م.

١٧. بول، ستانلي لين، **قصة العرب في إسبانيا**، ترجمة: علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣م.

١٨. بيانوبيا، فرانثيسكو ماركيت، **القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى**، ترجمة: عائشة محمود سويلم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٩. بيريز، جوزيف، **التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا**، ترجمة: مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١١م.

٢٠. التميمي، عبد الجليل، **تراجيديا طَرْدِ الموريسكيّين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية والإسلامية منها**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ٢٠١١م.

٢١. ـــــــــــــ، **تطبيق الموريسكيّين الأندلسيّين للشعائر الإسلامية (١٤٩٢-١٦٠٩م)**، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩١م.

٢٢. ـــــــــــــ، **دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي الأندلسي**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ٢٠٠٠م.

٢٣. ـــــــــــــ، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيِّين الأندلسيِّين**، مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٨٩م.

٢٤. جمال الدين، عبد الله محمد، **المسلمون المُنَصَّرُون أو الموريسكيُّون الأندلسيُّون: صفة مُهْمَلَة من تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٥. حتاملة، محمد عبده، **الأندلس: التاريخ والحضارة والمِحْنَة**، مطابع الدستور التجارية، عَمَّان ٢٠٠٠م.

٢٦. ـــــــــــــ، **التَّنصير القَسْري لِمُسْلِمِي الأندلس في عهدِ المَلِكَيْن الكاثوليكيَّيْن (١٤٧٤-١٥١٦م)**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، ١٩٨٠م.

٢٧. ـــــــــــــ، **الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية)على ديار العرب في الأندلس (حرب متواصلة على الإسلام)**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، ٢٠٠١م.

٢٨. ـــــــــــــ، **مِحْنَة مُسْلِمِي الأندلس عَشِيَّة سقوط غرناطة وبعدها**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، ١٩٧٧م.

٢٩. الحجي، عبد الرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م**، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٨١م.

٣٠. حجي، محمد، **جولات تاريخية**، ٣ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.

٣١. الحسيني، قاسم عبد سعدون، **حركة الاسترداد الاسبانيو (الريكونيكيسا): ثنائية الصِّرَاع بين المسلمين والنصارى في الأندلس**، ٣ج، مركز الكتاب الأكاديمي، عَمَّان، ٢٠٢٠م.

٣٢. ـــــــــــــ، **الموريسكيُّون والعالم الإسلامي من سقوط غرناطة حتى نهاية محاكم التفتيش دراسة تاريخية وثائقية**، مركز الكتاب الأكاديمي، عَمَّان، ٢٠٢٢م.

٣٣. حمادي، عبد الله، **الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش في الأندلس ١٤٩٢-١٦١٦م**، الدار التونسية، تونُس، ١٩٨٩م.

٣٤. حمداوي، جميل، **الموريسكيُّون في منطقة الريف**، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، تطوان، ٢٠١٩م.

٣٥. حومد، أسعد، **محنة العرب في الأندلس**، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٦. الخطيب، رشا، **أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي "أفوقاي"**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨م.

٣٧. ـــــــــــــ، **من النَّثر الموريسكي: أعمال أحمد بن قاسم الحجري (أفوقاي) الأندلسي (٩٧٨-١٠٥١هـ/ ١٥٧٠-١٦٤١م)**، أبحاث المؤتمر الدولي الحضارة الإسلامية في الأندلس، ٢ج، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٦م.

٣٨. دي إيبالثا، ميكيل، **الموريسكيُّون في إسبانيا وفي المَنْفَى**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٩. ذاكر، عبد النبي، **المغرب والغرب: نظرات متقاطعة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨م.

٤٠. راشد، زينب عصمت، **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

٤١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام** "قاموس تَرَاجِم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمُستعربين والمُستشرِقين"، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٤٢. زغروت، فتحي، **العثمانيُّون ومحاولات إنقاذ مُسْلِمِي الأندلس (٨٩٨-١١١٥هـ/ ١٤٩٢-١٦٠٩م) منذ سقوط غرناطة حتى الطَّرْدِ النهائي**، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، فاس، ٢٠١١م.

٤٣. السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩٩م.

٤٤. سعيدوني، ناصر الدين، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تَراجِم مُؤَرِّخِين ورحَّالة وجغرافيِّين"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩م.

٤٥. السملالي، العباس بن إبراهيم، **الإعلام بِمَنْ حَلَّ مراكش وأغمات من الأعلام**، رَاجَعَهُ: عبد الوهاب ابن منصور، ١٠ج، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٣م.

٤٦. السلمي، جعفر ابن الحاج؛ محمد رضى بودشار، **المغرب والأندلس في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث**، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠٢١م.

٤٧. الشادلي، عبد اللطيف، **الحركة العياشية: حلقة من تاريخ المغرب في القرن ١٧**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨٢م.

٤٨. شاشيّة، حسام الدين، **السَّفارديم والموريسكيُّون: رحلة التهجير والتوطين في بلاد المغرب (١٤٩٢-١٧٥٦م)**، ٢ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥م.

٤٩. الشريف، محمد الهادي، **تاريخ تونُس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعريب: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط٣، دار سراس للنشر، تونُس، ١٩٩٣م.

٥٠. شعباني، نور الدين، **محاضرات في تاريخ الممالك السودان الغربي**، دار الجزائر، ٢٠١٥م.

٥١. شهبر، عبد العزيز وآخرون، **عبد المالك السعدي ولقاء الملوك الثلاثة في وادي المخازن-٤غشت ١٥٧٨: نصوص ودراسات**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ٢٠١٣م.

٥٢. شودار، مبارك، **التراث الأندلسي الموريسكي في الوطن العربي "أعمال المؤتمر الدولي الافتراضي ١٨-١٨ فبراير ٢٠٢٣م"**، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ٢٠٢٣م.

٥٣. صابان، سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م.

٥٤. طه، عبد الواحد ذنون، **حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٤م.

٥٥. عبد الحميد، عبد اللطيف بن محمد، **موقف الدولة العثمانية تِجَاهَ مأساة المسلمين في الأندلس ٨٩١-١٠١٨هـ/ ١٤٨٦-١٦٠٩م**، شركة العبيكان، الرياض، ١٩٩٣م.

٥٦. عبد الكريم، جمال، **الموريسكيُّون: تاريخهم وأدبهم**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٠م. من السقوط إلى محاكم التفتيش، دار أمواج للنشر والتوزيع، عَمَّان، ٢٠١٢م.

٥٧. عبيد، إسحق، **محاكم التفتيش: نشأتُها ونشاطُها**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

٥٨. العفيفي، عبد الحكيم، **موسوعة ألف مدينة إسلامية**، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠م.

٥٩. عنان، محمد عبد الله، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المُتَنَصِّرين**، ط٣، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٦٠. العيدروس، محمد حسن، **العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس: التَّطهير العِرْقِي وجرائم الإبادة الجماعية ضِدَّ المسلمين في إسبانيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١١م.

٦١. بوغلا، أحمد، **الرحلة الأندلسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٨م.

٦٢. فرحات، يوسف شكري، **غرناطة في ظِلِّ بني الأحمر**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

٦٣. القاسمي، سلطان بن محمد، **إِنِّي أُدِينُ**، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠١٧م.

٦٤. ـــــــــــــــ، **محاكم التفتيش تحقيق لثلاثة وعشرين ملفا لقضايا ضد المسلمين في الأندلس**، ٢مج، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠٢٠م.

٦٥. القدوري، عبد المجيد، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التَّجاوُز)**، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢م.

٦٦. قشتيلو، محمد، **حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها**، مطابع الشويخ، تطوان، ٢٠٠١م.

٦٧. ـــــــــــــــ، **مِحْنَة الموريسكوس في إسبانيا**، ط٢، مطابع الشويخ، تطوان، ١٩٩٩م.

٦٨. كار، ماثيو، **الدين والدم: إبادة شعب الأندلس**، ترجمة: مصطفى قاسم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٣م.

٦٩. كارديلك، لوي، **الموريسكيُّون الأندلسيُّون والمسيحيُّون**، ترجمة: عبد الجليل التميمي، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، ١٩٨٣م.

٧٠. كاسترو، أميركو، **إسبانيا في تاريخها: المسيحيُّون والمسلمون واليهود**، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٧١. الكامرون، أحمد، هاشم السقلي، **التأثير الموريسكي في المغرب**، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، ٢٠١٠م.

٧٢. الكتاني، علي المنتصر، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٧٣. ـــــــــــــــــــ، **القطوف الدواني في التاريخ الإسباني**، كلية الآداب–جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧٤. كريم، عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط٣، جمعية المُؤَرِّخين المغاربة، الرباط، ٢٠٠٣م.

٧٥. كنده، خوسيه أنطونيو، **تاريخ حكم العرب في إسبانيا**، ترجمة: لارا نيكولا فاليه، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٤م.

٧٦. لبيب، الطاهر، **صورة الآخَر العربي ناظِرًا ومنظورًا إليه**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م.

٧٧. لونغاس، بدرو، **حياة الموريسكيِّين الدينية**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٧٨. لي، هنري تشارلس، **العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، ترجمة: حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م.

٧٩. مجموعة باحثين، **دراسات أندلسية بأقلام عراقية: الحياة الاجتماعية – القسم الأول**، دار الوثائق والكتب العراقية، بغداد، ٢٠٢١م.

٨٠. المدرَّس، عصمت؛ أوليفية سالمون، **العلاقات ما بين هولندا وسورية العثمانية في القرن السابع عشر أربعة قرون على إقامة القنصلية الهولندية في حلب (١٦٠٧–٢٠٠٧م)**، ترجمة: حسين عصمت المدرَّس، دار شعاع للنشر والعلوم، حلب، ٢٠٠٨م.

٨١. مجموعة باحثين، **العثمانيُّون والعالم المتوسِّطي: مقاربات جديدة**، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م.

٨٢. مجموعة باحثين، **المغرب والأندلس في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث**، منشورات تطاون أسمير، تطوان، ٢٠٢١م.

٨٣. محمد، هديل فائز حسن، **موقف الدولة العثمانية من مُسْلِمِي الأندلس وشمال إفريقيا ١٤٩٢-١٥٦٦م**، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٧م.

٨٤. المدني، أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ١٤٩٢-١٧٩٢م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ١٩٦٥م.

٨٥. المزاري، للآغابن عودة، **طُلُوع سَعْدِ السُّعُود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ٢ج، تحقيق: يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

٨٦. مسعود، أيوب، **تداخُل الأجناس في أدب الرحلة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٢٠م.

٨٧. مصطفى، محمود، **إعجام الأعلام**، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٥م.

٨٨. المضواحي، محمد يحيى، **الأندلسيُّون عَقِبَ سقوط غرناطة**، كتوبيا للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٧م.

٨٩. المؤدن، عبد الرحمن؛ عبد الرحيم بنحادة، **العثمانيُّون والعالم المتوسِّطي: مقاربات جديدة**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠٠٣م.

٩٠. المنوني، محمد، وآخرون، **التاريخ الأندلسي من خلال النصوص**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ١٩٩١م.

٩١. الناصري، جعفر بن أحمد، **سَلَا وباط الفتح: أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، ٦ج، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ٢٠٠٦م.

٩٢. نُخْبَةٌ من الباحثين، **دراسات أندلسية بأقلام عراقية**، ٢ج، تمُّوز ديموزي، دمشق، ٢٠٢١م.

٩٣. النفاع، كمال، **محاولات التحديث والإصلاح في العصر السعدي عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور نموذجًا**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٧م.

٩٤. نورويش، جون جوليوس، **الأبيض المتوسط: تاريخ بحر ليس كَمِثْلِهِ بحرٌ**، ترجمة: طلعت الشايب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠١٥م.

٩٥. هلايلي، حنيفي، **أبحاث في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٠م.

٩٦. وات، مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع فصلٍ في الأدب بقلم بيير كاكيا)**، ترجمة: محمد رضا المصري، ط٢، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م.

٩٧. يحياوي، جمال، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيّين ١٤٩٢-١٦١٠م**، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٤م.

٩٨. يوسف شكري، **غرناطة في ظِلّ بني الأحمر**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ص٤٦.

رابعًا: الكتب الأجنبية

1. Charles Purton Cooper: **Correspondance Diplomatique Bertrand de Salignac de la Fenelon; Recueil des Dépêches**, Rapports T1; 1568-1569. Ed Panckouke, Paris,1838, pp5-19.

2. García-Arenal, Mercedes, Gerard Wiegers, **The Expulsion of the Moriscos from Spain,** Brill, Boston, 2014.

3. Harvey, L.P, **Muslim in Spain 1500 to 1614**, The University of Chicago, Chicago, 2005.

4. Kontzi, Reinhold, **Romania Arabica**, Gunter Narr Verlag Tubingen, Narr, 1996.

5. LLD, Henry Charles Lea, **The Moriscos of spain: Their Conversion and Expulsion**, Cornell University Library, United States, 2006.

6. Loop, Tan, others, **The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe**, Brill, Boston, 2017.

7. Matar, Nabil, **In the Lands of the Christians: Arabic Travel Writing in the Seventeenth Century**, Routledge, New York, 2003.

8. M.-F.A.**Los Moriscos espanoles y su expulsion**. Estudio historico-critico, por D. Pascual Boronat y Barrachina, Pbro, con un prologo del Excmo. Sr. D. Manuel Danvila y Collado. in: Bulletin Hispanique, tome4, n1, 1902.pp: 64-66; https://www.persee.fr/doc/hispa.

9. Shafea,rawya abd elhamed, **Attempts to preserve the Andalusian Islamic identity following the fall of Granada mousse ib al-ghssan and mohammed bin ummayya, Journal of architecture, arts and humanities**, Arab association for Islamic civilization and art, Volume5, Issue23, Cairo, 2020.

10. Toomer, G.J, **Eastern Wisedome and Learning: The Study of Arabic in Seventeenth-Century England,** Oxford University, Oxford, 1996.

11. Vrolijk, Arnoud, Richard van Leeuwen, **Arabic studies in the Netherlands: a short history in Portraits, 1580-1950**, Brill; Illustrated edition, 2013.

12. Waardenburg, Jacques, **Muslim Perceptions of Other Religions: A historical Survey,** Oxford university press, United Kingdom, 1999.

13. William H. Prescottm, **History of the Reign of Philip the Second**, George Routledge and Sons, London, 2010.

خامسًا: الرسائل العلمية

١- العربية:

1. باخشوين، نبيهة بنت أحمد عابد، **اللُّغَات في صِحَاح الجوهري: استقراء وتصنيف لغوي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١١م.
2. توني، طاهر، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، الجزائر، ٢٠١٥م.
3. الحسيناوي، محمود عاشور عبيد، **موقف الدولة السعدية من مُسْلِمِي الأندلس بعد سقوط غرناطة (٩١٦-١٠٦٩هـ/ ١٥١٠-١٦٥٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٣م.
4. الرحبي، حبيب بن حسين بن خلف، **الأحوال السياسية في الدولة العثمانية (١٠١٢-١٠٥٠هـ/ ١٦٠٣-١٦٤٠م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، ٢٠١٦م.
5. رزُّوق، محمد، **الأندلسيُّون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧م**، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨٧م.
6. السعيدي، أحمد، **رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين وتحقيقها: نقد واستدراك من نسخة مُكتَشَفَة حديثًا، مجلة معهد المخطوطات العربية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونُس، مج٨٥، ج١، ٢٠١٤م.
7. طعام، شامخة، **التَّخَيُّل التاريخي في الرِّواية المغاربية (الجزائر، المغرب، تونُس)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٣م.
8. طويل، أسماء، سناء نسيبي، **نظام الوزارة في مملكة غرناطة في عصر بني نصر (٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشهيد حمه لحضر، الجزائر، ٢٠٢٠م.
9. عبد الكافي، مفتاح علي عثمان، **الموريسكيُّون ودورُهُم في الحفاظ على الهُوِيَّة الإسلامية في الأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والتربية، جامعة التحدي، ليبيا، ٢٠٠٦م.
10. عمر، بن قايد، **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا) من١٠٦٩-١١٣٩هـ/ ١٦٥٩-١٧٢٧م**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠١١م.

١١. الميلق، عبد القادر، **تأثير ثورات الموريسكيّين الأندلسيّين على العلاقات الجزائرية الإسبانية (٨٩٧-١٠١٧هـ/ ١٤٩٢-١٦٠٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠١٣م.

١٢. لعرجوم، فتحية؛ نعيمة حليمي، **الدولة العثمانية ومُسْلِمِي الأندلس خلال القرنين (١٠-١١هـ/ ١٦-١٧م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية، ٢٠١٥م.

١٣. نادية، مبروك، **استلهام التراث الموريسكي الأندلسي في الرِّواية الجزائرية المعاصرة: رِوَايَة البيت الأندلسي لواسيني الأعرج أُنموذَجًا**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٩م.

٢- الأجنبية:

1. Conidi Emanuela, **Arabic Types in Europe and the Middle East, 1514-1924: Challenges in the Adaptation of the Arabic Script from Written to Printed Form**, Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy, Department of Typography Graphic Communication, University of Reading, London, 2018.
2. ELaskary, Mohamed Ibrahim Hassan, **The Image of Moors In The Writings Of Four Elizabethan Dramatists: Peele, Dekker, Heywood And Shakespeare**, Doctor of Philosophy (PhD)thesis, University of Exeter, United Kingdom,2008.
3. EL-sayed, Laila Hashem Abdel-Rahman, **Discourses on Emotions: Communities, Styles, and Selves in Early Modern Mediterranean Travel Books Three Case Studies**. Doctor of Philosophy (PhD)thesis, University of Kent, Freie Universitat Berlin, 2016.

4. Fariborz, Janice, **The Role and Causes of Political Instability in the Fall of Muslim Granada 1461-1492**, Master of Arts, Western Michigan University, Kalamazoo, Michigan, 1968.
5. Gilbert, Claire, **The Politics of Language in the Western Mediterranean c.1492-c.1669: Multilingual Institutions and the Status of Arabic in Early Modern Spain**, Doctor of Philosophy in History (PhD)thesis, University California, Los Angeles, 2014.
6. Nawaz, Aminal, **Sixteenth Century Morisco Devotional Manuscripts in their Mediterranean Contexts**, Doctor of Philosophy (PhD)thesis, University of Cambridge, United Kingdom, 2014.
7. Nutting, Elizabeth Woodhead**, Morisco Survival, Conversion, and Migration in the Early Modern Mediterranean 1492-1659**, Doctor of Philosophy, The University of Texas at Austin, Austin, 2014.
8. Turkcelik, Evrim, **Muslim and Jewish "Otherness" in the Spanish Nation-Building Process Throughout the Reconquista (1212-1614)**, Master of Science in the Department of European Studies, Middle East Technical University, Ankara, 2013.

سادسًا: الدَّورِيَّات والبحوث:

١- العربية:

١. الأشقر، رشيد، "الموريسكيُّون في دراسات المُؤَرِّخين والمُستعرِبين الإسبان"، **مجلة الدوحة**، وزارة الثقافة والرياضة، الدوحة، ع١٤٩، ٢٠٢٠م.
٢. إلهامي، محمد، "الأندلسيُّون بعد سقوط غرناطة المحنة الأولى في مسلسل الأَقلِّيَّات الإسلامية المستمر"، **مجلة البيان**، المركز العربي للدراسات الإنسانية، الرياض، ٢٠٢٠م.
٣. أمحزون، محمد، الدولة الصفوية في إيران التاريخ والمنهاج، **مجلة البيان**، المنتدى الإسلامي، ع٢٥١، ٢٠٠٨م.

٤. أولاد سيدي الشيخ، عبد الرحمن، "الموريسكيُّون ونكبة سقوط الأندلس"، **مجلة الباحث**، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج٩، ع١٧، ٢٠١٧م.

٥. برهان، صفاء عبد الله، "صورة الأندلسيِّين الموريسكيِّين تحت الاحتلال الإسباني ١٤٩٢–١٦١٤م"، **مجلة البحوث والدراسات الإسلامية**، العراق، ع٤٥، ٢٠١٦م.

٦. بشيه، عبد الستار العريفي سالم، "نَصٌّ زَجَلِيٌّ لِشَاهِد عيان على سقوط مملكة غرناطة"، **مجلة دراسات أندلسية**، جمعة شيحة، ع٤٩، ٢٠١٣م.

٧. البطوش، بسام عبد السلام حميدة؛ صالح عليم الشورة، "موقف الدولة العثمانية من استغاثات الأندلسيِّين–الموريسكيِّين–ما بين سَنَتَيْ ١٤٥١–١٦١٦م"، **مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية**، جامعة الزرقاء، عَمَّان، مج١٤، ع١، ٢٠١٤م.

٨. بنرمضان، العربي، "الهجرات الأندلسية إلى المغرب: السياق التاريخي والتأثيرات الحضارية"، **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع٣٩، ٢٠١٩م.

٩. بنعزوز، فريدة، "الأسر في رحلة مغربية موريسكية لمجهول من القرن الهجري التاسع"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ع١٦، ٢٠٠٩م.

١٠. التركي، عبد المجيد، وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونُس، **حوليَّات الجامعة التونُسية**، تونُس، ع٤، ١٩٦٧م.

١١. الجازوي، جمال، "تأمُّلات حول سياسة الإبادة التي اتَّبَعَها ملوك الإسبان ضِدَّ الموريسكيِّين 'Moriscos Los'"، **مجلة الجامعي**، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، طرابلس، ع١١، ٢٠٠٦م.

١٢. الجازي، محمد عبد الهادي غزة؛ محمود صالح عطية؛ حسين رجا، "الموريسكيُّون ومحاكم التفتيش في إسبانيا ١٤٩٢–١٦١٤م"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المركز القومي للبحوث، غزة، مج٤، ع٣، ٢٠٢٠م.

١٣. ابن جميع، محمد نجيب، "الأدب الألخمي والموريسكي: تأصيلٌ لِكِيَان"، **مجلة دراسات أندلسية**، جمعة شيحة، ع٣٠، ٢٠٠٣م.

١٤. حتاملة، محمد عبده، "التهجير القسري للموريسكيِّين خارج شِبْه جزيرة إيبيريا في عهد الملك فيليب الثالث ١٥٩٨–١٦٢١م"، **مجلة دراسات العلوم الإنسانية**، الجامعة الأردنية، عَمَّان، مج١٠، ع١، ١٩٨٣م.

١٥. الحجي، عبد الرحمن، "الأندلس ومحاكم التفتيش"، **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ع٥١٩، ٢٠٠٨م.

١٦. الحسيني، قاسم عبد سعدون، "حركة الاسترداد الإسبانية الريكونيكيستا (AL reconquista): قراءة في المصطلح والمضمون"، **دورية كان التاريخية**، ع٤٧، ٢٠٢٠م.

١٧. ــــــــــــــ، "المرأة الموريسكية: قراءة في البحث عن الذات، وإثبات الهُوِيَّة الإسلامية في الأندلس"، **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع٥٠، ٢٠٢١م.

١٨. خديجة، دوبالي، "مأساة طَرْدِ مُسْلِمِي الأندلس بعد سقوط غرناطة: الأبعاد والتحليل"، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران، الجزائر، ع٢٣، ٢٠١٦م.

١٩. خشانة، رشيد، "المؤتمر الدولي الخامس للدراسات الأندلسية في الذكرى المئوية الخامسة لسقوط غرناطة (١٤٩٢م)"، **مجلس شؤون عربية**، جامعة الدول العربية، القاهرة، ع٦٩، ١٩٩٢م.

٢٠. الخطيب، رشا، تمثُّلات الذات والآخَر في ثلاث رحلات عربية من القرن السابع عشر، **مجلة مركز الدراسات العربية**، جامعة بوخارست، رومانيا، ٢٠١٨م.

٢١. خيري، خديجة خيري عبد الكريم، طَرْد الموريسكيّين من إسبانيا: الدوافع والأسباب ١٦٠٩–١٦١٤م"، **مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة بحري، مج٥، ع١٠، ٢٠١٦م.

٢٢. ابن دمراد، نصيرة، "المغربُ الأوسط مَلاذُ الموريسكيّين: قراءة في أهمِ المصادر الأجنبية"، **مجلة دراسات أدبية**، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، ع٨، ٢٠١٠م.

٢٣. دوبالي، خديجة، حركة الجَدَل الديني في إسبانيا الكاثوليكية خلال القرنين ١٦و١٧، **مجلة العِبَر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا**، جامعة تيارت، الجزائر، مج٤، ع٢، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١م.

٢٤. رزُّوق، محمد، "إسبانيا بعيون الشهاب الحجري"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك**، جامعة الحسن الثاني المحمدية، الدار البيضاء، ٢٠١١م.

٢٥.	ـــــــــــــ، "العلاقات المغربية الإسبانية خلال القرن السادس عشر: العهد السعدي الأول نموذجًا"، **مجلة المناهل**، وزارة الدولة للشؤون الثقافية، الرباط، ع٣٨، ١٩٨٩م.

٢٦.	ـــــــــــــ، "ملاحظات حول الوجود الموريسكي بالمغرب"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمد الأول، المغرب، ع٦، ١٩٩٦م.

٢٧.	رضوان، لحرش، "سقوط غرناطة ومِحْنَة الموريسكيِّين"، **مجلة ليكسوس**، محمد أبيهي، ع٢٥، ٢٠١٨م.

٢٨.	الزاهي، فريد، "الممانعة والفتنة الجسد والذات والصورة: مُتَخَيَّل الرحلة السفارية إلى أوروبا"، **مجلة الكوفة**، جامعة الكوفة، العراق، ع٢، ٢٠١٣م.

٢٩.	الزبيدي، إياد كاظم هادي جلو، "التَّحدّيات التي واجهتِ المسلمين في الأندلس: المورسيكيُّون أُنموذَجًا"، **مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية**، جامعة الكوفة، الكوفة، مج٩، ع٢٦، ٢٠١٦م.

٣٠.	زللو، محمد علي عبد الرازق، رسالة من موريسكيِّي غرناطة إلى ملك إسبانيا: دفاعًا عن اللغة العربية والتقاليد الإسلامية، **ضاد مجلة لسانيَّات العربية وآدابها**، تركيا، مج٣، ع٥، ٢٠٢٢م.

٣١.	ساعف، عبد الله، عبد الرحمن عدناوي، تقديم لكتاب ناصر الدين على القوم الكافرين أو مُختَصَر رحلة شهاب إلى لقاء الأحباب للفقيه أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي أفوقاي: تحقيق محمد رزُّوق، **مجلة أبحاث**، ع٢٧، ١٩٩١م.

٣٢.	سالم، سحر عبد العزيز، بنو السراج وزراء بني نصر: بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، ع٢٨، ١٩٦٥م.

٣٣.	السفياني، هدى بنت جبير، "أحمد بن قاسم الحجري [ت: بعد ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م] ورحلته مصدرًا للأوضاع العلمية للموريسكيّين"، **حوليَّة كلية اللغة العربية بالزقازيق**، جامعة الأزهر، غزة، مج٤٠، ع٢، ٢٠٢٠م.

٣٤.	شاشيّة، حسام الدين، تونُس والجزائر في عيون الإسبان خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر: مثال الرَّاهبين فرنثيسكو خيمينات ومالغور غارثيا نفاراو، الندوة الدولية هجرة الآثار في المتوسط ٢٠-٢١ نوفمبر ٢٠١٥م، المندوبية الجهوية للثقافة بالمهدية، جانفي، ٢٠١٦م.

٣٥. ـــــــــــــــ، "الجَدَل الديني من خلال كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"، **مجلة مؤمنون بلا حدود**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، ٢٠١٥م.

٣٦. ـــــــــــــــ، "صورة المسلم في المخيال الغربي خلال الفترة الحديثة: "تجذُّر القلق"، **مجلة الكراسات التونُسية**، معهد الدراسات العليا–جامعة تونُس، تونُس، ع٢١٨، ٢٠١٤م.

٣٧. ـــــــــــــــ، قرار الطَّرْد في الكتابات الإسبانية الموريسكية: بين مقاربتَيْن من التأريخ التبريري، أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر والسادس عشر للدراسات الأندلسية المغربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونُس، ٢٠١٥م.

٣٨. الشمري، يوسف كاظم جغيل؛ محمد عبدالله المعموري، الموريسكيُّون في بلنسية (دراسة في أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٥٢٥–١٦٠٩م)، **مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية**، جامعة بابل، العراق، مج٥، ع١، ٢٠١٥م.

٣٩. العارضي، وجدان فريق عناد، "البُعْدُ التاريخي لمصطلح الموريسكيِّين"، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة البصرة، البصرة، ٢٠٢١م.

٤٠. ـــــــــــــــ، "معاهدة تسليم غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م: دراسة تاريخية"، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة البصرة، البصرة، ٢٠١٨م.

٤١. عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن، "المُهَجَّرُون الأندلسيُّون من خلال وثائق محكمة الإسكندرية الشرعية في العصر العثماني في مصر"، **مجلة الدارة**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، مج١٠، ع١، ١٩٨٤م.

٤٢. عبد اللطيف، عبد الغني، "الطَّرْد الأخير للموريسكيِّين ١٦٠٤–١٦٠٩م من منظور تاريخي"، **مجلة الأندلس**، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، مج٢، ع٥، ٢٠١٧م.

٤٣. عبد المجيد، معاوية، البندقية والمُخَيّلة العربية، **مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية**، وكالة الاتصالات بن عدة كريمة، الجزائر، ع٣، ٢٠١٩م.

٤٤. عبد المؤمن، محمد، "طقوس الولادة والموت عند موركسيو هورناتشوس"، **دورية كان التاريخية**، ع٣٢، ٢٠١٦م.

٤٥. ـــــــــــــــ، "مرسوم طَرْدِ الموركسيِّين من مملكة بلنسية ومرسوم طَرْد الموركسيِّين من سائر الممالك الإسبانية"، **دورية كان التاريخية**، ع٣٤، ٢٠١٦م.

٤٦. عبد الوهاب، ابن منصور، "أحمد بن قاسم الحجري آخِر موريسكي يُؤَلِّفُ بالعربية ويُدَافِعُ جَهْرَةً عن الإسلام"، **مجلة الأكاديمية**، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ع١٢، ١٩٩٥م.

٤٧. عبيدا، سعيد، "محنة الموريسكيّين: أَلَمُ التاريخ وأَمَلُ المستقبل"، **مجلة المناهل**، وزارة الدولة للشؤون الثقافية، الرباط، مج ١٦، ع٦٢، ٢٠١٨م.

٤٨. العثماني، إسماعيل، "أفوقاي الحجري: مُؤَلِّف ضون كيخوطي"، **مجلة آفاق**، وزارة الثقافة، الرباط، ع٧٣، ٢٠٠٧م.

٤٩. عدناوي، عبد الرحيم، تقديم لكتاب ناصر الدين على القوم الكافرين أو مُختَصَر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب للفقيه أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي أفوقاي، تحقيق: محمد رزُّوق، **مجلة أبحاث**، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة اليرموك، اليرموك، ع٢٧، ١٩٩١م.

٥٠. عزوز، فريدة، الموريسكيُّون أو الأندلسيُّون المتأخِّرون: التاريخ واللغة والمصطلحات، **مجلة المَوْرِد**، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والسياحة والآثار، بغداد، مج٤٩، ع٣، ٢٠٢٢م.

٥١. بوعصب، امبارك، عِلْمُ الأسلحة خلال العصر السعدي من خلال مخطوط "العِزّ والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمَدَافِع"، **مجلة قضايا تاريخية**، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، الجزائر، ع٣، ٢٠١٦م.

٥٢. عناد، وجدان فريق، "معاهدة تسليم غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م: دراسة تاريخية"، **مجلة دراسات تاريخية**، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، البصرة، ع ٢٥، ٢٠١٨م.

٥٣. ـــــــــــ، "تستور-بلد الموريسكيّين الأندلسيّين"، **مجلة العربي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع١٥٦، ١٩٧١م.

٥٤. ـــــــــــ، "قصة كاتب موريسكي"، **مجلة العربي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع١٣١، ١٩٦٩م.

٥٥. ـــــــــــ، "قصة الموريسكو ومَصْرَعُ الحضارة الأندلسية"، **مجلة الهلال**، دار الهلال، القاهرة، ع٨، ١٩٢٦م.

٥٦.	ــــــــــــــــ، "من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي"، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، ع١٦، ١٩٧١م.

٥٧.	عويد، فراس حمد خلف، "الموريسكيُّون بين اتفاقية التسليم ووحشية محاكم التفتيش"، **مجلة آداب الفراهيدي**، جامعة تكريت، العراق، ع٣٤، ٢٠١٨م.

٥٨.	الغزواني، محمد، "الموريسكيُّون وإعادة الانتشار: الظروف والمآلات: المجال المغاربي نموذجًا"، **دورية كان التاريخية**، ع٥٠، ٢٠٢٠م.

٥٩.	ــــــــــــــــ، الموريسكيُّون والمجال المتوسِّطي والوعي بالتَّفاوُت: إبراهيم ابن أحمد بن غانم بن محمد بن زكرياء الأندلسي نموذجًا، **دورية كان التاريخية**، ع٤٢، ٢٠١٨م.

٦٠.	فكاير، عبد القادر، "العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية"، **دورية كان تاريخية**، ع١٨، ٢٠١٢م.

٦١.	القبج، عامر أحمد، "السياسة الصليبية البابوية –الإسبانية تِجَاهَ الأندلس بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣-١٤٩٢م/ ٨٥٧-٨٩٧هـ"، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، مج٣٠، ع١، ٢٠١٦م.

٦٢.	كاردية، لوي، "حياة الموريسكيِّين الدينية عامل تماسُك لطائفة كانت تُشَكِّلُ أَقَلِّيَّة في إسبانيا في القرن السادس عشر للميلاد"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ع٧، ١٩٨٤م.

٦٣.	ــــــــــــــــ، "الموريسكيُّون ومعركة الحفاظ على الهُوِيَّة"، **مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية**، جامعة عاشور زيان الجلفة، الجزائر، مج٢، ع٧، ٢٠١٩م.

٦٤.	الكانوني، مريم سالم ميلاد، منهجية الإدريسي وإسهاماتُهُ الجغرافية، **مجلة روافد المعرفة**، جامعة الزيتزنة–كلية الآداب، ترهونة، ع٥، ٢٠١٩.

٦٥.	المنوني، محمد، "ظاهرة تعريبية في المغرب أيام السّعديِّين"، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، مج١١-١٢، ١٩٦٤م.

٦٦.   ـــــــــــــ، "حكم هجرة الأندلسيّين إلى المغرب العربي من خلال فتاوى الونشريسي"، **مجلة الحوار المتوسِّطي**، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، ع٢، ٢٠١٠م.

٦٧.   ـــــــــــــ، الموريسكيُّون الأندلسيُّون في إسبانيا من خلال رحلتَي الشهاب الحجري والوزير الغساني، **مجلة الحوار المتوسِّطي**، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، ع٩ و١٠، ٢٠١٥م.

٦٨.   وجدان فريق، "معاهدة تسليم غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م: دراسة تاريخية"، **مجلة دراسات تاريخية**، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، البصرة، ع ٢٥، ٢٠١٨م.

٦٩.   يوسف، كاظم جغيل الشمري، محمد عبد الله المعموري، "الموريسكيون في بلنسية (دراسة في أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٥٢٥-١٦٠٩م)"، **مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية**، جامعة بابل، العراق، مج٥، ع١، ٢٠١٥م.

٢- الأجنبية:

1. Aammari, Lahoucine," Discursive and Cultural Encounters in Ahmad bin Qasim Al-Hajaris Ambassadorial Travel Narrative, Kitab Nasir Adin ala alqawm al-kafirin", **Athens Journal of Mediterranean Studies**, Volume4, Issue1, University of Nicosia, Cyprus, 2018.

2. Abdel-Rahman, Laila Hashem, "Early Modern Travel Books (1500-1700) A Pragmaphilological Approach",**Bulletin of the Faculty of Arts**, University of Cairo, Cairo, Vol.(45),No.(2) October 2017.

4. Carlos Marichal: La piastre ou le real de huit en Espagne et en Amérique: une monnaie universelle (XVIe –XVIIIe; Revue européenne des sciences sociales; Éd, Librairie Droz, 1 juillet 2007.

5. Casares, Aurelia Martin, "The Royal Decree (Philip Li,1573) on Slavery of Morisco Men, Women and Children and Its Consequences", **World Journal of Islamic History and History and Civilization**, 3(4), Brill Academic, Netherland, 2013

6. García-García, Marcos, and anothers, the zooarchaeological identification of a 'Morisco' community after the Christian conquest of Granada (Spain, early 16th century): sociocultural continuities and economic innovations, **Archaeological and Anthropological Sciences**, https://doi.org/10.1007/s12520-021-01288-2, 2 March 2021.

7. Stewart, Devin, Dissimulation in Sunni Islam and Morisco Taqiyya, **Al-Qantara,** XXXIV 2, Spanish, 2013.

8. Wiegers, Gerard, "Moriscos and Arabic Studies in Europe", **Al-Qantara,** XXXIV 2, Spanish, 2010.

سابعًا: الموسوعات

١. الجاف، حسن كريم، **موسوعة تاريخ إيران السياسي**، ٤مج، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢. الخوند، مسعود، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ٢٠ج، دار رُوَّاد النهضة، لبنان، ٢٠٠٥م.

٣. لانجر، وليم، **موسوعة تاريخ العالم**، ٨ج، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

٤. مجموعة الباحثين، **الموسوعة العربية العالمية**، ٣٠مج، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.

ثامنًا: المواقع الإلكترونية

١. العربية:

أ- بنيتز، مايتي، **أورناتشوس والرباط يتذكَّرون طَرْدَ الموريسكيّين**، ٨ نوفمبر ٢٠٠٨، جريدة إيكسترامادورا، http://www.elperiodicoextremadura.com، تعريب المقال: أبوتاشفين هشام بن محمد المغربي، تاريخ الاسترجاع: ١٤ فبراير ٢٠٢٣م.

ب- الشويخ، فرح، محاضرة بعنوان: «**من المخطوطات الغميسة للموريسكيّين أو الأندلسيّين المتأخِّرين: الكتب الرصاصية» قدَّمها بمركز ابن أبي الربيع السبتي فضيلة الدكتور محمد**

عبد الواحد العسري، مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية، تطوان، ٦ شوال ١٤٤٤هـ الموافق ٢٧ أبريل ٢٠٢٣م، https://www.arrabita.ma/، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٥/٢٢م.

٢. الأجنبية:

A. French National Library website, https://web.archive.org/web/20180919195002/https://gallica.bnf.fr/

B. Historia de Los Palacios y Villafranca, https://turismo.lospalacios.org/, تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٠/٣١م.

C. Marie de Médicis queen of France,https://www.britannica.com/biography/Marie-de-Medicis ، تاريخ الاسترجاع:٢٠٢٣/٩/٦م.